القَضِيَّةُ الفِلَسْطِينِيَّةُ

حُلُولٌ شَرْعِيَّةٌ وَصَفَحَاتٌ تَارِيخِيَّةٌ

تأليف
الشَّيْخ الدّكتور
ذِيَاب بن سَعد آل حمدان الغامدي

دار الأوراق الثقافية

القَضِيَّةُ الفِلِسْطِينِيَّةُ

حُلُولٌ شَرْعِيَّةٌ وَصَفَحَاتٌ تَارِيخِيَّةٌ

جَمِيْعُ الحُقُوْقِ مَحْفُوْظَةٌ
إلَّا لمَنْ أَرَادَ طَبْعَهُ وتَوْزِيْعَهُ مَجَّاناً
بَعْدَ أخْذِ الإذْنِ مِنَ المُؤلِّفِ

الطَّبْعَةُ الأُولَىٰ
١٤٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

☐ قَـالَ تَـعَـالـى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

☐ وقَالَ مُوْسَى عليه السلام لقَوْمِهِ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة: ٢١].

☐ وقَالَ ﷺ: «يَا طُوْبَى للشَّامِ! يَا طُوْبَى للشَّامِ! يَا طُوْبَى للشَّامِ!»، قَالُوا يَا رَسُوْلَ اللهِ وبِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: «تِلْكَ مَلائِكَةُ اللهِ بَاسِطُو أجْنِحَتِهَا على الشَّامِ»، وفي رِوَايَةٍ: «طُوْبَى لأهْلِ الشَّامِ» أحْمَدُ.

☐ وقَالَ ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أمَّتِي على الحَقِّ ظَاهِرِيْنَ، وإنِّي لأرْجُو أنْ تَكُوْنُوا هُم يَا أهْلَ الشَّامِ» أحمَدُ.

☐ وقَالَ ﷺ: «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا إلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، ومَسْجِدِي، والمَسْجِدِ الأقْصَى» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْنَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على عَبْدِهِ ورَسُوْلِه الأمِيْنِ، وعلى آلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ، وأصْحَابِهِ الغُرِّ الميَامِيْنِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحْسَانٍ إلى يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمَّا بَعْدُ: فَقَدْ حَانَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ أنْ يُخرِجَ القَلَمَ ويَكْتُبَ، وأنْ يَرْفَعَ عَقِيْرَتَهُ ويُعْرِبَ، وأنْ يَرْفَعَ سِلاحَهُ ويَضْرِبَ!

نَعَمْ؛ حَانَ الوَقْتُ؛ فَدَعُونِي أبُثُّ إلَيْكُم أحْزَانِي، وأقُصَّ عَلَيْكُم قِصَّةَ الجَانِي، يَوْمَ سَلَبَ مِنِّي أنْدَلُسَ وفِلِسْطِيْنَ وبَعْضَ أوْطَانِي، ويُرِيْدُ اليَوْمَ مِنِّي مَسْخَ عَقِيْدَتِي وإيْمَانِي!

لأجْلِ هَذَا؛ فَقَدْ آثَرْتُ أنْ أكْتُبَ عَنْ بَعْضِ قَضَايَا أمَّتِنَا (ومَا أكْثَرَهَا!) سُطُورًا، وأنْثُرَ خَوَاطِرَ عَسَاهَا أن تُحْيِي قُلُوبًا، وتُعِيْدَ عِزًّا، اللَّهُمَّ آمِيْنَ!

فَحَدِيْثِي اليومَ سَيكُونُ عَنْ قَضِيَّةِ فِلِسْطِيْنَ المَسْلُوْبَةِ، الَّتِي تَسَلَّطَ عَلَيْهَا يَهُودُ إخْوانُ القِرَدَةِ والخَنَازِيرِ! الَّذِيْنَ جَثَوْا على بَيْتِ المَقْدِسِ أكْثَرَ مِنْ نِصْفِ قَرْنٍ عِجَافٍ!

يَوْمَ عَثَوْا فِيْهَا فَسَادًا ودَمَارًا، وجَعَلُوا أعِزَّةَ أهْلِهَا أذِلَّةً ما بَيْنَ: قَتْلٍ وسِجْنٍ، وتَشْرِيْدٍ، وتَبْدِيْدٍ... كُلَّ هَذَا (للأسَفِ!) كَانَ على مَرْأى ومَسْمَعٍ مِنَ جَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ!

* * *

❐ نَعَم؛ إنَّ قَضِيَّةَ فِلِسْطِيْنَ اليَوْمَ لَم تَعُدْ تَحْتَمِلُ القِيْلَ والقَالَ، أوْ كَثْرَةَ السُّؤَالِ، فَهِيَ قَضِيَّةُ المُسْلِمِيْنَ كَافَّةً، لِذَا كانَتْ حَدِيْث مَجَالِسِهِم، وخُطَبَ مَنَابِرِهِم، ودِيْوَانَ أشْعَارِهِم، وآهَاتِ قُلُوبِهِم!

وإنَّ النَّاظِرَ في قَضِيَّةِ فِلِسْطِيْنَ ليَعْلَمُ أنَّها لَيْسَت قَضِيَّةَ دَوْلَةٍ، أو قَضِيَّةَ شَعْبٍ، أو أنَّها كَغَيْرِهَا مِنَ القَضَايَا التَّارِيخِيَّةِ، لا؛ بَلْ هِيَ مُفْتَرَقُ طُرُقٍ، ومُعْتَرَكُ مِلَلٍ ونِحَلٍ، وكَوَائِنُ تَارِيْخِيَّةٌ سَتَقِفُ عِنْدَهَا البَشَرِيَّةُ وَلْهَاءَ مَشْدُوْهَةً حَائِرَةً؛ إلَّا أهْلَ الحَقِّ مِنَ المُسْلِمِيْنَ... بَلْ إخَالُهَا قَضِيَّةً مَصِيْرِيَّةً فَاصِلَةً سَتَبْدَأ عِنْدَهَا نِهَايَةُ العَالمِ الَّذِي نَعِيْشُ، وعِنْدَهَا سَتَظْهَرُ كُبْرياتُ أشْرَاطِ السَّاعَةِ!

* * *

هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ هَذِهِ الأرْضَ المُقَدَّسَةَ قَدْ تَعَرَّضَتْ للغَزْوِ والغَصْبِ على مَرِّ العُصُوْرِ، وفَتَراتٍ مِنَ الدُّهُوْرِ، فَمَرَّةً على أيْدِي أقْوَامٍ أُطْلِقَ عَلَيْهِم في القُرْآنِ بـ«قَوْمًا جَبَّارِيْنَ»، و«جَالُوْتَ وجُنُوْدَهُ»، ومَرَّةً على أيْدِي أُنَاسٍ طَاغِيْنَ جَاءَ ذِكْرُهُم في التَّارِيْخِ: بالآشُوْرِيِّيْنَ، والكِلْدَانِيِّيْنَ، والفَارِسِيِّيْنَ، واليُوْنَانِيِّيْنَ، والرُّوْمَانِيِّيْنَ، والأرُوْبِيِّيْنَ (الفِرِنْجِ) الَّذِيْنَ تَسَتَّرُوا بسِتَارِ الصَّلِيْبِ!

ومَرَّةً على أيْدِي البَاطِنِيِّيْنَ: كالعُبَيْدِيِّيْنَ الفَاطِمِيِّيْنَ، ومَرَّةً على أيْدِي التَّتَارِ المَغُوْلِيِّيْنَ الوَثَنِيِّيْنَ الجَبَّارِيْنَ!

وهَكَذَا؛ حتَّى جَاءَ مُؤخَّرًا الاحْتِلالُ الصَّلِيْبِيُّ البِرِيْطَانيُّ (الإنْجِلِيْزِيُّ)؛ حَيْثُ فَرَضَ على أرْضِ فِلَسْطِيْنَ انْتِدَابَهُ الغَاشِمَ تَحْتَ حِمَايَةِ وحَصَانَةِ مَا يُسَمَّى بالمُنَظَّماتِ الدُّوَلِيَّةِ، بِدَايَةً بعُصْبَةِ الأمَمِ، ونِهَايَةً بِما يُسَمَّى بِهَيْئَةِ الأمَمِ المُتَّحِدَةِ، ومَجْلِسِ الأمْنِ، وغَيْرِهَا مِنْ أوْكَارِ اليَهُوْدِ والنَّصَارَى!

حَتَّى إذَا مَهَّدَ الانْتِدَابُ البِرِيْطَانيُّ لليَهُوْدِ هِجْرَتَهُم إلى أرْضِ فِلَسْطِيْنَ، وأعْطَاهُم مَقَالِيْدَ الحُكْمِ والتَّمْكِيْنَ، أعْلَنَ حِيْنَهَا البِرِيْطَانِيُّوْنَ الانْسِحَابَ مِنْ فِلَسْطِيْنَ، بَعْدَمَا أسْلَمُوْهَا أرْضًا رَخِيْصَةً لليَهُوْدِ الغَاصِبِيْنَ، فَعِنْدَهَا أعْلَنَ اليَهُوْدُ إخْوَانُ القِرَدَةِ والخَنَازِيْرِ: قِيَامَ دَوْلَتِهِم اليَهُوْدِيَّةِ الصِّهْيُوْنِيَّةِ عَامَ (١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م)، ومَا زَالُو حَتَّى سَاعَتِي هَذِهِ، واللهُ غَالِبٌ على أمْرِهِ!

لِذَا وَجَبَ على كُلِّ مُسْلِمٍ أنْ يُشَارِكَ بِمَا يَسْتَطِيْعُ في قَضِيَّةِ فِلَسْطِيْنَ الَّتِي تَضُمُّ المَسْجِدَ الأقْصَى: مَسْجِدَ الأنْبِيَاءِ والمُرْسَلِيْنَ، ومَسْرَى إمَامِ الأوَّلِيْنَ والآخِرِيْنَ؛ هَذَا يَوْمَ تَكَشَّفَتْ لنَا سُحُبُ الخَائِنِيْنَ، وتَسَاقَطَتْ أمَامَنَا رَايَاتُ القَوْمِيِّيْنَ، وتَعَرَّى لَنَا أذْنَابُ المُسْتَشْرِقِيْنَ مِنَ العُمَلاءِ والعَلْمَانِيِّيْنَ، وسَكَتَتْ عِنْدَهَا أصْوَاتُ الأدْعِيَاءِ الكَاذِبِيْنَ!

* * *

وبَعْدَ هَذا؛ فإنَّنا لا نَشُكُّ طَرْفَةَ عَيْنٍ أنَّ قَضِيَّةَ فِلَسْطِيْنَ أخَذَتْ مِنْ تَفْكِيْرِنا (شَبَابًا، وشُيُوخًا) وَقْتًا لَيْسَ بالْقَلِيْلِ، وجُهْدًا لَيْسَ بالكَلِيْلِ، في حِيْنِ كَانَ أوْلَى النَّاسِ بالحَدِيْثِ والكَلامِ عَنْهَا: العُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّوْنَ، وطُلَّابُ العِلْمِ النَّاصِحُوْنَ، والمُجَاهِدُوْنَ الصَّادِقُوْنَ الَّذِيْنَ صَنَعَتْهُم جِبَالُ أفْغَانِسْتَانَ، وغَابَاتُ البُوْسْنَةِ، وصَحْرَاءُ أرِتِيْرِيَا، وسُهُوْلُ كَشْمِيْرَ، وثُلُوْجُ الشِّيْشَانِ.

مَعَ عِلْمِنَا أنَّ كَثِيْرًا مِنْ دُوَلِ المُسْلِمِيْنَ لم تَزَلْ تُسَانِدُ القَضِيَّةَ الفَلِسْطِيْنِيَّةَ في قَضَايَاهَا ومَوَاقِفِهَا المَحَلِّيَّةِ والدَّوْلِيَّةِ؛ لا سِيَّما حَكُوْمَةَ بِلادِ الحَرَمَيْنِ حَفِظَهَا اللهُ مِنْ كُلِّ سُوْءٍ.

* * *

إلَّا أنَّ الأمْرَ (للأسَفِ!) أخَذَ مَنْحًى آخَرَ بَعْدَ انْتِصَافِ هَذَا القَرْنِ؛ حَيْثُ صَارَتْ قَضِيَّةُ فِلَسْطِيْنَ مَرْتَعًا خَصْبًا للعُمَلاءِ المَأجُوْرِيْنَ، والعَلْمَانِيِّيْنَ المُنْهَزِمِيْنَ، والرُّوَيبِضَاتِ مِنَ الإعْلامِيِّيْنَ ـ يَومَ لَعِبُوا بِمَشَاعِرِ وعَوَاطِفِ المُسْلِمِيْنَ، وتَقَامَرُوا على بَيْتِ المَقْدِسِ الحَزِيْنِ، وخَاضُوا بألْسِنَتِهِم وأقْلامِهِم في أعْرَاضِ، وحُرُمَاتِ، ودِمَاءِ إخْوَانِنَا الفِلَسْطِيْنِيِّيْنَ!

وهَذَا كُلُّهُ مِصْدَاقٌ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **«إنَّها سَتَأتِي على النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَةٌ يُصَدَّقُ فِيْهَا الكَاذِبُ، ويُكَذَّبُ فِيْهَا الصَّادِقُ، ويُؤْتَمَنُ فِيْها الخَائِنُ، ويُخَوَّنُ فِيْهَا الأمِيْنُ، ويَنْطِقُ فِيْهَا الرُّوَيْبِضَةُ»**، قِيْلَ: وما الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: **«السَّفِيْهُ يَتَكَلَّمُ في أمُوْرِ العَامَّةِ»** أحْمَدُ، وابْنُ مَاجَه،

وفي رِوَايَةٍ عِنْدَ أحْمَدَ: «الفُوَيْسِقُ»، وهُوَ حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ.

وما أكْثَرَ السُّفَهَاءُ الَّذِيْنَ يَتَكَلَّمُونَ هَذِهِ الأيَّامَ في قَضَايا الأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ مِمَّا يَحَارُ المُسْلِمُ مِنْ جُرْأتِهِم، ويَعْجَبُ الحَلِيْمُ مِنْ جَهْلِهِم، ولا سِيَّما في قَضِيَّةِ فِلِسْطِيْنَ!

وقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أنَّه قَالَ: **«فَإذَا ضُيِّعَتِ الأمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»**، قِيْلَ: كَيْفَ إضَاعَتُها؟ قَالَ: **«إذَا وُسِّدَ الأمْرُ إلى غَيْرِ أهْلِهِ؛ فانْتَظِرِ السَّاعَةَ»** أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ.

* * *

فَقَضِيَّةُ فِلِسْطِيْنَ: قَضِيَّةٌ إسْلامِيَّةٌ لا دَخْلَ لِلْوَطَنِيَّاتِ والقَوْمِيَّاتِ فِيْهَا بِأيِّ حَالٍ، فَمَا نَسْمَعُهُ مُنْذُ أمَدٍ بَعِيْدٍ مِنْ مُؤْتَمَرَاتٍ، ومُفَاوَضَاتٍ، واتِّفَاقَاتٍ بَيْنَ الحِيْنِ والآخَرِ لَم يَكُنْ لِلإسْلام فِيْهَا يَدٌ، ولم يَكُنْ طَرَفًا فِيْهَا يَوْمًا مِنَ الأيَّامِ، وإنَّمَا هِيَ شِعَارَاتٌ زَائِفَةٌ يَحْمِلُهَا أصْحَابُها لِتَخْدِمَ مَصَالِحَهُم وقَضَايَاهُم، لا قَضَايَا المُسْلِمِيْنَ!

وهُنَا آيَةٌ نَبوِيَّةٌ تَظْهَرُ بجَلاءٍ لكُلِّ ذي عَيْنٍ، كَما أنَّها وِزَانٌ لأكْثَرِ أهْلِ زَمَانِنَا، وهُوَ مَا جَاءَ في صَحِيْحِ البُخَارِيِّ عَنْ حُذَيْفَةَ بنَ اليَمَانِ رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ في قَبْضِ الأمَانَةِ: **«حَتَّى يُقَالُ لِلْرَّجُلِ: مَا أجْلَدَهُ! ما أظْرَفَهُ! مَا أعْقَلَهُ! ومَا في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إيْمَانٍ»**، وهَذَا وَاقِعُ بَعْضِ المُسْلِمِيْنَ في هَذَا العَصْرِ؛ يُقَالُ لِلْرَّجُلِ: مَا أعْقَلَهُ! ما أحْسَنَ خُلُقَهُ! وغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الحَسَنَةِ، وهُوَ مِنْ

أفْسَقِ النَّاسِ، ورُبَّما كَانَ عَدُوًّا للإسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ؛ فَحَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيْلِ!

لأجْلِ هَذَا وذَاكَ؛ أحْبَبْتُ أنْ أكْتُبَ شَيْئًا عَنْ قَضِيَّةِ فِلَسْطِيْنَ هَذِهِ الأيَّامَ إبْرَاءً لِلْذِّمَةِ، ونُصْحًا لِعُمُوْمِ الأُمَّةِ، كَما أنَّني رَجَّحْتُ الاخْتِصَارَ هُنَا قَصْدًا؛ كَيْ نَصِلَ إلى المَقْصُودِ الشَّرْعِيِّ بِأبْلَغِ عِبَارَةٍ، وأوْضَحِ إشَارَةٍ، وذَلِكَ تَحتَ عُنْوَانِ: «القَضِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ».

* * *

ومِنْ نَافِلَةِ العِلْمِ؛ أنَّ هَذَا الكِتَابَ لم يَكُنْ حَبِيْسَ وَقْتٍ، أو رَهِيْنَ سَبَبٍ؛ بَلْ قَدْ خَرَجَ في (٢٨/ ٨/ ١٤٢١)، عَنْ طَرِيْقِ مُصَوَّرَاتٍ تَداوَلَهَا طُلَّابُ العِلْمِ، وتَنَاقَلَتْهَا شَبَكَةُ المَعْلُوْمَاتِ العَنْكَبُوتِيَّةِ، وذَلِكَ حِيْنَ قَامَ اليَهُوْدُ بقَتْلِ الطِّفْلِ مُحمَّدٍ الدُّرَّةِ رَحِمَهُ اللهُ، فَكَانَ مِنِّي تِلْكَ المُصَوَّرَاتُ على عَواهِنِ حَالاتِهَا، وقَرَائِنِ مَآلاتِهَا، وهَكَذَا بَقِيَ الكِتَابُ بَعِيْدًا عَنْ فِكْرَةِ الطِّبَاعِةِ، ومَنسِيًا عَنْ ذَاكِرَةِ المُرَاجَعَةِ، إلَّا في لَمَمٍ مِنَ الأوْقَاتِ، وضَرْبٍ مِنَ التَّصْحِيْحَاتِ، فَهَكَذَا أصْبَحَ الكِتَابُ مُنْذُ إخْرَاجِهِ غَرَضًا لقَلَمِ التَّصْحِيْحِ تَارَّةً، ورَهْنًا لكَاغِدِ التَّوْضِيْحِ أُخْرَى؛ لأنَّهُ قَدْ بَاتَ عِنْدَ أهْلِ العِلْمِ والتَّصْنِيْفِ أنَّ الكِتَابَ كالمُكَلَّفِ لا يَسْلَمُ مِنَ المُؤاخَذَةِ والخَطأ، ولا يَسْتَغْنِي عَنِ التَّصْلِيْحِ والتَّصْحِيْحِ.

وثَانِيَةً؛ حَتَّى إذَا كَانَتِ الحَرْبُ العُدْوَانِيَّةُ، والعُنْجُهِيَّةُ البَرْبَرِيَّةُ الَّتِي شَنَّتْهَا اليَهُوْدُ الظَّالمُوْنَ على إخْوانِنَا وأهْلِنا في قِطَاعِ «غَزَّةَ» في مَطْلَعِ سَنَةِ (١٤٣٠)، الَّتِي اسْتَمَرَّتْ فِيْهَا الحَرْبُ اثْنَيْنَ وعِشْرِيْنَ يَوْمًا:

رَأيْتُ والحَالَةُ هَذِهِ وُجُوْبَ طَبْعِ هَذَا الكِتَابِ لِيَكُوْنَ حَقًّا مُشَاعًا لجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، وأمَانَةً خَاصَّةً لأهْلِ فِلِسْطِيْنَ، إلَّا أنَّنِي رَأيْتُ مَعَ هَذَا أنَّ الكِتَابَ يَحْتَاجُ إلى زِيَادَةِ تَحْرِيْرٍ، وإفَادَةِ تَحْقِيْقٍ، وهُوَ كَذَلِكَ حَيْثُ أجْرَيْتُ القَلَمَ في تَحْقِيْقِهِ وتَدْقِيْقِهِ، لا سِيَّما أنَّ الأحْدَاثَ والكَوائِنَ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ (للأسَفِ!) لم تَنْتَهِ، والعُدْوَانُ اليَهُوْدِيُّ لم يَنْجَلِ، وهُوَ مَا سَأُبْدِيْهِ هُنَا!

وثَالِثَةً؛ وهُوَ مَا حَدَثَ هَذِهِ الأيَّامَ؛ حَيْثُ انْبَعَثَتْ الحَرْبُ اليَهُوْدِيَّةُ مَرَّةً أُخْرَى على إخْوَانِنَا في غَزَّةَ في مَطْلَعِ عَامِنَا هَذَا (١٤٣٤)، واللهُ نَاصِرٌ دِيْنَهُ، ومُعِزٌّ أوْلِيَاءَهُ!

* * *

☐ وبَعْدَ هَذَا؛ فَقَدْ أدَرْتُ رِسَالَّتِي هَذِهِ على ثَلاثَةِ أبْوابٍ، وتَحْتَ كُلِّ بَابٍ فُصُوْلٌ، كَما يَلي:

☐ **البَابُ الأوَّلُ:** فِلِسْطِيْنُ المُسْلِمَةُ.

الفَصْلُ الأوَّلُ: تَارِيْخُ فِلِسْطِيْنَ.

الفَصْلُ الثَّاني: تَارِيْخُ الاحْتِلالِ اليَهُوْدِيِّ لِفِلِسْطِيْنَ.

الفَصْلُ الثَّالِثُ: حَقَائِقُ تَارِيْخِيَّةٌ عَنِ الوُجُوْدِ اليَهُوْدِيِّ.

الفَصْلُ الرَّابِعُ: المَرَاحِلُ التَّارِيْخِيَّةُ للقَضِيَّةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ.

الفَصْلُ الخَامِسُ: التَّعْرِيفُ بِهَيْئَةِ الأمَمِ، ومَجْلِسِ الأمْنِ، وجَامِعَةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ.

❐ **البَابُ الثَّاني:** فِلَسْطِيْنُ بَيْنَ الاسْتِنْكَارِ، والأخْبَارِ.

الفَصْلُ الأوَّلُ: أهْلُ الاسْتِنْكَارِ.

الفَصْلُ الثَّاني: أهْلُ الأخْبَارِ.

الفَصْلُ الثَّالِثُ: مَنْهجُ النَّبِيِّ ﷺ في التَّعامُلِ مَعَ القَضَايَا الإسْلامِيَّةِ.

الفَصْلُ الرَّابعُ: التَّحْلِيْلاتُ الشَّرعِيَّةُ.

❐ **البَابُ الثَّالِثُ:** الحُلُوْلُ الإسْلامِيَّةُ.

الفَصْلُ الأوَّلُ: الحَلُّ الإسْلامِيُّ بَيْنَ القَبُوْلِ والرَّدِّ.

الفَصْلُ الثَّاني: جَرِيْدَةُ الحُلُوْلِ.

❐ **الخَاتِمَةُ..**

والحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْنَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على عَبْدِهِ ورَسُوْلِهِ الأمِيْنِ.

✍ **وَكَتَبَهُ**

ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي

صَبَاحَ الأحَدِ للِيَوْمِ الأوَّلِ مِنْ شَهْرِ رَبِيْعٍ الأوَّلِ
لعَامِ ألْفٍ وأرْبَعِمائَةٍ وأرْبَعَةٍ وثَلاثِيْنَ
(١٤٣٤/٣/١)
الطَّائِفُ المأنُوْسُ
thiab1000@hotmail.com

❑ ❑ ❑

البَابُ الأُولُ

فِلِسطِيْنُ المُسلِمَةُ

- الفَصْلُ الأوَّلُ: تَارِيْخُ فِلِسْطِيْنَ.
- الفَصْلُ الثَّاني: تَارِيْخُ الاحْتِلالِ اليَهُوْدِيِّ لِفِلِسْطِيْنَ.
- الفَصْلُ الثَّالثُ: حَقَائِقُ تَارِيْخِيَّةٌ عَنِ الوُجُوْدِ اليَهُوْدِيِّ.
- الفَصْلُ الرَّابعُ: المَرَاحِلُ التَّارِيْخِيَّةُ للقَضِيَّةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ.
- الفَصْلُ الخَامِسُ: التَّعْرِيْفُ بِهَيْئَةِ الأمَمِ، ومَجْلِسِ الأمْنِ، وجَامِعَةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ.

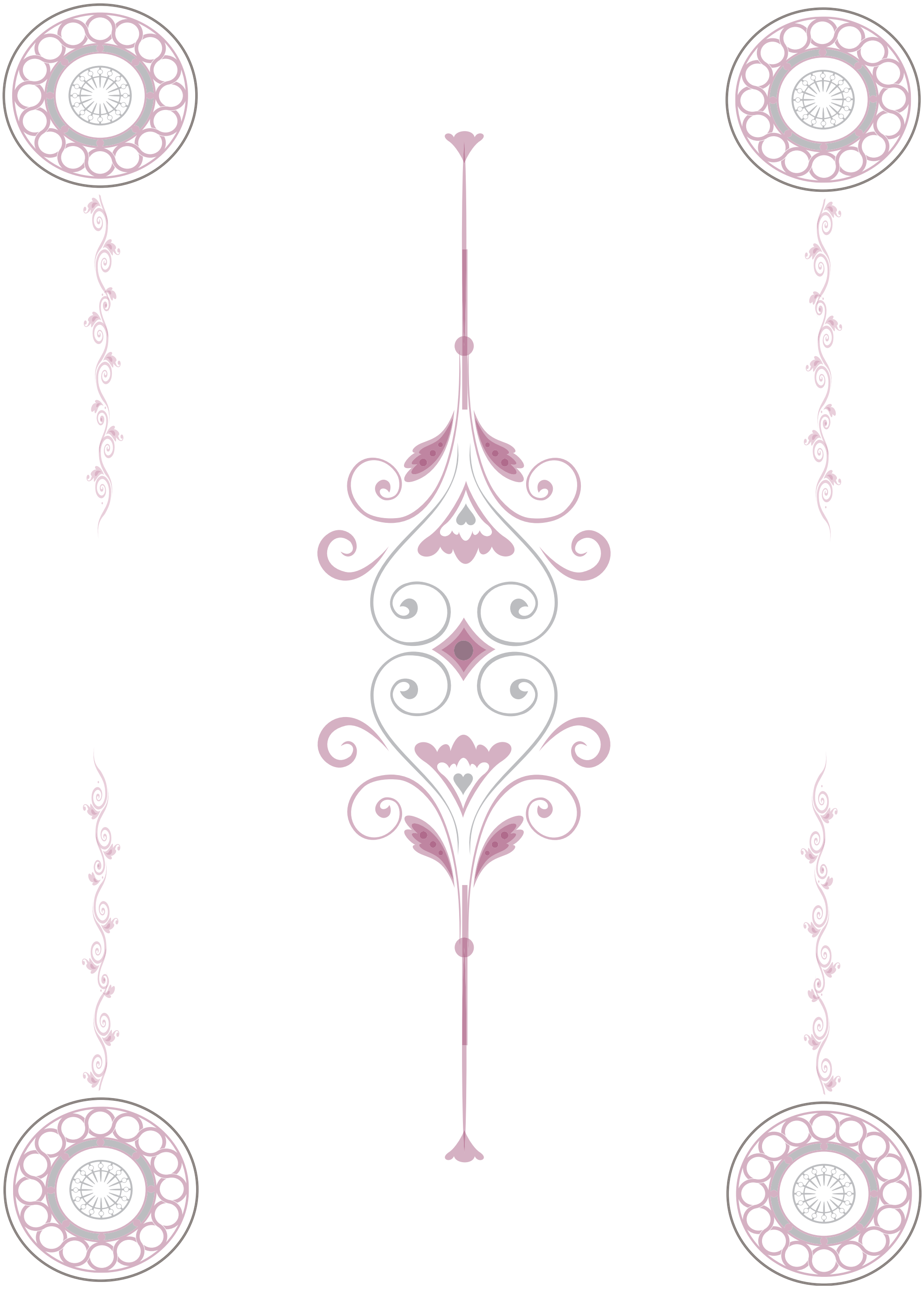

الفَصْلُ الأوَّلُ

تَارِيْخُ فِلِسْطِيْنَ

□ إنَّ الحَدِيْثَ عَنْ فِلِسْطِيْنَ: تَارِيْخًا، وحُدُوْدًا، ومُنَاخًا، وسُكَّانًا... لا يَحْتَاجُ إلى كَبِيْرِ عَنَاءٍ؛ حَيْثُ كَفَانَا فِيْهِ المُؤَرِّخُوْنَ المُسْلِمُوْنَ، والكُتَّابُ المُعَاصِرُوْنَ.

ولا أُبَالِغُ حِيْنَ أقُوْلُ: إنَّ الحَدِيْثَ عَنْ فِلِسْطِيْنَ، ومَسْجِدِهَا الأقْصَى، وقَضِيَّتِهَا مَعَ الانْتِدَابِ البرِيْطَانِيِّ، والاحْتِلالِ اليَهُوْدِيِّ ـ قَدْ أخَذَ حَجْمًا كَبِيْرًا؛ حَتَّى لَوْ أنَّ أحَدًا أرَادَ أنْ يَجْمَعَ ما كُتِبَ عَنْ فِلِسْطِيْنَ وَحْدَهَا لَخَرَجَ بِعَشَرَاتِ المُجَلَّدَاتِ؛ وهُوَ بَعْدُ لَمَّا يَنْتَهِ!

ومَا ذَاكَ؛ إلَّا أنَّ قَضِيَّةَ فِلِسْطِيْنَ لَم تَكُنْ كَغَيْرِهَا مِنْ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ: فَهِيَ أُوْلَى القِبْلَتَيْنِ، ومَسْرَى إمَامِ الأنْبِيَاءِ والمُرْسَلِيْنَ، وعِنْدَهَا صَلَّى نَبِيُّنَا ﷺ بالنَّبِيِّيْنَ، وعُرِجَ مِنْهَا إلى السَّمَاءِ مَعَ جِبْرِيْلَ الأمِيْنِ، وصَعِدَ مِنْهَا إلى أعْلَى عِلِّيِّيْنَ، وفُرِضَتْ عَلَيْهِ هُنَاكَ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ إلى يَوْمِ الدِّيْنَ... لأجْلِ هَذَا كانَتْ قَضِيَّةُ فِلِسْطِيْنَ مَحَطَّ أنْظَارِ المُسْلِمِيْنَ، ومَحَلَّ قُلُوْبِ المُؤمِنِيْنَ، وغَرَضًا لمُصَنَّفَاتِ العُلَمَاءِ أجْمَعِيْنَ!

لِذا رَأيْتُ مِنَ المُنَاسِبِ أنْ أقْتَصِرَ على ذِكْرِ المُهِمِّ مِنْ تَارِيْخِ فِلِسْطِيْنَ فَقَط، لا سِيَّمَا مَا كَانَ مُتَعَلِّقًا بحُلُوْلِ قَضِيَّةِ فِلِسْطِيْنَ، ومَا زَادَ عَنْهَا، أو زِيْدَ فِيْهَا فلَيْس مَوْضُوْعَ رِسَالَتِي، فَتَأمَّلْ!

* * *

❐ فِلِسْطِيْنُ:

لا شَكَّ أنَّ فِلِسْطِيْنَ أوَّلُ بَلَدٍ عَرَبِيٍّ فَتَحهُ المُسْلِمُوْنَ في عَهْدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وذَلِكَ في السَّنَةِ الخَامِسَةَ عَشْرَةَ (١٥) مِنَ الهِجْرَةِ.

فَكَانَ أوَّلَ مَا قَامَ بِهِ المُسْلِمُوْنَ عِنْدَ فَتْحِهِم: هُوَ نَشْرُ الإسْلامِ، وإقَامَةُ الدِّيْنِ بَيْنَ أهْلِهِ على التَّمَامِ، لِذَا نَجِدُ أهْلَهُ لَمْ يَتَغَيَّرْوا لحْظَةً وَاحِدَةً عَنْ دِيْنِ الإسْلامِ، ولم يَسْتَسْلِمُوا يَوْمًا للغُزَاةِ الطَّغَامِ، بَلْ بَقِيَتْ فِلِسْطِيْنُ إسْلامِيَّةً إلى يَوْمِنَا هَذَا، وسَتَبْقَى هَكَذَا إلى أنْ يَرِثَ اللهُ تَعَالى الأرْضَ ومَنْ عَلَيْهَا، وذَلِكَ يَوْمَ يَقْتُلُ المَسِيْحُ عِيْسَى بنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: المَسِيحَ الدَّجَّالَ، مَسِيحَ اليَهُوْدِ والدَّجَاجِلَةِ.

وفي فِلِسْطِيْنَ وُلِدَ، وبُعِثَ كَثِيْرٌ مِنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِم الصَّلاةُ والسَّلامُ، الَّذِيْنَ جَاءَ ذِكْرُهُم في القُرْآنِ الكَرِيْمِ، فَهِيَ أُوْلَى القِبْلَتَيْنِ ومَسْرَى خَاتَمِ النَّبِيِّيْنَ؛ فَمُنْذُ أرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا ظَلَّتْ فِلِسْطِيْنُ بَلَدًا إسْلامِيًّا عَرَبِيًّا لَهَا مَكَانَةٌ خَاصَّةٌ في قُلُوْبِ المُسْلِمِيْنَ في مَشَارِقِ الأرْضِ ومَغَارِبِهَا، فالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

* * *

يَقُوْلُ شَيْخُ الإسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ في «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٢٧/ ٤٣): «وقَدْ دَلَّ الكِتَابُ والسُّنَّةُ ومَا رُوِيَ عَنِ الأنْبِياءِ المُتَقَدِّمِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، مَعَ مَا عُلِمَ بالْحِسِّ والعَقْلِ، وكُشُوْفِ العَارِفِيْنَ، أنَّ الخَلْقَ والأمْرَ ابْتِدَاءً مِنْ مَكَّةَ أمِّ القُرى، فَهِيَ أمُّ الخَلْقِ، وفِيْهَا ابْتَدَأتِ الرِّسَالَةُ المُحَمَّدِيَّةُ الَّتِي طَبَّقَ نُوْرُهَا الأرْضَ، وهِيَ جَعَلَهَا اللهُ قِيامًا لِلنَّاسِ، إلَيْهَا يُصَلُّوْنَ ويَحُجُّوْنَ، ويَقُوْمُ بِهَا ما شَاءَ اللهُ مِنْ مَصَالِحِ دِيْنِهِم ودُنْيَاهُم، فَكَانَ الإسْلامُ في الزَّمَانِ الأوَّلِ ظُهُوْرُهُ بالحِجَازِ أعْظَمَ، ودَلَّتِ الدَّلائِلُ المَذْكُوْرَةُ على أنَّ «مُلْكَ النُّبُوَّةِ» بالشَّامِ، والحَشْرَ إلَيْهَا، فَإلى بَيْتِ المَقْدِسِ، ومَا حَوْلَهُ يَعُوْدُ الخَلْقُ والأمْرُ، وهُنَاكَ يُحْشَرُ الخَلْقُ، والإسْلامُ في آخِرِ الزَّمَانِ يَكُوْنُ أظْهَرَ بالشَّامِ، وكَما أنَّ مَكَّةَ أفْضَلُ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ، فَأوَّلُ الأمَّةِ خَيْرٌ مِنْ آخِرِهَا، كَمَا أنَّه في آخِرِ الزَّمَانِ يَعُوْدُ الأمْرُ إلى الشَّامِ، كَمَا أُسْرِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى». انْتَهَى.

وقَالَ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ في تَفْسِيْرِ أوَّلِ سُوْرَةِ الإسْرَاءِ (٣/ ٢٢): ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]: «هُوَ بَيْتُ المَقْدِسِ الَّذِي بِإيْلِيَاءَ، مَعْدِنُ الأنْبِياءِ مِنْ إبْرَاهِيْمَ الخَلِيْلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولِهَذَا جُمِعُوا لَهُ هُنَاكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُم، فَأمَّهُم في مَحِلَّتِهِم ودَارِهِم، فَدَلَّ على أنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الإمَامُ المُعَظَّمُ، والرَّئِيْسُ المُقَدَّمُ». انْتَهَى.

* * *

❑ ونَحنُ أيْضًا مَعَ هَذَا التَّارِيخِ المُوْجزِ، أَحبَبْنَا أنْ نَذْكُرَ تَارِيخَ فِلِسْطِيْنَ مُنْذُ بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ إلى يَوْمِنَا هَذَا عَلى وَجْهِ الاخْتِصَارِ، كَمَا يَلي:

لا شَكَّ أنَّ بَيْتَ المَقْدِسِ ظَلَّ تَحتَ الاحْتِلالِ الأوْرُوبِّي الرُّوْمِيِّ لمُدَّةِ سَبْعَةِ قُرُوْنٍ، مُنْذُ عَامِ (٦٤) قَبْلَ المِيْلادِ، وحَتَّى عَامَ (١٥) مِنَ الهِجْرَةِ النَّبوِيَّةِ.

وبَعْدَ مَبْعَثِ النَّبيِّ ﷺ بعَشْرِ سَنَوَاتٍ، وقَبْلَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ بثَلاثِ سَنَوَاتٍ تَقْرِيْبًا، أُسْرِيَ بالنَّبيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى، ومِنْهُ عُرِجَ بِهِ ﷺ إلى السَّماءِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإِسْرَاء: ١].

ومِنْ هُنَا ارْتَبَطَ تَارِيخُ الأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ ببَيْتِ المَقْدِسِ، ممَّا جَعَلَ النَّبِيَّ ﷺ يَهْتَمُّ بفَتْحِ بِلادِ الشَّامِ اهْتِمامًا عَظِيمًا، ومِنْ هُنَا عَقَدَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ الألْوِيَةِ والسَّرَايَا إلى الشَّامِ، فَكَانَ مِنْهَا:

❑ سَرِيَّةُ مُؤتَة، وذَلِكَ سَنَةَ ثَمانٍ مِنَ الهِجْرَةِ؛ حَيْثُ وَجَّه النَّبيُّ ﷺ سَرِيَّةَ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ رضي الله عنه في نَحْوِ ثَلاثَةِ آلافٍ إلى أرْضِ «البَلْقَاءِ» مِنْ أطْرَافِ الشَّامِ، أيْ إلى فِلِسْطِيْنَ وسُوْرِيا.

❑ غَزْوَةُ تَبُوْكٍ، وذَلِكَ سَنَةَ تِسْعٍ للهِجْرَةِ، حِيْنَما أمَرَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ أصْحَابَهُ بالتَّهَيُّؤِ للغَزْوِ إلى تَبُوْكٍ، فعِنْدَهَا خَرجَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ في

ثَلاثِيْنَ ألْفًا مِنْ أصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِم، ولمَّا انْتَهُوا إلى تَبُوْكٍ، أتَاهُم يُحَنَّةُ بنُ رُؤبَةَ صَاحِبُ إيْلَةَ، فصَالَحَ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ، وأعْطَاهُ الجِزْيَةَ، وأتَاهُ أهْلُ «جَرْبَاءَ»، و«أذْرُحَ» فأعْطَوْهُ الجِزْيَةَ، وكَتَبَ لهُم رَسُوْلُ اللهِ ﷺ كِتَابًا، فأقَامَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لم يُجَاوِزْهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ قَافِلاً إلى المَدِيْنَةِ بَعْدَ أنْ هَرَبَ الرُّوْمُ مِنْ وَجْهِهِ.

بَعْثُ أسَامَةَ بنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في السَّنَةِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ، وذَلِكَ قَبْلَ أنْ يُتَوَفَّى رَسُوْلُ اللهِ ﷺ بقَلِيْلٍ؛ حَيْثُ عَقَدَ رَسُوْلُ ﷺ اللِّوَاءَ للجَيْشِ الَّذِي أرْسَلَهُ إلى تُخُوْمِ «البَلْقَاءِ الدَّارُوْمِ» مِنْ أرْضِ فِلِسْطِيْنَ بقِيَادَةِ أسَامَةَ بنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

ولمَّا تُوفِّيَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ أمْضَى أبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَيْشَ أسَامَةَ بنِ زَيْدٍ، وقَالَ قَوْلَتَهُ المَشْهُوْرَةَ: واللهِ لا أحِلُّ عُقْدَةً عَقَدَهَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ!

وفي سَنَةِ ثَلاثَ عَشَرَةَ وَجَّهَ أبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أرْبَعَةَ جُيُوْشٍ إلى بِلادِ الشَّامِ:

الأوَّلُ بِقِيَادَةِ يَزِيْدَ بنِ أبي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ووِجْهَتُهُ دِمِشْقَ، والثَّاني بقِيَادَةِ أبي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وجَعَلَ لَهُ نِيَابَةَ حِمْصَ، وبَعَثَ عَمْرَو بنَ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومَعَهُ جُنْدٌ آخَرُ، وجَعَلَهُ على فِلِسْطِيْنَ، ثُمَّ تَبِعَهُ جَيْشٌ رَابِعٌ بِقِيَادَةِ شُرَحْبِيْلَ بنِ حَسَنَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كَمَا سَيَّرَ أبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَيْشًا آخَرَ بقِيَادَةِ سَيْفِ اللهِ المَسْلُوْلِ خَالِدِ بنِ الوَلِيْدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

❐ ولمَّا كَانَ عَهْدُ أَمِيرِ المُؤمِنِيْنَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﵁، حَاصَرَ أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجرَّاحِ ﵁ بَيْتَ المَقْدِسِ، وذَلِكَ في سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ، ولمَّا رَفَضَ الرُّوْمُ الاسْتِسْلامَ، ضَيَّقَ عَلَيْهِم أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ ﵁، حَتَّى أجَابُوْهُ إلى الصُّلْحِ بشَرْطِ أنْ يَقْدِمَ إلَيْهِم أمِيْرُ المُؤمِنِيْنَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ﵁، فَسَارَ إلَيْهِم أمِيْرُ المُؤمِنِيْنَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، وصَالَحَ نَصَارَى بَيْتِ المَقْدِسِ، واشْتَرَطَ عَلَيْهِم إجْلاءَ الرُّوْمِ إلى ثَلاثٍ، ثُمَّ دَخَلَهَا، ودَخَلَ المَسْجِدَ مِنَ البَابِ الَّذِي دَخَلَ مِنْهُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الإسْرَاءِ.

ومِنْ نَافِلَةِ التَّارِيْخِ؛ فَلْيَعْلَمِ الجَمِيْعُ أنَّ المُسْلِمِيْنَ لمَّا فَتَحُوا بَيْتَ المَقْدِسِ: لم يَكُنْ فِيْهَا آنَذَاكَ يَهُودِيٌّ وَاحِدٌ، بَلْ لا يُعْلَمُ للوُجُوْدِ اليَهُوْدِيِّ فِيْهَا أيُّ أثَرٍ! وأنَّهُم مَا جَاؤوا إلى بَيْتِ المَقْدِسِ إلَّا في زَمَنِ دَوْلَةِ الشِّيْعَةِ العُبَيْدِيَّةِ البَاطِنِيَّةِ، ثُمَّ ازْدَادَ وُجُوْدُهُم حَتَّى وَصَلَ إلى مَا وَصَلَ إلَيْهِ الآنَ، وسَيَأتِي لهَذَا بَيَانٌ إنْ شَاءَ اللهُ.

* * *

وهَكَذَا بَعْدَ جِهَادٍ اسْتَمَرَّ سَبْعَ سَنَوَاتٍ، نَجَحَ صَحَابَةُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، والمُسْلِمُوْنَ مِنْ بَعْدِهِم في تَطْهِيرِ بِلادِ الشَّامِ، ولا سِيَّما بَيْتُ المَقْدِسِ، وفِلِسْطِيْنُ مِنْ رِجْسِ الاحْتِلالِ الرُّوْمِيِّ، ومَنْ عَاوَنَهُم مِنْ أبْنَاءِ العَرَبِ المُشْرِكِيْنَ، بَعْدَ سَبْعَةِ قُرُوْنٍ مِنَ الاحْتِلالِ، وفَتَحَ اللهُ على المُسْلِمِيْنَ أغْلَبَ مُدُنِ الشَّامِ، فالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِيْنَ.

❐ وهَكَذَا ظَلَّتْ بِلادُ الشَّامِ وبَيْتُ المَقْدِسِ في عَهْدِ بَنِي أُمَيَّةَ:

أَرْضًا إسْلامِيَّةً عَرَبِيَّةً تُحْكَمُ مِنْ عَاصِمَةِ الخِلافَةِ دِمِشْقَ، حَتَّى عَامَ (١٣٢).

وكَذَا اسْتَمَرَّتْ بِلادُ الشَّامِ وبَيْتُ المَقْدِسِ في عَهْدِ بَنِي العَبَّاسِ أَرْضًا إسْلامِيَّةً عَرَبِيَّةً، حَتَّى القَرْنِ الخَامِسِ الهِجْرِيِّ (٢٣/ ٨/ ٤٩٢).

ثُمَّ جَاءَتْ الدَّوْلَةُ الإسْماعِلِيَّةُ العُبَيْدِيَّةُ (٢٩٦ ـ ٣٢٢) فَتَسَلَّطَتْ على بِلادِ الشَّامِ وبَيْتِ المَقْدِسِ، وكَانَ العُبَيْدِيُّوْنَ مِنْ أَنْجَسِ المَلُوْكِ سِيْرَةً، وأَخْبَثِهِم سَرِيْرَةً، وظَهَرَ في دَولَتِهِم النَّصَارَى والدُّرُوْزُ والإفْرِنْجُ، وظَهَرَ الفَسَادُ والبِدَعُ والمُنْكَرَاتُ والشِّرْكِيَّاتُ، وقُتِلَ عِنْدَهُم الصَّالِحُوْنَ مِنَ العُلَماءِ والعُبَّادِ، ومُؤَسِّسُ دَوْلَتِهِم رَجُلٌ مِنْ أصْلٍ يَهُوْدِيٍّ، وهُوَ عُبَيْدُ اللهِ المَهْدِيِّ!

❐ ثُمَّ أقْبَلَتِ الجُيُوشُ النَّصْرَانِيَّةُ في حَملاتِها الصَّلِيْبِيَّةِ لتَغْتَصِبَ بِلادَ الشَّامِ وبَيْتَ المَقْدِسِ، وذَلِكَ ضُحى يَوْمِ الجُمُعَةِ لسَبْعٍ بَقِيْنَ مِنْ شَعْبَانَ في سَنَةِ (٢٣/ ٨/ ٤٩٢)، وكَانَ ذَلِكَ بسَبَبِ تَفَكُّكِ المُسْلِمِيْنَ، وضَعْفِ الخِلافَةِ الإسْلامِيَّةِ، ومِنْ وَرَائِهِ مَا كَانَ مِن تَسَلُّطِ الدَّوْلَةِ العُبَيْدِيَّةِ الفَاطِمِيَّةِ الإسْماعِلِيَّةِ البَاطِنِيَّةِ الرَّافِضِيَّةِ (٢٩٦ ـ ٣٢٢) على بِلادِ الشَّامِ وبَيْتِ المَقْدِسِ؛ حَيْثُ كَانَ لِهَذَا التَّسَلُّطِ الأثَرُ الكَبِيرُ في تَمكِيْنِ واحْتِلالِ بَيْتِ المَقْدِسِ، فعِنْدَهَا قَتَلَ أَهْلُ الصَّلِيْبِ مِنَ النَّصَارَى أكْثَرَ مِنْ سَبْعِيْنَ ألْفَ مُسْلمٍ، مِنْهُم جَماعَةٌ مِنْ أهْلِ العِلْمِ والعِبَادَةِ، فإنَّا للهِ وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُوْنَ!

ثُمَّ جاءَتْ طَلائِعُ البِشَائِرِ مِنْ قَادَةِ الأُمَّةِ الإسْلامِيَّةِ؛ كَي تَسْتَرِدَّ بِلادَ الشَّامِ وبَيْتَ المَقْدِسِ مِنْ أيْدِي العُبَيْدِيِّيْنَ البَاطِنِيِّيْنَ، وذَلِكَ على أيْدِي آلِ زَنْكِي، وآلِ أيُّوْبَ وغَيْرِهِم لِتَحْرِيْرِ مِصْرَ وبِلادِ الشَّامِ مِنْ أيْدِي الغَاصِبِيْنَ مَعَ بِدَايَةِ القَرْنِ السَّادِسِ الهِجْرِيِّ.

فَكَانَ مِنْ قَادَةِ الفَاتِحِيْنَ: عِمَادُ الدِّيْنِ زَنْكِي، ونُوْرُ الدِّيْنِ زَنْكِي، وأسَدُ الدِّيْنِ شِيْرَكُوْه، ونَجْمُ الدِّيْنِ أيُّوْبُ، وصَلاحُ الدِّيْنِ يُوْسُفُ بنُ أيُّوْبَ رَحِمَهُم اللهُ تَعَالى أجْمَعِيْنَ.

فَكَانَ هَؤلاءِ القَادَةُ جَمِيْعُهُم قَدْ مَهَّدُوا لفَتْحِ بَيْتِ المَقْدِسِ؛ حَتَّى جَاءَ صَلاحُ الدِّيْنِ الأيُّوْبِي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى، فَعِنْدَهَا كَتَبَ اللهُ النَّصْرَ على يَدَيْهِ؛ حَيْثُ كَسَرَ الجُيُوْشَ النَّصْرَانِيَّةَ الصَّلِيْبِيَّةَ، وأخْرَجَهُم بِلا رَجْعَةٍ في مَعْرَكَةِ «حِطِّيْنَ» عَامَ (٥٨٣)، فَعِنْدَهَا اسْتَنْقَذَ رَحِمَهُ اللهُ بَيْتَ المَقْدِسِ مِنْ أيْدِي النَّصَارَى بَعْدَ أنِ اسْتَحْوَذُوا عَلَيْهِ مُدَّةَ اثْنَتَيْنِ وتِسْعِيْنَ سَنَةً!

* * *

ومَعَ هَذِهِ الانْتِصَارَاتِ الَّتِي حَازَهَا المُسْلِمُوْنَ على أعْدَائِهِم في فِلِسْطِيْنَ وغَيْرِهَا قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، إلَّا أنَّ هُنَاكَ هَجْمَةً كَاسِرَةً حَلَّتْ في أرْضِ المُسْلِمِيْنَ، وقَوَّضَتْ خِلافَتَهُم، وذَلِكَ مَا حَدَثَ على أيْدِي التَّتَارِ المَغُوْلِيِّيْنَ الَّذِيْنَ اقْتَرَنَ زَحْفُهُم على المُسْلِمِيْنَ بالحُرُوْبِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيْبِيَّةِ، الأمْرُ الَّذِي أضْعَفَ الجُيُوْشَ الإسْلامِيَّةَ، وأنْهَكَ قُوَاهَا.

ففِي سَنَةِ (٦١٧) اجْتَاحَتِ الجُيُوْشُ المَغُوْلِيَّةُ بِكُلِّ وَحْشِيَّةٍ وبَرْبَرِيَّةٍ العَالَمَ الإسْلامِيَّ، لا سِيَّما بِلادَ الشَّامَ والجَزِيْرَةِ ومِصْرَ، لتُفْسِدَ في الأرْضِ، ولتَجْعَلَ أعِزَّةَ أهْلِهَا أذِلَّةً!

ففي سَنَةِ (٦٥٦) أُسقِطَتِ الخِلافَةُ الإسْلامِيَّةُ على أيْدِي التَّتَارِ المَغُوْلِيِّيْنَ، وقُتِلَ عِنْدَهَا الخَلِيْفَةُ المُسْتَعْصِمُ باللهِ، ولم يَنْجُ مِنْ قَتْلِ التَّتَارِ إلَّا اليَهُوْدُ والنَّصَارَى، ومَنِ الْتَجأ إلَيْهِم وإلى دَارِ الوَزِيْرِ الخَائِنِ ابنِ العَلْقَمِيِّ الرَّافِضيِّ، وهَكَذَا اسْتَمَرَّتِ الفَوْضَوِيَّةُ المَغُوْلِيَّةُ تَعْثُو فَسَادًا في بِلادِ المُسْلِمِيْنَ بكُلِّ وَحْشِيَّةٍ وعُنْجُهِيَّةٍ... إلَّا أنَّ هَذَا الاجْتِيَاحَ المَغُوليَّ لم يَسْتَمِرَّ، بَلْ قَيَّضَ اللهُ تَعَالى لَهُ يَدًا مِنَ الحقِّ حَاصِدَةً، وذَلِكَ على يَدِ القَائِدِ المُسْلِمِ المَلِكِ المُظَفَّرِ قُطُزِ بنِ عَبْدِ اللهِ سَيْفِ الدِّيْنِ التُّرْكِيِّ، وذَلِكَ في مَعْرَكَةِ «عَيْنِ جَالُوْتٍ» سَنَةَ (٦٥٨)، ولمَّا قَصَدَ المَلِكُ قُطُزُ العَوْدَةَ إلى مِصْرَ قُتِلَ هُنَاكَ رَحِمَهُ اللهُ!

ثُمَّ خَلَفَهُ القَائِدُ المُسْلِمُ، والمُجَاهِدُ الهِزَبْرُ المَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْبَرس البُنْدِقْدَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، وهَكَذَا لم يَزَلِ القَادَةُ المُجَاهِدُوْنَ، والمُلُوْكُ الكِبَارُ في قِتَالِ التَّتَارِ والنَّصَارَى الصَّلِيْبِيِّيْنَ، لا سِيَّما المَلِكُ المَنْصُوْرُ قَلاوُوْنُ، ثُمَّ تَبِعَهُ المَلِكُ الأشْرَفُ المَنْصُوْرُ، وكَانَ هَذَا الأخِيْرُ قَدِ اسْتَرْجَعَ بَقِيَّةَ ثُغُوْرِ الشَّامِ مِنْ أيْدِي النَّصَارَى الصَّلِيْبِيِّيْنَ، والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِيْنَ.

وهَكَذَا بَقِيَتْ بِلادُ الشَّامِ، لا سِيَّما بَيْتُ المَقْدِسِ إسْلامِيَّةً؛ حَتَّى جَاءَ الاحْتِلالُ الأوْرُوبيُّ لِيَجْتَاحَ بِلادَ المُسْلِمِيْنَ: ابْتِدَاءً بإسْقَاطِ الخِلافَةِ الإسْلامِيَّةِ العُثْمانِيَّةِ في اسْتَانْبُوْلَ سَنَةَ (١٣٤٣)، فَعِنْدَهَا احْتَلَّتْ بِرِيْطَانِيَا بِلادَ الشَّامِ، وضَرَبَتِ انْتِدَابَها على فِلِسْطِيْنَ، بَعْدَ أنْ أصْدَرَتْ «وَعْدَ بِلْفُوْر» في عَامِ (١٣٣٦)، وعَلَيْهِ وَعَدَتْ بِرِيْطَانِيَا اليَهُوْدَ بِقِيَامِ دَوْلَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ لهُم في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، وذَلِكَ بَعْدَ قَتْلِ وتَشْرِيْدِ أهْلِهَا المُسْلِمِيْنَ، فَكَانَ لهَا مَا وَعَدَتْ بَعْدَ تَأيِيْدٍ مِنْ فَرَنْسَا وإيْطَالِيَا وأمْرِيْكَا، بَلْ شَارَكَتْ في هَذِهِ الهَجْمَةِ كُلُّ دُوَلِ أوْرُوْبَّا الغَرْبِيَّةِ؛ حَتَّى الدُّوَلُ الَّتِي تُسَمَّى بالدُّوَلِ المُحَايِدَةِ!

بَلْ إنَّ اليَابَانَ أيْضًا سَاهَمَتْ في تَأيِيْدِ هَذَا الوَعْدِ الظَّالمِ الغَاشِمِ؛ كَي تَسْتَهِمَ مَعَ غَيْرِهَا مِنَ الدُّوَلِ في قِسْمَةِ التَّرِكَةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ، وسَيَأتي بَيَانُ هَذَا الانْتِدَابِ البِرِيْطَانيِّ إنْ شَاءَ اللهُ.

* * *

❐ أمَّا بَيْتُ المَقْدِسِ(١): فَهِيَ عَاصِمَةُ فِلِسْطِيْنَ، وفِيْهَا المَسْجِدُ

---

(١) لبَيْتِ المَقْدِسِ أسْماءٌ كَثِيْرَةٌ، وَضَعَتْهَا الأمَمُ المَاضِيَةُ، وقَدْ ذَكَرَ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ أنَّ لبَيْتِ المَقْدِسِ عِدَّةَ أسْماءٍ تَقْرُبُ مِنَ العِشْرِيْنِ، وقَدْ قَالُوا: إنَّ كَثْرَةَ الأسْماءِ تَدُلُّ على عُلوِّ مَكَانَةِ المُسَمَّى، فمِنْ أسْمائِهَا: مَدِيْنَةُ السَّلامِ (أوْر سَالم)، يَبُوس، إيْلِيَاء... إلَخْ.

❐ أمَّا اسْمُ: «القُدْسِ» فَقَدْ غَلَبَ على المَدِيْنَةِ بَعْدَ العَصْرِ الأُمَوِيِّ في بِلادِ الشَّامِ خَاصَّةً، كَمَا ذَكَرَهُ نَاصِرُ خُسْرُو في رِحْلَتِهِ سَنَةَ (٤٣٨)؛ لِذَا لا أرَى هَذِهِ =

الأقْصَى، أُوْلَى القِبْلَتَيْنِ؛ حَيْثُ أُسْرِيَ بالرَّسُوْلِ ﷺ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى، ومِنْهُ عُرِجَ إلى السَّمَاءِ.

اسْتَوْلى عَلَيهِ اليَهُوْدُ في عَامِ (١٣٦٧)، ضِمْنَ اعْتِدَاءَاتِهِم الغَاشِمَةِ على البِلادِ الإسْلامِيَّةِ، وسَتَعُوْدُ بإذْنِ اللهِ تَعَالى، ولا شَكَّ!

* * *

أمَّا فَضْلُ فِلَسْطِيْنَ، وبَيْتِ المَقْدِسِ، فَقَدْ وَرَدَتْ فِيْهِ آيَاتٌ وأحَادِيْثُ كَثِيْرَةٌ، مِنْهَا:

= التَّسْمِيَةَ؛ لأنَّها مَا عُرِفَتْ إلَّا بَعْدَ القَرْنِ الرَّابِعِ هِجْري! فَكَانَ الأوْلى تَسْمِيَتُهَا بـ«بَيْتِ المَقْدِسِ»، أو «المَسْجِدِ الأقْصَى»، أو نَحْوِهِ مِنَ الأسْماءِ الَّتِي ذَكَرَتْها الشَّرِيْعَةُ، والله تَعَالى أعْلَمُ.

❑ وقَدْ جَاءَ في ذِكْرِ اسْمِهَا حَدِيْثٌ لا يَصِحُّ، جَاءَ ذِكْرُهُ عِنْدَ أحْمَدَ (٢٦١) عَنْ أبي سِنَانٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ آدَمَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ لِكَعْبٍ: «أيْنَ تُرَى أنْ أُصَلِّيَ؟ فَقَالَ: إنْ أخَذْتَ عَنِّي صَلَّيْتَ خَلْفَ الصَّخْرَةِ، فَكَانَتِ الْقُدْسُ كُلُّهَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَقَالَ عُمَرُ: ضَاهَيْتَ الْيَهُودِيَّةَ، لا، ولَكِنْ أُصَلِّي حَيْثُ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَتَقَدَّمَ إلى الْقِبْلَةِ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَبَسَطَ رِدَاءَهُ فَكَنَسَ الْكُنَاسَةَ فِي رِدَائِهِ، وكَنَسَ النَّاسُ». إسْنَادُهُ ضَعِيْفٌ لضَعْفِ أبي سِنَانٍ: وهُوَ عِيْسَى بنُ سِنَانٍ الحَنَفِيُّ القَسْمليُّ، وقَدْ ضَعَّفَهُ ابنُ مَعِيْنٍ، وأحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ، وأبو زُرْعَةَ، ووَثَّقَهُ بَعْضُهُم، وقَالَ أبو حَاتِمٍ: لَيْسَ بقَوِيٍّ في الحَدِيْثِ.

أقُوْلُ: ومِنْ أقْدَمِ مَنْ ذَكَرَهَا باسْمِ: «القُدُسِ» أبُو العَلاءِ المَعَرِّي المُتَوَفَّى (٤٤٩)، إذْ يَقُوْلُ:

واخْلَعْ حِذَاكَ إذَا حَاذَيْتَهَا وَرَعًا … كفِعْلِ مُوْسَى كَلِيْمِ اللَّه في القُدُسِ

انْظُرْ: مَا سَبَقَ «فَتْحَ البَارِي» لابنِ حَجَرٍ (٣/ ٦٤)، و«الأنْسَ الجَلِيْلَ» لمُجِيرِ الدِّيْنِ العُلَيْمِيِّ (١/ ٦٩)، و«بَيْتَ المَقْدِسِ» لمُحَمَّدٍ شُرَّابٍ (٣٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [الإِسْرَاءُ: ١].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ [الأَنْبِيَاءُ: ٧١]، والأَرْضُ هُنَا: هِيَ أَرْضُ الشَّامِ، وقِيلَ بَيْتُ المَقْدِسِ.

قَالَ ابنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «تَفْسِيرِهِ» (٨/٤٦): «لا خِلافَ بَيْنَ جَمِيعِ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّ هِجْرَةَ إِبْرَاهِيمَ مِنَ العِرَاقِ كَانَتْ إلى الشَّامِ».

وقَالَ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ في «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٢٧/٥٠٦): «مَعْلُومٌ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّما نَجَّاهُ اللهُ ولُوطًا إلى أَرْضِ الشَّامِ مِنْ أَرْضِ الجَزِيْرَةِ والعِرَاقِ»، وقَالَ أَيْضًا: «مَعْلُومٌ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيْلَ إِنَّما أُوْرِثُوا مَشَارِقَ أَرْضِ الشَّامِ ومَغَارِبَهَا، بَعْدَ أَنْ أُغْرِقَ فِرْعَوْنُ في اليَمِّ».

وقَالَ تَعَالَى في حَدِيْثِ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١﴾ [المائدة: ٢١].

والأَرْضُ المُقَدَّسَةُ هُنَا: هِيَ الشَّامُ، وهُنَاكَ غَيْرُ مَا ذُكِرَ مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ في فَضْلِ فِلِسْطِيْنَ، وبَيْتِ المَقْدِسِ.

* * *

أمَّا الأحَادِيْثُ النَّبوِيَّةُ فَهِي كَثِيرٌ جِدًّا، فمِنْهَا:

قَوْلُه ﷺ: **«يَا طُوْبَى للشَّام! يَا طُوْبَى للشَّام! يَا طُوْبَى للشَّام!»**، قَالُوا يَا رَسُوْلَ اللهِ وبِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: **«تِلْكَ مَلائِكَةُ اللهِ بَاسِطُو أجْنِحَتِهَا على الشَّامِ»**، وفي رِوَايَةٍ: **«طُوْبَى لأهْلِ الشَّامِ»**، أخْرَجَهُ أحْمَدُ، والتِّرْمِذِيُّ، وهُوَ صَحِيْحٌ.

وقَدْ صَحَّ عِنْدَ أحمَدَ، وأبي دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ حَوَالَةَ رضي الله عنه، أنَّه قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: **«سَيَصِيْرُ الأمْرُ إلى أنْ تَكُوْنُوا أجْنَادًا مُجَنَّدَةً، جُنْدٌ بالشَّامِ، وجُنْدٌ باليَمَنِ، وجُنْدٌ بالعِرَاقِ»**، قَالَ ابنُ حَوَالَةَ: خِرْ لي يَا رَسُوْلَ اللهِ إنْ أدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: **«عَلَيْكَ بالشَّامِ؛ فإنَّها خِيْرَةُ اللهِ مِنْ أرْضِهِ، يَجْتَبِي إلَيْهَا خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فأمَّا إنْ أبَيْتُم فَعَلَيْكُم بيَمَنِكِم، واسْقُوا مِنْ غُدُرِكِم، فإنَّ اللهَ تَوَكَّلَ لِي بالشَّامِ وأهْلِهِ»**، قَالَ: رَبِيْعَةُ: فَسَمِعْتُ أبَا أدْرِيْسَ يُحَدِّثُ بهَذَا الحَدِيْثِ يَقُوْلُ: **«ومَنْ تَكَفَّلَ اللهُ بِهِ؛ فَلا ضَيْعَةَ عَلَيْهِ»**.

وعِنْدَ الطَّبَرانيِّ في «الكَبِيْرِ» عَنْ وَاثِلَةَ بنِ الأسْقَعِ رضي الله عنه مَرْفُوْعًا: **«عَلَيْكُم بالشَّامِ؛ فإنَّها صَفْوَةُ بِلادِ اللهِ، يُسْكِنُهَا خِيْرَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَمَنْ أبَى فَلْيَلْحَقْ بيَمَنِهِ، ولْيُسْقَ مِنْ غُدُرِهِ، فإنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ تَكَفَّلَ لي بالشَّامِ وأهْلِهِ»**، وفِيْهِ ضَعْفٌ، وقَدْ صَحَّحَهُ الألْبَاني رحمه الله في «صَحِيْحِ الجَامِعِ» (٤٠٧٠).

وقَدْ صَحَّ أيْضًا عِنْدَ أحمَدَ، والتِّرمِذِيِّ عَنْ مُعَاوِيَةَ بنِ قُرَّةَ عَنْ

أبِيْهِ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «إذَا فَسَدَ أهْلُ الشَّامِ؛ فَلا خَيْرَ فِيْكُم، لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أمَّتِي مَنْصُوْرِيْنَ لا يَضُرُّهُم مَنْ خَذَلهُم؛ حَتَّى تَقُوْمَ السَّاعَةُ».

وقَالَ ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أمَّتِي على الحَقِّ ظَاهِرِيْنَ، وإنِّي لأرْجُو أنْ تَكُوْنُوا هُم يَا أهْلَ الشَّامِ» أخْرَجَهُ أحمَدُ، وهُوَ حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ.

ورَوَى مُسْلِمٌ في «صَحِيْحِهِ» عَنْ سَعْدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «لا يَزَالُ أهْلُ الغَرْبِ ظَاهِرِيْنَ على الحَقِّ؛ حَتَّى تَقُوْمَ السَّاعَةُ».

قَالَ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ في «مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى» (٢٧/ ٥٠٧): «قَالَ أحمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: أهْلُ المَغْرِبِ هُم أهْلُ الشَّامِ، وهُوَ كَما قَالَ لوَجْهَيْنِ:

أحَدُهُمَا: أنَّ فِي سَائِرِ الحَدِيثِ بَيَانَ أنَّهُمْ أهْلُ الشَّامِ.

الثَّانِي: أنَّ لُغَةَ النَّبِيِّ ﷺ، وأهْلَ مَدِينَتِهِ فِي «أهْلِ المَغْرِبِ» هُمْ أهْلُ الشَّامِ ومَنْ يُغرِّبُ عَنْهُمْ. كَمَا أنَّ لُغَتَهُم فِي أهْلِ المَشْرِقِ هُمْ أهْلُ نَجْدٍ والعِرَاقِ فَإنَّ التَّغْرِيبَ والتَّشْرِيقَ مِنَ الأمُورِ النِّسْبِيَّةِ، فَكُلُّ بَلَدٍ لَهُ غَرْبٌ قَدْ يَكُونُ شَرْقًا لِغَيْرِهِ ولَهُ شَرْقٌ قَدْ يَكُونُ غَرْبًا لِغَيْرِهِ. فَالِاعْتِبَارُ في كَلامِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَا كَانَ غَرْبًا وشَرْقًا لَهُ حَيْثُ تَكلَّمَ بِهَذَا الحَدِيثِ وهِيَ الْمَدِينَةُ... وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يُسَمُّونَ الأوْزَاعِيَّ: إمَامَ أهْلِ الْمَغْرِبِ». انْتَهَى.

قَالَ النَّووِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «شَرْحِ مُسْلِم» (٢/ ١٥٣): «إنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةِ مُفرَّقَةٌ بَيْنَ المُؤمِنِيْنَ مِنْهُم شُجْعَانٌ مُقَاتِلُوْنَ، ومِنْهُم مُحَدِّثُوْنَ، ومِنْهُم زُهَّادٌ، آمِرُوْنَ بالمَعْرُوْفِ ونَاهُوْنَ عَنِ المُنْكَرِ، ومِنْهُم أهْلُ أنْوَاعٍ أخْرَى مِنَ الخَيْرِ، ولا يَلْزَمُ أنْ يَكُوْنُوا مُجْتَمِعِيْنَ، بِلْ قَدْ يَكُوْنُوْنَ مُتُفَرِّقِيْنَ في أقْطَارِ الأرْضِ». انْتَهَى.

وقَالَ ﷺ: «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا إلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِي، وَالمَسْجِدِ الأقْصَى» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وعِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيْثِ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ؛ حَتَّى يَنزِلَ الرُّومُ بالأعْمَاقِ، أوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إلَيْهِم جَيْشٌ مِنْ المَدِينَةِ (أيْ: دِمِشْقَ) مِنْ خِيَارِ أهْلِ الأرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإذَا تَصافُّوا، قَالَتْ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلهُم، فَيَقُولُ المُسْلِمُونَ: لا واللهِ لا نُخَلِّي بَيْنَكُم وَبَيْنَ إخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُم، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِم أبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُم أفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُم بِالزَّيْتُونِ، إذْ صَاحَ فِيهِم الشَّيْطَانُ: إنَّ المَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُم في أهْلِيكُم، فَيَخْرُجُونَ ـ وَذَلِك بَاطِلٌ ـ فَإذَا جَاءُوا الشَّأمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُم يُعِدُّونَ لِلقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ، فَأمَّهُم، فَإذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ المِلحُ في المَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، ولَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ؛ فَيُرِيهِم دَمَهُ في حَرْبَتِهِ».

أمَّا المَدِيْنَةُ المَذْكُوْرَةُ في الحَدِيْثِ السَّابِقِ: فَهِيَ مَدِيْنَةُ دِمِشْقَ، لقَوْلِهِ ﷺ: **«فُسْطَاطُ المُسْلِمِينَ يَوْمَ المَلحَمَةِ الغُوطَةُ إلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ، يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ»**، أخْرَجَهُ أحْمَدُ، وهُوَ صَحِيْحٌ.

وقَالَ ﷺ: **«عُمْرَانُ بَيْتِ المَقْدِسِ: خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ: خُرُوجُ المَلحَمَةِ، وَخُرُوجُ المَلحَمَةِ: فَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ: خُرُوجُ الدَّجَّالِ»** أخْرَجَهُ أحْمَدُ، وهُوَ صَحِيْحٌ.

والأحَادِيْثُ في فَضْلِ الشَّامِ وأهْلِهِ كَثِيْرَةٌ جِدًّا، فَانْظُرْهَا في «فَضَائِلِ الشَّامِ ودِمِشْقَ»، للحَافِظِ أبي الحَسَنِ الرَّبَعيِّ، المُتَوَفَّى سَنَةَ (٤٤٤)، و«فَضَائِلِ الشَّامِ» لابنِ رَجَبٍ، المُتَوَفَّى سَنَةَ (٧٩٥)، رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالى، وغَيْرِهَا مِنَ كُتُبِ السُّنَّةِ، والتَّارِيْخِ.

❑ ❑ ❑

الفَصْلُ الثَّاني

تَارِيْخُ الاحْتِلالِ اليَهُوْدِيِّ لِفِلَسْطِيْنَ

لَم يَعُدِ الاحْتِلالُ اليَهُوْدِيُّ يَخْفَى على ذِيْ عَيْنٍ، ابْتِدَاءً بالتَهْجِيْرِ، وانْتِهَاءً بالاحْتِلالِ الغَاشِمِ؛ إلَّا أنَّنَا آثَرْنا الحَدِيْثَ عَنْ ذَلِكَ باخْتِصَارٍ، مَعَ ذِكْرِ نُبْذَةٍ تارِيْخِيَّةٍ مُوْجَزَةٍ إتْمامًا لِلفَائِدَةِ، ورَبْطًا لِمَضْمُوْنِ الرِّسَالَةِ.

❑ التَمْهِيْدُ لإنْشَاءِ مَوْطِنٍ لِليَهُوْدِ(١):

مَعَ نِهَايَاتِ القَرْنِ الثَّالِثَ عَشَرَ الهِجْرِيِّ، بَدَأتِ الحَرَكَةُ

---

(١) لَقَدِ الْتَزَمْتُ وللهِ الحَمْدُ في جَمِيْعِ كِتَابَاتِي: التَّارِيْخَ الهِجْرِيَّ، وطَرَحْتُ مَا سِواه ـ المِيْلادِيَّ ـ إلَّا مَا لا بُدَّ مِنْهُ، لا سِيَّما التَّوارِيْخَ المِيْلادِيَّةَ الَّتي كَانَتْ قَبْلَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، أو ممَّا كَانَ فِيْهِ لَبْسٌ عِنْدَ اجْتِماعِ تَارِيْخٍ هِجْريٍّ ومِيْلادِيٍّ... كُلُّ هَذَا لِعُمُوْمِ الفَائِدَةِ المُحَصَّلَةِ عِنْدَ كُلِّ مُسْلِمٍ؛ نُصْرَةً للتَّارِيْخِ الإسْلامِي مِنْ وَطْأةِ الانْهِزَامِ التَّارِيْخي أمَامَ الغَرْبِ، أو مِنَ المُجَارَاةِ للتَّبَعِيَّةِ المَقِيْتَةِ لهُم؛ في حِيْنَ أنَّني أنَاشِدُ كُتَّابَ المُسْلِمِيْنَ أنْ يَفِيْقُوا لتَارِيْخِهِم، وأنْ يَحْفَظُوا للأمَّةِ حَوادِثَهُم بالتَّوَارِيْخِ الهِجْرِيَّةِ لَفْظًا وخَطًّا، هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ الحَقَائِقَ التَّارِيْخِيَّةَ تَقْطَعُ بِخطأ التَّقْوِيْمِ المِيْلادِي، وأنَّه لم يَثْبُتْ تَحْدِيْدُ مِيْلادِ عِيْسَى ابنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما يُذْكَرُ مِنْ تَحْدِيْدٍ لمِيْلادِهِ هُوَ كَذِبٌ وبُهْتَانٌ، وقَدْ بَيَّنْتُ ذَلِكَ، وفَصَّلْتُهُ في كِتَابي: «صِيَانَةِ الكِتَابِ» (٥٨٢)، فانْظُرْهُ مَشْكُوْرًا!.

الصِّهْيُونِيَّةُ اليَهُودِيَّةُ في أوْرُوْبَّا تَدْعُو إلى ضَرُوْرَةِ إيْجادِ مُجْتَمعٍ يَهُوْدِيٍّ يَحْكُمُ نَفْسَهُ، ومِنْ هُنَا اخْتَارَتِ الحَرَكَةُ اليَهُوْدِيَّةُ أنْ يَكُوْنَ ذَلِكَ المَكَانُ هُوَ فِلِسْطِيْنُ، وهُوَ مَا دَعَى إلَيْهِ اليَهُوْدِيُّ «هِرْتِزْل» مُؤسِّسُ دَوْلَةِ اليَهُوْدِ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ!

وقَبْلَ هَذَا الاخْتِيَارِ الظَّالمِ لفِلِسْطِيْنَ؛ كَانَ مِنَ المَعْلُوْمِ لَدَى الجَمِيْعِ أنَّ فِلِسْطِيْنَ لم تَكُنِ المُرَشَّحَةَ بأنْ تَكُوْنَ الوَطَنَ القَوْمِيَّ لليَهُودِ، بَلْ رُشِّحَتْ قَبْلَهَا عِدَّةُ أقْطارٍ في إفْرِيْقِيَا، وأمْرِيْكَا الشَّمالِيَّةِ، وغَيْرِهَا مِنْ أقْطَارٍ أُخْرَى!

فَقَدْ حَاوَلَ «هِرْتِزلْ»، وزُمَلاؤهُ «مَاكَسْ نُوْردُو»، و«حَايِيْم»، و«زِيْمَان»: الحُصُوْلَ على مَكَانٍ في «مُوْزَنْبِيْق»، ثُمَّ في «الكُنْغُو» البَلْجِيْكِيِّ.

كَما رُشِّحَتْ الأرْجَنْتِيْنُ عَامَ (١٢١٣هـ ١٧٩٨م)، و«قُبْرُصُ» عَامَ (١٣١٩هـ ١٩٠١م)، و«سِيْنَاءُ» عَامَ (١٣٢٠هـ ١٩٠٢م)، ثُمَّ «أُوْغَنْدَا» مَرَّةً أُخْرَى عَامَ (١٣٢١هـ ١٩٠٣م)، بِنَاءً على اقْتِرَاحِ الحُكُوْمَةِ البرِيطَانِيَّةِ.

ومَعَ هَذِهِ المُحَاوَلاتِ الَّتِي بَذَلَهَا «هِرْتِزْل» في الحُصُوْلِ على مَكَانٍ لدَوْلَةِ اليَهُوْدِ؛ إلَّا أنَّهُ لم يَجِدْ اهْتِمَامًا بَالِغًا لفِكْرَتِهِ عِندَ أكْثَرِ اليَهُوْدِ؛ لأنَّ اليَهُوْدَ في العَالمِ لم تَرُقْ لهُم فِكْرَةُ دَوْلَةٍ يَهُوْدِيَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ، سَوَاءٌ كَانَتْ هَذِهِ المُمَانَعَةُ لأسْبَابٍ دِيْنِيَّةٍ يَهُوْدِيَّةٍ، أو لأنَّهُم لم يَكُوْنُوا

رَاغِبِيْنَ في النُّزُوْحِ عَنِ البِلادِ الَّتِي اسْتَقَرُّوا فِيْهَا، بَلْ إنَّ مُؤتَمرَ الحَاخَامَاتِ الَّذِي عُقِدَ في مَدِيْنَةِ «فِيْلادْلِفْيَا» في أمْرِيْكَا في أوَاخِرِ القَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ (أيْ الرَّابِعَ عَشَرَ هِجْرِي) أصْدَرَ بَيَانًا يَقُوْلُ: إنَّ الرِّسَالَةَ الرُّوْحِيَّةَ الَّتِي يَحْمِلُهَا اليَهُوْدُ تَتَنَافَى مَعَ إقَامَةِ وِحْدَةٍ سِيَاسِيَّةٍ يَهُوْدِيَّةٍ مُنْفَصِلَةٍ.

«ولَيْسَ بخَافٍ على اليَهُوْدِ، ولا على المُطَّلِعِيْنَ على الحَرَكَةِ الصِّهيُونِيَّةِ الحَدِيْثَةِ: أنَّ جَمَاعَاتٍ وزَعَامَاتٍ يَهُوْدِيَّةً (دِيْنِيَّةً وفِكْرِيَّةً) تَرْفُضُ قِيَامَ دَوْلَةٍ يَهُوْدِيَّةٍ مُتَمَيِّزَةٍ، بَلْ تَعْكِسُ النُّبُوْءَاتُ التَّوْرَاتِيَّةَ على أهْلِهَا، وتَقُوْلُ: إنَّ قِيَامَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ هُوَ نَذِيْرُ الهَلاكِ والفَنَاءِ لليَهُوْدِ، ولَهَا على ذَلِكَ أدِلَّةٌ وشَوَاهِدُ مِنَ الأسْفَارِ والمَزَامِيْرِ، ومِنْ وَاقِعِ التَّارِيْخِ». انْظُرْ «القُدْسَ بَيْنَ الوَعْدِ الحَقِّ..» لشَيْخِنَا العَلَّامَةِ سَفَرٍ الحَواليِّ (١٢).

وإزَاءَ هَذَا المَوْقِفِ، فَكَّرَ الصِّهْيُونيُّ الحَاقِدُ «هِرْتِزْل» في طَرِيْقَةٍ يُوَاجِهُ بها هَذَا الوَضْعَ، فَعِنْدَئِذٍ دَفَعَهُ تَفْكِيْرُهُ إلى أنْ يُحَوِّلَ المَوْضُوْعَ إلى قَضِيَّةٍ دِيْنِيَّةٍ يُلْهِبُ بِها عَوَاطِفَ جَماهِيْرِ اليَهُوْدِ، ورَأى أنَّ فِلَسْطِيْنَ هِيَ المَكَانُ الوَحِيْدُ الَّذِي يُنَاسِبُ هَذِهِ الدَّعْوَةَ الجَدِيْدَةَ، ولا سِيَّما أنَّ لليَهُوْدِ بفِلَسْطِيْنَ عَلائِقَ تَارِيْخِيَّةً، ولهُم فِيْهَا مُقَدَّسَاتٌ دِيْنِيَّةٌ، ومِنْ هُنَا ارْتَفَعَتْ رَايَةُ الدِّيْنِ على سَارِيَةِ المَشْرُوْعِ، والتَهَبَتِ العَوَاطِفُ بين قُطْعَانِ اليَهُوْدِ.

فَعِنْدَئِذٍ انْتَصرَ رَأيُ «هِرْتِزْل»، وتَحَقَّقَ لَهُ مَا أرَادَ مِنْ إقَامَةِ دَوْلَةٍ لليَهُوْدِ، وذَلِكَ كَانَ بَعْدَ وَفَاتِهِ؛ حَيْثُ احْتَضَنَ المُؤتَمَرُ اليَهُوْدِيُّ العَالميُّ فِكْرَةَ الوَطَنِ اليَهُوْدِيِّ في فِلِسْطِيْنَ عَامَ (١٣٢٣هـ ١٩٠٥م)؛ أيْ بَعْدَ مَوْتِهِ بسَنَةٍ!

* * *

وعَلَيْهِ؛ فَقَدْ نَادَتِ الحَرَكَةُ الصِّهْيُونِيَّةُ اليَهُودِيَّةُ في أوْرُوْبَّا برِئَاسَةِ «هِرتِزْل» بِحَلِّ المُشْكُلِةِ اليَهُوْدِيَّةِ عَنْ طَرِيْقِ دَفْعِ يَهُوْدِ أوْرُوْبَّا الشَّرْقِيَّةِ لِلهِجْرَةِ إلى فِلِسْطِيْنَ.

وفي الوَقْتِ الَّذِي أخَذَتْ فِيْهِ أعْدَادُ اليَهُوْدِ في فِلِسْطِيْنَ تَتَنَاقَصُ خِلالَ فَتْرَةِ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الأُوْلَى (١٣٣٢ ـ ١٣٣٦)، تَبَنَّتْ بِرِيْطَانِيَا دَعْمَ المَشْرُوْعِ الصِّهْيُونِيِّ اليَهُوْدِيِّ مُقَابِلَ تَموِيْلِ اليَهُوْدِ لَهَا، ومُسَاعَدَتِها رِجَالاً ومَالاً؛ حَتَّى تَصْمُدَ في الحَرْبِ الثَّائِرَةِ.

وقَدْ أصْدَرَ وَزِيْرُ الخَارِجيَّةِ البِرِيْطَانِيُّ، «آرْثَرْ جِيْمِسْ بِلْفُوْر» وَعْدَهُ المُفْتَرَى في عَامِ (٢ نُوْفَمْبَر ١٩١٧م ـ ١٧/ ١/ ١٣٣٦هـ) إلى اللُّوْرد «لِيُونِيْل وُوْلْتِر دِي رُوْتْشِيْلد» يُشِيْرُ فِيْهِ إلى تَأيِيْدِ وتَحْقِيْقِ وَطَنٍ قَوْمِيٍّ لِلْيَهُوْدِ في فِلِسْطِيْنَ، ووَافَقَ مَجْلِسُ الحُلَفَاءِ على وَضْعِ فِلِسْطِيْنَ تَحْتَ الانْتِدَابِ البِرِيْطَانِيِّ، واعْتَرَفَتْ عُصْبَةُ الأمَمِ بِذَلِكَ، وصَدَّقَتْ على وَعْدِ «بِلْفُور».

وهَذَا نَصُّ وَثِيْقَةِ وَعْدِ «بِلْفُوْر» المُفْتَرَى:

«وَزَارَةُ الخَارِجِيَّةُ: في الثَّاني مَنْ نُوْفَمْبَر/تِشْرِيْن الثَّاني سَنَةَ (١٩١٧م).

عَزِيْزِي اللُّوْرد رُوْتْشِيلْد:

يَسُرُّني جِدًّا أنْ أُبْلِغَكُم بالنِّيَابَةِ عَنْ حَكُوْمَة جَلالَتِهِ، التَّصْرِيْح التَّالي الَّذِي يَنْطَوِي على العَطْفِ على أَمَاني اليَهُوْدِ والصِّهْيُونِيَّةِ، وقَدْ عُرِضَ على الوَزَارَةِ، وأقَرَّتْهُ:

«إنَّ حَكُوْمَةَ صَاحِبِ الجَلالَةِ تَنْظُرُ بعَيْنِ العَطْفِ إلى تَأسِيْس وَطَنٍ قَوميٍّ للشَّعْبِ اليَهُودِيِّ في فِلِسْطِيْنَ، وسَتَبْذُلُ غَايَةَ جُهْدِهَا لتَسْهِيْلِ تَحْقِيْقِ هَذِهِ الغَايَةِ، على أنْ يُفْهَمَ جَلِيًّا أنَّهُ لَنْ يُؤتَى بعَمَلٍ مِنْ شَأنِهِ أنْ يَنْتَقِصَ مِنَ الحُقُوْقِ المَدَنِيَّةِ والدِّيْنِيَّةِ الَّتِي تَتَمَتَّعُ بِهَا الطَّوائِفُ غَيْرُ اليَهُوْدِيَّةِ المُقِيمَةِ الآنَ في فِلِسْطِيْنَ، ولا الحُقُوْقِ، أو الوَضْعِ السِّيَاسي الَّذِي يَتَمَتَّعُ بِهِ اليَهُوْدُ في البُلْدَانِ الأُخْرَى». انْتَهَى.

وقَدْ أيَّدَتْ أيْضًا هَذَا الوَعْدَ المُفْتَرَى أمْرِيْكَا، وفَرَنْسَا، وإيْطَالِيَا، وغَيْرُهَا مِنْ الدُّوَلِ النَّصْرَانِيَّةِ والوَثَنِيَّةِ على حَدٍّ سَوَاء.

وقَدْ مَكَّنَتْ بِرِيْطَانيَا لهَذَا الوَعْدِ المُفْتَرَى مِنْ خِلالِ اسْتِغْلالِ سِيَادَةِ وُجُوْدِهَا لِتَنْفِيْذِ وَعْدِهَا بتَهْوِيْدِ فِلِسْطِيْنَ، فَعَيَّنَتْ في مَنْصِبَ المَنْدُوْب البِرِيْطَانِيِّ في فِلِسْطِيْنَ أحَدَ القَادَةِ اليَهُوْدِ، وهُوَ «هِرْبَرْت صُمُوئِيْل»، وقَدِ اطَّلَعَ «صُمُوْئِيل» بِمُهِمَّةِ إعْطَاءِ الصِّيْغَةِ الرَّسْمِيَّةِ لِلْوَكَالَةِ اليَهُوْدِيَّةِ، وأشْرَكَهَا في صِيَاغَةِ القَوَانِيْنِ، واللَّوَائِحِ، والأنْظِمَةِ الأُوْلى

الَّتِي سَهَّلَتِ الهِجْرَةَ اليَهُوْدِيَّةَ، ومَكَّنَتِ اليَهُوْدَ مِنْ تَمَلُّكِ الأرَاضِي، ومَنَحَتْهُم امْتِيَازَاتٍ مَالِيَّةً تِجارِيَّةً (اقْتِصادِيَّةً!) جَعلَتْهُم يُسَيْطِرُوْنَ بالتَّدْرِيْج على اقْتِصادِ البِلادِ، ويُعْرِّضُونَ تِجارَةَ (اقْتِصادَ!) العَرَبِ المَاليّ لِلْخطَرِ؛ حَتَّى يُزَعْزِعُوا تَمسُّكَهُم بالأرْضِ؛ تَمْهِيْدًا لِلاسْتِيْلاءِ علَيْها.

ومَكَّنَ المَنْدُوْبُ البرِيْطانِيُّ أيْضًا: الوَكالَةَ اليَهُوْدِيَّةَ مِنَ الاشْتِرَاكِ في إدَارَةِ البِلادِ، والقِيَامِ بِتَنْظِيْمِ اليَهُوْدِ، وتَسْلِيْحِهِم، وتَدْرِيْبِهِم، وتَشْكِيْلِ العِصاباتِ اليَهُوْدِيَّةِ الحَاقِدَةِ.

وفي عَامِ (١٣٦٦)، رَفَعَتْ بِرِيْطانِيَا المُشْكِلَةَ الَّتِي صَنَعَتْها بِيَدِهَا إلى الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ، وذَلِكَ على أَسَاسِ أنَّ حُكُوْمَةَ الانْتِدَابِ عَجِزَتْ عَنْ حَلِّ مُشْكِلَةِ الشَّعْبَيْنِ (الأوَّلِ الَّذِي انْتَدَبَتْهُ عُصْبَةُ الأمَمِ لِحُكْمِهَا، والثَّانِي الَّذِي أوْجَدَتْهُ بَعْدَ انْتِدابِها)، وأعْلَنَتْ بِرِيْطانِيَا أَنَّها سَتَتَخَلَّى عَنِ انْتِدَابِها لِفِلَسْطِيْنَ في غُضُوْنِ سِتَّةِ أشْهُرٍ!

* * *

❐ إنْشَاءُ مَوْطِنِ يَهُوْدَ:

صَدَرَ قَرَارُ الجَمْعِيَّةِ العُمُوْمِيَّةِ لِلأُمَمِ المُتَّحِدَةِ في عَامِ (١٣٦٦): بِتَقْسِيْمِ فِلِسْطِيْنَ إلى دَوْلَتَيْنِ (عَرَبِيَّةٍ، ويَهُوْدِيَّةٍ)، ووُضِعَ بَيْتُ المَقْدِسِ ومَا حَوْلَهُ تَحْتَ الإدَارَةِ الدُّوَلِيَّةِ ـ زَعَمُوا! ـ.

وتَحْتَ ضَغْطِ الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأمْرِيْكِيَّةِ، وافَقَتْ مَا تُسَمَّى:

«بهَيئَةِ الأُمَمِ» بأغْلَبيَّةِ الأصْوَاتِ على قَرَارِ التَّقْسِيْمِ، وذَلِكَ في عَامِ (١٣٦٦).

إلَّا أنَّ هَذَا التَّقْسِيْمَ الجَائِرَ لم يَقِفْ عِنْدَ اعْتِرَافِ الدُّوَلِ الكَافِرَةِ، بَلْ كَانَ مِنَ المُؤسِفِ بمَكَانٍ أنَّ أكْثَرَ الدُّوَلِ العَرَبيَّةِ والإسْلامِيَّةِ قَدْ وَافَقَتْ على قَرَارِ هَذَا التَّقْسِيْمِ، بَلْ أقَرَّتْ على الوُجُوْدِ اليَهُوْدِيِّ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، غَيْرَ أنَّ هُنَاكَ بَعْضَ الدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ رَفَضَتْ قَرَارَ التَّقْسِيْمِ مِنْهَا: مِصْرُ، وبِلادُ الحَرَمِيْنَ، واليَمَنُ، وسُوْرِيَا، ولِبْنَانُ، والعِرَاقُ، وإيْرَانُ، وأفْغَانِسْتَانُ، وبَاكِسْتَانُ، وتُرْكِيَا، والهِنْدُ، واليُوْنَانُ، وكُوْبَا.

إلَّا أنَّ أمْرِيْكَا النَّصْرَانِيَّةَ لمَّا أدْرَكَتْ أنَّ الدُّوَلَ العَرَبيَّةَ والإسْلامِيَّةَ تَكَتَّلَتْ ضِدَّ التَّقْسِيْمِ، طَالَبَتْ بتَأجِيْلِ الاجْتِماعِ إلى ما بَعْدَ عِيْدِ «الشُّكْرِ!» الَّذِي سَيَكُوْنُ في اليَوْمِ التَّالي مِنَ الاجْتِمَاعِ.

قَالَتْ جَرِيْدَةُ «نِيُوْيُورْك تَايمز» (١٤/ ١/ ١٣٦٧هـ - ٢٧ نُوْفَمْبَر ١٩٤٧م): «أجَّلَتِ الجَمْعِيَّةُ العَامَّةُ للأُمَمِ المُتَّحِدَةِ جَلْسَتَهَا الَّتِي تُصَوِّتُ بهَا على تَقْسِيْمِ فِلِسْطِيْنَ أمْسِ بَعْدَ أنْ وَجَدَ مُؤيِّدُو الصِّهْيُوْنِيَّةِ أنَّهُم لا يَضْمَنُوْنَ ثُلُثَيْ الأصْوَاتِ اللَّازِمَةِ لنَجَاحِ المَشْرُوْعِ، وفي يَوْمِ التَّأجِيْلِ كَانَتْ أمْرِيْكَا بضَغْطِهَا قَدِ اسْتَطَاعَتْ أنْ تَشْتَرِي قَهْرًا ثَلاثَةَ أصْوَاتٍ: صَوْتَ هَايْتِي، ولِيْبيْرِيَا، وسِيَام، ليَفُوْزَ المَشْرُوْعُ العُدْوَانيُّ بالأغْلِبيَّةِ».

* * *

وقَدْ أدَّى ذَلِكَ التَّقْسِيْمُ إلى تَفَجُّرِ الاضْطِرَابَاتِ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ الفِلسْطِيْنِيِّيْنَ العُزَّلِ مِنَ السِّلاحِ، وغَيْرِ المُدَرَّبِيْنَ عَسْكَرِيًّا مِنْ نَاحِيَةٍ، وبَيْنَ العِصَابَاتِ اليَهُوْدِيَّةِ المُدَرَّبَةِ والمُسَلَّحَةِ، وذَاتِ المَوَارِدِ، والدَّعْمِ الدَّاخِلِيِّ والخَارِجِيِّ مِن نَاحِيَةٍ أُخْرَى!

فَعِنْدَئِذٍ قَرَّرَتِ الحُكُوْمَاتُ العَرَبِيَّةُ تَحْرِيْكَ جُيُوْشِهَا إلى فِلَسْطِيْنَ لتَحْرِيْرِهَا، وعَيَّنَتْ لهَا قَائِدًا عَامًّا: هُوَ أمِيْرُ مَكَّةَ، المَلِكُ عَبْدُ اللهِ بنُ الشَّرِيْفِ الحُسَيْنِ، وهُوَ أمِيْرُ مَكَّةَ، وصَاحِبُ مَا سُمِّى بالثَّوْرَةِ العَرَبِيَّةِ الكُبْرَى الَّتِي تَرَتَّبَ عَلَيْهَا احْتِلالُ أوْرُوبَّا (الإنْجِلِيْزِ، والفَرَنْسِيِّيْنَ وغَيْرِهِم) للعَالَمِ العَرَبِيِّ!

وكَانَ عَدَدُ الجُيُوْشِ العَرَبِيَّةِ حَوَالِي عِشْرِيْنَ ألْفَ جُنْدِيٍّ، يُعَانُوْنَ ضَعْفًا في التَّدْرِيْبِ، وقِلَّةً في السِّلاحِ، وجَهْلاً بطَبِيْعَةِ الأرْضِ الَّتِي سَيُقَاتِلُوْنَ عَلَيْهَا، وبالعَدُوِّ الَّذِي سَيُقَاتِلُوْنَهُ؛ يُضَافُ إلى ذَلِكَ ضَعْفٌ في الإيْمانِ!

هَذِهِ الجُيُوْشُ كَانَ يُعَاوِنُهَا (١٣٠٠) مُجَاهِدٍ على أرْضِ فِلَسْطِيْنَ، وفي المُقَابِلِ كَانَ اليَهُوْدُ ـ بِمُعَاوَنَةِ الإنْجِلِيْزِ ـ قَدْ أعَدُّوا قُوَّةً عَسْكَرِيَّةً مُكَوَّنَةً مِنْ أرْبَعِيْنَ ألْفَ جُنْدِيٍّ يَهُوْدِيٍّ يُسَاعِدُهُم خَمْسُوْنَ ألْفًا مِنَ المِيْلِيْشِيَّاتِ اليَهُوْدِيَّةِ، يَتَمَيَّزُوْنَ بمَعْرِفَتِهِم بالأرْضِ الَّتِي يُحَارِبُوْنَ عَلَيْهَا ومِنْ أجْلِهَا، وبالتَّدْرِيْبِ الجَيِّدِ والتَّسْلِيْحِ الكَامِلِ؛ مَعَ تَفَوُّقٍ في النَّاحِيَةِ القِتَالِيَّةِ والنِّظَامِيَّةِ، والخِبْرَةِ العَسْكَرِيَّةِ، وكَذَلِكَ مِنْ نَاحِيَةِ

السِّلاحِ والذَّخِيْرَةِ، وكَانَ لَدَيْهِم احْتِيَاطِيٌّ مِنَ الجُنُوْدِ، يَبْلُغُ (١٨٥) أَلْفًا يَتَزَايَدُوْنَ باسْتِمْرَارٍ؛ نَتِيْجَةَ تَدَفُّقِ الجُنُوْدِ المُدَرَّبِيْنَ مِنْ كُلِّ بِلادِ أَوْرُوْبَّا الشَّرقِيَّةِ. انْظُرْ: «الطَّرِيْقَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ» (٢٧٧، ٢٩٢).

* * *

❐ الخِيَانَةُ الكُبْرَى:

ومِنَ الخِزْيِ والعَارِ إذَا عَلِمَ المُسْلِمُوْنَ جَمِيْعًا: أنَّ القِيَادَةَ العَامَّةَ الَّتِي تَوَلَّاهَا المَلِكُ عَبْدُ اللهِ بنُ الشَّرِيْفِ حُسَيْنٍ كَانَتْ تَحْتَ القَائِدِ «جُلُوْب» بَاشَا الإنْجِلِيْزِيِّ، وهُوَ القَائِدُ النَّصْرَانيُّ المَعْرُوْفُ الَّذِي كَانَ يَقُوْدُ جَيْشًا عَاوَنَ في التَّمْكِيْنِ لليَهُوْدِ على أرْضِ فِلِسْطِيْنَ بَعْدَ إبَادَةِ وتَشْرِيْدِ مُعْظَمِ شَعْبِهَا!

وبِذَلِكَ كَانَتِ الأوَامِرُ العَسكَرِيَّةُ الَّتِي تَصْدُرُ باسْمِ القَائِدِ العَامِ المَلِكِ عَبْدِ اللهِ إنَّما يَضَعُهَا، ويُنَفِّذُهَا القَائِدُ البرِيْطَانيُّ في الجَيْشِ العَرَبيِّ، بَلْ إنَّ حَوَادِثَ عَدِيْدَةً بَرْهَنَتْ على أنَّ «جُلُوْب» القَائِدَ البرِيطَانيَّ للجَيْشِ العَرَبيِّ، إنَّما كَانَ يَقُوْدُ هَذَا الجَيْشَ لِيُقِيْمَ دَوْلَةً يَهُوْدِيَّةً، ويَكْشِفَ أجْنِحَةَ الجُيُوْشِ العَرَبِيَّةِ الأُخْرَى؛ حَتَّى تَشْفِي غِلَّ برِيْطَانِيَا الحَاقِدَةِ!

وحَتَّى «اللَّدُّ» و«الرَّمْلَةُ» الَّتِي تَضَمَّنَهَا قَرَارُ التَّقْسِيْمِ ضِمْنَ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ، تَخلَّى عَنْهُمَا «جُلُوْبْ»، وسَحبَ مِنْهُما جَيْشَهُ العَرَبيَّ، وتَرَكَهُما لِيَتَصارَعَ فِيْهِما أبْنَاءُ فِلِسْطِيْنَ العُزَّلُ مَعَ قُوَّاتِ اليَهُوْدِ المُدَرَّبَةِ

المُسَلَّحَةِ؛ بَلْ إنَّ غَالِبَ قِيَادَاتِ الكَتَائِبِ، وألْوِيَةِ الجَيْشِ الأرْدُنيِّ الزَّاحِفِ على فِلِسْطِيْنَ؛ كَانَتْ خَاضِعَةً لِقِيَادَةٍ بِرِيْطَانِيَّةٍ صِرْفَةٍ؛ حَتَّى كَأنَّها كَتَائِبُ بِرِيْطَانِيَّةٌ، ومِنْ عَجَبٍ أنَّ تَدخُلَ الجُيُوْشُ العَرَبِيَّةُ مَعْرَكَةً مَصِيْرِيَّةً، وجَيْشُ القِيَادَةِ يَقُوْدُه بِرِيْطَانِيُّوْنَ سَعَوْا للتَّهْوِيْدِ، وعَمِلُوا للتَّقْسِيْمِ، ومِنْ هُنَا كَانَ وَلاءُ القَائِدِ العَامِ لمِنِ اغْتَصَبُوا فِلِسْطِيْنَ، وعَمِلُوا على تَهْوِيدِهَا.

وأخْطَرُ مِنَ ذَلِكَ، وأشَدُّهُ: هُوَ مَا نَشَرَهُ القَائِدُ البِرِيْطَانيُّ «جُلُوْبْ» في مُذَكِّرَاتِهِ الَّتِي تَدُلُّ على الخِيَانَةِ العُظْمَى الَّتِي كَانَتْ وَرَاءَ اغْتِصَابِ أرْضِ فِلِسْطِيْنَ.

يَقُوْلُ الجَنَرَالُ «جُلُوْبْ» في مُذَكِّرَاتِهِ: «جُنْدِيٌّ مَعَ العَرَبِ»، وذَكَرَ فِيْهَا: أجْرَى تَوْفِيْقُ أبُو الهُدَى بَاشَا رَئِيْسُ وُزَرَاءِ الأرْدُنِ مُحَادَثَاتٍ سِرِّيَّةً مَعَ «أرْنِسْت بِيفِن» وزَيرِ خَارِجِيَّةِ بِرِيْطَانِيَا في (١٣٦٧هـ فِبْرَايِر ١٩٤٨م)، ويَقْتَرِحُ (قَبْلَ دُخُوْلِ الجُيُوْشِ العَرَبِيَّةِ المَعْرَكَةَ): أنْ يَدْخُلَ الجَيْشُ الأُرْدُنيُّ في فِلِسْطِيْنَ غَدَاةَ انْتِهَاءِ الانْتِدَابِ؛ تَحْتَ شِعَارِ حِمَايَةِ فِلِسْطِيْنَ كُلِّهَا، ومُحَارَبَةِ اليَهُوْدِ، وأنْ يَحْتَلَّ القِسْمَ العَرَبيَّ، ويَضُمَّهُ إلى شَرْقِ الأُرْدُنِ، دُوْنَ أنْ يَشْتَبِكَ مَعَهُ اليَهُوْدُ إطْلاقًا، وتَعَهَّدَ أبُو الهُدَى بثَلاثَةِ أُمُوْرٍ:

ألَّا يَحْتَلَّ الجَيْشُ الأُرْدُنيُّ غَزَّةَ، أو الخَلِيْلَ.

ألَّا يَعْتَدِي الجَيْشُ المَذْكُوْرُ على اليَهُوْدِ، بأيِّ شَكْلٍ.

أَلَّا يَحْتَلَّ شِبْرًا وَاحِدًا مِنَ القِسْمِ الَّذِي صَدَرَ قَرَارُ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ بإعْطَائِهِ لليَهُوْدِ في (١٣٦٧هـ ٢٩ نُوْفَمْبَر ١٩٤٧م).

وأضَاف أنَّ الأرْدُن حَسب مُعاهَدَاتِهِ مَعَ بِرِيْطَانِيَا لَنْ يَتَّخِذ أيَّ خُطْوَةٍ إيجَابِيَّةٍ إلَّا بَعْدَ مُشَاوَرَةِ الحَكُوْمَةِ البِرِيْطَانِيَّةِ، فَشَكَرَ «بِيْفِن» أبَا الهُدَى لُوُضُوحِ مَوْقِفِ الأرْدُنِ، وأعْلَنَ مُوَافَقَتَهُ على مَشْرُوْعِ حَكُوْمَتِهِ!. انْظُرْ: «جِهَادَ شَعْبِ فِلسِطِيْنَ» لصَالِحِ أبي بَصِيْرٍ (٣٩٥).

* * *

وانْتَهَتِ الحَرْبُ غَيْرَ المُتَكَافِئَةِ بِقَتْلِ، وتَهْجِيْرِ المُسْلِمِيْنَ، واسْتِيْلاءِ العِصَاباتِ الصِّهْيَونيَّةِ اليَهُوْدِيَّةِ على أرْضِ فِلَسْطِيْنَ المُسْلِمَةِ.

وفي (٧/ ٧/ ١٣٦٧) انْسَحَبَتْ بِرِيْطَانِيَا رَسْمِيًّا مِنْ أرْضِ فِلَسْطِيْنَ، وأعْلَنَ اليَهُوْدُ حُكْمَهُم لِلبِلادِ الَّتِي اسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا بالْقُوَّةِ الغَاشِمَةِ، وبمُعَاوَنَةِ قُوَى نَصْرَانِيَّةٍ صِلِيْبِيَّةٍ جَائِرَةٍ.

نَعَم؛ فَقَدْ سَاعَدَهُم البِرِيْطَانِيُّوْنَ في الاسْتِيْلاءِ على جَمِيْعِ المُؤَسَّسَاتِ الحُكُوْمِيَّةِ، ومُعَسْكَرَاتِ الجَيْشِ، ومُسْتَوْدَعَاتِ الأسْلِحَةِ، بِمَا في ذَلِكَ الطَّائِرَاتُ، والدَّبَّاباتُ، وخُطُوْطُ السِّكَكِ الحَدِيْدِيَّةِ بِقِطَارَاتِهَا ومُعِدَّاتِهَا، وكَذَلِكَ المَطَارُ الدُّوَلِيُّ، والمِيْنَاءُ الرَّئِيْسِيُّ، وغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا كَانَ عَوْنًا لَهُم في تَحْقِيْقِ بَقَائِهِم واسْتِيْلائِهِم على أرْضِ فِلَسْطِيْنَ.

وذَلِكَ في الوَقْتِ الَّذي أعْلَنَتْ فِيْهِ دُوَلُ العَالَمِ تِبَاعًا: اعْتِرَافَهَا

بالسُّلْطَةِ الوَلِيْدَةِ المُحْتَلَّةِ الغَاصِبَةِ فَوْرَ إعْلانِها في غُضُوْنِ دَقَائِقَ يَسِيْرةٍ، وقَدْ كَانَتِ الدُّوَلُ الكُبْرَى (الظَّالمَةُ) في مُقَدَّمَةِ الدُّوَلِ المُعْتَرِفَةِ!

وبَعْدَ إحْدَى عَشْرَةَ دَقِيقَةٍ مِنَ الإعْلانِ اليَهُوْدِيِّ بقِيَامِ دَوْلَتِهِم المَزْعُوْمَةِ؛ تَمَّ اعْتِرَافُ رَئِيْسِ الوِلايَاتِ الأمْرِيْكِيَّةِ: «تُرُوْمَانْ» بالدَّوْلَةِ اليَهُوْدِيَّةِ التَّي تَسَمَّتْ زُوْرًا وبُهْتَانًا، باسْمِ نَبِيِّ اللهِ الكَرِيْم: إسْرَائِيْلَ، وهُوَ يَعْقُوْبُ بنُ إسْحَاقَ بنِ إبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ، وعلى نَبِيِّنَا أفْضَلُ الصَّلاةِ والتَّسْلِيْم!

ثُمَّ تَسَابَقَتْ كُلُّ الدُّوَلِ الأُوْرُوْبِيَّةِ في الاعْتِرَافِ بدَوْلَةِ اليَهُوْدِ، ثُمَّ لم تَلْبَثْ أنْ أعْلَنَتْ دَوْلَةُ إيْرَانَ، وتُرْكِيا الإسْلامِيَّتَانِ: الاعْتِرَافَ بدَوْلَةِ اليَهُوْدِ!

نَعَمْ هَكَذَا أعْلَنَتْهَا إيْرَانُ بكُلِّ وَقَاحَةٍ، ودُوْنِ مُوارَبَةٍ أمَامَ العَالمِ الإسْلامِيِّ في الوَقْتِ الَّذِي لم تَزَلْ إيْرَانُ هَذِهِ الأيَّامَ تُجَعْجِعُ بنُصْرَةِ الإسْلامِ، وقَضَايَا المُسْلِمِيْنَ، فَالْوَيْلُ لهُم ممَّا يَصِفُوْنَ، وفِيْما يَقُوْلُوْنَ!

ومِنَ العَجِيْبِ؛ أنَّ كَثِيْرًا مِنْ حُكَّامِ العَرَبِ اليَوْمَ: هُمْ أكْثَرُ تَعَلُّقًا بالمُتَآمِرِيْنَ، وتَحَالُفًا مَعَهُم في الوَقْتِ الَّذِي يَكُوْنُ أولَئِكَ فِيْه أكْثَرَ إصْرَارًا على الغَدْرِ بِهِم وسَلْبِهِم!

وهَذَا نَجِدُهُ عِنْدَ تَحَالُفِهِم مَعَ أعْدَائِهِم على أنْفُسِهِم؛ حَيْثُ دَخَلُوا تَحْتَ رَايَةِ المُحْتَلِّيْنَ لبِلادِهِم، فَكَانُوا جُزْءًا مِنْ جَيْشِ اللِّنْبي، وقطِيْعًا وَرَاءَ «لُوْرَانْس». انْظُرْ: «القُدْسَ» لشَيْخِنَا سفَرٍ الحَوَاليِّ (٤٠).

وفي الجَانِبِ الآخَرِ؛ أَعْلَنَ الفِلِسْطِيْنِيُّوْنَ المُسْلِمُوْنَ اسْتِنْكَارَهُم لِقَرَارِ التَّقْسِيْمِ الجَائِرِ، وقَاوَمُوا العِصَابَاتِ اليَهُوْدِيَّةَ بِكُلِّ طَاقَتِهِم، واسْتَطَاعُوا أَنْ يُحقِّقُوا انْتِصَارَاتٍ عَدِيْدَةً في إِيْقَافِ زَحْفِ العِصَاباتِ المُدَجَّجَةِ بالسَّلاحِ؛ غَيْرَ أَنَّ قُوَّاتِ الجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ الَّتِي هَبَّتْ لِمُسَاعَدَتِهِم (بَعْدَ السَّابِعِ مِنْ رَجَبٍ في نَفْسِ العَامِ ١٣٦٧) اشْتَرَطَتْ تَجْرِيْدَ المُجَاهِدِيْنَ المُسْلِمِيْنَ مِنَ السِّلاحِ، هَذَا **أَوَّلاً!**

ثُمَّ ثَانِيًا: اشْتَرَطَتْ أَيْضًا إِبْعَادَهُم عَنْ كَافَّةِ الجبَهَاتِ؛ حَتَّى تَتَمَكَّنَ القُوَّاتُ النِّظَامِيَّةُ مِنْ خَوْضِ المَعَارِكِ المَزْعُوْمَةِ، فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ!

لَكِنَّ هَذِهِ القُوَّاتِ النِّظَامِيَّةَ هُزِمَتْ على جَمِيْعِ الجَبَهَاتِ، وتَرَاجَعَتْ عَنِ الأَرَاضِي الَّتِي اسْتَطَاعَ المُجَاهِدُوْنَ المُسْلِمُوْنَ الدِّفَاعَ عَنْهَا، واضْطَرَّتِ الدُّوَلُ الَّتِي مَثَّلَتْهَا هَذِهِ القُوَّاتُ إلى عَقْدِ مُعَاهَدَاتِ هُدْنَةٍ مَعَ اليَهُوْدِ عُرِفَتْ بِمُعَاهَدَاتِ: «وَقْفِ إِطْلاقِ النَّارِ» لِعَامِ (١٣٦٨)، فاللهُ المُسْتَعَانُ!

* * *

كَمَا سَيْطَرَ اليَهُوْدُ نَتِيْجَةَ أَحْدَاثِ (١٣٦٧ ـ ١٣٦٨) على (٣١٧٥كم٢)، مِنْ أَمْلاكِ اللَّاجِئِيْنَ المُسْلِمِيْنَ، ولِكَي تُضْفِي دَوْلَةُ اليَهُوْدِ الجَدِيْدَةُ المُزَيَّفَةُ على هَذَا الاسْتِيْلاءِ مُلْكَهَا، سَنَّتْ قَانُونَ أَمْلاكِ الغَائِبِيْنَ، وقَانُونَ نَقْلِ الأَمْوَالِ إلى سُلْطَةِ التَّعْمِيْرِ والإِنْشَاءِ لِعَامِ (١٣٦٩م).

وفي عَام (١٣٦٧م) أيْضًا، اسْتَوْلَتْ يَهُوْدُ على بَاقِي أرَاضِي فِلِسْطِيْنَ، وطَبَّقَتْ نَفْسَ القَوَانِيْنِ والإجْرَاءَاتِ والأسَالِيْبِ على أرَاضِي الضِّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ، وقِطَاعِ غَزَّةَ؛ بَلِ ابْتَدَعَتْ قَوَانِيْنَ أُخْرَى تُمَكِّنُها مِنْ سُرْعَةِ تَجْرِيْدِ المُسْلِمِيْنَ مِنْ أرَاضِيْهِم؛ تَحْتَ مُسَمَّى: «الأسَالِيْبُ الأمْنِيَّةُ».

ووَضَعَتِ السُلُطَاتُ اليَهُوْدِيَّةُ يَدَهَا على (٣٣٪) مِنْ مَسَاحَةِ الضِّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ، وقِطَاعِ غَزَّةَ؛ حَتَّى عَامَ (١٤٠٩)، وأغْلَقَتْ نَحْوَ (١٧٪) مِنَ المَسَاحَةِ لأسْبَابٍ أمْنِيَّةٍ مَزْعُوْمَةٍ!

وقَدِ اعْتَمَدَتِ الحَرَكَةُ الصِّهْيُوْنِيَّةُ اليَهُوْدِيَّةُ سَيَاسَةَ بِنَاءِ المُسْتَوْطَنَاتِ في الأرَاضِي الَّتِي يتمُّ الاسْتِيْلاءُ عَلَيْها؛ لإيْجَادِ مَأْوَى وعَمَلٍ لليَهُوْدِ المُهَاجِرِيْنَ النَّازِحِيْنَ مِنْ أكْثَرِ بِلادِ العَالمِ!

* * *

تَنْبِيْهٌ: وحَتَّى يَتَمَكَّنَ اليَهُوْدُ مِنْ تَنْفِيْذِ مُخَطَّطَاتِ تَهْوِيْدِ أرَاضِي فِلِسْطِيْنَ، حَافَظُوا على حَالَةِ العَدَاءِ مَعَ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ المُحِيْطَةِ المُجَاوِرَةِ، مُسْتَغِلِّيْنَ غَضْبَةَ المُسْلِمِيْنَ في فِلِسْطِيْنَ، وقِيَامَ أفْرَادٍ مِنْهُم بِبَعْضِ أعْمَالِ المُقَاوَمَةِ والجِهَادِ، أو إدْلاءَ بَعْضِهِم بِتَصْرِيْحَاتٍ تَنُمُّ عَنِ الإحْبَاطِ واليَأسِ، أو دَعْوَةَ بَعْضِهِم لِتَشْكِيْلِ المُنَظَّمَاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ!

ثُمَّ قَامَتْ أيْضًا بِتَشْكِيْلِ مُنَظَّمَةِ التَّحْرِيْرِ! ذَرِيْعَةً لِتَنْفِيْذِ سِيَاسَةِ الاعْتِدَاءِ على الأرَاضِي المُسْلِمَةِ في جَمِيْعِ جَبَهَاتِ خُطُوطِ الهُدْنَةِ، أو شَنِّ حُرُوْبٍ شَامِلَةٍ دَوْرِيَّةٍ كُلَّ عَشَرَ سَنَوَاتٍ تَقْرِيبًا!

يُوَضِّحُهُ؛ أنَّ الحُرُوْبَ حَدَثَتْ في أعْوَامِ (١٣٦٧ ـ ١٣٦٨)، و(١٣٧٥)، و(١٣٨٦)، و(١٣٩٣)، و(١٤٠٢)، وقَدْ كَانَ اليَهُوْدُ يُحَقِّقُون أهَدَافَهُمُ التَّوْسُّعِيَّةَ في كُلٍّ مِنْ هَذِهِ الحُرُوْبِ، وفي كُلِّ حَرْبٍ أيْضًا كَانَ اليَهُودُ يُؤَكِّدُوْنَ على تَشَبُّثِهِم بالأَرَاضِي المُحْتَلَّةِ في الحُرُوبِ السَّابِقَةِ، وذَلِكَ بِسَبَبِ تَوَقُّفِ المُسْلِمِيْنَ في فِلِسْطِيْنَ وخَارِجِهَا عَنِ المُطَالَبَةِ بِتِلْكَ الأرَاضِي، والتَّفَرُّغِ لِلْمُطالَبَةِ بالأرَاضِي المُحْتَلَّةِ في الحُرُوبِ اللَّاحِقَةِ.

ومِنْ هُنَا، فَإنَّ الدَّوْلَةَ اليَهُوْدِيَّةَ الَّتِي نَشَأتْ بِقَرَارٍ مِنَ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ، هِيَ الوَحِيْدَةُ في العَالَمِ الَّتِي دَأبَتْ وبإصْرَارٍ على التَّمَلُّصِ مِنْ قَرَارَاتِ مَجْلِسِ الأمْنِ، والمُنَظَّمَاتِ الدُّوَلِيَّةِ، مُسْتَنِدَةً في ذَلِكَ على التَّأيِيْدِ، الدَّعْمِ لمَشَارِيعِهَا العُدْوَانِيَّةِ مِنْ قِبَلِ الولايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأمْرِيْكِيَّةِ، وسَائِرِ الدُّوَلِ الغَرْبِيَّةِ.

* * *

ومُنْذُ أنْ قَادَ حِزْبُ العُمَّالِ «مَابَايْ» حُكُوْمَةَ اليَهُوْدِ مِنْ تَارِيْخِ تَأسِيْسِهَا؛ حتَّى عَامَ (١٣٩٧)، وهُوَ يَسْعَى حَثِيْثًا في إقَامَةِ دَوْلَةِ يَهُوْدَ في المَنْطِقَةِ بِكُلِّ أنْوَاعِ الطُّرُقِ الوَحْشِيَّةِ، والعُدْوَانِيَّةِ، وهَكَذا؛ حَتَّى أسْفَرَتِ الانْتِخَاباتُ البَرْلَمانِيَّةُ الَّتِي حوَّلَتِ القِيَادَةَ اليَهُوْدِيَّةَ إلى تَجَمُّعِ: «اللِّيْكُودِ» بِزَعَامَةِ «بيْجِين»، وهُوَ إرْهَابِيٌّ مُسَجَّلٌ في قَائِمَةِ الإرْهَابِيِّيْنَ المَطْلُوْبِيْنَ لِحُكُومَةِ الانْتِدَابِ، وكَانَ يَتَرَأسُ إحْدَى العِصَاباتِ الإرْهَابِيَّةِ في فِلِسْطِيْنَ قَبْلَ قَرَارِ التَّقْسِيْمِ.

وفي عَهْدِهِ أجْرَى الرَّئِيْسُ المِصْرِيُّ: مُحَمَّد أنْوَر السَّادَاتُ؛ مُبَاحَثَاتٍ مَعَهُ بِحُضُوْرِ الرَّئِيسِ الأمْرِيكِيِّ «كَارْتَرْ» في «كَامْب دِيْفِيْد»، وذَلِك في أعْقَابِ الزِّيارَةِ المُفَاجِئَةِ الَّتِي قَام بها السَّادَاتُ لِبَيْتِ المَقْدِسِ، لِبَحْثِ قَضِيَّتِيْ: المَسْألَةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ، والجَلاءِ عَنْ سَيْنَاءَ.

وقَدْ أسْفَرَتِ المُبَاحَثَاتُ الَّتِي أُجْرِيَت في عَامِ (١٣٩٩) عَنْ فَشَلِهَا في حَلِّ المَسْألَةِ الأوْلى، وعَنْ عَقْدِ مُعاهَدَةِ سَلامٍ دَائِمٍ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ: المِصْرِيِّ واليَهُوْدِيِّ في ظِلِّ وُجُوْدِ قُوَّاتٍ دُوَلِيَّةٍ، كَمَا سَيأتي بَيَانُهُ إنْ شَاءَ اللهُ.

* * *

☐ وهَذِهِ بَعْضُ صُوَرِ اتِّفَاقَاتِ «كَامْب دِيْفِيْد» باخْتِصَارٍ:

لَقَدِ اجْتَمَعَ الرَّئِيْسُ محمَّد أنور السَّادَاتُ رَئِيْسُ جَمْهُوْرِيَّةِ مِصْرَ العَرَبِيَّةِ، و«مِنَاحِيْم بِيْجن» رئِيْسُ وُزَرَاءِ إسْرَائِيْلَ مَعَ «جِيْمِي كَارْتَرْ» رَئِيسِ الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأمْرِيكِيَّةِ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا في «كَامْب دِيْفِيد» وذَلِك عَامَ (١٣٩٩)، وبالتَّحْدِيْدِ مِنْ (٥ إلى ١٧ سِبْتَمْبَر ١٩٧٨م)، واتَّفَقُوا على الإطَارِ التَّالي للسَّلامِ في الشَّرْقِ الأوْسَطِ، وهُم يَدْعُوْنَ أطْرَافَ النِّزَاعِ العَرَبيِّ ـ الإسْرَائِيْليِّ ـ الأُخْرَى إلى الانْضِمَامِ إلَيْهِ»، في حِيْنَ أنَّ هَذَا الاتِّفَاقَ: هُوَ قَرَارُ مَجْلِسِ الأمْنِ الدُّولي، رَقَمُ (٢٤٢) بِجَمِيْعِ أجْزَائِهِ، وسَيُرْفَقُ القَرَارَانِ رَقْمُ (٢٤٢)، ورَقْمُ (٢٣٨) بهَذِهِ الوَثِيْقَةِ.

إنَّ هَذَا الإجْتَماعَ الَّذِي عُقِدَ في «كَامْب دِيْفِيد»: هُوَ في حَقِيْقَتِهِ تَسْوِيَةٌ للسَّلامِ، ورَفْعٌ للنِّزَاعِ الَّذِي بَيْنَ اليَهُوْدِ وجِيْرَانِهَا مِنَ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ، كَمَا أنَّهُ وَثِيْقَةٌ للاعْتِرَافِ بدَوْلَةِ اليَهُوْدِ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، وتَطْبِيْعٌ مَعَ بَاقِي الدُّوَلِ المُجَاوِرَةِ، في غَيْرِهَا مِنَ المَخَاطِرِ الكَبِيْرَةِ الَّتِي كَانَتْ مَحلًّا للخِلافِ بَيْنَ أكْثَرِ الدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ، والرَّئِيْسِ المِصْرِيِّ آنَذَاكَ، بَلْ كَانَتْ محلًّا للنِّقَاشِ والرَّدِّ والاسْتِنْكَارِ مِنْ عَامَّةِ المُسْلِمِيْنَ حُكَّامًا ومَحكُوْمِيْنَ، الأمْرُ الَّذِي أشْغَلَ أهْلَ العِلْمِ في ذِكْرِ أبْعَادِ وأخْطَارِ هَذِهِ المُبَادَرَةِ الَّتِي جَنَحَ إلَيْهَا الرِّئِيْسُ المِصْرِيُّ، آنَذَاكَ!

فالحَقُّ الَّذِي كَانَ المُسلِمُوْنَ يُدَافِعُوْنَ عَنْهُ، ويُنَافِحُوْنَ مِنْ أجْلِهِ ذَهَبَ أدْرَاجَ الرِّيَاحِ، وأصْبَحَ أثرًا بَعْدَ عَيْنٍ، وذَلِكَ بِما كَسِبَتْهُ أيْدِي السَّادَاتِ المِصْرِيِّ، ولَيْسَ المَقَامُ هُنَا مَحلًّا لبَسْطِ الأخْطَارِ والأضْرَارِ الَّتِي تَرَتَّبَتْ على اتِّفَاقِ «كَامْب دِيْفِيْد»، في حَقِّ المُسْلِمِيْنَ في فِلِسْطِيْنَ، وفي بَيْتِ المَقْدِسِ، فَاللهُ المُسْتَعَانُ.

ومَهْما يَكُنْ؛ فالحَقُّ لَهُ رِجَالٌ، والطَّائِفَةُ المَنْصُوْرَةُ لم تَزَلْ بَاقِيَةً إلى قِيَامِ السَّاعَةِ، والحَقُّ مُنْتَصِرٌ، ولَو بَعْدَ حِيْنٍ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المُجَادِلَةُ: ٢١].

وقَالَ تَعَالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾ [غَافِرُ: ٥١].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ

تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾﴾ [النِّسَاءُ: ١٢٢].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾﴾ [النِّسَاءُ: ٨٧].

* * *

❐ تَخَاذُلٌ مَكْشُوْفٌ:

وفي يَوْمِ (٧/ ٧/ ١٣٦٧)؛ أيْ: بالضَّبْطِ في السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ وخَمْسَةٍ وأرْبَعِيْنَ دَقِيْقَةً مِنْ يَوْمِ (مَايُو آيار ١٩٤٨م)، بَيْنَما كَانَ أبْنَاءُ مِصْرَ، وفِلِسْطِيْنَ، والبُلْدَانِ العَرَبِيَّةِ مِنَ الجُنُوْدِ البَوَاسِلِ والمُتَطَوِّعِيْنَ يُقَاتِلُوْنَ اليَهُوْدَ ويَخُوْضُوْنَ مَيْدَانَ المَعْرَكَةِ، كَانَتِ الإذَاعَةُ المِصْرِيَّةُ تُذِيْعُ وَصْفًا لمُبَارَاةِ كُرَةِ القَدَمِ بَيْنَ فَرِيْقِ مِصْرَ والفَرِيْقِ المَجَرِيِّ على أرْضِ ثَكَنَاتِ مُصْطَفَى بَاشَا بالإسْكِنْدِرِيَّةِ، وفي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ وخَمْسَةٍ وأرْبَعِيْنَ دَقِيْقَةً، كَانَتْ تُذِيْعُ عَدِيْدًا مِنْ أغَانِي الحُبِّ والغَرَامِ في بَرْنَامِجِ مَا يَطْلُبُهُ المُسْتَمِعُوْنَ!

ولم يَخْتَلِفِ الوَضْعُ في دِمِشْقَ، وبَغْدَادَ، وبَيْرُوْتَ عَنِ الوَضْعِ في القَاهِرَةِ؛ حَيْثُ كَانَتْ جَمَاعَاتٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ تَتَحَدَّثُ عَنْ زَحْفٍ عَسْكَرِيٍّ على أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، وجُمُوْعٌ غَفِيْرَةٌ تَؤمُّ دُوْرَ السِّيْنَما، والمَسَارِحِ، ومَلاعِبِ الكُرَةِ، وأنْدِيَةِ القِمَارِ في اطْمِئْنَانٍ، كَأنَّ الأمْرَ لا يَعْنِيْهَا ولا يُشْغِلُهَا؛ فَبَيْنَما الأبْطَالُ الفِلِسْطِيْنِيُّوْنَ يَترَنَّحُوْنَ تَحتَ سِلاحِ

الصِّهْيُوْنِيَّةِ المُسْتَوْرَدِ بعَوْنِ أمْرِيْكا، وبرِيْطَانِيَا، ودُوَلِ أوْرُوبَّا كُلِّهَا، كَانَ جَانِبٌ آخَرُ مِنَ الأمَّةِ يُمَثِّلُ عَدَمَ المُبَالاةِ، والبُعْدَ عَنْ مُسْتَوَى المَعْرَكَةِ وجِدِّيَّتِها، انْظُرْ: «الطَّرِيْقَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ» (٣٠٠).

* * *

وفي أوَّلِ مَطْلَعِ سَنَةَ (١/ ١/ ١٤٣٠)، وبَيْنَا أنَا أكْتُبُ هَذِهِ المَآسِي النَّازِلَةَ بإخْوَانِنَا في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ؛ إذْ بالحَرْبِ الفَاجِعَةِ تُطَالِعُنَا على أهْلِنَا في قِطَاعِ غَزَّةَ على أيْدِي اليَهُوْدِ، وأعْوانِهِم مَنَ الصَّلِيْبِيِّنَ، وبَيْنَما نَحْنُ نَعِيْشُ هَذِهِ الأوْضَاعَ المأسَاوِيَّةَ؛ إذْ بدُوَلِ الخَلِيْجِ العَرَبيِّ تُقِيْمُ دَوْرِيًّا رِيَاضِيًّا في دَوْلَةِ عُمَانَ: أيْ في الوَقْتِ الَّذِي تَنْهَالُ فِيْهِ القَنَابِلُ الفِسْفُوْرِيَّةُ، والتَّرَدُّدِيَّةُ على أهْلِنَا المُسْلِمِيْنَ في غَزَّةَ!

ومِنْ بَقَايَا الخُذْلانِ، ومَمَاسِخِ الفِكْرِ؛ أنَّ بَعْضَ المَسْؤولِيْنَ الرِّيَاضِيِّيْنَ، والمُشَارِكِيْنَ في هَذَا الدَّوْرِي الرِّيَاضِي، لَمَّا سُئِلَ عَنْ قِيَامِ هَذَا الدَّوْرِي في عُمَانَ، وعَنْ مُشَارَكَةِ فَرِيْقِهِ في الوَقْتِ الَّذِي تَقُوْمُ فِيْهِ اليَهُوْدُ بحَرْبٍ شَرِسَةٍ ضِدَّ إخْوَانِنَا العُزَّلِ في قِطَاعِ غَزَّةَ؟ قَالَ هَذَا المَسْكِيْنُ: كُلُّ هَذَا تَضَامُنًا مِنَّا مَعَ إخْوَانِنَا في غَزَّةَ، كَيْ تَعْلَمَ اليَهُوْدُ أنَّها بحَرْبِها الشَّرِسَةِ هَذِهِ لَنْ تُثْنِيْنَا عَنْ عَزِيْمَتِنَا في إتْمَامِ هَذَا الدَّوْرِيِّ، ولَنْ تَزِيْدَنَا هَذِهِ الحَرْبُ إلَّا إقْدَامًا، فاللهُ المُسْتَعَانُ!

* * *

نَعَم؛ لَم تَتَوَقَّفْ دَوْلَةُ الاحْتِلالِ، مُنْذُ وُجِدَتْ على الأرَاضِي

الفِلَسْطِيْنِيَّةِ عَنْ مُهَاجَمَةِ حُدُوْدِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ المُحِيْطَةِ بِها، وذَلِكَ بِحُجَّةِ إبْعَادِ المُجَاهِدِيْنَ الاسْتِشْهَادِيِّيْنَ الفِلَسْطِيْنِيِّيْنَ عَنْهَا.

ففِي (شَعْبَانَ/ ١٤٠٢) اجْتَاحَتِ القُوَّاتُ اليَهُوْدِيَّةُ الجَنُوْبَ اللِّبْنَانِيَّ؛ بِحُجَّةِ الانْتِقَامِ مِنَ المُقَاوَمَةِ الجِهَادِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ، والرَّدِّ على هَجَماتِها على شَمَالَيْ فِلِسْطِيْنَ المُحْتَلَّةِ.

لِذَا لم تَتَوَقَّفِ اليَهُوْدُ عَنْ ضَرْبِ لِبْنَانَ؛ إلَّا بَعْدَ تَجْرِيْدِ الفِلَسْطِيْنِيِّيْنَ مِنْ أسْلِحَتِهِم، وطَرْدِهِم مِنْ كُلِّ لِبْنَانَ.

ومَعَ ذَلِكَ سَحَبَ اليَهُوْدُ قُوَّاتِهِم مِنْ أَوَاسِطِ لِبْنَانَ فَقط، واحْتَفَظُوا بَشَرِيْطٍ أمْنِيٍّ على طُوْلِ الحُدُوْدِ الجَنُوْبِيَّةِ والشَّرْقِيَّةِ لِلبْنَانَ؛ إلَّا أنَّهُم انْسَحبُوا مِنْهُ أخِيْرًا، في حِيْنِ أنَّها أبْقَتْ في حَوْزَتِهِم «مَزَارِعَ شُبْعَا»!

وفي (مُحَرَّم/ ١٤٠٤)، تَخَلَّى «بِيْجِيْنَ» عَنْ رِئَاسَةِ الوُزَرَاءِ لـ«إسْحَاقَ شَامِيْر» الَّذِي تَرَأسَ بَعْدَهُ كُتْلَةَ «اللِّيْكُوْد»!

ومِنَ المَعْرُوْفِ أنَّ «شَامِيْر» إرْهَابِيٌّ آخَرُ؛ كَانَ مَطْلُوبًا مِنْ قِبَلِ الحُكُوْمَةِ البِرِيْطَانِيَّةِ أيْضًا؛ لِقِيَامِهِ بأعْمَالٍ إرْهَابِيَّةٍ، وقَدْ كَانَ زَعِيْمًا لإحْدَى المُنَظَّمَاتِ الإرْهَابِيَّةِ، وفي الفَتْرَةِ (٥ ـ ١٤٠٩) شَارَكَ حِزْبُ العَمَلِ، وكُتْلَةُ «اللِّيْكُوْد» في الحُكْمِ مَعًا بِسَبَبِ عَدَمِ اسْتِطَاعَةِ أيٍّ مِنَ الكُتْلَتَيْنِ السَّيْطَرَةَ على أغْلَبِيَّةِ أصْوَاتِ مَجْلِسِ النُّوَّابِ، وبِقَصْدِ التَّعَاوُنِ لِلتَّغَلُّبِ على التَّضَخُّمِ الَّذِي ارْتَفَعَ بِنِسْبَةِ (٤٠٠٪) عَامَ (١٤٠٥).

* * *

وحِيْنَما وَصَلَ المُسْلِمُوْنَ في فِلِسْطِيْنَ تَحت هَذَا الاحْتِلالِ: دَرَجَةً بالِغَةً مِنَ الإحْبَاطِ واليَأسِ مِنْ جَرَّاءِ الإرْهَابِ الفَرْدِيِّ والدُّوَلِيِّ المُنَظَّمِ، والمَدْعُوْمِ مِنَ الدُّوَلِ الكُبْرَى المُسَيْطِرَةِ على الأمَمِ المُتَّحِدَةِ، ومَجْلِسِ الأمْنِ أكْثَرَ مِنْ نِصْفِ قَرْنٍ، ومِنْ جَرَّاءِ الاضْطِهَادِ أيْضًا، والتَّآمُرِ مِنَ الدَّاخِلِ والخَارِجِ؛ انْدَلَعَتِ انْتِفَاضَةٌ جِهَادِيَّةٌ عَامَّةٌ، بَدَأتْ في (١٦/ ٤/ ١٤٠٨)؛ حَيْثُ وَاجَهَ الشَّبَابُ والأطْفَالُ فِيْهَا العَدُوَّ اليَهُوْدِيَّ المُدَجَّجَ بأحْدَثِ الأسْلِحَةِ، وهُم مُجَرَّدُوْنَ مِنْ أيِّ سِلاحٍ؛ إلَّا من إيْمَانِهِم باللهِ تَعَالى؛ غَيْرَ عَابِئِيْنَ بالنَّتَائِجِ الَّتِي يُمْكِنُ أن تُسْفِرَ عَنْهَا هَذِهِ المُجَابَهَةُ الحَتْمِيَّةُ: وهِيَ القَتْلُ، أو الجِرَاحَاتُ، أو الاعْتِقَالاتُ، أو التَّعْذِيْبُ، أو هَدْمُ البُيُوْتِ، أو الطَّرْدُ مِنَ الوَظَائِفِ، أو الإبْعَادُ مِنَ البِلادِ... ومِنْ هُنَا أُطْلِقَ على هَذِهِ الانْتِفَاضَةِ الجِهَادِيَّةِ: مُصْطَلَحُ أطْفَالِ الحِجَارَةِ!

وهِيَ في حَقِيْقَتِهَا: حَرَكَةٌ شَعْبِيَّةٌ جِهَادِيَّةٌ قَدْ تَبَنَّتْهَا حَرَكَةُ المُقَاوَمَةِ الإسْلامِيَّةِ الَّتِي أُطْلِقَ عَلَيْهَا اسْمُ: «حَمَاس»، والَّتِي يَتَرأسُهَا الشَّيْخُ المُجَاهِدُ الشَّهِيْدُ (ولا نُزَكِّيْهِ على اللهِ): أحْمَدُ يَاسِيْن رَحِمَهُ اللهُ تعَالى (١٣٥٦ ـ ١٤٢٥).

* * *

وبَيْنَما الأحْدَاثُ تَتَكَشَّفُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ؛ إذْ كُشِفَ النِّقَابُ عَنْ إجْرَاءِ مُفَاوَضَاتٍ سِرِيَّةٍ بَيْنَ وَفْدٍ يَهُوْدِيٍّ، وآخَرَ مِنْ مُنَظَّمَةِ التَّحْرِيْرِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ الَّتِي يَتَرأسُهَا: يَاسِرُ عَرَفَاتُ، بِوَسَاطَةِ الحُكُوْمَةِ النَّرْوِيْجِيَّةِ،

وقَدْ أسْفَرَتْ هَذِهِ المُفَاوَضَاتُ عَنْ إعْلانِ اعْتِرَافٍ مُتَبَادَلٍ بَيْنَ المُنَظَّمَةِ، والدَّوْلَةِ اليَهُوْدِيَّةِ في يَوْمَي (٢٣ ـ ٢٤/ ٣/ ١٤١٤).

وتَمَّ التَّوْقِيْعُ على اتِّفَاقِيَّةِ الحُكْمِ الذَّاتِيِّ المَحْدُوْدِ على قِطَاعِ «غَزَّةَ»، و«أرِيْحَا» بِوَصْفِهَا خُطْوَةً أُوْلَى، وذَلِكَ في احْتِفَالٍ كَبِيْرٍ في حَدِيْقَةِ البَيْتِ الأبْيَضِ ـ بَيْتِ العَنْكَبُوْتِ الأسْوَدِ ـ بِوَاشُنْطُنْ بِتَارِيْخِ (٢٧/ ٣/ ١٤١٤)، وذَلِكَ بِحُضُوْرِ وَزِيْرَيْ خَارِجِيَّةِ كُلٍّ مِنَ الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأمْرِيكِيَّةِ، ورُوْسيَا الاتِّحَادِيَّةِ، وفي الرَّابِعِ مِنْ (ذِي القِعْدَةِ ١٤١٤) في القَاهِرَةِ وَقَّعَ أيْضًا الرَّئِيْسُ الفِلِسْطِيْنِيُّ: يَاسِرُ عَرَفَاتُ، وإسْحَاقُ رَابِيْنَ رَئِيْسُ وُزَرَاءِ الحُكُوْمَةِ اليَهُوْدِيَّةِ: اتِّفَاقِيَّةَ قِيَامِ الحُكْمِ الذَّاتِيِّ في «غَزَّةَ»، و«أرِيْحَا»، وفي (مُحَرَّم ١٤١٥)، وَصَلَ يَاسِرُ عَرَفَاتُ إلى «غَزَّةَ»؛ لِيُدِيْرَ سُلْطَةَ الحُكْمِ الذَّاتِيِّ الفِلِسْطِيْنِيِّ!

قُلْتُ: مِمَّا لا شَكَّ فِيْهِ أنَّ هَذَا الاتِّفَاقَ ـ الَّذِي بُيِّتَ بلَيْلٍ ـ لم يَكُنْ في حَقِيْقَتِهِ تَنَازُلاً عَنْ حَقٍّ للفِلِسْطِيْنِيِّنَ، كَمَا ظَنَّهُ يَاسِر عَرَفَات وغَيْرُهُ، بَلْ يُعْتَبَرُ تَفْسِيرًا لِنُبوءَاتِ التَّوْرَاةِ المَزْعُوْمَةِ عِنْدَهُم؛ حَيْثُ بَاتَ عِنْدَ اليَهُوْدِ في التَّوْرَاةِ: أنَّ «غَزَّةَ»، و«أرِيْحَا» مِنَ المُدُنِ المَغْضُوْبِ عَلَيْهَا، فحِيْنَئِذٍ لا إشْكَالَ عِنْدَ القَادَةِ اليَهُوْدِ مِنْ اسْتِرْجَاعِهِما، والتَّنَازُلِ عَنْهُما!

* * *

وهَكَذَا أدَارَ القَائِدُ عَرَفَاتُ سُلْطَتَهُ الوَهْمِيَّةَ، وبَيْنَما هُوَ يَزْهُو على عَرْشِ سُلْطَتِهِ، ويُلَوِّحُ بِيَدَيْهِ لأتْبَاعِهِ؛ إذْ بالقَذَائِفِ المُرْوَحِيَّةِ

اليَهُوْدِيَّةِ الَّتي لا تُبْقِي ولا تَذَرُ: تَتَسَاقَطُ على سُلْطَتِهِ الوَهْمِيَّةِ المَزْعُوْمَةِ بَيْنَ عَشِيَّةٍ وضُحَاهَا؛ وذَلِكَ في (رَجَبِ ١٤٢١)(١)!

وبَعْدَ مَقْتَلِ يَاسِر عَرَفَات، جَاءَ دَوْرُ عَمَلِيَّةِ «تَلْمِيع» الشَّرِيْكِ الجَدِيْدِ أبي مَازِنٍ مَحْمُوْد عَبَّاسٍ لِيَكُوْنَ مُؤهَّلاً لعَقْدِ اتِّفَاقِيَّاتِ السَّلام، وعَنْدَمَا تَأهَّبَ أبو مَازِنٍ وتَأهَّلَ بَدَأَتْ عَمَلِيَّةُ تَكْسِيرِ عِظَامِ الشَّرِيْكِ الجَدِيْدِ وإهْمَالِهِ وتَحْوِيْلِهِ إلى مُوظَّفِ عُمُوْم، لِيَقُوْلَ بَعْدَهَا الإسْرَائِيْلِيُّوْنَ في النِّهَايَةِ: «لم يَكُنْ أبو مَازِنٍ الَّذِي يُمَثِّلُ فَصِيْلاً فِلِسْطِيْنِيًّا وَاحِدًا... وهُوَ غَيْرُ قَادِرٍ على تَقْدِيْم أيِّ شَيءٍ، فَلِمَاذَا يَتِمُّ التَّبَاحُثُ مَعهُ؟ ولِمَاذَا المُفَاوَضَةُ والتَّخَلي والالْتِزَامُ؟ في حِيْنِ أنَّهُ مِنَ الوَاضِحِ أنَّهُ لا يُوْجَدُ طَرَفٌ ثَانٍ تُسَاوِي كَلِمَتُهُ شَيْئًا».

قَبْلَ مُؤتَمَرِ «أنَابُولِس» اجْتَمَعَ ثَلاثَةٌ مِنْ قَادَةِ الجَيْشِ والاسْتِخْبَارَاتِ للكَيَانِ اليَهُوْدِيِّ: رَئِيْسُ جِهَازِ الأمْنِ العَام «الشَّابَاك» يُوْفَال دِيسكِين، ورَئِيْسُ شُعْبَةِ الاسْتِخْبَارَاتِ العَسْكَرِيَّةِ عَامُوْس يَدْلِيْن، بالإضَافَةِ إلى رَئِيْسِ الأرْكَانَ غَابي أشْكنَازِي، واتَّفَقُوا على أنَّ مَحْمُوْد

---

(١) انْظُرْ: بَعْضَ تَفَاصِيلِ هَذِهِ المُؤامَرَاتِ التَّارِيخِيَّةِ ضِدَّ بَيْتِ المَقْدِسِ، وأرْضِ فِلِسْطِيْنَ، ابْتِدَاءً بالاحْتِلالِ البِرِيْطَانيِّ، وانْتِهاءً بقِيَامِ دَوْلَةِ يَهُوْد المُحْتَلَّةِ الغَاصِبَةِ إلى الآنَ: «جِهَادَ شَعْبِ فِلِسْطِيْنَ» لصَالِحِ مَسْعُوْدٍ أبي بَصِيْرٍ، وهُوَ مِنْ أوْسَعِهَا وأنْفَعِهَا، و«الطَّرِيْقَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ» لِجَمَالِ مَسْعُوْدٍ، ووَفَاءِ جُمْعَةَ، و«المَوْسُوْعَةَ العَرَبِيَّةَ العَالمِيَّةَ» (١٧/ ٤٣٦)، و«وَاقُدْسَاهُ» لسَيِّدٍ العَفَّانيِّ، وغَيْرَهَا مِنَ الكُتُبِ الكَثِيْرَةِ الَّتي اعْتَنَتْ بِهَذَا الشَّأنِ.

عَبَّاس: «ضَعِيْفٌ، ولَيْسَ نَاضِجًا بَعْدُ! لتَطْبِيْقِ اتِّفَاقِ سَلامٍ مَعَ إسْرَائِيْلَ، وقُدْرَتُه على التَّنْفِيْذِ مَعْدُوْمَةٌ»!

وقَدَّمَ الثَّلاثَةُ تَوْصِيَةً إلى الحَكُوْمَةِ الإسْرَائِيْلِيَّةِ: أنْ تُدِيْرَ المُفَاوَضَاتِ على التَّسْوِيَةِ الدَّائِمَةِ، على ألَّا يَتَجَاوَزَ المُفَاوِضُوْنَ مُسْتَوَى «اتِّفَاقِ أدْرَاجٍ» يُؤجَّلُ تَطْبِيْقُهُ لسَنَوَاتٍ، إلى أنْ تُثْبِتَ السُّلْطَةُ الفِلَسْطِيْنِيَّةُ أنَّهَا شَرِيْكٌ في عَمَلِيَّةِ سَلامٍ».

لَقَدْ كَانَ تَأسِيْسُ نِظَامِ الحُكْمِ الذَّاتي على غَزَّةَ والضِّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ بمَنْزِلَةِ تَحَوُّلٍ في شَكْلِ السَّيْطَرَةِ الإسْرَائِيْلِيَّةِ، ولَيْسَ غِيَابًا لهَا، وبَقِيَتِ القَرَارَاتُ الحَيَوِيَّةُ، والمَسَائِلُ المُتَعَلِّقَةُ للسِّيَادَةِ: مِنْ حَقِّ الكَيَانِ الصِّهْيُوني اليَهُودِي وَحْدَهُ.

مِثْلَ: النِّظَامِ الجُمْرُكِي، والنِّظَامِ المَصْرَفي، وعَمَلِيَّاتِ الاتِّصَالاتِ، والتَّصْدِيْرِ والاسْتِيْرَادِ، والسَّيْطَرَةِ الجَوِّيَّةِ والبَحْرِيَّةِ والبَرِّيَّةِ (الحُدُوْدِيَّةِ)، وإدَارَةِ المِيَاهِ، والإمْدَادِ بالكَهْرَبَاءِ، وتَقْنِيْنِ نَوْعِيَّاتِ السِّلاحِ، وكِمِّيَاتِهِ المُسْتَخْدَمَةِ مِنْ قِبَلِ الأجْهِزَةِ الأمْنِيَّةِ، وبَقَاءِ الحَوَاجِزِ في مُعْظَمِ مَنَاطِقِ الضِّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ، والَّتِي يَتَجَاوَزُ عَدَدُهَا سِتَّمائَةِ حَاجِزٍ مَوْجُوْدَةٍ حَتَّى الآنَ، ويَخْضَعُ لهَا حَتَّى مَسْؤوْلُو السُّلْطَةِ... إلخ.

وأغْلَبُ هَذِهِ القُيُوْدِ يُفْتَرَضُ أنْ تَسْتَمِرَّ حَتَّى بَعْدَ تَأسِيْسِ الدَّوْلَةِ «المَزْعُوْمَةِ» الَّتِي سَوْفَ تَكُوْنُ نَاقِصَةَ السِّيَادَةِ ومَنْزُوْعَةَ السِّلاحِ،

ومُعْتَمِدَةً بشَكْلٍ كُلِّيٍّ في اقْتِصَادِهَا على الاقْتِصَادِ «الإسْرَائِيْلي، بَلْ إنَّه مُنْذُ الآنَ يَتَشَدَّدُ قَادَةُ الكَيَانِ اليَهُودِي في تَمَسُّكِهِم بمَكَاتِبِ الاسْتِخْبَارَاتِ الَّتِي أنْشَؤوْهَا دَاخِلَ الضِّفَّةِ في كُلِّ مَكَانٍ، ويُصِرُّوْنَ على بَقَائِهَا حَتَّى بَعْدَ إعْلانِ الدَّوْلَةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ». انْظُرْ: «مَوْقِعَ تقْرِيْر وَاشُنْطُن»، و«لمَاذَا يَكْرَهُوْنَ حَمَاس» لأحْمَدَ فَهْمِي (١٢٢، ١٥٦).

* * *

الفَصْلُ الثَّالِثُ

حَقَائِقُ تَارِيْخِيَّةٌ عَنِ الوُجُوْدِ اليَهُوْدِيِّ

إنَّ التَّارِيْخَ حَيٌّ يُرَاقِبُ، وأمِيْنٌ كَاتِبٌ، فَقَدْ سَخَّرَ اللهُ تَعالى لَهُ مُؤرِّخِيْنَ يَكْتُبُوْنَ حَوادِثَ الزَّمَانِ، ويُسَطِّرُوْنَ كَوائِنَ المَكَانِ، لا يَكِلُّوْنَ ولا يَملُّوْنَ، لِذَا نَجدُ التَّارِيْخَ في جُمْلَتِهِ: لا يَدَعُ كَائِنَةً مَشْهُوْرَةً، ولا حَادِثَةً مَنْثُوْرَةً إلَّا أحْصاهَا وسَجَّلَهَا ـ خَيرًا كَانَتْ أو شَرًّا، حَقًّا كَانَتْ أو بَاطِلاً ـ فَهُوَ كَاشِفٌ للحقَائِقِ، وعَارِفٌ بالوَثَائِقِ، فَلا يُبْقِي لمُفْترٍ دَعْوَى، إلَّا كَشفَهَا وبَيَّنَ زَيْفَهَا، ولا يَتْرُكُ لكَاذِبٍ قَالَةً، إلَّا أبْطَلَهَا وعَرَّاهَا، ومَنْ قَرأَ التَّارِيْخَ عَلِمَ مَا هُنَا.

فَكَانَ مِنْ هَذِهِ الحَقَائِقِ التَّارِيْخِيَّةِ الكَاشِفَةِ لأكَاذِيْبِ ودَعَاوِي اليَهُوْدِ اليَوْمَ، هُوَ مَا سَطَّرَهُ وكَتَبَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أهْلِ العِلْمِ في بَيَانِ كَذِبِ وافْتِرَاءِ دَعَاوِي يَهُوْدِ اليَوْمِ.

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُم: إنَّ لهُم حَقَّ الوُجُوْدِ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، هَذَا **أوَّلاً**.

ثُمَّ **ثَانِيًا**: أنَّهم مِنْ سُلالَةِ بَنِي إسْرَائِيْلِ الَّذِيْنَ جَاءَ ذِكْرُهُم في القُرْآنِ.

وثَالِثًا: أنَّهم أُبِيْدُوا وأحْرِقُوا في مَعَامِلِ الغَازِ على يَدِ النَّازِيَّةِ الألْمَانِيَّةِ في عَهْدِ القَائِدِ البَائِدِ الغَاشِمِ «هِتْلَرْ»، فَهَذَا وغَيْرُهُ ممَّا زَيَّفَتْهُ وأبْطَلَتْهُ كُتُبُ التَّارِيْخِ القَدِيْمِ مِنْهَا والحَدِيْثِ، كَما جَاءَ ذَلِكَ صَرِيْحًا في كُتُبِ التَّوَارِيْخِ الإسْلامِيَّةِ واليَهُوْدِيَّةِ والنَّصْرَانِيَّةِ على حَدٍّ سَوَاءٍ!

* * *

□ فأمَّا **أوَّلاً**: وهُوَ دَعْوَاهُم بأنَّ لهُم حَقَّ الوُجُوْدِ في أرْضِ فِلَسْطِيْنَ، فَهذِهِ دَعْوَى عَرِيْضَةٌ لَيْسَ لَهَا أصْلٌ مِنَ الصِّدْقِ، ولا لَهَا حَقِيْقَةٌ تَارِيْخِيَّةٌ، بَلْ كُلُّ كُتُبِ التَّارِيْخِ أجْمَع تُكَذِّبُهَا، وتَشْهَدُ ببُطْلانِهَا، وأدَلُّ شَيءٍ على ذَلِكَ مَا ذَكَرَتْهُ كُتُبُهُم، وكُتُبُ النَّصَارَى، فَضْلاً عَنْ كُتُبِ المُسْلِمِيْنَ القَاطِعَةِ بكَذِبِ هَذِهِ الفِرْيَةِ التَّارِيْخِيَّةِ!

يَقُوْلُ عَبْدُ المُعِزِّ بنُ عَبْدِ السَّتَّارِ في كِتَابِهِ: «اقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ يا إسْرَائِيْلُ» (١٧) عَنِ الحَقِّ الَّذِي تَدَّعِيْهِ اليَهُوْدُ اليَوْمَ في أرْضِ فِلَسْطِيْنَ بِأنَّهُ: «خُرَافَةٌ وصَلافَةٌ، فَهُم لم يُقِيْمُوا في فِلَسْطِيْنَ إلَّا غُرَبَاءَ، كَما تُصَرِّحُ بِذَلِكَ أسْفَارُهُم، فَهَلْ للغَرِيْبِ أو عَابِرِ السَّبِيْلِ أنْ يَدَّعِي مُلْكِيَّةَ الأرْضِ الَّتِي أقَلَّتْهُ، أو الشَّجَرَةَ الَّتِي أظَلَّتْهُ؛ لأنَّهُ قَالَ تَحْتَهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ؟

على أنَّهم لم يُقِيْمُوا بها آمِنِيْنَ عَامِلِيْنَ مُسْتَثْمِرِيْنَ، وإنَّما أقَامُوا في سِلْسِلَةٍ مُتَّصِلَةٍ مِنَ الغَارَاتِ الدَّامِيَةِ، والحُرُوْبِ الدَّائِرَةِ الَّتِي لم تَتَوَقَّفْ فِيْمَا بَيْنَهُم بَعْضُهُم وبَعْضُ «يَهُوْذَا، وإسْرَائِيْلَ»، وفِيما بَيْنَهُم

وبَيْنَ الفِلِسْطِيْنِيِّيْنَ على أنَّهُم لم يَكَادُوا يَنْفَكُّوْنَ مِنَ الغَزْوِ البَابِلِيِّ؛ حَتَّى جَاءَهُم الغَزْوُ الرُّومَانيُّ فَأَبَادَ خَضْرَاءَهُم، ومَزَّقَهُم كُلَّ ممزَّقٍ، ثُمَّ جَاءَ الفَتْحُ الإسْلامِيُّ، وهُم مُشَرَّدُوْنَ في الأرْضِ، مُحرَّمٌ عَلَيْهُم أنْ يُقِيْمُوا يَوْمًا في أُوْرْشِلِيْم؛ حَتَّى إنَّ البِطْرِيْكَ «صَفرْنِيوُس» بِطْرِيْك القُدْسِ شَرَطَ على أمِيْرِ المؤمِنِيْنَ عُمَرَ رضي الله عنه، وهُوَ يُسَلِّمُهُ مَفَاتِيْحَ القُدْسِ: ألَّا يَسْمَحَ لليَهُوْدِ بدُخُوْلِ «إيْلِيَا»، أو الإقَامَةَ فِيْهَا!

لَقَدْ دَخَلَهَا العَرَبُ وهِيَ خَالِيَةٌ مِنَ اليَهُوْدِ، بَعْدَ أنْ طَرَدَهُمُ الرُّوْمَانُ، وأسْلَمَ أهْلَهَا، وبَقِيَ العَرَبُ فِيْهَا أكْثَرَ مِنْ ألْفٍ وأرْبَعِمائَةِ عَامٍ، أفَلا يَكُوْنُ لهُم حَقٌّ تَارِيخِيٌّ؟!». انْتَهَى.

* * *

وهَذِهِ أيْضًا حَقِيْقَةٌ تَارِيْخِيَّةٌ مُهِمَّةٌ ذَكَرَهَا الكَاتِبُ جمَالُ حَمْدَانُ رحمه الله في كِتَابهِ «فِلِسْطِيْنَ أوَّلاً» (٢٠٣): «فأوَّلاً وَأصْلاً لَيْسَتْ فِلِسْطِيْنُ وَطَنًا تَارِيخيًّا لليَهُوْدِ، ضَيَّعُوْهُ، ولَكِنْ لم يَنْسُوْهُ كَمَا يَزْعُمُوْنَ؛ لأنَّ وُجُوْدَهُم فِيْهَا انْقَطَعَ كُلِّيًّا مُنْذُ (٢٠٠٠) سَنَةٍ، وقَبْلَ ذَلِكَ لم يَدُمْ إلَّا فَتْرَةً قَصِيْرَةً للغَايَةِ، أغْلَبُها انْقَضَى في الوَاقِعِ، مُنْذُ نَحْوِ (٤٠٠٠) سَنَةٍ، وقَبْلَ ذَلِكَ جَمِيْعًا لم تَكُنْ فِلِسْطِيْنُ وَطَنَ اليَهُوْدِ الأصْليَّ، بَلْ كَانُوا دُخُلاءَ عَلَيْهِ غُزَاةً، فَلا هُوَ إذَنْ وَطَنٌ أصْليٌّ، ولا هُوَ وَطَنٌ تَارِيخيٌّ، ولا هُوَ وَطَنُ أبٍّ أو أمٍّ، ولا هُوَ وَطَنٌ بالتَّبنِّي، هُوَ فَقَطُ وبالتَّحْدِيْدِ احْتِلالٌ عَابِرٌ؛ كاحْتِلالِ إنْجِلْتَرا لأجْزَاءٍ مِنْ غَرْبِ فَرَنْسَا بِضَعْةَ قُرُوْنٍ في العُصُوْرِ الوُسْطَى، ثُمَّ طُرِدُوا مِنْهَا، فالقَوْلُ اليَوْمَ

بعلاقةٍ بَيْنَ اليَهُوْدِ وفِلِسْطِيْنَ هُوَ ادِّعاءٌ تَارِيخيٌّ خَاطِئٌ، ولا أَسَاسَ لَهُ مِنَ العِلْمِ». انْتَهَى.

* * *

□ أمَّا **ثَانِيًا**: وهُوَ دَعْوَاهُم بأنَّهم مِنْ سُلالَةِ بَنِي إسْرَائِيْلِ الَّذِيْنَ جَاءَ ذِكْرُهُم في القُرْآنِ، فَهَذِهِ كِذْبَةٌ خَرْقَاءُ، ودَعْوَةٌ جَوْفَاءُ قَدْ كَذَّبَهَا التَّارِيْخُ، ورَدَّتْهَا الحَقَائِقُ العِلْمِيَّةُ والاجْتِمَاعِيَّةُ، وهُوَ مَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أهْلِ العِلْمِ، والتَّارِيْخِ.

ومِنْ ذَلِكُم مَا ذَكَرَهُ جَمَالُ حَمْدَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ في «فِلِسْطِيْنَ أوَّلاً» (٢٥٤): «ولَكِنْ لا يَقِلُّ خُطُوْرَةً عَنْ هَذَا القَوْلِ بأنَّ هُنَاكَ عِلاقَةً بَيْنَ يَهُوْدِ اليَوْمِ، واليَهُوْدِ الَّذِيْنَ خَرَجُوا مِنْ فِلِسْطِيْنَ مُنْذُ (٢٠٠٠) سَنَةٍ، فالثَّابِتُ عِلْمِيًّا أنَّ يَهُوْدَ الخَزْرَجِ ذَابُوا في الشَّتَاتِ تَمامًا دَمَوِيًّا ودِيْنِيًّا، بالتَّزاوُجِ والتَّحَوُّلِ.

ويَهُوْدُ اليَوْمَ هُم نَسْلٌ مُتَحَوِّلُوْنَ إلى اليَهُوْدِيَّةِ، ولَيْسُوا مِنْ سُلالَةِ بَنِي إسْرَائِيْلَ التَّوْرَاةِ، لَيْسُوا سَامِيِّيْنَ، بَلْ أوْرُوبِّيِّيْنَ، أو أمْرِيْكِيِّيْنَ مِنْ سُلالاتٍ ألْبِيَّةٍ، وتُوْرْدِيَّةٍ، وسُلافِيَّةٍ إلَخْ!

وحِيْنَ يَدَّعُوْنَ أرْضَ فِلِسْطِيْنَ اليَوْمَ، فَهِي مُطَالَبَةُ غُرَبَاءَ أجَانِبَ تَمامًا بأرْضٍ لم تَطَأْهَا قَطُّ أقْدَامُ أجْدَادِهِم بالدَّمِ، تَمامًا كَما لَو ادَّعَاهَا اليَابَانِيُّوْنَ مَثَلاً، أو الإسْكِيْمُو!».

ثُمَّ قَالَ أيْضًا (٢٦٠): «والحَقِيْقَةُ التَّارِيخِيَّةُ الَّتِي نَوَدُّ أنْ نُصِرَّ

عَلَيْهَا بشِدَّةٍ، هِيَ أنَّ اليَهُوْدَ: «لَيْسُوا مِنْ بَنِي إسْرَائِيْلَ»، بمَعْنَى أنَّ الصِّهْيُونِيِّيْنَ الَّذِيْنَ يحتَلُّوْنَ فِلِسْطِيْنَ اليَوْمَ لَيْسُوا مِنْ نَسْلِ بَنِي إسْرَائِيْلَ التَّوْرَاةِ، أو سُلالَتِهِم، سَوَاء مُبَاشَرَةً أو غَيْرَ مُبَاشَرةٍ، حَقًّا إنَّ بَنِي إسْرَائِيْلَ التَّوْرَاةِ بَدَؤوا كمَوْجَةٍ أو شُعْبَةٍ مِنَ الشُّعُوْبِ السَّامِيَّةِ الَّتِي يَنْتَمِي إلَيْهَا العَرَبُ، ولُغَةِ كُلِّ لُغَةٍ سَامِيَّةٍ.

وحَقًّا إنَّ أصْلَهُم يَرْقَى إلى يَعْقُوْبَ حَفِيْدِ إبْرَاهِيْمَ، بمِثْلِ مَا أنَّ العَرَبَ تَنْحَدِرُ مِنْ صُلْبِ إسْماعِيْلَ بنِ إبْرَاهِيْم عليهما السلام.

وحَقًّا كَذَلِكَ قَامَتْ لهُم دَوْلَةٌ في جُزْءٍ دَاخِليٍّ مِنْ فِلِسْطِيْنَ اسْتَمَرَّتْ قُرونًا أرْبَعَةً إلَّا قَلِيْلاً، هِيَ القُرُوْنُ الَّتِي تَسْبِقُ التَّارِيْخَ المَسِيْحِيَّ مُبَاشَرَةً.

ولَكِنْ مَاذَا إذَنْ؟ لَسْنَا نُرِيْدُ بَعْدَ هَذَا أنْ نَقُوْلَ: إنَّ تَارِيْخَهُم الَّذِي كَانَ بشَهَادَةِ كُلِّ الأدْيَانِ - سِجِلًّا بَشِعًا - مِنْ سَفْكِ الدَّمِ، والغَدْرِ، والفَسَادِ: كَانَ عَابِرًا قَصِيْرَ العُمُرِ هُنَاكَ - ولم يَزِدْ عَنْ أنْ يَكُوْنَ مُجرَّدَ جُمْلَةٍ اعْتِرَاضِيَّةٍ في تَارِيْخِ فِلِسْطِيْنَ، ولَسْنَا نُرِيْدُ أنْ نَقُوْلَ إنَّ فِلِسْطِيْنَ كَانَتْ كِنْعَانِيَّةً (عَرَبِيَّةً)، قَبْلَ بَنِي إسْرَائِيْلَ لألْفِ سَنَةٍ على الأقَلِّ، وعَادَتْ عَرَبِيَّةً بَعْدَهُم لنَحْوِ ألْفَيْ سَنَةٍ على وَجْهِ التَّقْرِيْبِ، فَهَذَا كُلُّهُ وإنْ كَانَ صَحِيْحًا؛ فَإنَّه يُهْمِلُ قَضِيَّةً حَاسِمَةً خَطِيْرَةً، وهِيَ أنَّ يَهُوْدَ العَالمِ اليَوْمَ لا عِلاقَةَ لهُمُ الْبَتَّةَ بتِلْكَ القَبِيْلَةِ الغَابِرَةِ؛ إلَّا عِلاقَةَ ادِّعَاءٍ مَوْهُوْمٍ وانْتِحَالٍ.

ذَلِكَ أنَّ الأدِلَّةَ التَّارِيخِيَّةَ تُوَضِّحُ أنَّ الإسْرَائِيْلِيِّيْنَ الَّذِيْنَ فَرُّوا مِنْ مَجَازِرِ الرُّوْمَانِ، وخَرَجُوا مِنْ فِلِسْطِيْنَ بَعْدَ سُقُوْطِ «أوْرشِلِيْم»، لم يَكُنْ عَدَدُهُم لِيَزِيْدَ عَنْ بِضْعِ عَشَرَاتٍ مِنَ الآلافِ، أو مِئَاتٍ مِنَ الآلافِ على الأكْثَرِ، وأهَمُّ مِنْ هَذَا مَا حَدَثَ لِهَذِهِ الشَّرَاذِمِ والشَّظَايَا المُتَطَايِرَةِ في المَهْجَرِ مُنْذُ أنْ بَدَأ الشَّتَاتُ «اليَاسْبُورَا»، فَقَدْ تَشَتَّتْ أغْلَبُ هَؤلاءِ في بِلادِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ؛ ابْتِدَاءً مِنْ تُرْكِيَا حَتَّى أسْبَانِيَا، ومِنَ العِرَاقِ حَتَّى المَغْرِبِ.

وفي هَذَا الوَسَطِ الجَدِيْدِ الَّذِي ظَلَّتْ أجْزَاءٌ مِنْهُ وَثَنِيَّةً لِقُرُوْنٍ بَعْدَ ذَلِكَ، لم يَبْدَأ تَقَوْقُعُهُم وعُزْلَتُهُم المَعْرُوْفَةُ إلَّا بَعْدَ أنْ كَانُوا قَدِ اخْتَلَطُوا وتَزَاوَجُوا بِدَرَجَةٍ، أو بِأُخْرَى مَعَ السُّكَّانِ الأصْلِيِّيْنَ، وفي هَذَا الاخْتِلاطِ لم يَفْقِدُوا نُقَاوَةَ دِمَائِهِم الجِنْسِيَّةِ فَحَسْبُ، وإنَّما تَحَوَّلَ كَثِيْرٌ مِنَ الأهَالي الوَثَنِيِّيْنَ إلى اليَهُوْدِيَّةِ عِنْدَ التَّزَاوجِ مَعَهُم.

ومَعْنَى هَذَا أنَّهُم اليَومَ لَيْسُوا نَسْلاً خَالِصًا لِلمُهَاجِرِيْنَ الإسْرائِيْلِيِّيْنَ أوَّلاً، وأنَّهُم ثَانِيًا: إنْ لم يَكُنْ قَدْ ذَابُوا بِدَرَجَةٍ، أو بِأُخْرَى فَإنَّ جُزْءًا مِنْهُم كَبِيْرًا لَيْسُوا إلَّا قِطَاعًا مِنْ جِسْمِ الأهَالي الوَطَنِيِّيْنَ أنْفُسِهِم، هَؤلاءِ هُمُ اليَهُوْدُ «السِّفَارَادِيْم» الَّذِيْنَ لا يُمَثِّلُوْنَ اليَوْمَ إلَّا (٢٠٪) مِنْ مَجْمُوْعِ يَهُوْدِ العَالِمِ.

❐ الشِّكْنَازْ، هُمْ أوْرِبِّيُّوْنَ تَهَوَّدُوا:

وتَبْقَى الأغْلَبِيَّةُ السَّاحِقَةُ (٨٠٪)، وهِيَ الشِّكْنَازْ «الأشْكَنَازِيْم»

الَّذِيْنَ يَشْمَلُوْنَ يَهُوْدَ أُوْرُوبَّا، والعَالَمِ الجَدِيْدِ، أَصْلُ هَؤلاءِ الثَّابِتِ عِلْمِيًّا وتَارِيخِيًّا أنَّ أعْدَادًا ضَئِيْلَةً للغَايَةِ مِنْ يَهُوْدِ الانْتِشَارِ تَسَلَّلُوا إلى جَنُوْبِ أوْرُوبَّا ووَسْطِهَا وشَرْقِهَا؛ حَيْثُ كَانَ المُنَاخُ الدِّيْنِيُّ السَّائِدُ لا يَزَالُ الوَثَنِيَّةَ، وهُنَاكَ لم يَتَزَايَدِ اليَهُوْدُ، أو تَتَوَسَّعْ اليَهُوْدِيَّةُ بالتَّكَاثُرِ، وإنَّما أسَاسًا، وفي الدَّرَجَةِ الأوْلى بالتَّحَوُّلِ والتَّبْشِيْرِ، فالتَّزَاوُجُ القَلِيْلُ الَّذِي كَانَ يُمْكِنُ أنْ يَتِمَّ، كَانَ يَعْنِي أنْ يَتَحَوَّلَ الأهَالي مِنَ الوَثَنِيَّةِ إلى اليَهُوْدِيَّةِ، ولَيْسَ العَكْسُ بَدَاهَةً.

ولَكِنَّ المُهِمَّ أنَّ التَّارِيْخَ يُسَجِّلُ هُنَا مَوْجَاتٍ وعَمَلِيَّاتٍ ضَخْمَةً مِنَ التَّحَوُّلِ بالجُمْلَةِ إلى اليَهُوْدِيَّةِ، وصَلَتْ أحْيَانًا إلى حُدُوْدِ المَلايِيْنِ، ولَعَلَّ مَثَلاً وَاحِدًا يَكْفِي هُنَا: تَحوُّلُ «الخزْر» في القَرْنِ الثَّامِنِ المِيْلادِيِّ.

مِنْ نَسْلِ هَذِهِ المَلايِيْنِ المُتَحَوِّلَةِ يَأتي اليَهُوْدُ «الأشْكَنَاز» مُبَاشَرَةً، ومَعْنَى هَذا أنَّ يَهُوْدَ أوْرُوبَّا لَيْسُوا إلَّا مِنْ أبْنَاءِ تِلْكَ البِلادِ، وأنَّهُم بالجِنْسِ والسُّلالَةِ أوْرُوبِّيُّوْنَ ـ لحمًا ودَمًا ـ رُوْسٌ أو بُوْلَنْدِيُّوْنَ، نَمْسَوِيُّونَ أو ألمَانَ، تِشِيْك أو رُوْمَانِيُّوْنَ... إلَخ.

مَعْنَاهُ أنَّهُم لا عِلاقَةَ لهُم إطْلاقًا ببَنِي إسْرَائِيْلَ التَّوْرَاةِ، إلَّا في العَقِيْدَةِ المُسْتَعَارَةِ، أمَّا دُوْنَ ذَلِكَ، أمَّا مِنْ حَيْثُ المَوْطِنِ والسُّلالَةِ، مِنْ حَيْثُ الدَّمِ والعِرْقِ فَهُم أوْرُوبِّيُّوْنَ مِنْ قِمَّةِ الرَّأسِ إلى أُخْمُصِ القَدَمِ، والأدِلَّةُ والوَثَائِقُ التَّارِيخِيَّةُ الثَّابِتَةُ تُؤكِّدُ هَذَا الانْتِماءَ، بَيْنَما

تُثْبِتُهُ الدِّرَاسَاتُ الأَنْثُرُوبُولُوجِيَّة، كُلَّ يَوْم بالمَقَايِيْسِ الجِسْمِيَّةِ لليَهُوْدِ، والَّتِي لا تَختَلِفُ بَتَاتًا عَنِ السُّكَّانِ الأصْلِيِّيْنَ الَّذِيْنَ يَعِيْشُوْنَ بَيْنَهُم.

❏ آرِيُّوْنَ، لا سَامِيُّوْنَ:

باخْتِصَارٍ إذَنْ اليَهُوْدُ جُملَةً وتَفْصِيْلاً لَيْسُوا مِنْ بَنِي إسْرَائِيْلَ، لَيْسَ هُنَاكَ يَهُوْدِيٌّ تَائِهٌ أو مُتَجَوِّلٌ، وإنَّما هُنَاكَ بِبَسَاطَةٍ يَهُوْدِيٌّ مُتَحَوِّلٌ!

ولهَذَا فَإنَّهُم حِيْنَ يَتَوَجَّهُوْنَ الآنَ إلى فِلِسْطِيْنَ؛ فإنَّهم لا يَعُوْدُوْنَ، وإنَّما يَغْتَصِبُوْنَ: لَيْسَتْ هِيَ عَوْدَةُ الغَائِبِ الَّذِي يَئُوبُ، ولَكِنَّهَا غَزْوُ الأجْنَبِيِّ الدَّخِيْلِ، الَّذِي يَعْتَدِي ويَسْلِبُ، ولَيْسَتْ فِلِسْطِيْنُ «أرْضَ المِيْعَادِ»، أو الأجْدَادَ في أيِّ مَعْنًى، ولكِنَّهَا مجَرَّدُ أرْضِ الرِّسَالَةِ والعَقِيْدَةِ فَقَطُ، أبْعَدَ مِنْ هَذَا، لَيسَ اليَهُوْدُ «سَامِيِّيْنَ» في أيِّ مَعْنًى، رُغْمَ مَا في هَذَا مِنْ تَنَاقُضٍ سَاحِرٍ كَمَا سَنَرَى - فَهُم - «الشِّكْنَاز» مِنْهُم على الأقَلِ - آرِيُّوْنَ، أو هُنْدُو، أوْرُبِّيُّوْنَ لا يَختَلِفُوْنَ في ذَلِكَ عَنِ الشُّعُوْبِ الَّتِي يَنْتَمُوْنَ إلَيْهَا جِنْسِيًّا، وهُم حِيْنَ يَلْتَقِطُوْنَ العِبْرِيَّةَ مِنْ مَتْحَفِ اللُّغَاتِ المَيِّتَةِ لِيَنْفُثُوا في عِظَامِهَا النَّخِرَةِ الحَيَاةَ بالقَسْرِ والابْتِسَارِ، فإنَّما يَنْتَحِلُوْنَ لِسَانًا غَرِيْبًا، مَثْلَما هُوَ مِنْ قَبْلُ أصْلاً مَكْتُوْبًا.

والمَوْقِفُ كُلُّهُ مِنَ الغَرَابَةِ، والشُّذُوْذِ، بَلِ السَّفَهِ بِمِثْلِ مَا لَوْ هَبَّ السِّتُّمائَة أو السَّبْعُمائَة مَلْيُوْنٍ مِنَ البُوذِيِّيْنَ الصِّيْنِيِّيْنَ، والهُنُوْدِ الصِّيْنِيِّيْنَ

اليَوْمَ فَقَرَّرُوا أَنَّ الهِنْدَ ـ وهِيَ المَوْطِنُ الأصْليُّ للبُوذِيَّةِ، وإنْ كَانَتْ تَخْلُو مِنْها الآنَ ـ يَنْبَغِي أنْ تَكُوْنَ الوَطَنَ القَوْمِيَّ للبُوْذِيَّةِ، وأنْ يُهاجِرُوا إلَيْهَا لِيُقِيْمُوا دَوْلَتَهُم فِيْهَا!

والتَّشْبِيْهُ على غَرَابَتِهِ صَحِيْحٌ في كَثِيْرٍ مِنْ جُزْئِيَّاتِهِ، بِما في ذَلِكَ أنَّ الصِّيْنِيِّيْنَ، والهُنُوْدَ الصِّيْنِيِّيْنَ لَيْسُوا مِنْ نَسْلِ سُكَّانِ الهِنْدِ أكْثَرَ ممَّا أنَّ يَهُوْدَ أوْرُوبَّا، وأمْرِيْكا مِنْ نَسْلِ إسْرَائِيْلَ.

أمَّا اليَهُوْدُ الَّذِيْنَ هُمُ اليَوْمَ مِنْ نَسْلِ إسْرائِيْلَ حَقًّا فَهُم البِضْعَةَ عَشَرَ ألْفًا الَّتِي كَانَتْ بِفِلِسْطِيْنَ العَرَبِيَّةِ؛ حَتَّى سَنَةَ (١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م) تَقْرِيْبًا، يُضَافُ إلَيْهِم، ولَكِنْ بَدَرَجَةٍ كَبِيْرَةٍ مِنَ الشَّكِّ، والحَذَرِ بِضْعَ مِئَاتٍ مِنَ الآلافِ مِنْ يَهُوْدِ «السِّفَارْدِيْم» في البِلادِ العَرَبِيَّةِ، لِهَذَا جَمِيْعًا، فالصِّهْيُونِيَّةُ مُجتَمَعٌ دَخِيْلٌ تَمَامًا على فِلِسْطِيْنَ، ولَيْسَ لهُم فِيْهَا جُذُوْرٌ، أو أُصُولٌ ـ أو حَقٌّ بالتَّالي ـ سَوَاءٌ بالتَّارِيْخِ، أو الجِنْسِ، سَوَاءٌ باللِّسَانِ، أو الدِّيْنِ، وهُم يَدَّعُونَها ويَنْتَزِعُونَها». انْتَهَى.

وهَذَا مَا يُؤكِّدُه شَيْخُنَا سَفَرٌ الحَوَاليُّ حَفِظَهُ اللهُ: «وأقَلُّ الأُمَمِ في الدُّنْيا الآنَ اليَهُوْدُ، ومَعَ هَذَا أكْثَرُ اليَهُوْدِ في العَالَمِ الآنَ لَيْسُوا مِنْ نَسْلِ يَعْقُوْبَ، وإنَّمَا مِنْ يَهُوْدِ العَرَبِ والأُوْرُوبِّيِّنَ وغَيْرِهِم، فإذَنْ كَمْ يَبْقَى مِنَ اليَهُوْدِ الَّذِيْنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوْبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟!

فَالواقِعُ يَشْهَدُ أنَّ هَذِهِ الوُعُوْدَ لَيْسَتْ لِبَنِي إسْرَائِيْلَ، وأنَّهُم

يَكْذِبُوْنَ ويَفْتَرُوْنَ على اللهِ حِيْنَ يَجْعَلُوْنَهَا فِيْهِم، وإنَّمَا هِيَ في بَنِي إسْمَاعِيْلَ». انْظُرْ: «القُدْسَ» للحَوَالي (٣٠).

* * *

ومِنْ شَوَاهِدِ الحَقِيْقَةِ؛ أنَّ كَثِيْرًا مِنْ قَادَةِ اليَهُوْدِ اليَوْمَ: هُم إرْهَابِيُّوْنَ عَلْمانِيُّوْنَ، يُوَضِّحُه أنَّ كَثِيْرا مِنْهُم لا يَسْتَنْكِفُ مِنِ اسْتِخْدَام اصْطِلاحَاتٍ وكَلِمَاتٍ دِيْنِيَّةٍ لَهَا مَدْلُوْلُها اليَهُوْدِيُّ، فَقَدِ اسْتَخْدَمَ اليَهُوْدُ الصَّهَايِنَةُ، وحَتَّى المَلاحِدَةُ مِنْهُم كَلِمَاتٍ دِيْنِيَّةٍ: «فالمُؤسِّسُ هِيْرتِزْل لم يَكُنْ مُتَدَيِّنًا، بَلْ كَانَ في بِدَايَةِ حَيَاتِهِ مِنْ دُعَاةِ الانْصِهَارِ في المُجْتَمَعَاتِ الأُوْرُوبِّيَّةِ؛ حَتَّى أنَّهُ لم يَهْتَمْ بخِتَانِ ابْنِهِ حَسَبَ الأحْكَام اليَهُوْدِيَّةِ، وكَانَ يُعَرِّفُ نَفْسَهُ بوَصْفِهِ مُفَكِّرًا حُرًّا، ويُؤمِنُ أنَّ لكُلِّ إنْسَانٍ أنْ يَبْحَثَ عَنْ خَلاصِهِ بطَرِيْقَتِهِ، وعلى شَاكِلَتِهِ كَانَ مُعْظَمُ قَادَةِ الحَرَكَةِ الصِّهْيُوْنِيَّةِ اليَهُوْدِيَّةِ ومُنَظِّرِيْهَا.

أمْثَالُ: «إيْهُود بِيْنِسْكر» الرُّوسِي، زَعِيْم جَمَاعَةِ «أحِبَّاءِ صِهْيُوْنَ»، و«مُوْسَى هِيس»، و«مَاكس نُوْرْدُو» الَّذِي كَانَ يُجَاهِرُ بإلْحَادِهِ، و«حَايِيْم وَايْزمَان»، خَلِيْفَةِ «هِيْرتِزْل» الَّذِي كَانَ يَتَلَذَّذُ في مُضَايَقَةِ الحَاخَامَاتِ بشَأنِ الطَّعَامِ المُبَاحِ شَرْعًا عِنْدَهُم.

ونَجِدُ ذَلِكَ لَدَى قِيَادَاتٍ إسْرَائِيْلِيَّةٍ كَثِيْرَةٍ مُعَاصِرَةٍ:

مِثْلَ: «شِيْمُون بِيْرِيْز» رَئِيْسِ الدَّوْلَةِ الصِّهْيُونِيَّةِ اليَهُوْدِيَّةِ الحَالي، ورَئِيْسِ حِزْبِ العَمَلِ السَّابِقِ الَّذِي كَانَ لا يَتَرَدَّدُ في السُّخْرِيَّةِ بالأنْبِيَاءِ

اليَهُوْدِ، ووَصْفِهِم بأبْشَعِ الصِّفَاتِ أمَامَ الإعْلامِ، في وَقْتٍ يَلْتَزِمُ فِيْهِ بالشِّعَارَاتِ الصِّهْيُوْنِيَّةِ اليَهُوْدِيَّةِ الاسْتِيْطَانِيَّةِ، إلَّا أنَّ المُفَكِّرَ الصِّهْيُوني رُغْمَ إلْحَادِهِ يَعُدُّ نَفْسَهُ «مُقَدَّسًا»!

وقَدْ حَاوَلَ المُفَكِّرُ الصِّهْيُوني اليَهُودِيُّ «كِلْتِسْكِيْن» تَوْضِيْحَ الأمْرِ، فَقَالَ: «إنَّ اليَهُودِيَّةَ تَعْتَمِدُ على الشَّكْلِ لا على المَضْمُوْنِ، وهَذَا الشَّكْلُ الأسَاسِيُّ ـ كَمَا يَقُوْلُ! ـ هُوَ تَخْلِيْصُ الشَّعْبِ اليَهُودِي للأرْضِ، أمَّا المَضَامِيْنُ الرُّوْحِيَّةُ والفِكْرِيَّةُ فَهِي تُخَالِفُ بشَكْلٍ رَادِيْكَاليٍّ، وهَذَا لا يُهِمُّ».

وهُنَا سُؤالٌ مُعْضِلٌ، وهُوَ كَيْفَ يَتِمُّ للقَادَةِ اليَهُوْدِ اليَوْمَ، تَحْقِيْقُ «النِّظَامِ الإلَهِي» في «دَوْلَةِ إسْرَائِيْلَ المَزْعُوْمَةِ» بَيْنَمَا قَادَةُ الدَّوْلَةِ عَلْمَانِيُّونَ؛ أيْ: غَيْرُ مُتَدَيِّنِيْنَ؟

يُقَدِّمُ مُفَكِّرٌ صِهْيُونيٌّ يَهُودِيٌّ حَلًّا للمُعْضِلَةِ، فيَقُوْلُ: «أرَى في كُلِّ مَكَانٍ مِنَ الكِتَابِ المُقَدَّسِ نُبُوْءاتٍ تَتَعَلَّقُ بإعَادَةِ النِّظَامِ الإلَهِي إلى إسْرَائِيْلَ، قَدْ نَتَسَاءَلُ: كَيْفُ يَحْصُلُ هَذَا في إسْرَائِيْلَ الحَدِيْثَةِ، وهِيَ دَوْلَةٌ عَلْمَانِيَّةٌ؟

إنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي سَيَحُلُّ المُشْكِلَةَ، هَلْ يُمْكِنُ أنْ يَطْرُدَ اللهُ اليَهُوْدَ مِنَ الأرْضِ مِنْ جَدِيْدٍ بسَبَبِ إثْمِهِم؟ كَلَّا لَنْ يَحْدُثَ هَذَا مَرَّةً أُخْرَى!

مَا سَيَحْصُلُ في المُسْتَقْبَلِ هُوَ العَوْدَةُ والاسْتِعَادَةُ الرُّوْحِيَّتَانِ،

وهُوَ مَا يَحْصُلُ الآنَ، نَحْنُ المَسِيْحِيِّيْنَ الصِّهْيُونِيِّيْنَ نُعْلِنُ مَلَكُوْتَ اللهِ يَوْمًا مَّا! سَيَرَى الجَمِيْعُ إسْرَائِيْلَ الرُّوْحِيَّةَ مِنْ جَدِيْدٍ».

إذَنْ لا تُوْجَدُ مُشْكِلَةٌ، عِنْدَمَا يَحِيْنُ الوَقْتُ سَوْفَ يَنْقَلِبُ اليَهُوْدُ إلى مُلْتَزِمِيْنَ مُتَدَيِّنِيْنَ، أمَّا فِيْمَا قَبْلُ فَلا تَثْرِيْبَ!

* * *

مِنَ المُؤشِّرَاتِ الأُخْرَى ظَاهِرَةُ الأحْزَابِ الدِّيْنِيَّةِ، وهِيَ كَثِيْرَةٌ مُتَفَاوِتَةُ الحَجْمِ والتَّأثِيْرِ، ومِنْهَا: شَاسُ «حُمَاةُ التَّوْرَاةِ»، أجُوْدات إسْرَائِيْلَ «وِحْدَةُ أرْضِ إسْرَائِيْلَ» المِفْدَال، دِيْجل هَاتُوراء «لِوَاءُ التَّوْرَاةِ»... إلخ.

وقَدْ نَجَحَتْ هَذِهِ الأحْزَابُ في فَرْضِ طَابِعِهَا وتَوَجُّهَاتِهَا على الحَيَاةِ العَامَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ في الكِيَانِ مُتَدَاخِلَةً مَعَ الطَّابِعِ العَلْمَانِيِّ، وبِمَا يَتَجَاوَزُ حَجْمَهَا الجَمَاهِيْرِي بِكَثِيْرٍ.

فَعَلى مُسْتَوَى الحَيَاةِ العَامَّةِ: تَتَوَقَّفُ المُوَاصَلاتُ العَامَّةُ يَوْمَ السَّبْتِ، ولَكِنْ يُمْكِنُ اسْتِخْدَامُ السَّيَّارَاتِ الخَاصَّةِ، أو سَيَّارَاتِ الأُجْرَةِ (التَّاكْسِيَّاتِ)، وتُغْلَقُ الشَّوَارِعُ في الأحْيَاءِ الأُخْرَى الَّتي تَقْطُنُهَا أغْلَبِيَّةٌ مُتَدَيِّنَةٌ، وتُتْرَكُ مَفْتُوْحَةً في الأحْيَاءِ الأُخْرَى.

أمَّا أُمُوْرُ الزَّوَاجِ والطَّلاقِ فيُسَيْطِرُ عَلَيْهَا المُتَدَيِّنُوْنَ، وقَدْ تَمَّ الاعْتِرَافُ بالتَّعْلِيْمِ الدِّيْنِي المُسْتَقِلِّ، وهُوَ مَا يَعْنِي أنَّ الدَّوْلَةَ اليَهُوْدِيَّةَ عَلَيْهَا أنْ تُمَوِّلَهُ.

ولا تَعْرِضُ أفْلامًا سِينِمائِيَّةً ابْتِدَاءً مِنْ مَساءِ الجُمُعَةِ، وإنْ كَانَ يُصَرَّحُ بلِعْبِ كُرَةِ القَدَمِ يَوْمَ السَّبْتِ على أنْ تُبَاعَ التَّذَاكِرُ في اليَوْمِ الأَسْبَقِ.

وعلى المُسْتَوَى السِّيَاسِي: يَمْتَلِكُ التَّيَّارُ الدِّيْني القُدْرَةَ على التَّحكُّم في رِئَاسَةِ الحُكُوْمَةِ، وإسْقَاطِ الحُكُوْمَاتِ، ولا يُمْكِنُ تَشْكِيْلُ أيَّةِ حَكُوْمَةٍ دُوْنَ مُشَارَكَتِهِ، وهُم يَسْتَأْثِرُوْنَ بوَزَارَاتِ المُسْتَقْبَلِ (التَّعْلِيْم ـ الإسْكَانِ ـ الأرَاضِي ـ المُهَاجِرُوْنَ ـ الأدْيَان)، وهُنَاكَ حَاخَامِيَّةٌ عَسْكَرِيَّةٌ تَتَوَلَّى مُهِمَّةَ التَّوْجِيْهِ الفِكْرِيِّ والدِّيْنِيِّ دَاخِلَ القُوَّاتِ المُسَلَّحَةِ، وهِيَ تُبَاشِرُ كُلَّ شُؤونِ الأحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ المُتَعَلِّقَةِ بالعَسْكَرِيِّيْنَ، وتُشْرِفُ على المَدَارِسِ العَسْكَرِيَّةِ الدِّيْنِيَّة، وتُخَرِّجُ أجْيَالاً مَسْكُوْنَةً بالكَرَاهِيَّةِ المُطْلَقَةِ للعَرَبِ، كَمَا تَتَوَلَّى الحَاخَامِيَّةُ إصْدَارَ الفَتَاوَى الَّتِي تُضْفِي القَدَاسَةَ على المُمَارَسَاتِ والجَرَائِمِ الَّتي يَرْتَكِبُهَا الجُنُوْدُ ضِدَّ العَرَبِ.

* * *

ومِنَ الطَّرِيْفِ فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِسِمَاتِ التَّدَيُّنِ «العَجِيْبِ» لَدَى السِّيَاسِيِّيْنَ المُتَدَيِّنِيْنَ اليَهُوْدِيِّيْنَ: أنَّ المَجْلِسَ الوَزَارِيَّ اجْتَمَعَ يَوْمَ الجُمْعَةِ لمُنَاقَشَةِ الحَرْبِ على «غَزَّةَ»، واسْتَمَرَّ النِّقَاشُ حَتَّى السَّاعَةِ الخَامِسَةِ مَساءً، فَغادَرَ الوُزَرَاءُ «المُتَدَيِّنُوْنَ» الجَلْسَةَ، وتَرَكُوا تَصْوِيْتَهُم في بِطَاقَةٍ حَتَّى لا «يُدَنِّسُوا» يَوْمَ السَّبْتِ، بَيْنَما لم يَجِدُوا حَرَجًا «شَرْعِيًّا» في تَدْمِيْرِ قِطَاعِ «غَزَّة» في اليَوْمِ نَفْسِهِ».

ومِنْ قَبْلُ؛ فَلا نَنْسَى أنَّ كَثِيْرًا مِنْ رُؤسَاءِ اليَهُوْدِ اليَوْمَ، هُمْ إرْهَابِيُّوْنَ، سَفَّاكُوْنَ، مُجْرِمُو حَرْبٍ، مِثْلَ: «بِيْجِين» زَعِيْم تَجَمُّعِ: «اللِّيْكُودِ»، و«شَامِيْر»، فِكَلاهُمَا أرْهَابِيَّانِ مَطْلُوْبَانِ مِنْ قِبَلِ الحُكُوْمَةِ البِرِيْطَانِيَّةِ لِقَيَامِهِما بأعْمَالٍ إرْهَابِيَّةٍ!

انْظُرْ: «إسْرَائِيْلَ... الرُّؤسَاء» للأشْقَرِ والرِّفَاعِي (٢٠)، و«أرْضَ المِيْعَادِ لمنْ؟» لكُوْلِن تِشَابِمْن (٤٨٣)، و«مُقَدِّمَةً لدِرَاسَةِ الصِّرَاعِ العَربي الإسْرَائِيْلي» لعَبْدِ الوَهَّابِ المسِيْرِي (١٦١)، و«السَّيْفَ الأحْمَرَ» لجَمَالٍ البَدْرِيِّ (١٤٦)، ومَوْقِعَ «يَدِيْعُوت أحْرُونوت».

* * *

وإلَيْكَ أخِي المُسْلِمَ هَذِهِ الحَقَائِقَ التَّارِيخِيَّةَ، والتَّقْدِيْرَاتِ الإحْصَائِيَّةَ عَنِ الوُجُوْدِ اليَهُوْدِيِّ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، وبَيْتِ المقْدِسِ، باخْتِصَارٍ:

١ ـ فَفي سَنَةِ (١٥هـ ـ ٦٣٦م) يَوْمَ فَتَحَ المُسْلِمُوْنَ القُدْسَ، لم يُوْجَدْ يَهُودِيٌّ وَاحِدٌ في فِلِسْطِيْنَ.

٢ ـ وفي عَامِ (٦٦٥هـ ـ ١٢٦٧م) كَتَبَ «مُوْسَى بنُ نَحْمانِ جِيْرُوْنْدِي»: أنَّ في القَدْسِ عَائِلَتَيْنِ يَهُودِيَّتَيْنِ يَعْمَلُوْنَ في الصِّبَاغَةِ.

٣ ـ وبَعْدَ ذَلِكَ بنَحْوِ ثَلاثَةِ قُرُوْنٍ (٩٦٧هـ ـ ١٥٦٠م): بَلَغَ عَدَدُهُم في القُدْسِ (١١٥) يَهُودِيًّا.

٤ ـ وفي النِّصْفِ الثَّاني مِنَ القَرْنِ السَّابِعَ عَشَرَ (١٠٨١هـ ـ

١٦٧٠م) عَجز يَهُوْدُ القُدْسِ، وعَدَدُهُم (١٥٠) يَهُودِيًّا عَنْ دَفْعِ دَيْنِهِم البَالِغِ أَلْفَ قِرْشٍ.

إِذَنْ مِنْ سَنَةِ (٩٦٧ إلى ١٠٨١)، (١٥٦٠ إلى ١٦٧٠م): تَرَاوَحَ عَدَدُهُم مِنْ (١١٥ إلى ١٥٠) يَهوْدِيًّا.

وقَبْلَ هَذَا التَّارِيْخِ، كَانَ في القُدْسِ عَائِلَتَانِ فَقَطْ، ونَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ العَهْدَ التُّركِيَّ بَدأ سَنَةَ (٩٢٢هـ - ١٥١٦م) في فِلِسْطِيْنَ، ومَعْنَى هَذَا أَنَّ العَهْدَ التُّرْكِيَّ اسْتَلَمَ القُدْسَ، وفِيْهَا عَائِلَتَانِ، قَدْ تَكُوْنَانِ مِنْ خَمْسَةِ أَشْخَاصٍ إلى عَشَرَةٍ، فَوَصَلَ عَدَدُهُم إلى المائَةِ في بِدَايَةِ العَهْدِ، أو بَعْدَ البِدَايَةِ بقَرْنٍ تَقرِيْبًا.

٥ - وكَانَ عَدَدُ اليَهُوْدِ في فِلِسْطِيْنَ كُلِّهَا في النِّصْفِ الأَوَّلِ مِنَ القَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ (أيْ الثَّالِثَ عَشَرَ هِجْرِيًّا) حَوَالي ثَمانِيَةِ آلافِ يَهُودِيٍّ، كَما ذَكَرَ «مُوْسَى حَايِيْم مَنْتِفِيوري» الثَّرِيُّ الإنْجِلِيْزِيُّ اليَهُوْدِيُّ.

وكَانُوا مُوَزَّعِيْنَ عَلَى أَرْبَعِ مُدُنٍ: هِيَ القُدْسُ، وطَبَرِيَّا، والخَلِيْلُ، وصَفَدُ.

٦ - وفي سَنَةِ (١٢١٦هـ - ١٨٤٥م): بَلَغَ عَدَدُهُم في فِلِسْطِيْنَ (١٢٠٠٠) يَهُودِيٍّ.

٧ - وفي سَنَةِ (١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م): بَلَغ عَدَدُهُم (٢٤٠٠٠) نَسَمَةٍ في فِلِسْطِيْنَ كُلِّهَا.

٨ ـ وفي سَنَةِ (١٣٠٧هـ ـ ١٨٩٠م): بَلَغَ عَدَدُهُم (٤٧٠٠٠) نَسَمَةٍ في فِلَسْطِيْنَ كُلِّهَا.

٩ ـ وفي سَنَةِ (١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م): بَلَغَ عَدَدُهُم (٥٠٠٠٠) نَسَمَةٍ في فِلَسْطِيْنَ كُلِّهَا.

١٠ ـ وفي سَنَةِ (١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م): بَلَغَ عَدَدُهُم (٨٥٠٠٠) نَسَمَةٍ في فِلَسْطِيْنَ كُلِّهَا.

١١ ـ وفي سَنَةِ (١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م): بَلَغَ عَدَدُهُم (٨٥٠٠٠) نَسَمَةٍ في فِلَسْطِيْنَ كُلِّهَا.

١٢ ـ وفي سَنَةِ (١٣٣٤ ـ ١٣٣٦) (١٩١٦م ـ ١٩١٨م): بَلَغ عَدَدُهُم (٦٥٠٠٠) نَسَمَةٍ في فِلَسْطِيْنَ كُلِّهَا، ونَقَصَ عَدَدُهُم في هَذِهِ الحِقْبَةِ بِسَبَبِ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الأوْلَى.

١٣ ـ وفي سَنَةِ (١٣٤٠هـ ـ ١٩٢٢م): بَلَغ عَدَدُهُم (٨٣٠٠٠) نَسَمَةٍ، عَادُوا إلى الزِّيَادَةِ مَعَ العَهْدِ البِرِيْطَانِيِّ، وكَانَتْ نِسْبَتُهُم تُسَاوِي (١١٪) في فِلَسْطِيْنَ كُلِّهَا.

١٤ ـ كَانَ عَدَدُ سُكَّانِ مَدِيْنَةِ القُدْسِ في المُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ سَيْطَرَةِ إبْرَاهِيْمَ بَاشَا المِصْرِيِّ (٣٠٠٠) ثَلاثَةَ آلافِ نَسَمَةٍ (١٢٤٧ ـ ١٢٥٦) (١٨٣١ ـ ١٨٤٠م).

ومَعْنَى هَذَا أنَّ وُصُوْلَ العَدَدِ إلى الآلافِ كَانَ في عَهْدِ إبْرَاهِيْمَ

بَاشَا، وهَذَا يَدُلُّ على أنَّهم وَجدُوا نَوْعًا مِنَ التَّراخِي للسُّكْنَى في بَيْتِ المَقْدِسِ.

* * *

❑ إنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ هُنَا عَنِ الوُجُوْدِ اليَهُوْدِيِّ في أرْضِ فِلَسْطِيْنَ، لم يَكُنْ بَعِيْدًا عَنْ حَقِيْقَةِ وُجُوْدِهِم في أوْرُوبَّا؛ حَيْثُ كَانُوا سَبَبًا لكَثِيْرٍ مِنَ الجَرَائِمِ، والفَسَادِ في العَقَائِدِ، والأخْلاقِ، ونَشْرِ الرَّذِيْلَةِ، والفَاحِشَةِ، والرِّبَا، والزِّنى، والشُّذُوْذِ الفِكْرِيِّ في الآرَاءِ والنَّظَرِيَّاتِ وغَيْرِهَا مِمَّا هُوَ إفْسَادٌ في الأرْضِ، وهَلاكٌ للحَرْثِ والنَّسْلِ، ومِنْ هُنَا أحْبَبْنَا أنْ نَذْكُرَ شَيْئًا عَنْ تَعامُلِ، ومَوْقِفِ العَالَمِ الأوْرُوبيِّ مَعَ الوُجُوْدِ اليَهُوْدِي بَيْنَهُم، وذَلِكَ على وَجْهِ الاخْتِصَارِ، كَمَا يَلِي:

فَفِي عَامِ (٦٥١هـ ـ ١٢٥٣م): طُرِدَ اليَهُوْدُ جَمِيْعًا مِنَ الأرَاضِي الفِرِنْسِيَّةِ لمُخَالَفَتِهِم أنْظِمَةَ البِلادِ، ثُمَّ بَدَأ الجَلاءُ الكَبِيْرُ مِنْ أوْرُوبَّا؛ إذْ طَرَدَتْهُم إنْجِلْتِرَا في عَهْدِ المَلِكِ «إدْوَارْد الأوَّلِ».

وفي عَامِ (٧٠٥هـ ـ ١٣٠٦م): طَرَدَتْهُم فَرَنْسَا مَرَّةً ثَانِيَةً، وبِصُوْرَةٍ كَامِلَةٍ، وتَبِعَتْهَا «سِكْسُونِيَا» إحْدَى الدُّوَلِ الجِرْمَانِيَّةِ، وذَلِكَ عَامَ (٧٤٩هـ ـ ١٣٤٨م)، فَطَرَدَتْ يَهُوْدَهَا أيْضًا.

ثُمَّ طَرَدَتْهُم كُلٌّ مِنْ: «هِنْغَارِيَا» في عَامِ (٧٦١هـ ـ ١٣٦٠م)، و«بَلْجِيْكَا» عَامَ (٧٧١هـ ـ ١٣٧٠م)، و«سُلُوْفَاكِيَا» عَامَ (٧٨٢هـ ـ ١٣٨٠م)، و«النِّمْسَا» عَامَ (٨٢٣هـ ـ ١٤٢٠م)، و«هُولَنْدَا» عَامَ

(٨٤٨هـ ـ ١٤٤٤م)، وأخِيْرًا «أسْبَانِيَا» عَامَ (٨٩٧هـ ـ ١٤٩٢م).

واسْتَمَرَّتِ العَاصِفَةُ في أوْرُوْبَّا ضِدَّ اليَهُوْدِ؛ حَيْثَ طَرَدَتْهُم أيْضًا «لِيْتُوانِيَا» مِنْ أرَاضِيْهَا، وذَلِكَ عَامَ (٩٠٠هـ ـ ١٤٩٥م)، ثُمَّ «البُرْتُغَالُ» في عَامِ (٩٠٣هـ ـ ١٤٩٨م)، ثُمَّ «إيْطَالِيَا» في عَامِ (٩٤٧هـ ـ ١٥٤٠م)، ثُمَّ «بَاغْلُويَا» في عَامِ (٩٥٨هـ ـ ١٥٥١م).

ومِنْ خِلالِ هَذِهِ الإبْعَادَاتِ العَامَّةِ مِنْ دُوَلِ أوْرُوْبَّا لليَهُوْدِ مِنْ أرَاضِيْهَا؛ إلَّا أنَّهُم تَسَلَّلُوا عَائِدِيْنَ إلى الأقْطَارِ الَّتِي كَانُوا قَدْ طُرِدُوا مِنْهَا، فَقَدْ عَادَ اليَهُوْدُ إلى «إنْجِلْتِرَا» عَامَ (١٠٠٨هـ ـ ١٦٠٠م)، وإلى «هِنْغَارِيَا» عَامَ (٩٠٥هـ ـ ١٥٠٠م)، ولكِنَّهُم طُرِدُوا مِنْهَا ثَانِيَةً، عَامَ (١٢٦٨هـ ـ ١٨٥٢م).

ثُمَّ عَادُوا إلى «سُلُوْفَاكِيَا» عَامَ (١١٠٣هـ ـ ١٦٩٢م)، ولكِنَّهُم طُرِدُوا مِنْهَا ثَانِيَةً عَامَ (١١٥٧هـ ـ ١٧٤٤م)، وعَادُوا إلى «لِيْتُوانِيَا» عَامَ (١١١١هـ ـ ١٧٠٠م). انْظُرْ: «اليَهُوْدَ وَرَاءَ كُلِّ جَرِيْمَةٍ» لوْلِيْم كَارْ (٦٤).

ومِنْ خِلالِ مَا ذَكَرْنَاهُ هُنَا مِنْ طَرْدٍ، وإبْعَادِ الدُّوَلِ الأوْرِوبِّيَّةِ لليَهُوْدِ مِنْ أرَاضِيْهَا، بِسَبَبِ فَسَادِهِم وجَرَائِمِهِم، نَسْتَطِيْعُ القَوْلُ: بأنَّ وُجُوْدَ الكِيَانِ اليَهُوْدِيِّ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ لم يَكُنْ خِيَارًا ارْتِجَالِيًّا، أو وَعْدًا سَاذَجًا؛ بِقَدْرِ مَا كَانَ وُجُوْدًا مَرْسُوْمًا ومَدْرُوْسًا، فَإنَّ هَذِهِ الحَقَائِقَ التَّارِيْخِيَّةَ لَتَدُلُّنَا بيَقِيْنٍ أنَّ العَالَمَ الغَرْبيَّ الكَافِرَ كَانَ قَاصِدًا وجَادًّا في قَذْفِ هَذِهِ الأُمَّةِ النَّجِسَةِ الرَّجِسَةِ في جَسَدِ الأُمَّةِ الإسْلامِيَّةِ؛

كَي تَبْقَى مَصْدَرًا لإفْسَادِهِم، ومَنْبعًا للفِتْنَةِ والدَّمَارِ في بِلادِهِم، وفَوْقَ ذَلِكَ فإنَّها سَوْفَ تَتخَلَّصُ مِنَ فَسَادِ وجَرَائِمِ اليَهُوْدِ في أرَاضِيْهَا!

* * *

▫ وأمَّا **ثَالِثًا**: وهُوَ دَعْوَاهُم بأنَّهُم أُبِيْدُوا وأحْرِقُوا في مَعَامِلِ الغَازِ على يَدِ النَّازِيَّةِ الألمَانِيَّةِ في عَهْدِ القَائِدِ البَائِدِ الغَاشِمِ «هِتْلَرْ»، فَهَذِهِ كِذْبَةٌ صَلْعَاءُ قَدْ كَذَّبهَا التَّارِيْخُ الحَدِيْثُ، وأبْطَلَتْهَا الحَقَائِقُ العِلْمِيَّةُ، والتَّحَالِيْلُ المَيْدَانِيَّةُ، وهُوَ مَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أهْلِ الخِبْرَةِ والتَّحْقِيْقِ.

نَعَم؛ فَإنَّ البَشَرِيَّةَ هَذِهِ الأيَّامَ لم تَعْرِفْ أسْطُوْرَةً ذَاعَ صِيْتُهَا، واتَّسَعَ مَدَاهَا؛ كَهَذِهِ الدَّعْوَى المَزْعُوْمَةِ، بَلْ إنَّ مُعْظَمَ الشُّعُوْبِ الأوْرُوبِّيَّةِ الكَافِرَةِ لم تَزَلْ تُؤْمِنُ بِهَا كَوَاحِدَةٍ مِنَ الحَقَائِقِ الثَّابِتَةِ فِيْمَا يَزْعُمُوْنَ!

إنَّهَا أسْطُوْرَةُ: «المَحْرَقَةِ»، أو مَا تُسَمَّى بـ«الهُولُوكِسْت»؛ حَسَبَ المُصْطَلَحِ الشَّائِعِ، والَّتِي بُنِيَتْ على إشَاعَاتٍ مُبَالَغٍ فِيْهَا: وهِيَ القَوْلُ بِأنَّ النَّازِيِّيْنَ الألمَانَ قَدْ قَامُوا بإحْرَاقِ سِتَّةِ مَلايِيْنَ يَهُوْدِيٍّ في مَوَاقِعِ مُعَسْكَرَاتِ الاعْتِقَالِ الألمَانِيَّةِ «ببُوْلَنْدَا»، خِلالَ الحَرْبِ العَالمِيَّةِ الثَّانِيَّةِ (١٣٦٠ ـ ١٣٦٤)!

بَلْ امْتَدَّ بِسَاطُ هَذِهِ الكِذْبَةِ الصَّلْعَاءِ إلى المَدَارِسِ، والمَعَاهِدِ كَمَادَّةٍ تُدَرَّسُ وتُقَرَّرُ فِيْهَا، كَمَا أنَّهَا أصْبَحَتْ تُقْرَأ وَقَائِعُهَا في

المَعَابِدِ، وتُقَامُ لهَا الاحْتِفَالاتُ، وتُؤلَّفُ مِنْ أجْلِهَا الكُتُبُ!

غَيْرَ أنَّ هَذِهِ الأسْطُوْرَةَ المُسَمَّاةَ بـ«المَحْرَقَةِ»، لم تَنْتَهِ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ، بَلْ اسْتُخْدِمَتْ ذَرِيْعَةً لتَحْقِيْقِ غَايَاتٍ يَهُوْدِيَّةٍ صِهْيُوْنِيَّةٍ، وهُوَ البَحْثُ عَنْ مَوْطِنٍ لليَهُوْدِ، وذَرِيْعَةً لأخْذِ الأمْوَالِ بالبَاطِلِ، وذَلِكَ عَنْ طَرِيْقِ تَعْوِيْضَاتٍ مَالِيَّةٍ تَمْتَصُّ مِنْ ثَرَوَاتِ المُوَاطِنِ الألْمَانيِّ سَنَوِيًّا مَا لا يَقِلُّ عَنْ مِلْيُوْنِ مَارِكٍ، على هَيْئَةِ مُسَاعَدَاتٍ وتَعْوِيْضَاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ وتِجَارِيَّةٍ، كَانَ آخِرَهَا تَمْوِيْلُ بِنَاءِ ثَلاثِ غَوَّاصَاتٍ نَوَوِيَّةٍ، تُقَدَّرُ كُلْفَتُهَا بـ(٣٠٠) مِلْيُوْنِ دُولارٍ أمْرِيكي، تَمَكَّنَتْ اليَهُوْدُ بِهَا: «مِنْ إعَادَةِ انْتِشَارِهَا الاسْتُرَاتِيْجِيِّ بالشَّرْقِ الأوْسَطِ»، كَمَا ذَكَرَتْهُ صَحِيْفَةُ «هَآرْتِسْ» اليَهُوْدِيَّةُ الصِّهْيُوْنِيَّةُ (١٤١٩هـ ـ ٤/٤/١٩٩٩م).

وكَذَلِكَ فَقَدْ وَافَقَتِ الحُكُوْمَةُ الألْمَانِيَّةُ بالاشْتِرَاكِ مَعَ العَدِيْدِ مِنَ الشَّرِكَاتِ الألْمَانِيَّةِ العِمْلاقَةِ، مِثْلِ: «البَنْكِ الألْمَانيِّ»، و«فُلُوكْسِوَاجِنْ»، و«إمْ بي دَبَلْ يُو»، وغَيْرَهَا مِنَ الشَّرِكَاتِ العَالمِيَّةِ على تَأسِيْسِ: «صُنْدُوْقِ تَعْوِيْضَاتٍ لضَحَايَا النَّازِيَّةِ» بِرَأسِ مَالٍ قِيْمَتُهُ: (٧.١) بَلْيُوْنِ دُولارٍ أمْرِيكي، بشَكْلٍ مَبْدَئيٍّ، غَيْرَ أنَّ المُنَظَّمَاتِ اليَهُوْدِيَّةَ والمَدْعُوْمَةَ مِنَ الحُكُوْمَةِ اليَهُوْدِيَّةِ والأمْرِيْكِيَّةِ لم تُوَافِقْ على هَذَا الاقْتِرَاحِ بِحُجَّةِ أنَّهَا تَعْوِيْضَاتٌ غَيْرُ كَافِيَةٍ، وغَيْرُ عَادِلَةٍ، لِذَا فَقَدِ اشْتَرَطُوا أنْ تَكُوْنَ التَّعْوِيْضَاتُ المَالِيَّةُ في حُدُوْدِ عِشْرِيْنَ بَلْيُوْنِ دُوْلارٍ، كَمَا ذَكَرَتْهُ صَحِيْفَةُ «الحَيَاةِ» (١٤١٩)!

* * *

ومَهْمَا يَكُنْ مِنْ أمرٍ؛ فَإنَّ هَذِهِ الكِذْبَةَ البَارِدَةَ، وهَذِهِ الدَّعْوَى المَارِدَةَ، لم تَلْقَ قَبُولاً عِنْدَ كَثِيْرٍ مِنْ أهْلِ الفِكْرِ، والعَقْلِ، والخِبْرَةِ، والتَّحْقِيْقِ، الأمْرُ الَّذِي دَفَعَ كَثِيْرًا مِنَ العُقَلاءِ، والمُفكِّرِيْنَ مِنَ اليَهُوْدِ، والنَّصَارَى، وبَعْضِ المُسْلِمِيْنَ إلى القَوْلِ بتَكْذِيْبِ هَذِهِ الدَّعْوَى العَرِيْضَةِ، وهَتْكِ أسْتَارِهَا، وكَشْفِ مَزَاعِمِهَا!

فَكَانَ مِنْ هَؤلاءِ: المُفكِّرُ الفِرنْسِيُّ «رُوْجِيْه جَارُوْدِي»، والمُفكِّرُ الفِرنْسِيُّ «بُوْل رَاسِيْنِيْه»، الَّذِي كَتَبَ في الخَمْسِيْنَاتِ دِرَاسَةً ضَخْمَةً عُنْوَانُهَا: «أسْطُوْرَةُ غُرَفِ الغَازِ»، والبِرفِيْسُوْرُ «آثِرْ بَاتِسْ»، الأسْتَاذُ في جَامِعَةِ «تُوْرُثْ وِيسْتِرْن»، الَّذِي كَتَبَ «أكْذُوْبَةُ القَرْنِ العِشْرِيْنَ»، وكَذَا أسْتَاذُ الأدَبِ في جَامِعَةِ «لِيُوْن»، وهُوَ «رُوبرْت فُورِيْسُون» صَاحِبُ سِلْسِلَةِ المَقَالاتِ، وصَاحِبُ الكِتَابِ الَّذِي قَدَّمَ لَهُ العَالِمُ اللُّغَوِيُّ الشَّهِيْرُ «نَعُومْ تِشُومِسْكِي»، «سِتَاجْلِيش»، قَاضِي «هَمْبُرُوجْ» الَّذِي كَتَبَ «أسْطُوْرَةَ أوشْفَتِيز»، والمُؤرِّخُ البِرِيْطَانِيُّ «دِيْفِيْد إرْفِنْج»، وغَيْرُهُم مِنَ العُلَمَاءِ والمُفكِّرِيْنَ الَّذِيْنَ أكَّدُوا بالقَرَائِنِ اليَقِيْنِيَّةِ، والمَعْلُوْمَاتِ المَيْدَانِيَّةِ، والتَّحَالِيْلِ الكِيْمَاوِيَّةِ: انْتِفَاءَ الإمْكَانِيَّةِ المَوْضُوْعِيَّةِ لقِيَامِ النَّازِيِّيْنَ الألْمَانِ بإعْدَامِ سِتَّةَ مَلايِيْنَ يَهُوْدِيٍّ في مَحَارِقِ «بُوْلَنْدَا» الشَّهِيْرَةِ!

ومِنْ هَؤلاءِ الَّذِيْنَ كَذَّبُوا وزَيَّفُوا هَذِهِ الأسْطُوْرَةَ أيْضًا الكَنَدِيُّ «أرْنِسْت زُونْدِل»، وهُوَ مِنْ أصْلٍ ألْمَانِيٍّ؛ حَيْثُ نَشَرَ كِتَابَهُ: «هَلْ قُتِلَ

سِتَّةُ مَلايِيْنَ يَهُوْدِيٍّ؟»، بَيَّنَ فِيْهِ كَذِبَ هَذِهِ الفِرْيَةِ اليَهُوْدِيَّةِ، مِمَّا كَانَ سَبَبًا لِمُحَاكَمَتِهِ عَقِبَ نَشْرِهِ لِكِتَابِهِ هَذَا، وفي أثْنَاءِ مُحَاكَمَتِهِ طَلَبَ مُحَامِيْهِ مِنَ المُهَنْدِسِ الأمْرِيْكِيِّ «فِرِيْد أ. لُوشْتَر» الخَبِيْرِ في تَصْمِيْمِ، وإنْشَاءِ مُعِدَّاتِ الإعْدَامِ المُسْتَخْدَمَةِ في سُجُوْنِ الوِلايَاتِ الأمْرِيْكِيَّةِ بالمُسَاعَدَةِ في اسْتِجْلاءِ مَعَالِمِ الحَقِيْقَةِ عَنْ هَذِهِ المَحْرَقَةِ المَزْعُوْمَةِ!

وعلى إثْرِ ذَلِكَ؛ قَامَ «لُوْشْتَر» بِصُحْبَةِ فَرِيْقٍ مِنَ المُعَاوِنِيْنَ، والمُتَرْجِمِيْنَ، والمُصَوِّرِيْنَ السِّيْنَمَائِيِّيْنَ بالسَّفَرِ إلى «بُوْلَنْدَا»؛ حَيْثُ زَارُوا مَوَاقِعَ أفْرَانِ الغَازِ المَزْعُوْمَةِ، وتَفَقَّدُوْهَا بعِنَايَةٍ، كَمَا تَمَّ لَهُمُ الاطِّلاعُ على الرُّسُوْمِ الهَنْدَسِيَّةِ الإنْسَانِيَّةِ لَهَا، وعلى سِجِلَّاتِهَا التَّارِيْخِيَّةِ (خَاصَّةً في الفَتْرَةِ التَّارِيْخِيَّةِ الَّتِي زَعَمَتِ اليَهُوْدُ أنَّهُم أُحْرِقُوا فِيْهَا!)، كَمَا عَايَنُوا مَا وُصِفَ بـ«غُرَفِ الغَازِ» الشَّهِيْرَةِ، وحَصَلُوا على عَيِّنَاتٍ مِنْهَا لِتَحْلِيْلِهَا، كَذَلِكَ تَمَّ لَهُم دِرَاسَةُ الصُّوَرِ المُلْتَقَطَةِ لِهَذِهِ المُعَسْكَرَاتِ مِنَ الجَوِّ أثْنَاءَ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ، والرُّجُوْعُ إلى كَافَّةِ مَا أمْكَنَ تَوْفِيْرُهُ مِنْ وَثَائِقَ، ومَرَاجِعَ ضَرُوْرِيَّةٍ.

وبَعْدَ الدِّرَاسَةِ والتَّحْقِيْقِ، صَاغَ «لُوْشْتَر» تَقْرِيْرَهُ الَّذِي يُعْتَبَرُ قُنْبُلَةً في وَجْهِ اليَهُوْدِ، وصَاعِقَةً مُدَمِّرَةً لِعُرُوْشِ أدْعِيَاءِ هَذِهِ الكِذْبَةِ البَلْهَاءِ، وهُوَ البَحْثُ الَّذِي احْتَوَى مُجْمَلَ آرَائِهِ المَبْنِيَّةِ على الفَحْصِ العِلْمِيِّ المُحَايِدِ لِمُعَسْكَرَاتِ الاعْتِقَالِ الرَّئِيْسَةِ في «بُوْلَنْدَا»، والَّتِي دَارَتْ حَوْلَهَا أسْطُوْرَةُ «الهُوْلُوكِسْت»، وهِيَ مُعَسْكَرَاتُ: «أوْشْفِيْتز»،

و«بِرْكَنَاوْ» و«مِيْدَانِكْ»، ومُلْحَقَاتِهَا مِنْ عَنَابِرِ حَرْقِ جُثَثٍ، ومَا يُشَاعُ عَنْهَا مِنْ غُرَفِ إعْدَامِ الغَازِ.

وأثْبَتَ البَاحِثُ أيْضًا في تَقْرِيْرِهِ: أنَّهُ بَعْدَ أنْ أتَمَّ فَحصَ مُنْشَآتِ المُعَسْكَرَاتِ، ومَا قَامَ بِهِ مِنْ عَمَلِ قِيَاسَاتٍ فَنِّيَّةٍ، والحُصُوْلِ على عَيِّنَاتِ طِبٍّ شَرْعِيٍّ، ودِرَاسَةِ كُلِّ مَا كُتِبَ عَنْ تَصْمِيْمِ المُنْشَآتِ، وعَنْ غَازِ «زِيكْلُوْن ـ ب»، وكَذَلِكَ مَا قَامَ بِهِ مِنَ الرُّسُوْمِ الأصْلِيَّةِ لعَنَابِرِ حَرْقِ الجُثَثِ، الأمْرُ الَّذِي تَوَصَّلَ مِنْ خِلالِهِ (عَنْ يَقِيْنٍ) إلى نَتِيْجَةٍ حَاسِمَةٍ، مَفَادُهَا أنَّه: «لا يَجِدُ أيَّ دَلِيْلٍ على أنَّ المُنْشَآتِ الَّتِي يُدَّعَى أنَّهَا غُرَفُ إعْدَامٍ قَدْ أنْشِئَتْ لاسْتِخْدَامِهَا في مِثْلِ هَذَا الغَرَضِ»، ويَخْلَصُ عَلاوَةً على ذَلِكَ: إلى أنَّه بسَبَبِ تَصْمِيْمِ، وإنْشَاءِ تِلْكَ المُنْشَآتِ، لا يُمْكِنُ أنْ تَكُوْنَ قَدِ اسْتُخْدِمَتْ ـ على الإطْلاقِ لغُرَفِ إعْدَامٍ بالغَازِ!

فغُرَفُ الإعْدَامِ بالغَازِ لهَا مُوَاصَفَاتٌ مُحْكَمَةٌ لا يُمْكِنُ بأيِّ حَالٍ التَّهَاوُنُ فِيْهَا، وإلَّا سَبَّبَتْ مَوْتَ كُلِّ المُقِيْمِيْنَ في مُحِيْطِهَا، بِمَا فِيْهِم القَائِمِيْنَ على شُؤوْنِهَا، خَاصَّةً وأنَّ الفُحُوْصَاتِ السَّابِقَةَ كَانَتْ قَدْ رَصَدَتِ اهْتِرَاءِ فَتَحَاتِ التَّهْوِيَةِ والأبْوَابِ، الأمْرُ الَّذِي يَقْطَعُ بعَدَمِ صَلاحِيَّةِ الغُرَفِ لهَذِهِ الغَايَةِ.

ويَخْلُصُ التَّقْرِيْرُ بتَسْجِيْلِ «الرَّأيِّ الهَنْدَسِيِّ» النِّهَائِيِّ، فَيَقُوْلُ: «إنَّ أيًّا مِنَ المُنْشَآتِ الَّتِي تَمَّ فَحْصُهَا لم تُسْتَخْدَمْ على الاطْلاقِ في إعْدَامِ

البَشَرِ، وأنَّ عَنَابِرَ حَرْقِ الجُثَثِ لم يَكُنْ في طَاقَتِهَا على الإطْلاقِ إنْجازُ حَجْمِ العَمَلِ الَّذِي يُنْسَبُ إلَيْهَا».

وجَاءَ في خُلاصَةِ تَقْرِيْرِهِ العِلْمِيِّ، وبَحْثِهِ المَيْدَانيِّ، هُوَ أنَّ «غُرَفَ الإعْدَامِ بالغَازِ المَزْعُوْمَةِ في المَوَاقِعِ مَحَلَّ الفَحْصِ لم تُسْتَخْدَمْ، ولا يُمْكِنُ اسْتِخْدَامُهَا إطْلاقًا، أو التَّفْكِيْرُ في اسْتِخْدَامِهَا كغُرَفِ إعْدَامٍ للغَازِ!».

وبرُغْمِ مَا تَقَدَّمَ، فَقَدْ خَرَجَ «أرْنِسْت زِنْدِل» مُنْتَصِرًا؛ لأنَّهُ كَمَا قَالَ عَنْهُ «د. فُوْرِسْيُون»: «سَيُشَارُ إلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ باعْتِبَارِهِ: المُنَاضِلُ السِّلْمِيُّ الَّذِي حَقَّقَ انْتِصَارَهُ بقُوَّةِ العَقْلِ والاقْنَاعِ». انْتَهَى.

انْظُرْ: «تَارِيْخَ القُدْسِ» لعَارِفٍ (٢٣٥)، و«العَالَمَ العَرَبيَّ» لنَجْلاءَ عِزِّ الدِّيْنِ (٣٠٠)، و«وَاقُدْسَاهُ» لسَيِّدٍ العَفَّانيِّ (٣/١٥٦، ٥٠٧)، و«مَكَايِدَ يَهُودِيَّةً» (٣٤٠)، لعَبْدِ الرَّحْمَنِ حَبَنَّكَة، و«لمَاذَا يَكْرَهُوْنَ حَمَاس؟» لأحْمَدَ فَهْمِي، و«الصِّهْيُوْنِيَّة والنَّازِيَّة ونِهَايَة التَّارِيْخِ» لعَبْدِ الوَهَّابِ المِسِيْرِي.

❑ ❑ ❑

الفَصْلُ الرَّابِعُ

المَرَاحِلُ التَّارِيْخِيَّةُ للقَضِيَّةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ

لا شَكَّ أنَّ مَنْ قَرَأ تَارِيْخ فِلِسْطِيْنَ المَسْلُوْبَةِ مُنْذُ عَام (١٣٧٠هـ ـ ١٩٤٨م)، حَتَّى عَامِنَا هَذَا (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م) عَلِمَ يَقِيْنًا أنَّ فِلِسْطِيْنَ قَدْ مَرَّتْ بأرْبَعِ مَرَاحِلَ، كَما يَلي:

مَرْحَلَةُ التَّجْمِيْعِ والتَّقْمِيْشِ، ثُمَّ مَرْحَلَةُ القَوْمِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، ثُمَّ مَرْحَلَةُ السُّلْطَةِ العَلْمَانِيَّةِ، ثُمَّ مَرْحَلَةُ الرَّايَةِ الإسْلامِيَّةِ الصَّافِيَةِ، فَهَاكَ تَفْصِيْلَ هَذِهِ المَرَاحِلِ على وَجْهِ الاخْتِصَارِ:

❑ **المَرْحَلَةُ الأوْلى**: مَرْحَلَةُ التَّجْمِيْعِ والتَّقْمِيْشِ، وهَذِهِ المَرْحَلَةُ كَانَتْ عِنْدَ أوَّلِ مُحَاوَلاتِ بِرِيْطَانيا وغَيْرِهَا مِنْ دُوَلِ الغَرْبِ في تَوْطِيْنِ شُذَّاذِ اليَهُوْدِ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، ولا سِيَّما عِنْدَ إعْلانِ قِيَامِ الدَّوْلَةِ اليَهُوْدِيَّةِ على أرْضِ فِلِسْطِيْنَ عَامَ (١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م).

فَعِنْدَئِذٍ قَامَ المُسْلِمُوْنَ بواجِبِ الجِهَادِ عَنْ أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، وإخْرَاجِ العَدُوِّ اليَهُوْدِيِّ، وفُلُوْلِ بَقَايَا الصَّلِيْبِيِّيْنَ مِنَ البرِيْطَانِيِّيْنَ وغَيْرِهِم؛ حَيْثُ ثَارَتْ أكْثَرُ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ والإسْلامِيَّةِ، والمُنَظَّماتِ والجَماعَاتِ الإسْلامِيَّةِ في الدِّفَاعِ عَنْ بَيْتِ المَقْدِسِ، إلَّا أنَّ هَذِهِ الجُمُوْعَ المُجَاهِدَةَ المُسْلِمَةَ لم تَسْلَمْ مِنْ قَوْمِيَّاتٍ عَرَبِيَّةٍ، وسِيَاسَاتٍ

عَلْمَانِيَّةٍ، وعَمَالاتٍ خَفِيَّةٍ، ونَصَارَى عَرَبٍ، ومَذَاهِبَ بَاطِنِيَّةٍ... الأمْرُ الَّذِي جَعلَ المَعْرَكَةَ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ واليَهُوْدِ غَيْرَ وَاضِحَةِ الهَدَفِ، ولا صَادِقَةَ النِّيَّةَ، وهَذَا في حَدِّ ذَاتِهِ كَافٍ لانْتِصارِ اليَهُوْدِ، وتَمكِيْنِهِم مِنْ أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، وانْكِشَافِ المُسْلِمِيْنَ، وذِهَابِ رِيْحِهِم!

إلَّا أنَّنا مَعَ هَذِهِ الدُّخُوْلاتِ القَوْمِيَّةِ، والإرْتِجَالاتِ السِّيَاسِيَّةِ؛ لا نَنْسَى الجُهُوْدَ الصَّادِقَةَ، والمَوَاقِفَ الجِهَادِيَّةَ الَّتِي قُدِّمَتْ في هَذِهِ الحِقْبَةِ التَّارِيخِيَّةِ مِنْ بَعْضِ حُكَّامِ المُسْلِمِيْنَ، لا سِيَّما بِلادِ الحَرَمِيْنَ وغَيْرِهَا، وبَعْضِ الجَماعَاتِ الإسْلامِيَّةِ، لا سِيَّما جَماعَةَ «الإخْوَانُ المُسْلِمُوْنَ»!

فأمَّا جَماعَةُ «الإخْوَانُ المُسْلِمُوْنَ» فَكَانَ لَها، ولا سِيَّما لمؤسِّسِهَا الأسْتَاذِ حَسَنِ البَنَّاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ الجُهُوْدُ المَشْكُوْرَةُ، والمَوَاقِفُ المَشْهُوْدَةُ في جِهَادِ العُدْوَانِ اليَهُوْدِيِّ والبِرِيْطَانيِّ، وصَدِّ عَادِيَتِهِم؛ حَيْثُ أبْلُوا بَلاءً حَسَنًا ممَّا يَشْهَدُ لَهُ التَّارِيْخُ، ويَحْتَفِظُ بِهِ المُسْلِمُوْنَ لإخْوَانِهِم المُجَاهِدِيْنَ مِنْ هَذِهِ الجَمَاعَةِ، وقَدْ قَالَ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التَّوبَة: ١٢٠].

* * *

ومِنْ هُنَا؛ لَمَّا رَأتِ الدُّوَلُ الصَّلِيْبِيَّةُ النَّصْرَانِيَّةُ، ولا سِيَّما بِرِيْطَانيَا وأمْرِيْكا وغَيْرُها أنَّ المُسْلِمِيْنَ دُوَلاً وجَماعَاتٍ وأفْرَادًا قَدْ تَجْمَعُهُم كَلِمَةُ «الجِهَادِ» لتَحْرِيْرِ بَيْتِ المَقْدِسِ مِنْ أيْدِي اليَهُوْدِ، وأنَّهُم إذَا مَا اتَّحدُوا يَوْمًا مِنَ الأيَّامِ تَحتَ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ سَيَكُوْنُوْنَ خَطَرًا

قَادِمًا، وقُوَّةً كَبِيْرَةً لا يُسْتَهَانُ بِهَا، ممَّا قَدْ تُبْطِلُ كُلَّ الجُهُوْدِ والمُخَطَّطَاتِ الَّتِي بَذَلَتْهَا دُوَلُ الصَّلِيْبِ النَّصْرَانيِّ في تَمكِيْنِ إخْوَانِهِم مِنَ اليَهُوْدِ الغَاصِبِيْنَ!

فعِنْدَئِذٍ جَاءَ القَرَارُ المَاكِرُ مِنْ مَجْلِسِ الأمْنِ (النَّصْرَانيِّ اليَهُوْدِيِّ!) وغَيْرِهِ في البَحْثِ عَنْ فَصْلِ الأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ عَنْ بَعْضِهَا البَعْضِ، وتَمْزِيْقِ رَايَاتِها، وتَبْدِيْدِ جُهُوْدِهَا، كَي تَنْفَرِدَ اليُهُوْدُ بدَوْلَتِهَا، وقُوَّتِها المَحَلِيَّةِ والعَالمِيَّةِ.

فَمِنْ هُنَا؛ اجْتَهَدَتِ اليَهُوْدُ، والدُّوَلُ النَّصْرَانِيَّةُ بطَرِيْقٍ أو آخَرَ في فَصْلِ الأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ عَنِ القَضِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ، وفي إبْعَادِهَا عَنْ سَاحَةِ المَعْرَكَةِ، وذَلِك بتَحْجِيْمِ وتَقْلِيْصِ القَضِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ في أيْدِي دُوَلٍ ضَعِيْفَةٍ لا حَوْلَ لها ولا قُوَّةَ، وذَلِك مَاثِلٌ في المَرْحَلَةِ الآتِيَةِ.

* * *

❑ **المَرْحَلَةُ الثَّانِيَةُ**: مَرْحَلَةُ القَوْمِيَّاتِ العَرَبِيَّةِ، وذَلِك في تَبَنِّي دُوَلِ «الجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ» للقَضِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ دُوْنَ غَيْرِهَا مِنَ الدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ الأُخْرَى: كدُوَلِ إفْرِيْقِيَا، وشَرْقِ أسيَا، وغَيْرِهَا مِنَ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ غَيْرَ العَرَبِيَّةِ!

الأمْرُ الَّذِي أخْرَجَ القَضِيَّةَ الفِلَسْطِيْنِيَّةَ عَنِ هَذِهِ الدُّوَلِ (غَيْرِ العَرَبِيَّةِ!)، وجَعَلَ دَوْرَهَا في القَضِيَّةِ دَوْرَ المُحَايِدِ الأعْزَلِ، الَّذِي لَيْسَ

لَهُ مِنَ الأمْرِ إلَّا الشَّفَاعَةُ، والتَّوَسُّطُ، والمَوْقِفُ الإنْسَانيُّ الضَّعِيْفُ؛ لَيْسَ إلَّا!

بمَعْنَى أنَّ مَا يَحْدُثُ في أرْضِ فِلَسْطِيْنَ يُعْتَبرُ حَقًّا خَاصًّا لدُوَلِ «الجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ» في بَحْثِهِ ومُنَاقَشَتِهِ، دُوْنَ غَيْرِهَا مِنَ الدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ الأُخْرَى؛ لِذَا فإنَّ تَدَخُلَ هَذِهِ الدُّوَلِ غَيْرِ العَرَبِيَّةِ في القَضِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ يُعْتَبرُ تَدَخُّلاً في شُؤوْنِ الآخَرِيْنَ، وجَرِيْمَةً يُحَاكَمُوْنَ عَلَيْهَا دُوَلِيًّا عِنْدَ مَجْلِسِ الأمْنِ، وهَيْئَةِ الأمَمِ، وغَيْرِهَا مِنَ المَحَاكِمِ الدُّوَلِيَّةِ القَاضِيَةِ، الأمْرُ الَّذِي قَدْ يَدْفَعُ مَجْلِسَ الأمْنِ (النَّصْرانيِّ اليَهُوْدِيِّ) إلى فَرْضِ الحَظَرِ على كُلِّ دَوْلَةٍ تَتَدَخَّلُ في شُؤوْنِ الآخَرِيْنَ، أو القِيَامِ بإعْلانِ الحَرْبِ عَلَيْهَا!

وعَلَيْهِ، فَقَدْ تَقَلَّصَتْ قَضِيَّةُ فِلَسْطِيْنَ في الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ فَقَطْ، ممَّا جَعَلَ دَوْرَهَا ضَعِيفًا ومَحْدُوْدًا، لَيْسَ لهَا مِنَ الأمْرِ إلَّا التَّنْدِيْدَاتُ والاسْتِنْكَارَاتُ، وإبْرَامُ المُؤتمَرَاتِ واللِّقَاءَاتِ؛ كُلَّ ذَلِكَ بَعِيْدًا عَنْ بَحْثِ الحَلِّ الشَّرْعِيِّ، والهَدَفِ المَنْشُوْدِ، عِنْدَمَا عَلَّقَتْ «جَامِعَةُ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ» قَضِيَّةَ فِلَسْطِيْنَ بمَجْلِسِ الأمْنِ، وهَيْئَةِ الأمُمِ، وغَيْرِهَا مِنْ أوْكَارِ اليَهُوْدِ والنَّصَارَى، فاللهُ المُسْتَعَانُ!

* * *

وقَدْ بَاتَ سِنِيْنَ عَدَدًا: أنَّ الجَامِعَةَ العَرَبِيَّةَ (للأسَفِ!) لم تَكُنْ مَحْظُوظَةً في مَوَاقِفِهَا تُجَاهَ القَضِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ مُنْذ بِدَايَتِهَا؛ حَتَّى سَاعَتِي هَذِهِ؛ بَلْ لم يَكُنْ لهَا دَوْرٌ كَبِيرٌ في حَلِّ القَضِيَّةِ إلَّا التَّخَاذُلَ

والاسْتِسْلامَ، ولا يُنبئُكَ مِثْلُ الحقَائِقِ التَّارِيخِيَّةِ، والوَثَائِقِ المَيْدَانِيَّةِ، وكَذَا فَإنَّ دَلِيْلَ الشَّاهِدِ والحَالِ قَائِمٌ لكُلِّ ذِي عَيْنٍ.

ومِنْ بَابِ الأمَانَةِ التَّارِيخِيَّةِ كَانَ وَاجِبًا أنْ نَذْكُرَ أخْطَرَ دَوْرٍ قَامَتْ بِهِ الجَامِعَةُ العَرَبِيَّةُ تُجاهَ القَضِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ: وهُوَ دَعْوَتُها لمُسْلِمِي فِلِسْطِيْنَ بأنْ يَنْزِعُوا السَّلاحَ، وأنْ يَكُوْنُوا مُتَجَرِّدِيْنَ مِنْ كُلِّ مُقَاوَمَةٍ تُعَزِّزُ الحِفَاظَ على حَيَاتِهم، أو تُؤكِّدُ وُجُوْدَهُم!

كُلَّ هَذَا (للأسَفِ!): كَانَ مِنَ الجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ بدَافِعِ أنْ تَقُوْمَ هِيَ بدَوْرِهَا الفَعَّالِ في تَصْفِيَةِ، وتَسْوِيَةِ القَضِيَّةِ، وحَلِّهَا مِنْ خِلالِ الطُّرُقِ السِّلْمِيَّةِ، وذَلِكَ برَفْعِ مَلَفِ القَضِيَّةِ إلى الجِهَاتِ المُخْتَصَّةِ في فَضِّ المُنَازَعَاتِ الدُّوَلِيَّةِ؛ كَمَجْلِسِ الأمْنِ، وهَيْئَةِ الأمَمِ، والمَحَاكِمِ الدُّوَلِيَّةِ وغَيْرِهَا مِنْ دُوَرِ اليَهُوْدِ والنَّصَارَى، ولا سِيَّما البَيْتُ الأبْيَضُ (الأسْوَدُ!)، وأيْضًا لكَسْبِ مَوْقِفِ بِرِيْطَانِيَا الَّتِي لم تَزَلْ تَعْتَبِرُهَا أكْثَرُ دُوَلِ العَرَبِ: صَدِيْقَةً وَفِيَّةً!

نَعَم هَذِهِ الجَامِعَةُ العَرَبِيَّةُ، وهَذِهِ أدْوَارُهَا ومَوَاقِفُهَا، ومَعَ هَذَا فَإنَّنا لا نَظُنُّ بأصْحَابِها إلَّا خَيرًا، لا سِيَّما بَعْضُ الحُكَّامِ المُسْلِمِيْنَ، ممَّنْ لهُم دَوْرٌ كَبِيرٌ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، ومُنَاصَرَةِ إخْوَانِنَا هُنَاكَ، غَيْرَ أنَّ هَذِهِ النِّيَّاتِ الصَّادِقَةَ شَيءٌ، والوَاقِعُ شَيءٌ آخَرُ، فالنِّيَّةُ الصَّادِقَةُ إذَا لم تَقْتَرِنْ بعَمَلٍ صَالِحٍ لا يَكُوْنُ لهَا أثَرٌ ولا أجْرٌ، واللهُ أعْلَمُ!

ومِنْ هُنَا كَانَ مِنْ تَتِمَّةِ الأمَانَةِ التَّارِيْخِيَّةِ أنْ أذْكُرَ شَيْئًا مختَصَرًا

عَنْ تَارِيْخ هَيْئَةِ الأمَمِ، ومجْلِسِ الأمْنِ، والجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ ممَّا يَقْطَعُ الشَّكَّ عِنْدَ كُلِّ مُسْلِمٍ يُرِيْدُ للقَضِيَّةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ حَلًّا شَرْعِيًّا، وهَذَا مَا سَيأتي ذِكْرُهُ في الفَصْلِ الخَامِسِ الآتي إنْ شَاءَ اللهُ.

* * *

□ **المَرْحَلةُ الثَّالِثَةُ:** مَرْحَلَةُ السُّلْطَةِ العَلْمَانِيَّةِ، المَاثِلَةِ في مُنَظَّمَةِ التَّحْرِيْرِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ الَّتِي يَترأسُهَا: يَاسِرُ عَرَفَاتُ؛ حَيْثُ قَامَتْ هَذِهِ المُنَظَّمَةُ بدَعْمٍ مِنْ دُوَلِ الغَرْبِ النَّصْرانيِّ، ومُسَانَدَةٍ مِنَ الكَيَانِ اليَهُوْدِيِّ، ومَا ذَاكَ مِنْهُم إلَّا بشُرُوْطٍ مَاكِرَةٍ:

مِنْهَا: أنْ تَكُوْنَ هَذِهِ السُّلْطَةُ عَلْمَانِيَّةً (وَطَنِيَّةً قَوْمِيَّةً) بَعِيْدَةً عَنِ الإسْلامِ.

ومِنْهَا أيْضًا: أنْ تَنْقُلَ هَذِهِ المُنَظَّمَةُ القَضِيَّةَ الفِلِسْطِيْنِيَّةَ مِنَ المَعْرَكَةِ الإسلامِيَّةِ إلى الحِوَارَاتِ العَلْمانِيَّةِ المُتَمَثِّلَةِ في المُؤتَمرَاتِ، والمُنَظَّماتِ السِّلْمِيَّةِ (زَعَمُوا!) الَّتِي يَفْرِضُهَا مَجْلِسُ الأمْنِ، وهَيْئَةُ الأمَمِ كَمَا تُرِيْدُهُ أمْرِيكَا، وبِرِيْطَانِيَا، ورَبِيْبَتُهُم دَوْلَةُ اليَهُوْدِ الصِّهْيُوْنِيَّةِ!

أمَّا تَشْكِيْلُ جَيْشِ التَّحْرِيْرِ الفِلِسْطِيْنِيِّ: فلِسَبَبٍ، أو لآخَرَ تَعَرَّضَتِ المُقَاوَمَةُ الفِلِسْطِيْنِيَّةُ لاخْتِبَارٍ شَدِيْدٍ، اقْتَرَنَ بقَرَارَاتِ مُؤتَمَرِ القِمَّةِ العَرَبيِّ الَّذِي عُقِدَ في عَامِ (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م) بالقَاهِرَةِ؛ حَيْثُ اتَّخَذَ الرُّؤسَاءُ، والأمَرَاءُ، والمُلُوكُ: قَرَارًا بتَشْكِيلِ جَيْشٍ مِنْ أبْنَاءِ

فِلَسْطِيْنَ انْتِظَارًا لِيَوْمِ التَّحْرِيْرِ، وكَانَ هَذَا القَرَارُ إيْذَانًا بِمِيْلادِ مُنَظَّمَةِ التَّحْرِيْرِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ.

ومِنْ هُنَا وُلِدَتْ مُنَظَّمَةُ التَّحْرِيْرِ: شِيَعًا وأحْزَابًا على أرْضِ مِصْرَ، وسُوْرِيَا، ولِبْنَانَ، وشَرْقِ الأرْدُنِ... بَعْضُهَا يَدِيْنُ بالمَارِكْسِيَّةِ، وبَعْضُهَا يَدِيْنُ بالاشْتِرَاكِيَّةِ... وبَعْضُهَا يَدِيْنُ للنِّظَامِ السُّورِيِّ النُّصَيْرِيِّ، وبَعْضُهَا يَدِيْنُ للنِّظَامِ المِصْرِيِّ العَلْمانِيِّ!

* * *

فَعِنْدَئِذٍ بَاتَتِ القَضِيَّةُ الفِلَسْطِيْنِيَّةُ رَهِيْنَةَ المُفَاوَضَاتِ والمُؤتَمراتِ العَقِيْمَةِ، وذَلِكَ حِيْنَما وُسِّدَ الأمْرَ إلى غَيْرِ أهْلِهِ، ومِنْهُ وُضِعَتِ القَضِيَّةُ الفِلَسْطِيْنِيَّةُ على مَائِدَةِ الحِوَارِ في مَجْلِسِ الأمْنِ وغَيْرِهَا مِنَ المُؤتَمرَاتِ الَّتِي تُدِيْرُهَا أيْدِي أعْدَاءِ الأمْسِ الَّذِيْنَ مَكَّنُوا لليَهُوْدِ في أرْضِ فِلَسْطِيْنَ بالمَالِ والسِّلاحِ، وأمَّا اليَوْمَ فَهُم حُمَاةُ اليَهُوْدِ وحُرَّاسُهَا، بَلْ قُضَاتُها ومُنَاصِرُوْهَا، فمِنْهُم بَدَأتِ القَضِيَّةُ وإلَيْهِم عَادَتْ، فَهُمُ الخَصْمُ والحَكَمُ!

فَلَيْتَ شِعْرِي؛ أيُّها المُسْلِمُوْنَ! مَنِ الَّذِي مَكَّنَ اليَهُوْدَ في فِلَسْطِيْنَ، ومَنِ الَّذِي يَدْعَمُهَا، ومَنِ الَّذِي يَحْرُسُهَا، ومَنِ الَّذِي وَرَاءَهَا؟ ألَيْسَ هِيَ أمْرِيْكَا، وبِرِيْطَانِيَا، وفَرَنْسَا، وغَيْرَهَا مِنْ دُوَلِ النَّصَارَى الصَّلِيْبِيَّةِ؟

فَانْظُرْ إلَيْهِم في مَجْلِسِهِمُ الأمْنِي، وبَيْتِهِمُ الأبْيَضِ، وهَيْئَتِهِم

الأمِيَّةِ! لِترى بأُمِّ عَيْنِك حَقِيْقَةَ الفَوْضَوِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ، والمَهْزَلَةِ الفِكْرِيَّةِ الَّتِي تَسْعَى وَرَاءهَا مُنَظَّمَةُ التَّحْرِيْرِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ، والجَامِعَةُ العَرَبِيَّةُ وغَيْرُهَا ممَّنْ يَرْكُضُ حَثِيْثًا وَرَاءَ أوْكَارِ اليَهُوْدِ والنَّصَارَى، وفِيْهِم يَصْدُقُ المَثَلُ السَّائِرُ: كالمُسْتَجِيْرِ مِنَ الرَّمْضاءِ بالنَّارِ!

وصَدَقَ اللهُ تَعَالَى إذْ يَقُوْلُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ١٣٩﴾ [النِّسَاءُ: ١٣٩].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٦٥﴾ [يُوْنُس: ٦٥]، وقَوْلُهُ تَعالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾ [التَّوْبَة: ٤٧]. وقَالَ تَعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ [البَقَرَةُ: ١٢٠]، وغَيْرُهَا كَثِيرٌ.

* * *

نَعم؛ فإنَّ الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةَ الأمْرِيْكِيَّةَ قَدِ اسْتَدْرَجَتْ مُنَظَّمَةَ التَّحْرِيْرِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ إلى الاعْتِرَافِ بالدَّوْلَةِ اليَهُوْدِيَّةِ العُدْوَانِيَّةِ؛ حَيْثُ اعْتَرَفَ رَئِيْسُ مُنَظَّمَةِ التَّحْرِيْرِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ بحَقِّ اليَهُوْدِ في الوُجُوْدِ كدَوْلَةٍ، وذَلِكَ في مُؤتَمرٍ صُحُفِيٍّ عُقِدَ في جِنِيْف (سُوِيْسَرا) بحَقِّ إسْرَائِيْلَ في الوُجُوْدِ كدَوْلَةٍ، ويُوَافِقُ على قَرَارَيْ مَجْلِسِ الأمْنِ

(٢٤٢، ٣٣٨)، ونَبْذِ الإرْهَابِ بكُلِّ أشْكَالِهِ (أيْ وَقْفِ الانْتِفَاضَةِ ضِدَّ اليَهُوْدِ)!

هَذَا الاعْتِرَافُ أصَابَ القَضِيَّةَ الفِلِسْطِيْنِيَّةَ إصَابَةً بَالِغَةً؛ لأنَّهُ اعْتِرَافٌ مِنْ أهْلِ الدَّارِ بأحَقِّيَّةِ المُغْتَصِبِ فِيْما اغْتَصَبَ!

ومَعَ هَذَا فَإنَّ حَرَكَةَ «حَمَاس» قد رَفَضَتْ كُلَّ هَذِهِ التَّوَجُّهَاتِ (التَّصَرُّفَاتِ) عَبْرَ تَصْعِيْدِ المَوَاجَهةِ اليَوْمِيَّةِ مَعَ سُلُطَاتِ الاحْتِلالِ اليَهُوْدِيِّ إشَارَةً إلى أنَّ الجِهَادَ والصُّمُوْدَ في وَجْهِ الاحْتِلالِ: هُما اللَّذَانِ يُجْبِرَانِ العَدُوَّ على الانْسِحَابِ، ولَيْسَ التَّنَازُلاتُ والمُفَاوَضَاتُ.

انْظُرْ: «مَجَلَّةَ المُجْتَمَعِ الكُوَيْتِيَّةِ» (٨٩٧/١٨) جُمَادَى الأوْلى (١٤٠٩)، و«مَلامِحَ القَضِيَّةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ في المَرْحَلَةِ القَادِمَةِ» لعَبْدِ العَزِيْزِ العَمْرِي، و«الطَّرِيْقَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ» (٥٩٣) لجَمالِ مَسْعُوْدٍ، ووَفَاءَ جُمْعَةَ.

* * *

ومِنْ رَحِمِ «مُنَظَّمَةِ التَّحْرِيْرِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ» خَرَجَتْ «حَرَكَةُ التَّحْرِيْرِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ»، تَحْتَ مُسَمَّى: «فَتْح»، وهَذِهِ الحَرَكَةُ لَيْستْ عَنِ المُنَظَّمَةِ ببَعِيْدٍ، فَهِي ذَاتُ رَايَاتٍ شَتَّى مِنْ إسْلامِيَّةٍ، وقَوْمِيَّةٍ، ووَطَنِيَّةٍ؛ حَيْثُ جَمَعَتْ في أعْطَافِهَا الغَثَّ والسَّمِيْنَ مِنْ أصْحَابِ المَذَاهِبِ والأفْكَارِ المُنْحَرِفَةِ، ومِنْ أهْلِ المِلَلِ والنِّحَلِ الكَافِرَةِ، لا سِيَّما العَلْمَانِيِّيْنَ

والمَارِكْسِيِّيْنَ والشِّيُوعِيِّيْنَ والنَّصَارَى العَرَبِ، وبَعْضِ الفِرَقِ البَاطِنِيَّةِ كالبَهَائِيَّةِ وغَيْرِهَا ممَّا هُوَ مَعْلُوْمٌ للجَمِيْعِ!

نَعم؛ فَنَحْنُ كَغَيْرِنَا لا نَشُكُّ أنَّ حَرَكَةَ «فَتْحٍ» فِيْهَا مِنَ الرُّمُوْزِ الإسْلامِيَّةِ الصَّادِقَةِ، وأنَّ فِكْرَتَها نَبِيْلَةٌ، وهَدَفَهَا مَشْرُوْعٌ، وهُوَ تَحْرِيْرُ أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، لَكِنَّ هَذَا وذَاكَ لا يَشْفَعُ لها بِأنْ تَكُوْنَ مُؤهَّلَةً لتَحْرِيْرِ فِلِسْطِيْنَ؛ لأنَّ تَحْرِيْرَ النُّفُوْسِ مِنْ عُبُوْدِيَّةِ غَيْرِ اللهِ مُقَدَّمٌ على تَحْرِيْرِ الأوْطَانِ، لِذَا كَانَ تَحْقِيْقُ العُبُوْدِيَّةِ لله تَعالى مُقدَّمٌ أوَّلاً، وتَحْقِيْقُ الوَلاءِ والبَرَاءِ في اللهِ مُقَدَّمٌ على وَلاءِ الوَطَنِ، فَالأرْضُ لا تُقَدِّسُ أحَدًا، ولا تَنْفَعُ إنْسَانًا!

ثُمَّ لَيْسَ هَذَا مَقَامُ التَّفْصِيْلِ في مِثْلِ هَذَا المَوْضُوْعِ؛ لأنَّه يَحْتَاجُ إلى بَسْطَةِ حَدِيْثٍ لَيْسَ هَذَا مَحَلَّهُ، واللهُ تَعالى أعْلَمُ.

* * *

فَكَانَتْ حَرَكَةُ «فَتْحٍ» مِنْ أبْرَزِ فَصَائِلِ المُقَاوَمَةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ الَّتِي بَدَأتْ تُمارِسُ جِهَادًا فِعْليًّا لتَحْرِيْرِ أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، وكَانَ أوَّلُ بَلاغٍ رَسْمِيٍّ يَحْمِلُ اسْمَ حَرَكَةِ التَّحْرِيْرِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ «فَتْحٍ» عَامَ (١٣٨٥هـ ـ يَنَايِرْ كَانُوْن الثَّاني ١٩٦٥م)، وهَكَذَا بَدَأتْ «فَتْحٌ» حَرَكَتَهَا في إقَامَةِ الجِهَادِ، والمُقَاوَمَةِ، والفِدَائِيَّةِ.

وهَذَا المَعْنى الَّذِي نَشَرَتْهُ «فَتْحٌ» قَبْلَ عَامٍ مِنَ بَلاغِهَا هُوَ نَفْسُهُ الَّذِي أعْلَنَهُ «مُوْشِي دَايَان» في أوَاخِرِ (يُوْنِيُو ١٩٦٨م ـ ١٣٨٨هـ)؛

حَيْثُ قَالَ: «إنَّ «فَتْحَ» تَعْنِي اسْتِمْرَارَ الفِلِسْطِنِيِّيْنَ في الثَّوْرَةِ، وأنَّها تُكَبِّدُ إسْرَائِيْلَ كَثِيرًا مِنَ الخَسَائِرِ في الأمْوَالِ والأرْوَاحِ».

وكَانَتْ «فَتْحُ» فَاتِحَةَ الطَّرِيْقِ لعَدِيْدٍ مِنَ الهَيْئَاتِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ الَّتِي أعْلَنَتْ بَدْءَها العَمَلَ الجِهادِيَّ الفِدَائيَّ، ولَكِنْ «فَتْحُ» ظَلَّتِ التَّنْظِيْمَ السِّرِّيَّ الفِدَائِيَّ الوَحِيْدَ المَعْرُوْفَ طَوَالَ عَامَيْنِ في مِحْوَرِ القَضِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ، عَمِلَتْ في ظُرُوْفٍ قَاسِيَةٍ وشَدِيْدَةٍ؛ لأنَّها كَانَتْ تَعْمَلُ فِيْما يُشْبِهُ الفَرَاغَ، خِلافَ المُنَظَّماتِ الفِدَائِيَّةِ الأُخْرَى الَّتِي أعْقَبَتْها؛ حَيْثُ عَمِلَتْ في ظُرُوْفٍ قَدْ هَيَّئَتْها «فَتْح» بِجِهادٍ اسْتَغْرَقَ عَامَيْنِ مِنَ الزَّمَنِ، والمُقَاوَمَةِ الجِهادِيَّةِ. انْظُرْ «جِهادَ شَعْبِ فِلِسطِيْنَ» لصَالِحِ أبي بَصِيْرٍ (٥٥٨)، و«الطَّرِيْقَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ» (٥٧٦) لجَمالِ مَسْعُوْدٍ، ووَفَاءِ جُمْعَةَ.

* * *

وقَبْلَ الخُرُوْجِ مِنْ ذِكْرِنَا لهَذِهِ المَرَاحِلِ الثَّلاثَةِ، أحْبَبْنَا أنْ نَذْكُرَ مَا قَالَهُ شَيْخُنَا العَلَّامَةُ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في جَوابٍ لَهُ عَنِ الحَلِّ الشَّرعِيِّ لقَضِيَّةِ فِلِسْطِيْنَ، مَعَ بَيانِ الأخْطَاءِ الَّتِي ارْتُكِبَتْ في مَرَاحِلِهَا الثَّلاثِ آنِفَةِ الذِّكْرِ، وهُوَ مَا جَاءَ في «مَجْمُوْعِ فَتَوَاه» (١/ ٢١٨): «كَيْفَ السَّبِيْلُ، ومَا هُوَ المَصِيْرُ في القَضِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ الَّتِي تَزْدَادُ مَعَ الأيَّامِ تَعْقِيْدًا وضَرَاوَةً؟

فَأجَابَ إنَّ المُسْلِمَ لَيَتَألمُ كَثِيْرًا، ويَأسَفُ جِدًّا مِن تَدَهْوُرِ القَضِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ مِنْ وَضْعٍ سَيِّئٍ إلى وَضْعٍ أسْوأ مِنْهُ، وتَزْدَادُ تَعْقِيْدًا مَعَ

الأيَّامِ؛ حَتَّى وَصلَتْ إلى مَا وَصلَتْ إلَيْهِ في الآوِنَةِ الأخِيْرَةِ، بِسَبَبِ اخْتِلافِ الدُّوَلِ المُجَاوِرَةِ، وعَدَمِ صُمُوْدِهَا صَفًّا وَاحِدًا ضِدَّ عَدُوِّهَا، وعَدَمِ الْتِزَامِهَا بِحُكْمِ الإسْلامِ الَّذِي عَلَّقَ اللهُ عَلَيْهِ النَّصْرَ، ووَعَدَ أهْلَهُ بالاسْتِخْلافِ والتَّمْكِيْنَ في الأرْضِ، وذَلِكَ يُنْذِرُ بالخَطَرِ العَظِيْمِ، والعَاقِبَةِ الوَخِيْمَةِ، إذَا لم تُسَارِعِ الدُّوَلُ المُجَاوِرَةُ إلى تَوْحِيْدِ صُفُوفِهَا مِنْ جَدِيْدٍ، والْتِزَامِ حُكْمِ الإسْلامِ تُجَاهَ هَذِهِ القَضِيَّةِ، الَّتِي تَهُمُّهُم وتَهُمُّ العَالَمَ الإسْلامِيَّ كُلَّهُ، ومِمَّا تَجْدُرُ الإشَارَةُ إلَيْهِ في هَذَا الصَّدَدِ أنَّ القَضِيَّةَ الفِلِسْطِيْنِيَّةَ قَضِيَّةٌ إسْلامِيَّةٌ أوَّلاً وأخِيْرًا، ولَكِنَّ أعْدَاءَ الإسْلامِ بَذَلُوا جُهُوْدًا جَبَّارَةً لإبْعَادِهَا عَنِ الخَطِّ الإسْلامِيِّ، وإفْهَامِ المُسْلِمِيْنَ مِنَ غَيْرِ العَرَبِ، أنَّها قَضِيَّةٌ عَرَبِيَّةٌ، لا شَأنَ لغَيْرِ العَرَبِ بِها، ويَبْدُو أنَّهُم نَجَحُوا إلى حَدٍّ مَّا في ذَلِك، ولِذَا فَإنَّنِي أرَى أنَّهُ لا يُمْكِنُ الوُصُوْلُ إلى حَلِّ تِلْكَ القَضِيَّةِ، إلَّا باعْتِبَارِ القَضِيَّةِ إسْلامِيَّةً، وبالتَّكَاتُفِ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ لإنْقَاذِهَا، وجِهَادِ اليَهُوْدِ جِهَادًا إسْلامِيًّا حَتَّى تَعُوْدَ الأرْضُ إلى أهْلِهَا، وحَتَّى يَعُوْدَ شُذَّاذُ اليَهُوْدِ إلى بِلادِهِم الَّتِي جَاؤوا مِنْهَا، ويَبْقَى اليَهُوْدُ الأصْلِيُّوْنَ في بِلادِهِم، تَحتَ حُكْمِ الإسْلامِ، لا حُكْمَ الشِّيُوعِيَّةِ، ولا العَلْمانِيَّةِ، وبذَلِكَ يَنْتَصِرُ الحَقُّ، ويُخْذَلُ البَاطِلُ، ويَعُوْدُ أهْلُ الأرْضِ إلى أرْضِهِم على حُكْمِ الإسْلامِ، لا على حُكْمِ غَيْرِهِ، واللهُ المُوَفِّقُ». انْتَهَى.

* * *

❐ **المَرْحَلَةُ الرَّابِعَةُ**: مَرْحَلَةُ الرَّايَةِ الإسْلامِيَّةِ، وهَذِهِ المَرْحَلَةُ

تُعْتَبرُ مِنْ أهَمِّ المَراحِلِ في تَارِيْخِ المُسْلِمِيْنَ مَعَ عَدُوِّهِم اليَهُوْدِيِّ على أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، أيْ مُنْذُ عَام (١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٧م) إلى وَقْتِنا هَذَا، وذَلِكَ حِينَمَا انْتَقَلَتِ القَضِيَّةُ الفِلِسْطِيْنِيَّةُ مِنْ مَرَاحِلِهَا الثَّلاثَةِ إلى المَعْرَكَةِ الإسْلامِيَّةِ، وتَجَاوَزَتْ في الوَقْتِ نَفْسِهِ مَعْرَكَةَ الرَّايَاتِ القَومِيَّةِ والوَطَنِيَّةِ وغَيْرَهَا مِمَّا لم يُقَدِّمْ للقَضِيَّةِ إلَّا الهَوَانَ، والانْهِزَامَ، والمُتَاجَرَةَ بالدِّمَاءِ، والمُرَاهَنَةَ على الأرْوَاحِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ المُسْلِمَةِ.

إنَّ هَذِهِ المَرْحَلَةَ بحَقٍّ: هِيَ مَرْحَلَةُ الجِهَادِ الإسْلامِيِّ، بَلْ هِيَ مَرْحَلَةُ النَّصْرِ والتَّمْكِيْنِ على العُدْوَانِ اليَهُوْدِيِّ، والطُّغْيَانِ النَّصْرَانيِّ إنْ شَاءَ اللهُ، كَمَا أنَّها مَرْحَلَةُ تَحْقِيْقِ العُبُوْدِيَّةِ للهِ تَعَالى في العِبَادِ والبِلادِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ، وذَلِكَ مَاثِلٌ في حَرَكَةِ المُقَاوَمَةِ الإسْلامِيَّةِ الَّتِي اتَّخَذَتْ اسْمَ: «حَمَاس».

* * *

فَفِي عَامِ (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م)، انْطَلَقَتِ الانْتِفَاضَةُ الفِلِسْطِيْنِيَّةُ (انْتِفَاضَةُ الجِهَادِ)، واشْتَرَكَتْ فِيْهَا جَمِيْعُ الفِئَاتِ الشَّعْبِيَّةِ مِنْ «حَمَاس» (حَرَكَةِ المُقَاوَمَةِ الإسْلامِيَّةِ)، وتَنْظِيْم الجِهَادِ، والمُقَاوَمَةِ الفِلسْطِيْنِيَّةِ، وغَيْرِهَا.

وهَذِهِ الانْتِفَاضَةُ وَثِيْقَةُ الصِّلَةِ بالحَرَكَةِ الجِهَادِيَّةِ الَّتِي قَامَتْ على أرْضِ فِلِسْطِيْنَ مُنْذُ عَامِ (١٣٣٨هـ ـ ١٩١٩م)، وحَتَّى الآنَ، وَثِيْقَةُ الصِّلَةِ بمُحَمَّدٍ جَمْجُوْمٍ، وعَطَا الزَّيْدِ، والشَّيْخِ عِزِّ الدِّيْنِ القَسَّامِ، وعَبْدِ القَادِرِ الحُسَيْنِيِّ.

حَيْثُ بَدَأَتْ حَرَكَةُ «حَمَاس» تَبْرُزُ بشَكْلٍ مُنَظَّمٍ وَاضِحٍ، وأخَذَتْ تَشْتَدُّ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، ويَصْلُبُ عُوْدُهَا... وهَكَذَا حَتَّى إذا أعْلَنَتْ «حَمَاس» عَنْ هُوِيَّتِهَا، وأنَّها فَرْعٌ مِنْ حَرَكَةِ «الإخْوَانُ المُسْلِمُوْنَ» انْتَفَضَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا هَلَعًا، وتَدَاعَتْ أكْثَرُ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وبسُرْعَةٍ كالبَرْقِ الخَاطِفِ، واجْتَمَعَ المَجْلِسُ الفِلِسْطِيْنيُّ بإيحَاءٍ مِنْ هَذِهِ الدُّوَلِ، وأُعْلِنَ قِيَامُ الدَّوْلَةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ الَّتِي لَيْس لهَا شِبْرُ أرْضٍ تَقِفُ عَلَيْهِ، فَهِيَ مُعَلَّقَةٌ في الهَوَاءِ!

وخِلالُ أسْبُوْعٍ ـ وهَذَا يَدْعُو للعَجَبِ! ـ تَعْتَرِفُ بالدَّوْلَةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ خَمْسُوْنَ دَوْلَةً تقْرِيْبًا، ثُمَّ فَطِنَتْ أمْرِيكَا بأنَّهَا تَسَرَّعَتْ بالاعْتِرَافِ، فألْغَتْ بسُرْعَةٍ تَأشِيرَةَ أبي عَمَّارٍ يَاسِرَ عَرَفَات لدُخُوْلِ أمْرِيْكَا، واعْتَرفَتِ المُنَظَّمَةُ بدَوْلَةِ اليَهُوْدِ على مَرْأى مِنَ العَالمِ كُلِّهِ، وقَالَ أبو عَمَّارٍ: هَلْ يُرْضِيْكُم هَذا؟

وهَكَذَا اعْتَرَفَتْ قِيَادَةُ المُنَظَّمَةِ للعَدُوِّ الَّذِي اغْتَصَبَ أرْضَ فِلَسْطِيْنَ أنَّهُ صَاحِبُهَا، وكَانَ ذَلِك بمَثَابَةِ طَعْنَةٍ في ظَهْرِ الانْتِفَاضَةِ، ولَكِنَّ العَدُوَّ يَضْغَطُ لمَزِيْدٍ مِنَ التَّنَازُلاتِ، فَقَالَتْ أمْرِيكَا: «لا، بَلْ لا بُدَّ مِنْ أنْ تَقْرَأَ الكَلِماتِ الَّتِي نَكْتُبُهَا لَكَ»، وكُتِبَتْ لَهُ الكَلِماتُ (أيْ: ليَاسِر عَرَفَاتَ)، وأعَادَ قِرَاءتَها على شَاشَةِ التِّلْفَازِ على مَرْأى ومَسْمَعٍ مِنَ الدُّنْيا كُلِّهَا... وكَانَتْ هَذِهِ قِمَّةَ الهَزِيْمَةِ أنْ يَعْتَرِفَ صَاحِبُ الدَّارِ للمُغْتَصِبِ بأنَّهُ هُوَ صَاحِبُهَا، ومَعَ هَذَا كُلِّهِ لا زَالَتْ

اليَهُوْدُ رَافِضَةً أنْ تَجْتَمِعَ بالمُنَظَّمَةِ، واعْتَرف بالمُنَظَّمَةِ أكْثَر مِنْ مَائَةِ دَوْلَةٍ. انْظُرْ: «الطَّرِيْق إلى بَيْتِ المَقْدِسِ» (٥٩٤).

* * *

نَعَم؛ كُلُّنَا لا يَنْسَى أنَّ تَارِيخَنَا مَعَ اليَهُوْدِ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ لم يَخْلُ مِنْ ثَمَّةَ جَمَاعَاتٍ وأفْرَادٍ قَدْ قَدَّمُوا أنْفُسَهُم رَخِيْصَةً للهِ تَعَالى، وأنَّهُم قَامُوا بَوَاجِبِ المُنَاصَرَةِ والجِهَادِ لأجْلِ القَضِيَّةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ، ولا سِيَّما المُجَاهِدُ محَمَّدٌ عِزُّ الدِّيْنِ عَبْدُ القَادِرِ القَسَّامُ رَحِمَهُ اللهُ، المُتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٥٤)، وغَيْرُهُ مِنَ المُجَاهِدِيْنَ الأحْرَارِ، وكَذَا مَا قَامَتْ بِهِ بَعْضُ الجَمَاعَاتِ الصَّادِقَةِ، ولا سِيَّما جَمَاعَةُ «الإخْوَانُ المُسْلِمُوْنَ» وغَيْرُهَا!

ومَهْمَا يَكُنْ؛ فَإنَّ «حمَاس» اليَوْمَ قَدْ تَبَوَّأتْ مَكَانَةً مَرْمُوْقَةً، ومَنْزِلَةً عَالِيَةً في نِضَالها، وجِهَادِهَا، وقِتَالها مَعَ اليَهُوْدِ الغَاصِبِيْنَ، الأمْرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ نَظِيْرٌ في تَارِيخ فِلِسْطِيْنَ مُنْذُ احْتِلالها على أيْدِي اليَهُوْدِ الغَاصِبِيْنَ، هَذِهِ حَقِيْقَةٌ تَارِيخِيَّةٌ، وأمَانَةٌ عِلْمِيَّةٌ، أكْتُبُهَا للهِ، ثُمَّ للمُسْلِمِيْنَ.

وأدَلُّ دَلِيْلٍ على هَذَا التَّارِيخِ المُشَرِّفِ «لحَماس»، هُوَ أنَّهُ لمَّا وَصَلَ المُسْلِمُوْنَ في فِلِسْطِيْنَ إلى دَرَجَةِ الضَّعْفِ واليَأسِ مِنْ جَرَّاءِ الإرْهَابِ الفَرْدِيِّ والدُّوَلِيِّ المُنَظَّمِ الَّذِي تَرْتَكِبُهُ اليَهُوْدُ، والمَدْعُوْمُ مِنَ الدُّوَلِ النَّصْرَانِيَّةِ الكُبْرَى، ومِنْ جَرَّاءِ هَذَا الخُذْلانِ مِنْ قِبَلِ بَعْضِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ والإسْلامِيَّةِ على حَدٍّ سَوَاءٍ؛ انْدَلَعَتْ انْتِفَاضَةٌ جِهَادِيَّةٌ

عَارِمَةٌ بَدَأَتْ في (١٦/ ٤/ ١٤٠٨)؛ حَيْثُ قَاتَلَ الشَّبَابُ والأطْفَالُ فِيْهَا العَدُوَّ اليَهُوْدِيَّ المُدَجَّجَ بأحْدَثِ الأسْلِحَةِ، بكُلِّ مَا يَمْلِكُوْنَ مِنْ قُوَّةٍ وسِلاحٍ، لا سِيَّما إيْمَانُهُم باللهِ، ثُمَّ بالحِجَارَةِ الَّتِي أمْطَرُوا بِها العَدُوَّ اليَهُوْدِيَّ الغَاشِمَ... ومِنْ هُنَا أُطْلِقَ على هَذِهِ الانْتِفَاضَةِ الجِهادِيَّةِ: مُصْطَلَح أطْفَالِ الحِجَارَةِ! وقَدْ تَبَنَّتْهَا «حَمَاس»، مُتَمَثِّلَةً في رَئِيْسِهَا الشَّيْخِ المُجَاهِدِ أحمَدَ يَاسِيْن، المُتَوَفَّى سَنَةَ (١٤٢٥) رَحِمَهُ اللهُ تَعالى.

* * *

تَنْبِيْهٌ: بَعْدَ سُقُوْطِ فِلِسْطِيْنَ في أيْدِي اليَهُوْدِ؛ انْفَصَلَ فَرْعُ «الإخْوَانِ الفِلِسْطِيْنِيُّوْنَ» في الضِّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ لِيَرْتَبِطَ بإخْوَانِ الأُرْدُنِ، أمَّا «إخْوَانُ غَزَّةَ» فَظَلُّوا هُم القُوَّةُ الأبْرَزُ في القِطَاعِ، وتَوَقَّفُوا عَنِ الارْتِبَاطِ عُضْوِيًّا مَعَ إخْوَانِ مِصْرَ، وتَنَامَى اسْتِقْلالُهُم عَنِ المَرْكَزِ الرَّئِيْسِ، أو عَنْ أيِّ فَرْعٍ آخَرَ.

أيْ أنَّ العِلاقَةَ بَيْنَ إخْوَانَ مِصْرَ، وإخْوَانَ غَزَّةَ تَوَقَّفَتْ عَنِ التَّطَوُّرِ، كَمَا حَدَثَ في الأُرْدُنِ والضِّفَّةِ؛ حَتَّى عَامَ (١٣٧٤) (١٩٥٥م)، ورُغْمَ عَدَمِ الارْتِبَاطِ العُضْوِيِّ، أو التَّنْظِيْمِي إلَّا أنَّ «إخْوَانَ غَزَّةَ» باعْتِبَارِ أنَّ القِطَاعَ كَانَ خَاضِعًا للإدَارَةِ المِصْرِيَّةِ وَقْتَها، قَدْ تَعَرَّضُوا لِمَا تَعَرَّضَتْ لَهُ جَماعَةُ «الإخْوَانُ المُسْلِمُوْنَ» إبَّانَ حُكْمِ الرَّئِيْسِ عَبْدِ النَّاصِرِ، وأدَّتِ السِّيَاسَاتُ الأمْنِيَّةُ إلى «تَفْرِيْقِ الإخْوَانِ، وتَشَتُّتِ تَنْظِيْمِهِم... وانْفَضَّ رُؤسَاءُ وأعْضَاءُ إدَارَاتِ الشَّعْبِ، وذَوُوْ الأسْمَاءِ

والوَزْنِ العِلْمِيِّ أو الاجْتِمَاعِيِّ، ولم يَبْقَ إلَّا أعْدَادٌ قَلِيْلَةٌ مِنَ الشَّبَابِ الصِّغَارِ الَّذِيْنَ كَانَ مُعْظَمُهُم مِنَ الطَّلَبَةِ، وبَعْضِ المُدَرِّسِيْنَ والعُمَّالِ.

وبَعْدَ حَرْبِ (٦٧) احْتُلَّتْ الضِّفَّةُ الغَرْبِيَّةُ وقِطَاعُ غَزَّةَ، ووَصَلَ الارْتِبَاطُ بَيْنَ الدَّاخِلِ الفِلِسْطِيْنِي وأفْرُعِ الإخْوَانِ في الخَارِجِ إلى حَدِّهِ الأدْنَى، وظَلَّتِ الأوْضَاعُ على هَذَا المِنْوَالِ؛ حَتَّى بَعْدِ عَوْدَةِ جَمَاعَةِ «الإخْوَانُ المُسْلِمُوْنَ» في مِصْرَ إلى مُمَارَسَةِ أنْشِطَتِهَا مَعَ بِدَايَةِ السَّبْعِيْنَاتِ، وعَقِبَ تَأسِيْسِ «حَمَاس» عَامَ (١٤٠٧) لم يَتَغَيَّرْ شَيءٌ، إذْ ظَلَّتِ الضِّفَّةُ والقِطَاعُ تَحْتَ الاحْتِلالِ؛ حَتَّى عَامِ (١٤١٤) (١٩٩٣م)؛ حَيْثُ انْسَحَبَ الاحْتِلالُ جُزْئِيًّا حَسَبَ اتِّفَاقِ «أوسْلُو»، إلَّا أنَّهُ لم يَنْسَحِبْ تَمَامًا مِنْ دَاخِلِ القِطَاعِ، إلَّا عَامَ (١٤٢٦) (٢٠٠٥م)، وفي مَطْلَعِ هَذِهِ السَّنَةِ (١٤٣٤)، وبَعْدِ الحَرْبِ الأخِيْرَةِ؛ كَتَبَ اللهُ تَعَالى النَّصْرَ لإخْوَانِنَا في غَزَّةَ؛ حَيْثُ اسْتَقَلُّوا تَمامًا، ولله الحَمْدُ.

أمَّا الوَضْعُ في الضِّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ فَلَمْ يَزَلْ، وكُلُّ مَا حَدَثَ فِيْهِ أنَّهُ تُرِكَتْ إدَارَةُ شُؤوْنِ الحَيَاةِ اليَوْمِيَّةِ للسُّلْطَةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ، أمَّا الإدَارَاتُ ذَاتُ الشَّأنِ السِّيَاسِي والعَسْكَرِيِّ فَلَمْ تَزَلْ تَحْتَ أيْدِي الكِيَانِ اليَهُوْدِي!.

انْظُرْ: «حَمَاس الفِكْرُ والمُمَارَسَةُ» لخَالِدِ الحَرُوْبِ (٢١)، و«لمَاذَا يَكْرَهُوْنَ حَمَاس؟» (١٠١).

* * *

فَقَدِ احْتَلَّتْ «حَمَاس» المَرْتَبَةَ الأُوْلى في تَنْفِيْذِ عَلَمِلَّيَاتِ

المُقَاومَةِ وأبْرَزُها العَمَلِيَّاتُ الاسْتِشْهَادِيَّةُ، فَقَدْ نَفَّذَتِ الحَرَكَةُ (٥٨) عَمَلِيَّةً في سَنَوَاتِ الانْتِفَاضَةِ الخَمْسِ!

كَمَا بَلَغَتْ حَصِيْلَةُ عَمَلِيَّاتِ المُقَاوِمَةِ خِلالَ انْتِفَاضَةِ الأقْصَى في الفَتْرَةِ مِنْ (١٤٢١ إلى ١٤٢٦): (٢٥٣٧٥) عَمَلِيَّةً، أسْفَرَتْ عَنْ مَقْتَلِ (١٠٨٠) صِهْيُونِيًّا يَهُوْدِيًّا، حَسَبَ الحَصِيْلَةِ الإسْرَائِيْلِيَّةِ.

الأمْرُ الَّذِي جَعَلَ الدَّاخِلَ الصِّهْيُونيَّ هَدَفًا مُفضَّلاً للعَمَليَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ، الَّتِي كَانَتْ تَقْتَصِرُ قَبْلَ ذَلِكَ على اسْتِهْدَافِ الدَّوْرِيَّاتِ الرَّاكِبَةِ والجُنُوْدِ، وقَدِ اسْتَحْوَذَ بَيْتُ المَقْدِسِ على مَكَانَةٍ مُتقَدِّمَةٍ نَظَرًا لمَكَانَتِهَا في نُفُوْسِ المُقَاومِيْنَ، والسُّهُوْلَةِ النِّسْبيَّةِ للدُّخُوْلِ إلَيْهَا، فَقَدْ اسْتَأثَرَتْ بـ(٦٣٥) عَمَلِيَّةً مِنْ عَملِيَّاتِ المُقَاوَمَةِ، مِنْ بَيْنِهَا (٣٠) عَمليَّةً اسْتِشْهَادِيَّةً، و(٣١) عَمَلِيَّةَ طَعْنٍ.

* * *

وهَذَا وَصْفٌ مُوْجَزٌ لقُدْرَةِ حَرَكَةِ «حَمَاس» على تَطْويْرِ أسْلِحَتِهَا الإسْتِرَاتِيْجِيَّةِ، ففِي الانْتِفَاضَةِ الأُوْلى اسْتَخْدَمَتِ الحِجَارَةَ، ثُمَّ السَّكَاكِيْنَ، ثُمَّ الرَّصَاصَ.

وفي الانْتِفَاضَةِ الثَّانِيَةِ اسْتَخْدَمَتِ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةَ، مَعَ الهَجَمَاتِ الفِدَائِيَّةِ، وبَلَغَ عَدَدُ العَمَلِيَّاتِ الَّتِي تَمَّ تَنْفِيْذُهَا في الفَتْرَةِ مِنْ (١٤٢١ إلى ١٤٢٦): (١٤٦) عَمَلِيَّةً اسْتِشْهَادِيَّةً، نَفَّذَهَا (١٥٥) اسْتِشْهَادِيًّا، و(٨) اسْتِشْهَادِيَّاتٍ.

ثُمَّ بَدَأَ اسْتِخْدَامُ الصَّوارِيْخِ يَتَزَايَدُ مُنْذُ أُطْلِقَ أَوَّلُ صارُوْخٍ مِنْ «غَزَّةَ» في (٢٢/ ١/ ١٤٢٢) على بَلْدَةِ «سِدِيْرُوت»، ثُمَّ أُطْلِقَ أَوَّلُ صُارُوْخٍ مِنَ الضِّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ في (١٤٢٦).

وكَانَ أَوَّلُ صارُوْخٍ صَنَعَتْهُ عَنَاصِرُ «حَمَاس» لا يَتَجاوَزُ مَدَاهُ (٣ كم)، بَيْنَما أَطْلَقَتِ الحَرَكَةُ في حَرْبِ «غَزَّةَ» عَامَ (١٤٣٠) (٢٠٠٩م): صَوَارِيْخَ تَبْلُغُ مَدَاهَا مِنْ (٥٠ كم) إلى (٦٠ كم).

وأَخِيْرًا لَجأتِ المُقَاوَمَةُ إلى تَنْفِيْذِ عَمَلِيَّاتِ أَسْرٍ للجُنُوْدِ اليَهُوْدِيِّيْنَ لِمَزِيْدَ مِنَ الضَّغْطِ السِّيَاسِي على حَكُوْمَةِ الاحْتِلالِ، ولمُبادَلَةِ المَخْطُوْفِيْنَ بأَسْرَى فِلِسْطِيْنِيِّيْنَ.

وهَكَذَا تَطَوَّرَت حَرَكَةُ «حَمَاس» في نَتَاجِ أَسْلِحَتِهَا الحَرْبِيَّةِ؛ فَكَانَ مِنْ أَهَمِّهَا: اسْتِخْدَامُ الأَنْفَاقِ كوَسِيْلَةٍ قِتَالِيَّةٍ، ولكَسْرِ الحِصَارِ المَفْرُوْضِ على قِطَاعِ «غَزَّةَ»، وحَسَبَ المَصَادِرِ الإسْرَائِيْلِيَّةِ؛ فَإنَّهُ تَمَّ رَصْدُ أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الأَنْفَاقِ:

أَوَّلُهَا: أَنْفَاقُ التَّهْرِيْبِ على مِحْوَرِ صَلاحِ الدِّيْنِ على امْتِدَادِ حُدُوْدِ القِطَاعِ مَعَ مِصْرَ.

وثَانِيْهَا: أَنْفَاقٌ تُسْتَخْدَمُ في المِهِمَّاتِ الهُجُوْمِيَّةِ ضِدَّ مَوَاقِعِ الجَيْشِ اليَهُوْدِي القَرِيْبَةِ مِنَ القِطَاعِ، و«تُمَكِّنُ هَذِهِ الأَنْفَاقُ مِنْ حِيَازَةِ عَامِلِ المُفَاجَئَةِ، والوُصُولِ إلى قَلْبِ المَنْطَقَةِ اليَهُوْدِيَّةِ مِنْ خِلالِ التَّغَلُّبِ على الجِدَارِ الأَمْنِي، والعَوْدَةِ بأَمَانٍ إلى القِطَاعِ ثَانِيَةً، وتَمَّ

اسْتِخْدَامُ نَفَقٍ مِنَ هَذَا القَبِيْلِ في تَنْفِيْذِ العَمَلِيَّةِ الَّتِي وَقَعَتْ في (٢٠ يُوْنْيُو ٢٠٠٦م) (٢٣/ ٥/ ١٤٢٧) ضِدَّ مَوْقِعٍ عَسْكَرِيٍّ، بالقُرْبِ مِنْ مَعْبَرِ «صُوْفِيَا»، قُتِلَ خِلالَهُ جُنْدِيَّانِ، واخْتُطِفَ الجُنْدِي «جِلْعَاد شَالِيْط»!

وثَالِثُهَا: أنْفَاقٌ تُسْتَخْدَمُ بوصْفِهَا طُعْمًا؛ حَيْثُ تُتْرَكُ مَكْشُوْفَةً نِسْبِيًّا؛ لِيَسْهُلَ على جُنُوْدِ الاحْتِلالِ اكْتِشَافُهَا، ويَكُوْنُ بِدَاخِلِهَا عَبْوَاتٌ نَاسِفَةٌ لقَتْلِ مَنْ يَقْتَحِمُهَا.

ورَابِعُهَا: أنْفَاقٌ يَتِمُّ حَفْرُهَا بَيْنَ المَنَازِلِ لتَأمِيْنِ عَمَلِيَّاتِ الفِرَارِ، والانْتِقَالِ، وتَخْزِيْنِ العَتَادِ العَسْكَرِيِّ.

وقَدْ كَانَتِ الأنْفَاقُ مِنَ الوَسَائِلِ الرَّئِيْسَةِ المُسْتَخْدَمَةِ مِنْ قِبَلِ قُوَّاتِ التَّحْرِيْرِ في الحُرُوْبِ غَيْرِ المُتَكَافِئَةِ، كَمَا حَدَثَ في الغَزْوِ الأمْرِيْكِي لِفِتْنَام؛ حَيْثُ أنْشَأ الثُّوَّارُ شَبَكَاتٍ مُعَقَّدَةً مِنَ الأنْفَاقِ امْتَدَّتْ عِدَّةَ كِيْلُو مِتْرَاتٍ، وتَكَوَّنَتْ مِنْ عِدَّةِ طَوَابِقَ، واحْتَوَتْ على مُسْتَوْدَعَاتٍ، ومَطَابِخَ، ومُسْتَشْفَيَاتٍ، ونَجَحُوا مِنْ خِلالِهَا في تَجْمِيْدِ (١٦) ألْفِ جُنْدِيٍّ أمْرِيْكِيٍّ، وكَانَتْ مِنْ أسْبَابِ انْتِصَارِهِم لاحِقًا، وانْسِحَابِ الأمْرِيْكِيِّيْنَ.

* * *

ومِنْ خِلالِ مَا مَضَى، نَسْتَطِيْعُ أنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ مَا تُرِيْدُهُ كَثِيْرٌ مِنَ الحَرَكَاتِ في فِلَسْطِيْنَ، وبَيْنَ مَا تُرِيْدُهُ حَرَكَةُ «حَمَاس»، وذَلِكَ مِنْ خِلالِ التَّصْرِيْحَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي يُصَرِّحُ بِهَا قَادَةُ هَذِهِ الحَرَكَاتِ، فَبَعْدَ

مَقْتَلِ عَرَفَاتٍ، وتَسَلُّم أبو مَازِنٍ الرِّئَاسَةَ الثُّلاثِيَّةَ (فَتْح ـ مُنَظَّمَةَ التَّحْرِيْرِ ـ السُّلْطَة)؛ تَحَوَّلَ خِطَابُ السُّلْطَةِ إلى الاسْتِسْلامِ والخُضُوْعِ، وأعْلَنَ أبو مَازِنٍ أنَّ سُلْطَتَهُ تَسْعَى إلى نَشْرِ ثَقَافَةِ السَّلامِ لَدَى الشَّعْبِ الفِلِسْطِيْني.

بَيْنَما أعْلَنَ مَحْمُوْدُ الزَّهَّارُ القِيَادِيُّ في «حَمَاس»: «إنَّنَا نُرِيْدُ نَشْرَ ثَقَافَةِ المُقَاوَمَةِ».

انْظُرْ: مَوْقِعَ «مُخْتَارَاتٍ إسْرَائِيْلِيَّةٍ» (١٤٢٩) مَقَالاً لأشْرَفِ الشَّرْقَاوِي، و«حَمَاس الفِكْرُ والمُمَارَسَةُ السِّيَاسِيَّةُ» لخَالِدٍ الحَروبِ (٢٧٢)، و«مَرْكَزَ المَعْلُوْمَاتِ للاسْتِخْبَارَاتِ والإرْهَابِ»، ومَوْقِعَ «إسْلامَ أوْن لاين» مَقَالَ جَمَالٍ عَرَفَةَ، و«الشَّرْقَ الأوْسَطَ»، و«لمَاذَا يَكْرَهُوْنَ حَماس» (٤٥)، و«مَوْسُوْعَةَ أنْوَاعِ الحُرُوْبِ» (١١٤).

* * *

وأخَيْرًا؛ فإنَّ مَا سَطَّرَتْهُ حَرَكَةُ «حمَاس» في تَارِيْخِ فِلِسْطِيْنَ؛ أصْبَحَ غُرَّةً بَيْضَاءَ في تَارِيْخِ الأمَّةِ الجِهَادِيِّ، فللَّهِ دَرُّهُم، وعلى اللهِ أجْرُهُم!

وذَلِكَ في مَوْقِفِهَا الجِهَادِي، وثَبَاتِهَا الإيْمَاني في مَعَارِكِهَا الجِهَادِيَّةِ مَعَ اليَهُوْدِ على أرْضِ غَزَّةَ، فَكَانَ مِنْ تِلْكُمُ المَوَاقِفُ الجِهَادِيَّةُ الحَاسِمَةُ:

مَعْرَكَتُهَا الجِهَادِيَّةُ، وذَلِكَ عِنْدَمَا أعْلَنَتِ اليَهُوْدُ في صَبَاحِ يَوْمِ

(٢٩/١٢/١٤٢٩): حَرْبَها البَرْبَرِيَّةَ الوَحْشِيَّةَ على أهْلِنَا في أرْضِ غَزَّةَ؛ حَيْثُ شَنَّتِ العَسَاكِرُ اليَهُوْدِيَّةُ وَابِلاً مِنَ القَاذِفَاتِ، والصَّوَارِيْخِ، والقَنَابِلِ الفِسْفُوْرِيَّةِ والتَّرَدُّدِيَّةِ، وغَيْرِهَا مِنَ الأسْلِحَةِ المَمْنُوْعَةِ دُوَليًّا على الأهَالي العُزَّلِ في غَزَّةَ، في حِيْنِ اتَّخَذَتِ اليَهُوْدُ الجَوَّ والبَرَّ والبَحْرَ قَوَاعِدَ في دَكِّ وتَدْمِيرِ قِطَاعِ غَزَّةَ، والعَالَمُ العَرَبيُّ والإسْلامِيُّ يَنْظُرُ، وهُوَ مَكْتُوْفُ الأيْدِي، ويَسْمَعُ وهَوُ سَاكِتٌ صَامِتٌ، ومِنْ وَرَاءِهِم العَالَمُ الغَرْبيُّ أجْمَعُ يَنْظُرُ بِطَرْفٍ خَفِيٍّ!

أمَّا أمْرِيْكَا الصَّلِيْبِيَّةُ اللَّعِيْنَةُ فَلَمْ تَسْتَأخِرْ لحظَةً وَاحِدَةً في مَدِّ العَوْنِ والمُسَاعَدَةِ لليَهُوْدِ في هَذِهِ الحَرْبِ الشَّرِسَةِ بِكُلِّ مَا تَمْلِكُ مِنْ سِلاحٍ، ومَالٍ، ودَعْمٍ إعْلامِيٍّ، وذَلِكَ على مَسْمَعٍ ومَرْأى مِنَ العَالَمِ أجْمَعَ، بَلْ إنَّني سَمِعْتُ العِلْجَ الصَّلِيْبيَّ المُتَغَطْرِسَ الابْنَ «جُوْرج بُوْش» رَئِيْسَ الوِلايَاتِ الأمْرِيْكِيَّةِ، وهُوَ يَقُوْلُ أثْنَاءَ هَذِهِ الحَرْبِ اليَهُوْدِيَّةِ: نَحْنُ سَنَقِفُ مَعَ اليَهُوْدِ بكُلِّ مَا نَمْلِكُ، كَي نَأمَنَ لهَا الاسْتِقْرَارَ، وسَوْفَ نَمْنَعُ أيْضًا كُلَّ التَّدَخُّلاتِ، أو المُسَاعَدَاتِ مِنْ أيِّ بَلَدٍ آخَرَ في مَدِّ العَوْنِ للفِلَسْطِيْنِيِّيْنَ في قِطَاعِ غَزَّةَ، بدَعْوَى أنَّ «حماس» جَمَاعَةٌ إرْهَابِيَّةٌ!

* * *

ومَعَ هَذِهِ الحَرْبِ الوَحْشِيَّةِ، وهَذِهِ المُسَاعَدَاتِ الدُّوَلِيَّةِ ضِدَّ إخْوَانِنَا المُسْلِمِيْنَ في غَزَّةِ إلَّا أنَّ أهْلَنَا في غَزَّةَ مَعَ حَرَكَتِهِم «حَمَاس»: ثَابِتُوْنَ مُجَاهِدُوْنَ مُنَاضِلُوْنَ لا تَكْتَحِلُ عَيْنُهُم بَنَوْمٍ، ولا

يَسْكُنُ لهُم بَالٌ مَا بَيْنَ نَارِ الحَرْبِ، وألمِ البَرْدِ الشَّدِيْدِ، ومَعَ هَذَا لم تَسْلَمْ بُيُوْتُهُم مِنَ الهَدْمِ والتَّدْمِيْرِ، ولم يُغَاثُوا مِنْ إخْوَانِهِم العَرَبِ والمُسْلِمِيْنَ، لا بالطَّعَامِ، ولا بالشَّرَابِ، ولا باللِّبَاسِ، ولا بالدَّوَاءِ، ولا بِشَيءٍ مِنْ أسْبَابِ الحَيَاةِ الإنْسَانِيَّةِ، ولم تُفْتَحْ لهُم مَعَابِرُ الإغَاثَةِ مِنَ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ المُسْلِمَةِ حَوْلهُم طَوَالَ أيَّامَ الحَرْبِ، لا سِيَّما مَعْبَرُ «رَفَح» المِصْرِيِّ، بَلْ لا يَنْسَى المُسْلِمُوْنَ كُلُّهُم، مَا فَعَلَتْهُ الحَكُوْمَةُ المِصْرِيَّةُ مِنْ إغْلاقِهَا لعَشَرَاتِ الأنْفَاقِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ طَرِيْقًا وَحِيْدًا في إدْخَالِ الدَّوَاءِ، والكِسَاءِ، والطَّعَامِ إلى إخْوَانِنَا المَرْضَى، والجَرْحَى، والجَوْعَى في قِطَاعِ غَزَّةَ!

وهَكَذَا مَضَتِ الحَرْبُ على أهْلِنَا في غَزَّةَ قَرَابَةَ اثْنَيْنِ وعِشْرِيْنَ يَوْمًا لا نَصِيْرَ لهُم إلَّا اللهُ، ولا مُعِيْنَ لهُم إلَّا اللهُ، فَعِنْدَمَا تَكَشَّفَتْ سُحُبُ الظَّلامِ، وتَقَطَّعَتِ الأسْبَابُ إلَّا مِنْ رَبِّ الأرْبَابِ سُبْحَانَه وتَعَالى فَعِنْدَهَا جَاءَهُمُ المَدَدُ مِنَ اللهِ تَعَالى؛ حَيْثُ رَبَطَ على قُلُوْبِهِم، وأفْرَغَ عَلَيْهِم صَبْرًا، وأيَّدَهُم بنَصْرٍ مِنْهُ، وألْبَسَهُم ثَوْبَ الأمْنِ والآمَانِ، وكَسَاهُم تَاجَ العِزِّ والإعْزَازِ، فَعِنْدَهَا قَامَتْ «حَمَاس» في رِجَالِها وأهْلِهَا كالأُسُوْدِ لا يَلْوُوْنَ على أحَدٍ مِنَ العَالمِيْنَ إلَّا مِنَ اللهِ تَعَالى، ومِنْ وَرَاءِهِم مَلائِكَةُ الرَّحمَنِ، كَمَا قَالَ تَعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المُدَّثِّر: ٣١].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾

[الفَتْحُ: ٧]. وقَالَ تَعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصَّافَّات: ١٧٣].

وهَذَا مَا صَرَّحَ بِهِ وَزِيْرُ الحَرْبِ اليَهُوْدِيِّ الخَبِيْثِ «يَهُوْد بَارَك» في لِقَاءٍ صُحُفِيٍّ لَهُ أثْنَاءَ الحَرْبِ على غَزَّةَ؛ حَيْثُ قَالَ أمَامَ قَادَتِهِ مِنَ اليَهُوْدِ: إنَّ جُنُوْدَنَا (اليَهُوْدَ) لا يَسْتَطِيْعُوْنَ أنْ يُوَاجِهُوا أو يَسْتَمِرُّوا في مُوَاجَهَةِ مُقَاوَمَةِ «حَمَاس»، لأنَّ رِجَالَ «حَمَاس» يَخْرُجُوْنَ على جُنُوْدِنَا في اللَّيْلِ كَأنَّهم خَفَافِيْشُ، فَلا نَعْلَمُ مِنْ أيْنَ يَخْرُجُوْنَ، وأيْنَ يَخْتَفُوْنَ!

نَعم؛ قَالَهَا هَذَا اليَهُوْدِيُّ الخَبِيْثُ، في الوَقْتِ الَّذِي تَخَاذَلَ فِيْهِ كَثِيرٌ مِنَ حُكَّامِ المُسْلِمِيْنَ في نُصْرَةِ إخْوَانِهِم في غَزَّةَ، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ [الأنْفَال: ٧٢].

وهَكَذا استَمَرَّتِ اليَهُوْدُ في هَمْيَنَتِهَا وعُنْجُهِيَّتِهَا تَضْرِبُ إخْوَانَنا في غَزَّةَ، مَرَّةً تُلْوَ الأُخْرَى، مَا بَيْنَ اغْتِيَالاتٍ واعْتِقَالاتٍ لِرِجَالِهَا المُجَاهِدِيْنَ، وبَيْنَ تَوَسُّعَاتٍ اسْتِيْطَانِيَّةٍ هُنَا وهُنَاكَ؛ حَتَّى إذَا كَانَ مَطْلِعُ هَذِهِ السَّنَةِ (١/ ١/ ١٤٣٤)، انْدَلَعَتِ الحَرْبُ اليَهُوْدِيَّةُ الصَّلِيْبِيَّةُ ضِدَّ إخْوَانِنَا الفِلَسْطِيْنِيِّنَ في غَزَّةَ، فكَانَتِ الحَرْبُ هَذِهِ المَرَّةَ لَيْستْ كَغَيْرِهَا مِنَ الحُرُوْبِ المَاضِيَةِ، إذْ ظَهَرَتْ حَرَكَةُ «حَمَاس» في عَزَائِمَ قَوِيَّةٍ، وجِهَادٍ صَادِقٍ، وثَبَاتٍ رَاسِخٍ، مَعَ شَيءٍ مِنَ التَّجْهِيزَاتِ الحَرْبِيَّةِ، والأسْلِحَةِ المُقَاوِمَةِ، وذَلِكَ مِنْ خِلالِ الصَّوارِيْخِ التَّقْلِيْدِيَّةِ، (مَحَلِّيَّةِ الصُّنْعِ!)، ذَاتِ المَدَى القَرِيْبِ؛ إلَّا أنَّهَا مَعَ هَذِهِ الإمْكَانِيَّاتِ القَلِيْلَةِ، قَدْ تَجَاوَزَتْ كُلَّ الحِسَابَاتِ الَّتِي رَكَنَتْ إلَيْهَا اليَهُوْدُ ـ مُنْذُ عُدْوانِهَا

الغَاشِمِ على أرْضِ فِلِسْطِيْنَ ـ في حُرُوْبِهَا السَّابِقَةِ مَعَ «حَمَاس».

حَيْثُ أطْلَقَ الحَمَاسِيُّوْنَ مِئَاتَ الصَّوَايْخِ الَّتِي اسْتَقَرَّ بَعْضُهَا في «تَل أبِيب» عَاصِمَةِ اليَهُوْدِ، الأمْرُ الَّذِي دَكْدَكَ عُرُوْش هَيْمَنَتِهَا، وزَعْزَعَ قُوَّتَهَا، وكَشَفَ حِجَابَ زَيْفِهَا، فَلَمْ تَلْبَثْ الحَرْبُ إلَّا أيَّامًا مَعْدُوْدَةً؛ حَتَّى أعْلَنَتِ اليَهُوْدُ فَشَلَهَا السِّيَاسِيَّ والإعْلامِيَّ، كَمَا انْكَشَفَ في الوَقْتِ نَفْسِهِ إنْهِزَامُهَا العَسْكَرِيُّ أمَامَ العَالَمِ كُلِّهِ، فَمَا كَانَ مِنْهَا وَقْتَئِذٍ إلَّا اللُّجُوْءُ إلى حَمِيْمَتِهَا وحَامِيَتِهَا أمْرِيْكَا وبِرِيْطَانِيَا، فعِنْدَهَا طَلَبَتْ مِنْهُمَا الإسْرَاعَ الحَثِيْثَ في التَّدَخُّلِ العَسْكَرِيِّ، وذَلِكَ في الوَقْتِ الَّذِي بَاتَتْ أمْرِيْكَا وأعْوَانُهَا أضْعَفَ مَا يَكُوْنُوْنَ عَسْكَرِيًّا ومَالِيًّا (اقْتِصَادِيًّا)، فحِيْنَهَا أيْقَنَتِ اليَهُوْدُ بأنَّ التَّدَخُّلَ العَسْكَرِيَّ لم يَعُدْ وَرَقَةَ ضَغْطٍ، كَمَا كَانَ بالأمْسِ؛ لأنَّ الأُمَّةَ الإسْلامِيَّةَ قَدْ تَجَاوَزَتْ مُؤخَّرًا مِثْلَ هَذِهِ الدَّعَاوِي المُزَيَّفَةِ، كَمَا أنَّها في الوَقْتِ نَفْسِهِ قَدْ فَهِمَتْ حَقِيْقَةَ القُوَى اليَهُوْدِيَّةِ والنَّصْرَانِيَّةِ (الأُورُوبِّيَّةِ) على حَدٍّ سَوَاءٍ، بأنَّهَا حُرُوْبٌ ومَعَارِكُ قَامَتْ سِنِيْنَ عَدَدًا في أرْضِ المُسْلِمِيْنَ عَنْ طَرِيْقِ الوَكَالَةِ؛ حَيْثُ تَكَشَّفَ لَدَيْهَا أنَّ كَثِيْرًا مِنَ المَعَارِكِ والتَّدَخُّلاتِ العَسْكَرِيَّةِ الَّتِي أحْرَزَتْهَا دُوَلُ الغَرْبِ مُؤخَّرًا: كَانَتْ بأيْدٍ مَحَلِّيَّةٍ، ورُبَّمَا كَانَتْ بأيْدٍ وتَعَاوُنٍ مِنْ بَعْضِ المُسْلِمِيْنَ، ولا إخَالُهُم إلَّا مُنَافِقِيْنَ مَأجُوْرِيْنَ!

* * *

وهَكَذَا؛ لَمَّا نَشَبَتِ الحَرْبُ مُؤخَّرًا بَيْنَ مُجَاهِدِي «حَمَاس»،

وبَيْنَ أذْنَابِ اليَهُوْدِ الخَائِنِيْنَ، فحِيْنَهَا أعْلَنَتِ الحَكُوْمَةُ اليَهُوْدِيَّةُ أسَفَهَا في اعْتِرَافِهَا بالانْهِزَامِ العَسْكَرِيِّ والنَّفْسِيِّ، يُوَضِّحُهُ أنَّهُم لمَّا تَلَقَّوْا الرِّسَالَةَ المُؤلِمَةَ مِنْ الدُّوَلِ الصَّدِيْقَةِ والحَامِيَةِ، لا سِيَّما مِنْ أمْرِيكا، بأنَّهَا دُوَلٌ بَاتَتْ هَذِهِ الأيَّامَ أضْعَفَ مَا تَكُوْنُ نُصْرَةً للتَّدَخُّلِ العَسْكَرِيِّ، فحِيْنَهَا قَامَ زُعَمَاءُ وقَادَةُ اليَهُوْدُ سِرَاعًا غَيْرَ مُكْتَرِثِيْنَ: بإرْسَالِ آخِرِ وَرَقَةٍ لَدَيْهِم، عَسَاهُم أنْ يَسْتَنْصِرُوا بإخْوَانِهِم مِنْ دُوَلِ الكُفْرِ بِمَا يُمْكِنُ فِعْلُهُ... ولاتَ حِيْنَ مَنَاصٍ!

فَلَمْ يَكُنْ أمَامَ قَادَةِ اليَهُوْدِ إلَّا تَقْدِيْمُ آخِرِ وَرَقَةٍ يُمْكِنُ فِعْلُهَا مِنْ دُوَلِ الكُفْرِ: وهِيَ مُطَالَبَتُهُم بالحِمَايَةِ الأمْنِيَّةِ سَوَاءٌ عَنْ طَرِيْقِهِم أو عَنْ طَرِيْقِ بَعْضِ دُوَلِ الجِوَارِ، وذَلِكَ مِنْ خِلالِ لُغَةٍ خَفِيَّةٍ مُنْهَزِمَةٍ مُسْتَعَارَةٍ، غَلَّفُوْهَا بـ «الهُدْنَةِ» بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ (حَمَاس، واليَهُوْدِ)، كُلُّ ذَلِكَ كَيْ تَسْتَرْجِعَ اليَهُوْدُ قُوَاهَا، وتَفِيْقَ لعَقْلِهَا رَيْثُمَا تُحَدِّدُ طَرِيْقَ خُرُوْجِهَا مِنْ أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، فَإنْ لم يَكُنِ اليَوْمَ، فَهُوَ قَرِيْبٌ إنْ شَاءَ اللهُ!

فَقَدْ نَشَرَتْ صَحِيْفَةُ «صِنْدَاي مِيْرُور» البِرِيْطَانِيَّةِ مَقَالاً للكَاتِبَةِ اليَهُوْدِيَّةِ «رُوْث كَارِيْف»، قَالَتْ فِيْهِ: «إذَا كَانَ المُدَافِعُوْنَ عَنْ فِلِسْطِيْنَ ـ تَقْصِدُ اليَهُوْدَ ـ يُطَالِبُوْنَ الآنَ مَجْلِسَ الأمْنِ بإرْسَالِ قُوَّةٍ دَوْلِيَّةٍ لتَنْفِيْذِ مَشْرُوْعِ التَّقْسِيْمِ الَّذِي أقَرَّتْهُ الأُمَمُ المُتَّحِدَةُ؛ فَإنَّهُم لا يُطَالِبُوْنَ بذَلِكَ لأنَّ الدَّوْلَةَ اليَهُوْدِيَّةَ في حَاجَةٍ إلى الدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهَا، ولكِنَّهُم يُرِيْدُوْنَ

إِرْسَالَ هَذِهِ القُوَّةِ الدَّوْلِيَّةِ إلى فِلِسْطِيْنَ لِتُوَاجِهَ رِجَالَ الإِخْوَانِ المُسْلِمِيْنَ وَجْهًا لوَجْهٍ، وبذَلِكَ يُدْرِكُ العَالَمُ كُلُّهُ الخَطَرَ الحَقِيْقِيَّ الَّذِي تُمَثِّلُهُ هُذِهِ الحَرَكَةُ». انْظُرْ: «الإِخْوَانُ المُسْلِمُوْنَ في حَرْبِ فِلِسْطِيْنَ» لكَامِلٍ الشَّرِيْفِ (٤٧).

ومَا هَذَا القَلَقُ النَّفْسِيُّ، والانْهِزَامُ العَسْكَرِيُّ الَّذِي يَعِيْشُهُ الكَيَانُ اليَهُوْدِيُّ، إلَّا زِيَادَةً مِنْهُم في كَشْفِ هَذِهِ القَوَى المَكْذُوْبَةِ الَّتِي كَتَبُوْهَا على أنْفُسِهِم بأنَّهُم أصْحَابُ قُوَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ لَنْ تَضْعَفَ، ولَنْ تَنْهَزِمَ يَوْمًا مَّا، وأنَّها في مَزِيْدٍ ومَدِيْدٍ، إلَّا أنَّهم عِنْدَ هَذِهِ الحَرْبِ الأخِيْرَةِ، انْقَلَبَتِ المَوَازِيْنُ، وانْكَشَفَتْ حَقَائِقُهُم الوَهْمِيَّةُ أمَامَ كُلِّ العَالَمِ.

ويَرْجِعُ فَضْلُ هَذَا النَّصْرِ كُلُّهُ للهِ تَعَالى، ثُمَّ لقَادَةِ حَرَكَةِ «حَمَاس»؛ حَيْثُ أطْلَقَتْ مَنْظُوْمَةً مِنَ الصَّوارِيْخِ الَّتِي لم تُعقِّبْ في حَقِيْقَتِهَا خَسَارَةً حَرْبِيَّةً حِسِّيَّةً، بَلْ تَركَتْ خَسَائِرَ هِيَ أشَدُّ وأكْبَرُ بكَثِيْرٍ مِنَ الخَسَائِرِ المَادِيَّةِ، حَيْثُ عقَّبَتْ خَسَائِرَ نَفْسِيَّةً كَانَ يَعِيْشُهَا اليَهُوْدُ مُنْذُ كَتَبَ اللهُ تَعَالى عَلَيْهِمُ الجَلاءَ مِنْ غَزْوَةِ خَيْبَرَ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ (٢) وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ

وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ [الحشر: ٢ ـ ٤].

وقَالَ تَعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ [الحشر: ١٣ ـ ١٤].

إنَّـهَا حَقَائِقُ إيْمَانِيَّةٌ، وشَواهِدُ تَارِيْخِيَّةٌ، كَانَ مِنَ الصَّعْبِ تَجاهُلُهَا، مَهْمَا تَغيَّرَتِ الأسْماءِ، أو نَطَقَتِ الرُّوَيْبِضَاتُ، أو عَلَتْ أصْوَاتُ المُرْجِفِيْنَ والعَلْمَانِيِّيْنَ وغَيْرِهِم، فَمَهْمَا حَاوَلَ المُنَافِقُوْنَ، أو الإعْلامِيُّوْنَ تَغْيِيْرَ الحَقَائِقِ التَّارِيْخِيَّةِ؛ فَإنَّ تَارِيْخَنَا الإسْلامِيَّ مَعَ اليَهُوْدِ مَحْفُوْظٌ بِحِفْظِ اللهِ تَعَالى، لا يَسْتَطِيْعُ أحَدٌ ـ كَائِنًا مَنْ كَانَ ـ أنْ يُحرِّفَهُ أو يُزَوِّرَهُ كَيْ يَخْدِمَ سِيَاسَاتِهِ أو مَصَالِحِهِ أو أطْمَاعِهِ، فالتَّارِيْخُ كَائِنٌ نَاطِقٌ، لا يَنْطِقُ إلَّا بِشُهُوْدٍ عُدُوْلٍ، ومَهْمَا حَاوَلَ أعْدَاؤهُ اسْتِنْطَاقَهُ أو اسْتِكْتَابَهُ، فَهِيَ مُحَاوَلاتٌ قَصِيْرَةُ الزَّمَنِ، قَلِيْلَةُ الجدْوَى، مَكْشُوْفَةُ التَّزْيِيْفِ!

إنَّهَا حَقِيْقَةٌ لا بُدَّ أنْ نُؤمِنَ بِهَا، أو على الأقَلِّ أنْ نَسْمَعَهَا: فتَارِيْخُنَا الجِهَادِيُّ مَعَ اليَهُوْدِ والنَّصَارَى لَنْ يَسْتَطِيْعَ أحَدٌ ـ مَأجُوْرًا كَانَ أو مَهْزُوْمًا ـ أنْ يَخْتَصِرَهُ لِلنَّاسِ مِنْ خِلالِ مَا يَحْصُلُ فِيْهِ في السَّنَوَاتِ الأخِيْرَةِ، أو يَخْتَصِرَهُ في مِنْ خِلالِ تَارِيْخِ دَوْلَةٍ أو دَوْلَتَيْنِ، سَوَاءٌ كَانَتْ أمْرِيْكَا أو اليَهُوْدَ، بَلْ تَارِيْخُنَا عَرِيْقُ النَّسَبِ، أصِيْلُ

المَنْزَعِ، لا يَزْدَادُ إلَّا ثَبَاتًا وإعْزَازًا، ولَوْ كَرِهَ الكَافِرُوْنَ!

* * *

وعَوْدًا على بَدْءٍ؛ فَقَدْ أطْلَقَتْ «حَمَاس» بَعْضَ صَوارِيْخِهَا قَرِيْبَةِ المَدَى، الَّتِي أسْتَقَرَّ أكْثَرُهَا في المُدُنِ اليَهُوْدِيَّةِ المُحْتَلَّةِ، الأمْرُ الَّذِي جَعَلَ قَرَابَةَ خَمْسَةَ مَلْيُوْن يَهُوْدِي يَخْتَبُوْنَ ويَتَسَرَّبُوْنَ في المَخَابي والمَلاجِيءِ لِمُدَّةِ ثَمَانِيَةِ أيَّامٍ، بَلْ لم يَقْتَصِرْ دَوِيُّ صَوارِيْخِ «حَمَاس» على هَذَا، بَلْ أخْرَجَتْ وهَجَّرَتْ مِئَاتَ الآلافِ مِنَ اليَهُوْدِ المُسْتَوْطِنِيْنَ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ؛ حَيْثُ خَرَجَتْ جُمُوْعُ اليَهُوْدِ مُوَدِّعَةً لأرْضِ المِيْعَادِ المَزْعُوْمَةِ، تَارِكَةً وَرَاءَهَا البُيُوْتَ والأسْوَاقَ خَاوِيَةً على عُرُوْشِهَا، كَمَا حَصَلَ مِنْ أسْلافِهِم وأجْدَادِهِم في خَيْبَرَ، وبَنِي النَّضِيْرِ، وبَنِي قُرَيْظَةَ، وبَنِي قَيْنُقَاعَ.

* * *

هَذِهِ التَّطَوُّرَاتُ لَنْ تَقِفَ عِنْدَ هَذَا حَدِّ الذُّعْرِ، ولَكِنَّهَا سَوْفَ تَتَمَدَّدُ لِتُؤثِّرَ على المَجَالاتِ كَافَّةً، وأهَمُّهَا في الأمْنِ القَومِي اليَهُوْدِي هُوَ اسْتِمْرَارُ تَدَفُّقِ الهِجْرَةِ مِنَ الخَارِجِ، وتَوَقُّفُ مَوْجَاتِ الهِجْرَةِ المُعَاكِسَةِ، ومِنَ المَعْلُوْمِ أنَّ الأزْمَاتِ تَدْفَعُ نِسْبَةً كَبِيْرَةً مِنَ اليَهُوْدِ إلى الفِرَارِ خَارِجَ فِلِسْطِيْنَ، وقَدْ مَرَّ الكَيَانُ اليَهُوْدِي بفَتَرَاتٍ مُمَاثِلَةٍ، يَتَحَدَّثُ «نِتْنِيَاهُو» عَنْ إحْدَاهَا: «لَقَدْ شَعَرْتُ بمِثْلِ هَذِهِ الحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ القَوْمِيَّةِ فِعْلاً في السَّنَوَاتِ الَّتِي سَبَقَتْ حَرْبَ الأيَّامِ السِّتَّةِ، عِنْدَمَا تَوَقَّفَتِ الهِجْرَةُ نِهَائِيًّا تَقْرِيْبًا، وارْتَفَعَتْ نِسْبَةُ الهِجْرَةِ المُعَاكِسَةِ مِنَ

إسْرَائِيْلَ؛ حَتَّى أصْبَحُوا يَتَنَدَّرُوْنَ في إسْرَائِيْلَ بالقَوْلِ: على آخِرِ شَخْصٍ يُهَاجِرُ مِنْ إسْرَائِيْلَ أنْ يُطْفِئَ أنْوَارَ المَطَارِ في «اللُّدّ». انْظُرْ: «مَكَانٌ بَيْنَ الأُمَمِ، إسْرَائِيْلُ والعَالَمُ» لِبَنْيَامِيْن نِتْنِيَاهُو (٣٤٠).

* * *

ومَعَ هَذِهِ التَّطَوُّرَاتِ الحَرْبِيَّةِ، والصَّوَارِيْخِ المُرْعِبَةِ الَّتِي تَمْلِكُهَا حَرَكَةُ «حَمَاس»، إلَّا أنَّ الكِيَانَ اليَهُوْدِي لم يَقِفْ أمَامَهَا صَامِتًا، بَلْ قَامَتِ الحَكُوْمَةُ الإسْرَائِيْلِيَّةُ بتَوَفُّرِ اسْتِثْمَارَاتٍ هَائِلَةٍ لتَطْوِيْرِ نُظُمٍ دِفَاعِيَّةٍ تُؤَمِّنُ مُدُنَهَا ضِدَّ الصَّوَارِيْخِ، مِثْلَ: نِظَام «القُبَّةِ الحَدِيْدِيَّةِ»، ونِظَام «الصَّوْلَجَانِ السِّحْرِي»، لكِنَّ المُشْكِلَةَ أنَّ هَذِهِ النُّظُم «الهُولِيُودِيَّةَ» لَنْ تُجهَّزَ للعَمَلِ بصُوْرَةٍ فَعَّالَةٍ قَبْلَ عَامِ (٢٠٢٠م)؛ أيْ: عَام (١٤٤١)، ويَتَوَقَّعُ خُبَرَاؤُهم أنْ تَكُوْنَ قَادِرَةً على اعْتِرَاضِ صَوَارِيْخ يَصِلُ مَدَاهَا إلى (٧٠ كم)، وقَدْ رَبَطَ وَزِيْرُ الدِّفَاعِ «إيْهُود بَارَاك» انْسِحَابَ اليَهُوْدِ مِنَ الضِّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ بنَجَاحِ تَطْوِيْرِ مِثْلِ هَذِهِ الأنْظِمَةِ. انْظُرْ: «تَقْرِيْرَ وَاشُنْطُن».

لكِنْ هَذِهِ التَّقْنِيَاتِ رُغْمِ حَدَاثَتِهَا تَبْقَى فَعَالِيَتُهَا أمْرًا مَشْكُوْكًا فِيْهِ، فَقَدِ اعْتُبِرَتْ صَوَارِيْخُ «بَاتِرْيُوت» قَبْلَ ذَلِكَ أفْضَلَ نِظَامِ دِفَاعٍ صَارُوخِيٍّ على الإطْلاقِ! فَمَاذَا فَعَلَتْ أثْنَاءَ حَرْبِ الخَلِيْجِ الثَّانِيَةِ؟

لَقَدْ «أظْهَرَتِ العَدِيْدُ مِنَ الدِّرَاسَاتِ الَّتِي أُجْرِيَتْ في اليَهُوْدِ والوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ بَعْدَ الحَرْبِ أنَّ المَنَاطِقَ المَحْمِيَّةَ بصَوَارِيْخِ «بَاتِرْيُوت» قَدْ تَضَرَّرَتْ أكْثَرَ مِنَ المَنَاطِقِ المُجَاوِرَةِ الَّتِي تَعَرَّضَتْ

مُبَاشَرَةً لِهُجُوْمِ «سُكُوْد» العِرَاقِيَّةِ دُوْنَ أيِّ دِفَاعِ بَاتْرِيوتي، كَمَا كَشَفَتْ دِرَاسَةٌ أجْرَتْهَا وَزَارَةُ الدِّفَاعِ الإسْرَائِيْلِيَّةِ أنَّ (١٣) صَارُوْخ «سُكُوْد» ضَرَبَتْ «تَلْ أبِيب» قَبْلَ نَشْرِ بَطَّارِيَّاتِ «بَاتِرِيُوت»، وتَسَبَّبَتْ في جَرْحِ (١١٥) فَرْدًا، وإلْحَاقِ الضَّرَرِ بنَحْوٍ مِنَ (٢٧٠٠) شقَّةٍ سَكَنِيَّةٍ، بيْنَمَا تَسَبَّبَتْ صَوَارِيْخُ «بَاتِرْيُوت» تَمَّ إطْلاقُهَا لاعْتِرَاضِ أحَدَ عَشَرَ صَارُوْخ «سُكُوْد» في جَرْحِ (١٦٨) شَخْصًا، وتَدْمِيْرِ مَا يُقَارِبُ (٨٠٠٠) شقَّةٍ سَكَنِيَّةٍ في ضَوَاحِي «تَلْ أبِيْب». انْظُرْ: «الإسْرَائِيْلِيُّوْنَ الجُدُدَ» لِيُوسِي مِيْلمَان (١٦).

* * *

يُمْكِنُ بمُتَابَعَةِ إطْلاقِ الصَّوارِيْخِ أنْ تَصِلَ المُقَاوَمَةُ إلى مُسْتَوى «الرَّدْعِ النَّظِيْفِ» عِنْدَمَا يَتحَقَّقُ رَدْعُ العِدْوَانِ اليَهُودِي التِّجَارِيِّ والعَسْكَرِيِّ، بِدُوْنَ أنْ تَحْتَاجَ المُقَاوَمَةُ إلى إطْلاقٍ مُسْتَمِرٍّ للصَّوارِيْخِ، ومِنَ المَعْلُوْمِ أنَّ سِلاحَ الرَّدْعِ يَكُوْنُ في أعْلَى قُدُرَاتِهِ الرَّدْعِيَّةِ عِنْدَمَا لا يَكُوْنُ هُنَاكَ حَاجَةٌ إلى اسْتِخْدَامِهِ، فَهُوَ يَرْدَعُ بمُجَرَّدِ امْتِلاكِهِ، وهَذَا مُتَحَقِّقٌ بشَكْلٍ كَامِلٍ في الأسْلِحَةِ النَّوَوِيَّةِ فَقَط، ولَكِنْ على مُسْتَوَى الصِّرَاعِ بَيْنَ «حَمَاس»، والصَّهَايِنَةِ اليَهُوْدِ فَإنَّ مُعَادَلَةَ الرَّدْعِ يُمْكِنُ تَطْوِيْرُهَا تَدْرِيْجيًّا لبُلُوْغِ مُرْحَلَةٍ قَرِيْبَةٍ مِنْ هَذَا المُسْتَوى، ومَعَ مَا يَتَطَلَّبُهُ ذَلِكَ مِنْ إمْكَانِيَّاتٍ، فإنَّ بُلُوْغَ هَذَا المُسْتَوى مِنَ الرَّدْعِ سَيُوَفِّرُ غَطَاءً أفْضَلَ لحَيَاةِ الفِلَسْطِيْنِيِّنَ اليَوْمِيَّةِ، والأمْرُ قَرِيْبٌ إنْ شَاءَ اللهُ، بَلْ وَصَلَ النَّصْرُ بالمُقَاوَمَةِ أنَّهَا في مَطْلَعِ هَذِهِ السَّنَةِ (١٤٣٤) أثْبَتَتْ تَفَوُّقَهَا

ونَجَاحَها، الشَّيءُ الَّذِي أذْعَنَ فِيْهِ الكَيَانُ اليَهُودِي لمَطَالِبِ «حَمَاس»؛ حَيْثُ أقَرَّ مَجْلِسُ هَيْئَةِ الأُمَمِ اسْتِقْلالَ «غَزَّةَ»، واعْتِبَارَهَا دَوْلَةً مُسْتَقِلَّةً، فللهِ الحَمْدُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ.

ويُسَاعِدُ المُقَاوَمَةَ في مُهِمَّتِهَا القَابِلِيَّةُ العَالِيَةُ عِنْدَ اليَهُوْدِ لإصَابَةِ الذُّعْرِ، فرُغْمَ عِلْمِهِم بالأثَرِ التَّدْمِيْرِي المَحْدُوْدِ للصَّوارِيْخِ إلَّا أنَّ مَا يُرَى عِنْدَ مَظَاهِرِ خَوْفِهِم مِنْهَا يُثِيْرُ الدَّهْشَةَ، وعِنْدَمَا «أطْلَقَ العِرَاقُ (٤١) صَارُوْخًا ضِدَّ اليَهُوْدِ كَانَتْ حَصِيْلَتُهَا مَوْتَ (١٣) شَخْصًا، مُعْظَمُهُم نَتِيْجَةَ إصَابَتِهِ بالسَّكْتَةِ القَلْبِيَّةِ، أو الاخْتِنَاقِ، أو القَلَقِ، بَيْنَمَا تُوُفِّي وَاحِدٌ فَقَطْ، نَتِيْجَةَ إصَابَةٍ مُبَاشِرَةٍ».

وتَقُوْلُ إحْصَائِيَّاتٌ رَسْمِيَّةٌ أنَّ (٤٤٪) مِنْ مَجْمُوْعِ سُكَّانِ «تَلْ أبِيْب» البَالِغِ مَلْيُوْنَ نَسَمَةٍ قَدْ هَجَرُوا مَدِيْنَتَهُم، وتَرَكُوا دِيَارَهُم هَرَبًا مِنْ صَوَارِيْخِ «سُكُود».

* * *

الخَبَرُ الَّذِي يُفْرِحُ مُقَاوَمَةَ حَرَكَةِ «حَمَاس» أنَّ عَدَدَ الصَّوَارِيْخِ لم يَعُدْ مُهِمًّا لإحْدَاثِ حَالَةِ الرُّعْبِ، وهُوَ مَا قَالَهُ أحَدُ سُكَّانِ «سِدْيُروت»: «إنَّ الوَضْعَ الآنَ أصْبَحَ أسْوَأ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ انْخِفَاضِ عَدَدِ الصَّوَارِيْخِ الفِلِيْسْطِيْنِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَسْقُطُ على المَدِيْنَةِ، لا يهِمُّ إنْ سَقَطَ في اليَوْمِ صَارُوْخٌ وَاحِدٌ، أو ثَلاثُوْنَ صَارُوْخًا، النَّتِيْجَةُ وَاحِدَةٌ، جَمِيْعُ المَحَلَّاتِ التِّجَارِيَّةِ مُغْلَقَةٌ، ومَنْ فَتَحَ مَحَلَّهُ للبَيْعِ لا يَجِدُ مَنْ يَشْتَرِي مِنْهُ، وكُلُّ مَنْ يَمْتَلِكُ الأمْوَالَ اصْطَحَبَ

أُسْرَتَهُ واسْتَأجَرَ شِقَّةً خَارِجَ «سِدْيُروت»، وفَقَطْ الفُقَرَاءُ بَقَوْا في المَدِيْنَةِ!». انْظُرْ: «الإسْرَائِلِيُّوْنَ الجُدُدَ» (٩، ١٣)، «ولَمَاذَا يَكْرَهُوْنَ حَماس» (٧٠).

* * *

ومَعَ هَذِهِ الحَرْبِ الإبَادِيَّةِ الَّتِي ارْتَكَبَتْهَا اليَهُوْدُ مَعَ أهْلِنَا في قِطَاعِ غَزَّةَ، فَإنَّنا لا نَشُكُّ طَرْفَةَ عَيْنٍ أنَّ عُمُوْمَ المُسْلِمِيْنَ ـ أفْرَادًا وجَمَاعَاتٍ ـ في كُلِّ مَكَانٍ قَدْ وَقَفُوا مَعَ إخْوَانِهِم في هَذِهِ الحَرْبِ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُوْنَ مِنْ دُعَاءٍ، وتَضَرُّعٍ، وتَبَرُّعَاتٍ، ورَغَبَاتٍ صَادِقَةٍ في طَلَبِ الجِهَادِ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ لِنُصْرَةِ إخْوَانِهِم هُنَاكَ، لكِنْ حَالَ بَيْنَهُم وبَيْنَ مَا يَشْتَهُوْنَ أُنَاسٌ عَلْمَانِيُّون ومُنَافِقُوْنَ، لا نَعْلَمُهُم، اللهُ يَعْلَمُهُم!

ومَعَ هَذِهِ المُنَاصَرَةِ الإسْلامِيَّةِ الَّتِي انْطَلَقَتْ مِنْ كُلِّ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ؛ إلَّا أنَّهُم مَغْلُوْبُوْنَ على أمْرِهِم، مَمْنُوْعُوْنَ مِن مُنَاصَرَةِ إخْوَانِهِم بالنَّفْسِ والسِّلاحِ، و﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]، وقَدْ قَالَ ﷺ: «إنَّ بالمَدِيْنَةِ أقْوَامًا مَا قَطَعْتُم وَادِيًا، ولا سِرْتُم سَيْرًا إلَّا وهُمْ مَعَكُم» قَالُوا: وهُم بالمَدِيْنَةِ؟ قَالَ: «نَعَم؛ حَبَسَهُمُ العُذْرُ!» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

* * *

وعَلى هَذَا؛ فَإنَّ وُقُوْفَ «حَمَاسٍ» هَذِهِ الأيَّامَ في وَجْهِ الطُّغْيَانِ اليَهُوْدِيِّ والنَّصْرَانِيِّ، والخُذْلانِ العَالَمِيِّ لَهُوَ كَافٍ في اتِّخَاذِ المَوْقِفِ

الصَّحِيْحِ، والنَّهْجِ القَوِيْمِ في نَقْلِ القَضِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ مِنْ مَعْرَكَةِ القَوْمِيَّاتِ والوَطَنِيَّاتِ وغَيْرِهَا إلى مَعْرَكَةِ الإسْلامِ، وهَذَا في حَدِّ ذَاتِهِ يُعْتَبرُ نَقْلَةً تَارِيْخِيَّةً تَصْحِيْحِيَّةً للمَعْرَكَةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ الَّتِي بَقِيَتْ سِنِيْنَ عَدَدًا تَحْتَ الرَّايَاتِ المَنْكُوْسَةِ، والدَّعَايَاتِ المَكْشُوْفَةِ!

وذَلِكَ إذَا عَلِمَ الجَمِيْعُ أنَّ قَضِيَّةَ فِلَسْطِيْنَ قَدْ مَرَّتْ بِحَلَقَاتٍ كَبِيْرَةٍ وَاسِعَةٍ لا يَضْبِطُهَا طَرَفٌ، ولا يَنْظِمُها حَرْفٌ؛ حَيْثُ اتَّسَعَتْ هَذِهِ القَضِيَّةُ في يَوْمٍ مِنَ الأيَّامِ للتَّقْمِيْشِ والتَّجْمِيْعِ القَوْمِيِّ والوَطَنِيِّ وغَيْرِهِ، فَلمَّا فَشِلَتْ وانْكَشَفَتْ، انْتَقَلَتْ القَضِيَّةِ إلى الدَّائِرَةِ العَرَبِيَّةِ القَوْمِيَّةِ، فَلمَّا فَشِلَتْ أيْضًا انْتَقَلَتْ إلى دَائِرَةِ السُّلْطَةِ العَلْمَانِيَّةِ، فَلمَّا فَشِلَتْ انْتَقَلَتْ مُؤَخَّرًا إلى أضْيَقِ الدَّوَائِرِ الَّتِي لا تَقْبَلُ التَّجْزِئَةَ أو التَّضْيِيْقَ، وهَذَا مَاثِلٌ في دَائِرَةِ «حَمَاس» الإسْلامِيَّةِ؛ حَيْثُ وَضَعَتِ القَضِيَّةَ الفِلَسْطِيْنِيَّةَ في السَّاحَةِ الإسْلامِيَّةِ، فَعِنْدَهَا تَعَرَّى العَلْمَانِيُّوْنَ، والقَوْمِيُّوْنَ، وغَيْرُهُم مِنْ أهْلِ المَوَاقِفِ النَّفْعِيَّةِ الضَّعِيْفَةِ!

* * *

❐ ومِنْ هُنَا فَلْيَعْلَمِ الجَمِيْعُ أنَّ هَذِهِ الحَلْقَةَ الَّتِي تُدِيْرُهَا «حَمَاس» هَذِهِ الأيَّامَ في أرْضِ فِلَسْطِيْنَ: لهِيَ مِنْ أضْيَقِ الحَلْقَاتِ، كَمَا أنَّها مِنْ أحْلَكِ اللَّحَظَاتِ؛ لأنَّ المَعْرَكَةَ اليَوْمَ هِيَ مَعْرَكَةٌ فَاصِلَةٌ في تَارِيْخِ فِلَسْطِيْنَ مَعَ اليَهُوْدِ مُنْذُ احْتِلالِهِم لأرْضِ فِلَسْطِيْنَ مُنْذُ عَامِ (١٣٦٧)، كَمَا على «حَمَاس» أنْ تَعْلَمَ مَا يَلِي:

أوَّلاً: أنْ دُوَلَ الكُفْرِ والنِّفَاقِ بعَامَّةٍ لَنْ يَتْرُكُوْهَا تَفْرَحُ بِهَذَا

النَّصْرِ في أرْضِ غَزَّةَ دُوْنَ مَعارِكَ فَاصِلَةٍ مُدَبَّرَةٍ، هَذَا إذَا عَلِمَتْ «حَمَاس» في الوَقْتِ نَفْسِهِ مَا فَعَلَتْهُ دُوَلُ الكُفْرِ وأعْوَانُهَا مَعَ كُلِّ دَوْلَةٍ، أو جَمَاعَةٍ، أو حَرَكَةٍ إسْلامِيَّةٍ تُرِيْدُ إعْلاءَ كَلِمَةِ التَّوْحِيْدِ، وتَحْقِيْقَ العُبُوْدِيَّةِ للهِ رَبِّ العَالمِيْنَ، وتَطْبِيْقَ شَرْعِهِ، ورَفْعَ عَلَمِ الجِهَادِ... وذَلِكَ بِمَا لاقَتْهُ ووَاجَهَتْهُ: مِنْ حُرُوْبٍ، وحِصَارٍ، وغَيْرِهِ، وحَسْبُهُم مِنْ هَذَا مِثَالاً: مَا حَصَلَ لحَرَكَةِ طَالِبَانَ، والمَحَاكِمِ الإسْلامِيَّةِ في الصُّومَالِ، ودَوْلَةِ البَشِيْرِ في السُّوْدَانِ في أوَّلِ أيَّامِ تَأسِيْسِهَا، وغَيْرُهَا كَثِيْرٌ!

ونَحْنُ، و«حَمَاس» لا نَشُكُّ أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأنَّ اللهَ نَاصِرٌ جُنْدَهُ، وأنَّهُ تَعالى غَالِبٌ على أمْرِهِ، وأنَّ التَّمْكِيْنَ مَعَ الصَّبْرِ واليَقِيْنِ، وأنَّ العَاقِبَةَ للمُتَّقِيْنَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السَّجْدَةُ: ٢٤]، وقَوْلُهُ تَعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

ثانيًا: كَمَا عَلَيْهَا ألَّا تَقْتَصِرَ على تَحْرِيْرِ قِطَاعِ غَزَّةَ مِنْ أيْدِي الإحْتِلالِ اليَهُوْدِيِّ حَسْبُ، بَل عَلَيْهَا أنْ تَسْعى جَاهِدَةً في تَحْرِيْرِ أرْضِ فِلَسْطِيْنَ كَامِلَةً مِنْ أيْدِي اليَهُوْدِ، وغَيْرِهِم مِنَ العَلْمَانِيِّيْنَ، وأعْدَاءِ الدِّيْنِ، وذَلِكَ بالحِكْمَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وتَطْبِيْقِ قَاعِدَةِ: «المَصَالِحِ والمَفَاسِدِ».

وهَذِهِ شَهَادَةٌ مِنْ شَيْخِنَا العَلَّامَةِ ابنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في تَزْكِيَةِ حَرَكَةِ «حمَاس» إذْ قَالَ عَنْهُم في «مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى» (٤/ ٢٩٤): «لَقَدْ ثَبَت لَدَيْنَا بشَهَادَةِ العُدُوْلِ الثِّقَاتِ أنَّ الانْتِفَاضَةَ الفِلَسْطِيْنِيَّةَ، والقَائِمِيْنَ بِهَا مِنْ خَوَاصِ المُسْلِمِيْنَ هُنَاكَ، وأنَّ جِهَادَهُم إسْلامِيٌّ؛ لأنَّهُم مَظْلُوْمُوْنَ مِنَ اليَهُوْدِ، ولأنَّ الوَاجِبَ عَلَيْهِم الدِّفَاعُ عَنْ دِيْنِهِم وأنْفُسِهِم وأهْلِيْهِم وأوْلادِهِم، وإخْرَاجُ عَدُوِّهِم مِنْ أرْضِهِم بِكُلِّ مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قُوَّةٍ، وقَدْ أخْبَرَنَا الثِّقَاتُ الَّذِيْنَ خَالَطُوْهُم في جِهَادِهِم وشَارَكُوْهُم في ذَلِك عَنْ حَمَاسِهِمُ الإسْلامِيِّ وحِرْصِهِم على تَطْبِيْقِ الشَّرِيْعَةِ الإسْلامِيَّةِ فِيْما بَيْنَهُم». انْتَهَى.

قُلْتُ: وكَذَا قَدْ ثَبَت لَدَيْنَا أنَّ حَرَكَةَ «حماس» سُنِّيَّةٌ في مَنْهَجِهَا، إسْلامِيَّةٌ في رَايَتِهَا، وَاضِحَةٌ في قَضِيَّتِهَا، مُجَاهِدَةٌ في أرْضِهَا، واللهَ أسْألُ لها التَّوْفِيْقَ والسَّدَادَ في القَوْلِ والعَمَلِ، والنَّصْرَ والتَّمْكِيْنَ على عَدُوِّهَا، والثَّبَاتَ والتَّأيِيْدَ على مَنْهَجِهَا.

ومَا قُلْتُهُ هُنَا عَنْ حَرَكَةِ «حماس» كَانَ لأُمُوْرٍ:

الأوَّلُ: أنَّ هَذَا الَّذِي ظَهَرَ لَنَا مِنْ هَذِهِ الجَماعَةِ الإسْلامِيَّةِ، والحُكْمُ على الظَّاهِرِ، وأمَّا مَا يَكُوْنُ، ومَا سَيَكُوْنُ، فاللهُ بِهِ عَلِيْمٌ!

الثَّاني: أنَّ هَذِهِ الجَماعَةَ لها وَاقِعُهَا وظُرُوْفُهَا وأحْوالُها في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، فَلَيْسَ مِنَ الحِكْمَةِ والإنْصَافِ أنْ نَحْكُمَ عَلى هَذِهِ الجَماعَةِ على ضَوْءِ ظُرُوْفِنَا ووَاقِعِنَا، وأنْ نُؤاخِذَهَا ونُحَاسِبَهَا على كُلِّ

خَطَأ اجْتِهَادِيٍّ ممَّا يَفْرِضُهُ وَاقِعُ المَعْرَكَةِ عِنْدَهُم، فحَرَكَةُ «حماس» لا شَكَّ أنَّهَا تَعِيْشُ وَاقِعًا ومُلابَسَاتٍ ممَّا يَدْفَعُهَا إلى بَعْضِ الاجْتِهَادَاتِ والتَّنَازُلاتِ تَحت قَاعِدَة: «دَرْءِ المَفَاسِدِ مُقَدَّمٌ على جَلْبِ المَصَالِحِ»، وقَدْ نَصَّ أهْلُ العِلْمِ: «أنَّ الأحْكَامَ الجِهَادِيَّةَ تُؤخَذُ مِنْ أهْلِ العِلْمِ في أرْضِ الجِهَادِ»؛ لأنَّهم يَعْرِفُوْنَ ويُقَدِّرُوْنَ حَقِيْقَةَ «المَصَالِحِ والمَفَاسِدِ» النَّازِلَةِ في أرْضِ المَعْرَكَةِ، خِلافًا لأهْلِ العِلْمِ الَّذِيْنَ هُم بَعِيْدُوْنَ عَنْ وَاقِعِ المَعْرَكَةِ!

وقَدْ ثَبَتَ عِنْدَ سَلَفِنَا الصَّالِحِ: أنَّهُ يَجِبُ عَلى العَالم عِنْدَ الحُكْمِ والإفْتَاءِ والقَضَاءِ أنْ يَكُوْنَ عَارِفًا بالوَاقِعِ، عَالمًا بالحُكْمِ الشَّرعِيِّ فِيْهِ.

لِذَا كَانَ مِنْ جَادَةِ الإنْصَافِ، وضُرُوْبِ العَدْلِ أنْ نَغُضَّ الطَّرْفَ عَنْ بَعْضِ الاجْتِهادَاتِ الَّتِي قَدْ تَفْرِضُهَا أرْضُ الجِهَادِ، وظُرُوْفُ المَعْرَكَةِ عَلى حَرَكَةِ «حمَاس»، لا سِيَّما إذَا عَلِمْنَا أنَّهُم تَحتَ الاحْتِلالِ اليَهُوْدِيِّ النَّصْرانِيِّ بطَرِيْقٍ أو آخَرَ، بَلْ كُلُّ المَنَافِذِ، والمَعَابِرِ، وطُرُقِ الدُّخُوْلِ والخُرُوْجِ في أرْضِ فِلَسْطِيْنَ (للأسَفِ!) هِيَ تَحْتَ التَّصرُّفَاتِ والهَيْمَنَةِ اليَهُوْدِيَّةِ الَّتي اتَّخَذَتْ مِنْ دُوَلِ الجِوَارِ عَوْنًا لهَا في تَحْقِيْقِ هَيْمَنَتِهَا الإجْرَامِيَّة، فاللهُ المُسْتَعَانُ!

الثَّالِثُ: أنَّ هَذِهِ الجَماعَةَ أصْبَحَتْ اليَوْمَ مُمَثِّلَةً لِجِهَادِ المُسْلِمِيْنَ ضِدَّ اليَهُوْدِ.

فجِهَادُهَا اليَوْمَ أمَامَ اليَهُوْدِ المُحْتَلِّيْنَ دُوْنَ سِوَاهَا مِنَ الجَمَاعَاتِ الإسْلامِيَّةِ مِمَّا يُخوِّلُهَا بأنْ تَكُوْنَ مُمَثِّلَةً لأهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، وهُوَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ شَاهِدُ الحَالِ، وهَذَا مَا نَصَّ عَلَيْهِ شَيْخُ الإسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ في فِرْقَةِ الأشْعَرِيَّةِ؛ حَيْثُ قَالَ في «بَيَانِ تَلْبِيْسِ الجَهْمِيَّةِ» (٢/ ٨٧): «وإنْ كَانَ في كَلامِهِم (الأشْعَرِيَّةِ) مِنَ الأدِلَّةِ الصَّحِيْحَةِ ومُوَافَقَةِ السُّنَّةِ مَا لا يُوْجَدُ في كَلامِ عَامَّةِ الطَّوَائِفِ، فَإنَّهُم أقْرَبُ طَوَائِفِ أهْلِ الكَلامِ إلى السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ والحَدِيْثِ، وهُم يُعَدُّوْنَ مِنْ أهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ عِنْدَ النَّظَرِ إلى مِثْلِ المُعْتَزِلَةِ والرَّافِضَةِ وغَيْرِهِم، بَلْ هُم أهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ في البِلادِ الَّتِي يَكُوْنُ أهْلُ البِدَعِ فِيْهَا هُمُ المُعْتَزِلَةُ والرَّافِضَةُ ونَحْوُهُم».

* * *

❐ ومَعَ هَذَا؛ إلَّا أنَّ لَنَا مَعَ هَذِهِ الجَمَاعَةِ، وغَيْرِهَا مِنَ الجَمَاعَاتِ الإسْلامِيَّةِ بَعْضَ المَلْحُوْظَاتِ المُهِمَّةِ، والنَّصَائِحِ الإيْمَانِيَّةِ، فمِنْهَا:

أوَّلاً: أنْ يَأخُذُوا بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ: المَنْهَجَ السَّلَفِيَّ في مُعَالَجَةِ مِثْلِ هَذِهِ القَضَايَا الإسْلامِيَّةِ.

ثَانِيًا: أنْ يَقُوْمُوا بتَحْكِيْمِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ فِيْمَا يَأتُوْنَ ويَذَرُوْنَ، وألَّا يَلْتَفِتُوا إلى شَيءٍ مِنْ مُنَظَّمَاتِ، وهَيْئَاتِ، ومَحَاكِمِ أهْلِ الكُفْرِ، وألَّا يَرْكَنُوا إلَيْهَا بحَالٍ مِنَ الأحْوَالِ.

كَمَا عَلَيْهِم أَلَّا يَغْتَرُّوا بِمَا تُقَدِّمُهُ رَافِضَةُ إِيْرَانَ، ولِبْنَانَ (حِزْبِ الشَّيْطَانِ!)، وغَيْرِهِمَا مِنْ شِيْعَةِ العَالَمِ، فتَارِيْخُ الشِّيْعَةِ الرَّافِضَةِ أَسْوَدٌ مَعَ المُسْلِمِيْنَ، وخُذْلانُهُم ومَوَاقِفُهُم مَعْلُوْمَةٌ مَشْهُوْرَةٌ فِي نَصْبِ العَدَاءِ لأَهْلِ السُّنَّةِ، وتَحَالُفُهُم مَعَ اليَهُوْدِ والنَّصَارَى أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ، والتَّارِيْخُ شَاهِدٌ وشَهِيْدٌ!

فانْظُرْهُم فِي خِيَانَاتِهِم التَّارِيْخِيَّةِ: فَقَدْ خَانُوا عَليَّ بنَ أَبي طَالِبٍ، وابْنَيْهِ الحَسَنَ والحُسَيْنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أَجْمَعِيْنَ، وكَذَا خِيَانَتُهُم للخَلِيْفَةِ العَبَّاسِي هَارُوْنَ الرَّشِيْدَ مِن قِبَلِ وَزِيْرِهِ الشِّيْعِيِّ عَليِّ بنِ يَقْطِيْنَ، وخِيَانَتُهُم للدَّوْلَةِ السُّلْجُوْقِيَّةِ، وذَلِكَ بمُعَاوَنَتِهِم للنَّصَارَى الصَّلِيْبِيِّيْنَ ضِدَّهُم، وخِيَانَتُهُم للخَلِيْفَةِ العَبَّاسِي مِنْ قِبَلِ الوَزِيرِ ابنِ العَلْقَمِيِّ، والشِّيْعِيِّ الطُّوسِي؛ حَيْثُ مَكَّنُوا المَغُوْلَ التَّتَارَ مِنَ الدُّخُوْلِ لدَارِ الخِلافَةِ في بَغْدَادَ، والتَّارِيْخُ مَليءٌ بِخِيَانَاتِهِم ونِفَاقِهِم، فاحْذَرُوْهُم!

أَمَّا إذَا سَأَلْتَ عَنْ عَدَائِهِم لأَهْلِ السُّنَّةِ هَذِهِ الأَيَّامَ، فَلا يَخْفَى على كُلِّ ذِي عَيْنٍ؛ حَيْثُ ظَهَرَ خُبْثُهُم ومَكْرُهُم وقَتْهُلُم ونَحْرُهُم وتَمْثِيْلُهُم وتَشْرِيْدُهُم لأَخْوَانِنَا أَهْلِ السُّنَّةِ فِي بِلادِ سُوْرِيَا السُّنِّيَّةِ، فاللهُ طَلِيْبُهُم!

ثَالِثًا: كَما عَلَيْهِم أَنْ يَحمِلُوا أَتْبَاعَهُم على العَقِيْدَةِ الصَّحِيْحَةِ؛ لأَنَّ تَحْرِيْرَ النَّفْسِ مِنَ المُخَالَفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ مُقَدَّمٌ على تَحْرِيْرِ الأَرْضِ،

وذَلِكَ بتَحْقِيْقِ العُبُوْدِيَّةِ للهِ رَبِّ العَالمِيْنَ، وتَطْبِيْقِ شَرْعِهِ في أهْلِ غَزَّة وأرْضِها.

يُوَضِّحُهُ: أنَّهُ قَدْ ثَبَتَ لَنا؛ أنَّ بَعْضَ المُقَاتِلِيْنَ مِنْ شَبَابِ فِلِسْطِيْنَ الَّذِيْنَ ما زَالُوا يَتَسَاقَطُوْنَ صَرْعَى أمْامَ دَبَّابَاتِ وأسْلِحَةِ اليَهُوْدِ، فَضْلاً عمَّا سِوَاهُم مِنْ أهْلِ المُقَاوَمَةِ الجِهَادِيَّةِ (الانْتِفَاضَةِ): عِنْدَهُم انْحِرَافاتٌ مَنْهَجِيَّةٌ، وجَهْلٌ ببَعْضِ أمُوْرِ دِيْنِهِم!

وهَذَا النَّقْدُ مِنَّا لا يَلْزَمُ مِنْهُ تَرْكُ قِتَالِ اليَهُوْدِ الآنَ؛ بَلِ المَطْلُوْبُ مِنَ القَائِمِيْنَ على هَذِهِ الجماعَاتِ أنْ يَجْمَعُوا بَيْنَ جِهَادَيْنِ: جِهَادٍ في إخْوَانِهِم، وجِهَادٍ مَعَ اليَهُوْدِ، كَمَا يَلي.

الأوَّلُ: جِهَادٌ في تَعْلِيْمِ إخْوَانِهِم المُسْلِمِيْنَ هُنَاكَ؛ وذَلِكَ بتَعْلِيْمِهِم أمُوْرَ دِيْنِهِم، لا سِيَّما تَحْقِيْقَ التَّوْحِيْدِ، ومُنَابَذَةَ الشِّرْكِيَّاتِ.

الثَّاني: جِهَادٌ مَعَ إخْوَانِهِم ضِدَّ اليَهُوْدِ، لِذَا وَجَبَ التَّنْبِيْهُ، واللهُ المُوَفِّقُ، والهَادِي إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ.

ورَابِعًا: أنْ يَجْتَهِدُوا في جَمْعِ الكَلِمَةِ بَيْنَهُم وبَيْنَ إخْوَانِهِم مِنَ الجَمَاعَاتِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ الأُخْرَى، لا سِيَّما كَتَائِبَ القَسَّامِ، وسَرَايَا الأقْصَى، وجَمَاعَةَ الجِهَادِ، وجَيْشَ الأمَّةِ، وغَيْرَهَا مِنَ الجَمَاعَاتِ السُّنِّيَّةِ، وأنْ يَكُوْنُوا يَدًا وَاحِدَةً على مَنْ سِوَاهِم، وصَفًّا وَاحِدًا في وَجْهِ العَدُوِّ اليَهُوْدِيِّ، لقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم

بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٠٣].

كَمَا عَلَيْهِم البُعْدُ عَنْ مَوَاطِنِ الخِلافِ والافْتِرَاقِ، لِقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنْفَالُ: ٤٦].

ومَهْمَا يَكُنْ؛ فَإنَّ الوُقُوْف مَعَ «حَمَاس»، والكَلامَ عَنِ الحَرْبِ الَّتِي شَنَّتْهَا اليَهُوْدُ بمُعَاوَنَةِ دُوَلِ النَّصَارَى الصَّلِيْبِيَّةِ في غَزَّةَ هَذِهِ الأيَّامَ لعَامِ (١٤٣٠)، لهُوَ حَدِيْثٌ يَطُوْلُ جِدًّا، ولِلتَّارِيْخِ رِجَالٌ، ولِلثَّأرِ رِجَالٌ مُسْلِمُوْنَ قَرِيْبًا إنْ شَاءَ اللهُ!

* * *

❑ وأخِيْرًا؛ فَإنَّ الحَدِيْثَ جَرْيًا وَرَاءَ قَضِيَّةِ فِلِسْطِيْنَ سَيَطُوْلُ بِنَا، كَمَا سَيُخْرِجُنَا عَنْ مَقْصَدِ رِسَالَتِنَا، فَفِيْمَا ذَكَرْنَاهُ غُنْيَةٌ إنْ شَاءَ اللهُ، ومَنْ أرَادَ الوُقُوْف على تَارِيْخِ فِلِسْطِيْنَ، وبَيْتِ المَقْدِسِ لا سِيَّما في مَعْرِفَةِ المُؤامَرَةِ الَّتِي ارْتَكَبَتْهَا دُوَلُ الغَرْبِ في تَمْكِيْنِ اليَهُوْدِ مِنِ احْتِلالِ أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، فلْيَنْظُرْ كِتَابَ: «جِهَادُ شَعْبِ فِلِسْطِيْنَ» لصَالِحِ أبي بَصِيْرٍ، و«الطَّرِيْقَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ» لجَمالٍ مَسْعُوْدٍ ووَفَاءَ جُمْعَةَ، وغَيْرُهُمَا كَثِيرٌ.

❑ ❑ ❑

الفَصْلُ الخَامِسُ

التَّعْرِيْفُ بهَيْئَةِ الأمَمِ، ومَجْلِسِ الأمْنِ، وجَامِعَةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ

كَانَ مِنْ تَتِمَّةِ الأَمَانَةِ التَّارِيْخِيَّةِ، والحَقَائِقِ المَيْدَانِيَّةِ أنْ نَذْكُرَ شَيْئًا مختَصَرًا عَنْ تَارِيْخ هَيْئَةِ الأُمَمِ، ومجْلِسِ الأمْنِ، والجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ؛ كَيْ تَسْتَبِيْنَ السَّبِيْلُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ يُرِيْدُ للقَضِيَّةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ حَلًّا شَرْعِيًّا، ومَخْرَجًا صَحِيْحًا، لِذَا كَانَتْ مَعْرِفَةُ هَذِهِ المَجَالِسِ والمُؤتَمَرَاتِ والجَامِعَاتِ مِنَ الأهمِيَّةِ بمَكَانٍ، كُلُّ ذَلِكَ حَتَّى يَضَعَ السَّائِرُ رِجْلَهُ في مَوَاطِنِ العَزَازِ، ويَتَّقِيَ مَزَالِقَ الطَّرِيْقِ وبُنَيَّاتِهِ، وهَذَا مَا سَنُبَيِّنُهُ هُنَا إنْ شَاءَ اللهُ على وَجْهِ الاخْتِصَارِ.

* * *

❑ فأمَّا هَيْئَةُ الأمَمِ المُتَّحِدَةِ: فَإنَّهُ لمَّا ظَهَرَ ضَعْفُ الخِلافَةِ العُثْمانِيَّةِ المُسْلمَةِ للعيَانِ، مَعَ بِدَايَةِ القَرْنِ الرَّابعِ عَشَرَ الهِجْرِيِّ، وفَقَدَتْ وَزْنَها أمَامَ الدُّوَلِ النَّصْرَانِيَّةِ الأُوْرُوْبِّيَّةِ المُتَغَطْرِسَةِ، وخَاصَّةً رُوْسِيَا، وبرِيْطَانِيَا، وفَرَنْسَا، وألمَانِيَا، والنَّمْسَا، وإيطَالِيَا، اتَّجهَتْ تِلْكَ الدُّوَلُ لاقْتِسَامِ أمْلاكِ الخِلافَةِ العُثْمانِيَّةِ فِيما أسْمَوْهُ: المَسْألَةَ الشَّرْقِيَّةَ.

وازْدَادَ النَّتَاجُ الصِّنَاعِيُّ لِتِلْكَ الدُّوَلِ، وسَيْطَرَتْ فِيْهَا الرَّأْسْمالِيَّةُ، واشْتَدَّتْ حَرَكَةُ القَوْمِيَّاتِ، فأخَذَتْ تَتَسَابَقُ على احْتِلالِ مَا يُمْكِنُ احْتِلالُهُ للحُصُوْلِ على المَوادِ الأوَّلِيَّةِ الرَّخِيْصَةِ الثَّمَنِ.

فأدَّى ذَلِكَ إلى اشْتِدَادِ المُنَافسَةِ بَيْنَهُم، فتَكوَّنَتْ نَتِيْجَة ذَلِكَ الأحْلافُ: إذْ تَقَارَبَتْ برِيْطَانِيَا، وفَرَنْسَا، ورُوْسِيَا رُغْمِ مَا بَيْنَهُا مِنْ تَنَافُسٍ للوُقُوْفِ في وَجْهِ ألمَانِيَا النَّاشِئَةِ، كَما تَقَارَبَتْ ألمَانِيَا، والنَّمْسَا، وإيْطَالِيَا رُغْمِ مَا بَيْنَهُما مِنْ عَدَاءٍ!

فانْقَسَمَتْ أُوْرُوبَّا إلى كُتْلَتَيْنِ مُتَنَافِسَتَيْنَ، واشْتَدَّ سِبَاقُ التَّسلُّحِ، ومَعَ وُجُوْدِ الأزَمَاتِ ـ وخَاصَّةً أزْمَةُ البُلْقَانِ ـ انْدَلَعَتْ شَرَارَةُ الحَرْبِ العَالمِيَّةِ الأولى (١٣٣٢ ـ ١٣٣٦) (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) الَّتِي انْتَهَتْ بانْتِصَارِ الحُلَفَاءِ: وهُم بِرِيْطَانِيَا، وفَرَنْسَا، وإيْطَالِيَا ـ الَّتِي انْضمَّتْ للحُلَفَاءِ أثْنَاءِ الحَرْبِ ـ، والوِلايَاتُ المُتَّحِدَةُ الَّتِي عَادَتْ لعُزْلَتِهَا بَعْدَ انْتِهَاءِ الحَرْبِ.

وقَامَتْ الدُّوَلُ المُنْتَصِرَةُ بإنْشَاءِ «عُصْبَةِ الأمَمِ»، وقَدْ هَيْمَنَتْ عَلَيْهَا بِرِيْطَانِيَا، وفَرَنْسَا، وإيْطَالِيَا، واتَّخَذَتْهَا سِتَارًا لاقْتِسَامِ العَالمِ! واعْتَبرتْهَا هَيْئَةً دَائِمَةً، تَشُدُّ مِنْ أزْرِهَا الحُكُوْمَاتُ القَوْمِيَّةُ.

وتَألَّفَتْ «عُصْبَةُ الأمَمِ» مِنْ جَمْعِيَّةٍ عُمُوْمِيَّةٍ مُؤلَّفَةٍ مِنْ مَنْدُوبِيْنَ يُمَثِّلُوْنَ الدُّوَلَ الأعْضَاءَ في العُصْبَةِ، تَنْعَقِدُ مَرَّةً كُلَّ عَامٍ لمُدَّةِ شَهْرَيْنِ في «جِنِيْف» الَّذِي يُعْتَبَرُ مَقَرَّهَا الدَّائِمَ، ومِنْ مَجْلِسٍ كَانَ يَتَكَوَّنُ أوَّلاً

مِنْ تِسْعَةِ مَنْدُوبِيِّنَ، خَمْسَةٍ مِنْهُم يَنُوْبُوْنَ عَنِ الدُّوَلِ الكُبْرَى الَّتِي لهَا كَرَاسِي دَائِمَةٌ في مَجْلِسِ العُصْبَةِ، ويَنْعَقِدُ هَذَا المِجْلِسُ أكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ في العَامِ.

وتُعِدُّ سِكِرْتَارِيَّةُ العُصْبَةِ (وهِيَ هَيْئَةٌ دُوَلِيَّةٌ مِنَ المُوظَّفِيْنَ المَدَنِيِّيْنَ) أعْمالَ الجَمْعِيَّةِ والمَجْلِسِ، كَما أنَّها تُشْرِفُ على تَنْفِيْذِ أعْمالِهَا.

* * *

وقَدْ بَلَغَ أكْبَرُ عَدَدٍ لأعْضَاءِ العُصْبَةِ سِتِّيْنَ دَوْلَةً، وانْضَمَّتْ لهَا رُوْسِيَا عَامَ (١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م)، في حِيْنَ انْسَحبَتْ مِنْهَا اليَابَانُ عَامَ (١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م)، ورَفَضَتِ الوِلايَاتُ المُتَّحِدَةُ الأمْرِيْكِيَّةُ الانْضَمَامَ إلَيْهَا، وكَانَ للصِّهْيُوْنِيَّةِ نَشَاطٌ كَبِيرٌ في تَكْوِيْنِهَا لتَحْقِيْقِ أهْدَافِهَا، باسْمِ الهَيْمَنَةِ الدُّوَلِيَّةِ عَنْ طَرِيْقِ هَذِهِ العُصْبَةِ.

وقَدْ حَمَلَ مِيْثَاقُ العُصْبَةِ بُذُوْرَ فَشَلِهَا، فَقَدْ كَانَتِ العُصْبَةُ رَابِطَةَ دُوَلٍ ذَاتِ سِيَادَةٍ، ولم تَكُنْ اتِّحادَ دُوَلٍ، وكَانَتِ القَرَارَاتُ يَلْزَمُهَا الإجْماعُ، وهَذَا أضْعَفَ مَوَاقِفَهَا، كَمَا أنَّهَا لم تَكُنْ تَمْلِكُ القُوَّةَ الكَافِيَةَ لفَرْضِ الْتِزَامِ قَرَارَاتِهَا، وعَمِلَتْ في الغَالِبِ كَأدَاةٍ للحِفَاظِ على الحَالَةِ الرَّاهِنَةِ؛ أيْ: أنَّها كَانَتْ تَعْمَلُ لصَالِحِ بَعْضِ الدُّوَلِ، وخَاصَّةً فَرَنْسَا وبِرِيْطَانِيَا، ولم تَتَّفِقْ على شَيءٍ كَاتِّفَاقِهَا ضِدَّ مَصَالِحِ المُسْلِمِيْنَ.

فَقَدْ أقَرَّتْ مَبْدَأَ الانْتِدَابِ والوِصَايَةِ، كَما اعْتَرفَتْ بِوَعْدِ «بِلْفُوْر»، وأصْدَرَتْ صَكَّ الانْتِدَابِ على فِلِسْطِيْنَ الَّذِي تَضَمَّنَ الاعْتِرَافَ بوَعْدِ «بِلْفُوْر»، وتَكْلِيْفَ بِرِيْطَانيَا بتَنْفِيْذِهِ، مَعَ مُشَارَكَةِ الوَكَالَةِ اليَهُوْدِيَّةِ، فَكَانَتْ شَكْلاً مِنْ أشْكَالِ الاحْتِلالِ.

وقَدْ فَشِلَتِ العُصْبَةُ فَشَلاً ذَرِيْعًا في مُحَاوَلاتِها في مَنْعِ اسْتِخْدَامِ القُوَّةِ في فَضِّ المُنَازَعَاتِ الدُّوَلِيَّةِ، وفي الحَدِّ مِنَ التَّسَلُّحِ بَيْنَ الدُّوَلِ.

فَعَادَ سِبَاقُ التَّسَلُّحِ، كَمَا عَادَتِ التَّكَتُّلاتُ والأحْلافُ الدُّوَلِيَّةُ، فانْقَسَمَتْ أوْرُوبَّا ثَانِيَّةً إلى قِسْمَيْنِ:

الأوَّلُ: الحُلَفَاءُ، وهِيَ انْجِلْتَرا، وفَرَنْسَا.

الثَّاني: دُوَلُ المِحْوَرِ، وهِيَ ألمَانيَا، وإيْطَالِيَا، وانْضَمَّتْ إلَيْهِم اليَابَانُ.

فَجرَّ ذَلِكَ إلى نُشُوْبِ الحَرْبِ العَالمِيَّةِ الثَّانِيَةِ (١٣٦٠ ـ ١٣٦٤)، وفي أثْنَاءِ هَذِهِ الحَرْبِ ظَهَرَتْ فِكْرَةُ تَطْوِيْرِ «عُصْبَةِ الأمَمِ» إلى اسْمٍ جَدِيْدٍ: هُوَ هَيْئَةُ الأمَمِ!

انْظُرْ: «تَارِيْخَ القَرْنِ العِشْرِيْنَ» لِبيير رُوْنُوفِن (٣٦٧)، و«حَاضِرَ العَالمِ الإسْلاميِّ» لجَمِيْلٍ المِصْرِيِّ (١/ ١٤٢)، و«تَارِيْخَ أوْرُوبَّا في العَصْرِ الحَدِيْثِ» لِفِشَرْ (٥٧١).

* * *

☐ حَقَائِقُ مَكْشُوْفَةٌ:

لَقَدْ صَرَّحَ أحَدُ زُعَماءِ الصِّهْيُونِيَّةِ «نَاحُوس كُلُوف» في (١٣٤٠هـ ـ ٢٧/آب/١٩٢٢م) أمَامَ مُؤتمَرِ «كالْسِبَاد الصِّهْيُوني»: «إنَّ عُصْبَةَ الأمَمِ هِيَ فِكْرَةٌ يَهودِيَّةٌ، لَقَدْ خَلَقْنَاهَا بَعْدَ كِفَاحٍ دَامَ (٢٥) سَنَة»!

* * *

أمَّا مَجْلِسُ الأمْنِ: فَيَتَكوَّنُ مِنْ خَمْسَةِ أعْضَاءَ دَائمِيْنَ: هُم مُمثِّلُو الاتِّحَادِ السُّوفِيْتِيِّ، والوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأمْرِيكِيَّةِ، وبرِيْطَانيَا، وفَرَنْسَا، والصِّيْنِ الوَطَنِيَّةِ سَابِقًا، (والشَّعْبِيَّةِ حَالِيًّا)، ومِنْ سِتَّةِ أعضاءَ غَيْرِ دَائِمِيْنَ، يَكُوْنُ انْتِخَابُهم لمُدَّةِ سَنَتَيْنِ، وقَدْ زِيْدَ عَدَدُ الأعْضَاءِ غيرَ الدَّائِمِيْنَ فَأصْبَحَ خَمْسَةَ عَشَرَ عُضْوًا.

وتَصْدُرُ القَرَارَاتُ في المَسَائِلِ الهَامَّةِ بالأغْلَبِيَّةِ العَدَدِيَّةِ على أنْ يَكُوْنَ مِنْهَا الأعْضَاءُ الدَّائِمُوْنَ الخَمْسَةُ.

كَما يَحِقُّ للأعْضَاءِ الدَّائِمِيْنَ اسْتِعَمالُ حَقِّ «الفِيْتو» النَّقْضِ لأيِّ قَرَارٍ يُعْرَضُ على المَجْلِسِ.

وهَذَا أدَّى إلى تَسَلُّطِ الدُّوَلِ الكُبْرَى في هَذَا المَجْلِسِ، وضَيَاعِ أيِّ حَقٍّ مَا لم يُوَافِقْ هَوَاهُم جَمِيعًا.

ويَقُوْمُ مَجْلِسُ الأمْنِ: بالمُحَافَظَةِ على الأمْنِ والسَّلامِ في العَالمِ بالتَّعَاوُنِ مَعَ الجَمْعِيَّةِ العَامَّةِ، أيْ: بِمَفْهُوْمِ الدُّوَلِ المُهَيْمِنَةِ، واتِّخَاذِ قَرَارَاتٍ بتَوْقِيْعِ عُقُوْبَاتٍ تِجَارِيَّةٍ مَالِيَّةٍ (اقْتِصَادِيَّةٍ)، أو إجرَاءاتٍ لمَنْعِ

وُقُوْعِ العُدْوَانِ، أو لِوَقْفِهِ، واتِّخَاذِ إجْرَاءٍ حَرْبيٍّ ضِدَّ المُعْتَدِي في ظُرُوْفٍ خَاصَّةٍ، وقَدْ وَافَقَتْ جَمِيْعُ الدُّوَلِ الأعْضَاءِ على أنْ تَضَعَ تَحْتَ تَصَرُّفِ المَجْلِسِ أيَّةَ قُوَّاتٍ مُسَلَّحَةٍ، وتُقَدِّمُ كُلَّ تَسْهِيْلاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ يُطْلَبُ مِنْهَا، أو يُتَّفَقُ عَلَيْهَا. انْظُرْ «تَارِيْخَ أوْرُوبَّا في العَصْرِ الحَدِيْثِ» لِفِيْشَرْ (٧٣٣).

قُلْتُ: كُلُّ هَذِهِ القَرَارَاتِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا مَجْلِسُ الأمْنِ مَا هُوَ إلَّا حِبْرٌ على الأوْرَاقِ، أمَّا حَقِيْقَةُ الأمْرِ ووَاقِعُ هَذِهِ القَرَارَاتِ فَشَيءٌ آخَرُ؛ حَيْثُ نَجِدُ بِلادَ فِلِسْطِيْنَ، وأفْغَانِسْتَانَ، والعِرَاقِ، وغَيْرَهَا مِنْ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ قَدْ أصَابَتْهَا الوَيْلاتُ، والحُرُوْبُ، والاحْتَلالُ، والظُّلْمُ، والعُدْوَانُ مِنْ دُوَلِ الأعْضَاءِ الَّتِي يَجْمَعُهَا مَجْلِسُ الأمْنِ، نَعَم إنَّهَا حَقِيْقَةٌ قَاسِيَةٌ قَدْ فَرَضَتْهَا هَذِهِ الدُّوَلُ الكَافِرَةُ الظَّالِمَةُ الجَائِرَةُ، فَاللهُ المُسْتَعَانُ.

وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالى عَنْهُم: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ [البَقَرَةُ: ١٢٠].

* * *

□ فأمَّا هَيْئَةُ الأمَمِ المُتَّحِدَةِ، ومَجْلِسُ الأمْنِ: فَهُمَا مُؤامَرَةٌ يَهُودِيَّةٌ، نَصْرَانِيَّةٌ أوْرُوبِّيَّةٌ، تَهْدِفُ إلى تَأكِيْدِ هَيْمَنَةِ الدُّوَلِ الكُبْرَى على الدُّوَلِ الصُّغْرَى، طِبْقًا للمَبْدَأ السِّيَاسِي الَّذِي أقَرَّتْه الدُّوَلُ الاحْتِلالِيَّةُ (الاسْتِعْمارِيَّةُ): «وهُوَ أنَّ الدُّوَلَ الكُبْرَى لَهَا الحَقُّ في احْتِلالِ الدُّوَلِ

الصُّغْرَى، وأنَّ الدُّوَلَ الصُّغْرَى يَجِبُ علَيْهَا أنْ تَفْنَى أمَامَ الدُّوَلِ الكُبْرَى!».

فَهَاتَانَ نَظَرِيَّتَانِ احْتِلالِيَّتَانِ (اسْتِعْمارِيَّتَانِ) في السِّيَاسَةِ الدُّوْلِيَّةِ أصْبَحتَا في ذَلِكَ الوَقْتِ قَاعِدَةً أسَاسِيَّةً رَكَنتْ إلَيْهِمَا السِّيَاسَةُ الدُّوَلِيَّةُ، وقَدْ لَقِيَتْ هَذِهِ النَّظَرِيَّةُ الاسْتِبْدَادِيَّةُ تَأيِيْدًا، وانْتِشَارًا وَاسِعَيْنِ في القَرْنِ الثَّالِثَ عَشَرَ هِجْرِي (أيْ القَرْنِ التَّاسِع عَشَرَ مِيْلادِي)، كُلَّ هَذَا تَسْوِيْغًا لضَرَاوَةِ الاحْتِلالِ الأورَوبِّي على أقَالِيْمَ شَتَّى في أنْحَاءِ العَالم، لا سِيَّما في العَالمِ الإسْلامِيِّ الَّذِي لم يَسْلَمْ مِنْ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ إلَّا دُوَيْلاتٌ صَغِيرَةٌ، ولا سِيَّما بِلادُ الحَرَمَيْنِ، واليَمَنُ، وغَيْرُهُمَا.

يُوَضِّحُهُ؛ أنَّه لمَّا انْفَصَلَتْ بَعْضُ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ عَنِ الخِلافَةِ العُثْمَانِيَّةِ بَعْدَ الحَرْبِ العَالمِيَّةِ الأولى (١٣٣٢ ـ ١٣٣٦)، جَاءَتِ الحَمَلاتُ الصَّلِيْبِيَّةُ لتَأخُذَ مَا بَقِيَ مِنْ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ تَحتَ نِظَامٍ أطْلَقُوا عَلَيْهِ اسْمَ: «نِظَامِ الانْتِدَابِ».

- فشَمِلَ الانْتِدَابُ الفِرنْسِيُّ: سُوْرِيا، ولِبْنَانَ.
- وشَمِلَ الانْتِدَابُ الإنْجِلِيْزِيُّ: العِرَاقَ، والأرْدُنَ، وفِلِسْطِيْنَ، أضِفْ إلى ذَلِكَ أنَّ مِصْرَ كَانَتْ قَدْ وَقَعَتْ تَحتَ الاحْتِلالِ الإنْجِلِيْزِي مُنْذُ عَامِ (١٢٩٩).

وهَكَذَا انْقَسَمَتِ البُلْدَانُ العَرَبِيَّةُ إلى ثَلاثِ مَنَاطِقَ مُنْفَصِلَةٍ:

الأوْلى: فَرَنْسِيَّةٌ، وتَشْمَلُ سُوْرِيا، ولِبْنَانَ، وتُوْنِسَ، والجَزَائِرَ، والمَغْرِبَ.

والثَّانِيَةُ: إنْجلِيْزِيَّةٌ، وتَشْمَلُ العِرَاقَ، والأرْدُنَ، وفِلِسْطِيْنَ، ومِصْرَ، والسُّوْدَانَ، وإمَارَاتِ الخَلِيْجِ العَرَبي، وجَنُوْبَ الجَزِيْرَةِ العَرَبِيَّةِ (اليَمَنَ).

والثَّالِثَةُ: إيْطالِيَّةٌ، وتَشْمَلُ لِيْبِيا.

أمَّا القِسْمُ البَاقي مِنَ الجَزِيْرَةِ العَرَبِيَّةِ: كشَمالِ اليَمَنِ، والمَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السُّعُوْدِيَّةِ، فَبَقِيَ مَعْزُوْلاً عَنِ التَّطوُّرَاتِ والأحْدَاثِ العَالمِيَّةِ؛ حَيْثُ حَفِظَهَا اللهُ تَعَالى مِنْ كُلِّ عُدْوَانٍ غَاشِمٍ أجْنَبِيٍّ.

* * *

وصَحِبَ هَاتَيْنِ النَّظرِيَّتَيْنِ: نَظَرِيَّةٌ احْتِلالِيَّةٌ أُخْرَى لا تَقِلُّ إجْرَامًا وظُلْمًا لمَا قَبْلَهَا: «وهِيَ أنَّ الأرْضَ الَّتِي لا صَاحِبَ لهَا، (المُلْكُ المُبَاحُ!) يُبَاحُ احْتِلالُهَا، والهَيْمَنَةُ عَلَيْهَا»، ومِنْ أهْدَافِ، ومَبَادِئ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ الظَّالمَةِ: احْتِلالُ الأقَالِيْمِ الَّتِي تَسْكُنُهَا شعُوْبٌ مُخْتَلِفَةٌ، أو قَبَائِلُ مُنْعَزِلَةٌ عَنْ رَكْبِ الحَيَاةِ بشَرْطَيْنِ: أنْ تَكُوْنَ أقَالِيْمَ غَيْرَ مَسِيْحِيَّةٍ، وأنْ تَكُوْنَ خَارِجَ القَارَّةِ الأوْرُوبِيَّةِ!

وهَذِهِ النَّظَرِيَّةُ الأخيرَةُ الَّتِي ابْتَدَعَتْهَا الدُّوَلُ الكُبْرَى تَحْتَ مُسَمَّى هَيْئَةِ الأمَمِ: قَدْ أبَاحَتْ لنَفْسِهَا احْتِلالَ كُلِّ مَنْطَقَةٍ لايُعْرَفُ لهَا مَالِكٌ، أو صَاحِبٌ، وعَلَيْهِ تَصْبِحُ هَذِهِ الأقَالِيْمُ حَقًّا نِظَامِيًّا (زَعمُوا!) لأوَّلِ

دَوْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الدُّوَلِ الكُبْرَى؛ تَسْتَطِيْعُ بقُوَّتِهَا المُسَلَّحَةِ، أو ببَعْضِ أفْرَادٍ مِنْهَا أنْ تَرْفَعَ عَلَمَهَا فَوْقَ رُبُوْعِهَا وأرَاضِيْهَا!

* * *

❐ وقَدْ وَضَعَ مُؤتمرُ «بِرْلِيْنَ الأفْرِيْقِي» (١٣٠١ ـ١٣٠٢) (١٨٨٤ ـ ١٨٨٥م) عِدَّةَ شُرُوْطٍ لِهَذَا الاسْتِيْلاءِ؛ حَتَّى يُحْدِثَ جَمِيْعَ آثَارِه القَانُوْنِيَّةِ في المَجَالِ الدُّوليِّ.

فَكَانَ مِنْ أهَمِّ هَذِهِ الشُّرُوْطِ: شَرْطُ الحِيَازَةِ، وشَرْطُ الإدَارَةِ.

فَأمَّا شَرْطُ الحِيَازَةِ: فَهُوَ العُنْصرُ المَادِّيُّ إذَا مَا وَضَعَتِ الدَّوْلَةُ يَدَهَا فِعْلاً على الإقْلِيْم، سَوَاءٌ برَفْعِ أعْلامِهَا عَلَيْهِ، أو بإصْدَارِ إعْلانٍ يَحمِلُ هَذَا المَعْنَى، بشَرطِ أنْ تَترُكَ الدَّوْلَةُ على الإقْلِيْم مَا يَكْفُلُ لها العَمَلَ على احْتِرَام سُلْطَةِ العَلَم، أو تَنْفِيْذِ الإعْلانِ ـ ولا ضَرُوْرَةَ للاتِّفَاقِ مَعَ سُكَّانِ الإقْلِيْمِ الأصْلِيِّيْنَ على هَذَا الأمْرِ، إذْ إنَّ هَذَا الأمْرَ ـ حَتَّى في حَالَةِ انْعِقَادِهِ ـ لا يُرَتِّبُ أثَرًا قَانُوْنِيًّا.

أمَّا الشَّرْطُ الثَّاني: وهُوَ شَرْطُ الإدَارَةِ، فَلا بُدَّ أنْ يَتَوَافَرَ فِيْهِ أمْرَانِ:

أوَّلُهُمَا: ثُبُوْتُ النِّيَّةِ على أنَّ الدَّوْلَةَ تَعْتَزِمُ إدْخَالَ هَذَا الإقْلِيْمِ في وِلايَتِهَا.

وثَانِيْهِما: هُوَ إقَامَةُ إدَارَةٍ ـ في صُوْرَةٍ مَّا ـ على الإقْلِيْم لإظْهَارِ أنَّ الدَّوْلَةَ الَّتِي تَحُوْزُ الإقْلِيْمَ تَعْتَزِمُ إدَارَةَ هَذَا الإقْلِيْمِ الَّذِي أدْخَلَتْهُ في

وِلايَتِهَا ـ وقَدْ أُضِيْفَ هَذَا الشَّرْطُ الأَخِيْرُ لِتَفَادِي النَّتَائِجِ الَّتِي قَدْ تَتَرَتَّبُ على الحِيَازَةِ الرَّمْزِيَّةِ.

* * *

❐ مُؤتَمرُ أمْرِيْكيٍّ، إنْجلِيزِيٍّ، رُوْسِيٍّ في «يَالْتَا» في (١٣٦٥هـ ـ ١١ فِبْرَايِر ١٩٤٥م).

في هَذَا التَّارِيْخِ (١٣٦٥هـ ـ ١١ فِبْرَايِر ١٩٤٥م) اجْتَمَعَ «رُوْزْفِلْت» رَئِيْسُ أمْرِيكا، و«سِتَالِيْن» رَئِيْسُ رُوْسِيَا، و«تَشِرْشِلْ» رَئِيْسُ وَزَارَءِ بِرِيْطَانِيَا في «يَالْتَا»، واتَّفَقُوا على اقْتِسَامِ مَنَاطِقِ النُّفُوْذِ في العَالِمِ.

وتَمخَّضَ الاجْتِماعُ عَنْ تَشْكِيْلِ هَيْئَةِ الأمَمِ المُتَّحِدَةِ الَّتِي تَضُمُّ كُلَّ الأنْظِمَةِ الحَاكِمَةِ في العَالَمِ، على أنْ تَكُوْنَ السَّيْطَرَةُ الفِعْلِيَّةُ عَلَيْهَا في يَدِ دُوَلٍ خَمْسٍ مِنْ أعْضَاءِ هَذِهِ المُنَظَّمَةِ: وهِيَ الوِلايَاتُ المُتَّحِدَةُ الأمْرِيكِيَّةُ، والإتِّحَادُ السُّوْفِيْتِيُّ، والمَمْلَكَةُ المُتَّحِدَةُ البِرِيْطَانِيَّةُ، وفَرَنْسَا، والصِّيْنُ، بِمَعْنَى أنَّ إرَادَةَ شَعْبٍ مِنْ شُعُوْبِ الأرْضِ ـ كَمَا تُمثِّلُهَا هَيْئَةُ الأمَمِ المُتَّحِدَةِ، وهَيْئَتُهُم التَّنْفِيْذِيَّةُ الَّتِي يُعبَّرُ عَنْهَا في مَجْلِسِ الأمْنِ ـ غَيْرُ نَافِذَةٍ، إلَّا إذَا وَافَقَتْ عَلَيْهَا خَمْسُ دُوَلٍ مُجْتَمِعَةٍ على رَأسِهَا أمْرِيكَا، أيْ أنَّ دُوَلَ العَالَمِ كُلِّهِ سَيَكُوْنُ تَحْتَ سَيْطَرَةِ وهَيْمَنَةِ هَذِهِ الدُّوَلِ الخَمْسِ الاحْتِلالِيَّةِ المُتَآمِرَةِ الجَائِرَةِ الظَّالمةِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْ نَفْسِهَا إرَادَةً تَعْلُو فَوْقَ إرَادَةِ أُمَمِ الأرْضِ جَمِيْعًا، وفَوْقَ ذَلِكَ أيْضًا أنَّ إرَادَةَ هَذِهِ الدُّوَلِ الخَمْسِ مُتَوَقِّفَةٌ على الإرَادَةِ الأمْرِيكِيَّةِ

المُتَغَطْرِسَةِ، فَهِيَ الصَّادِرَةُ والوَارِدَةُ ابْتِدَاءً وانْتِهَاءً، يُوَضِّحُهُ مَا يَلي:

لَقَدْ وَافَقَتْ أغْلَبِيَّةٌ كَاسِحَةٌ مِنَ الجَمْعِيَّةِ العَامَّةِ على إدَانَةِ اليَهُوْدِيَّةِ الصِّهْيُوْنِيَّةِ: بأنَّهَا عُنْصُرِيَّةٌ، بِما يَعْنِي أنَّ دَوْلَتَهَا غَيْرُ نِظَامِيَّةٍ، كَما وَافَقَتْ على قَرَارٍ بإسْقَاطِ العُضْوِيَّةِ عَنْهَا، ومَعَ ذَلِكَ بَقِيَتْ برُغْم إرَادَةِ أغْلَبِ دُوَلِ العَالم؛ لأنَّ الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةَ الأمْرِيْكِيَّةَ نَاهَضَتْ هَذِهِ الإرَادَةَ، وعَارَضَتْهَا!

ومِنَ الأمْثِلَةِ القَرِيْبَةِ أيْضًا اعْتِرَاضُ الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأمْرِيْكِيَّةِ على مَا كَانَ يَتَضَمَّنُهُ مَشْرُوْعُ قَرَارِ مَجْلِسِ الأمْنِ رَقْمُ (٢٤٢) الصَّادِرُ على أنَّ حَرْبَ (١٣٨٧هـ ـ ١٩٧٦م) مِنْ عَوْدَةِ القُوَّاتِ المُتَحَارِبَةِ إلى المواقِعِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا قَبْلَ (٥ يونيو ١٩٦٧م) (٢٧/ ٢/ ١٣٨٧) أيْ انْسِحَابَ إسْرَائِيْلِ، وهُوَ نَصٌّ تَقْلِيْدِيٌّ في كُلِّ قَرَارَاتِ مَجْلِسِ الأمْنِ المُتَضَمِّنَةِ إيْقَافَ إطْلاقِ النَّارِ.

ولكِنَّ الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةَ الأمْرِيْكِيَّةَ اعْتَرَضَتْ على الانْسِحَابِ فتَوَقَّفَ القِتَالُ، وبَقِيَتْ سَيْنَاءُ، وبَاقِي الأرْضِ العَرَبِيَّةِ مُرْتَهَنَةً، وتَحْتَ أيْدِي اليَهُوْدِ الصَّهَايِنَةِ، ومُنْذُ ذَلِكَ لم تَتَوَقَّفِ الحُرُوْبُ والاعْتِدَاءَاتُ على الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ، ومَا زِلْنَا نَتَذَكَّرُ أنَّهُ في (١٣٩٤هـ ـ سِبْتَمْبر ١٩٧٤م)، بَعْدَ أنْ رَفَضَتْ دَوْلَةُ اليَهُوْدِ مَا طَلَبَ «جُوْنَارْ يَارْنِج»، مَبْعُوْثُ هَيْئَةِ الأمْمِ المُتَّحِدَةِ مِنِ الْتِزَامِهَا مِنْ حَيْثُ المَبْدَأ بالانْسِحَابِ مِنَ الأرْضِ المُحْتَلَّةِ طِبْقًا لقَرَارِ (٢٤٢)، قَدَّمَتْ دُوَلُ عَدَمِ الانْحِيَازِ

إلى مَجْلِسِ الأمْنِ مَشْرُوْعَ قَرَارٍ يَتَضَمَّنُ: إدَانَةَ اسْتِمرارِ احْتِلالِ اليَهُوْدِ للأرَاضِي الَّتِي اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا نَتِيْجَةً لنِزاعِ عَامِ (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م)، ومُخَالِفَةً بِذَلِكَ الْتِزَامَاتِهَا طِبْقًا لمِيْثَاقِ الأمَمِ المُتَّحِدَةِ، ووَافَقَتْ عَلَيْهِ كُلُّ الدُّوَلِ الأعْضَاءِ فِي مَجْلِسِ الأمْنِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ مَا عَدا الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةَ الأمْرِيْكِيَّةَ!

والمِثَالُ الآخَرُ كانَ يَوْمَ (١٤١٢هـ ـ ١٤ يِنَايِرْ ١٩٩١م) حِيْنَ تَقدَّمَتْ فَرَنْسَا باقْتِراحٍ إلى مَجْلِسِ الأمْنِ، كَانَ كَفِيْلاً باجْتِنَابِ مَخاطِرِ الحَرْبِ ووَيْلاتِهَا، فاعْتَرَضَتْ عَلَيْهِ الوِلايَاتُ المُتَّحِدَةُ الأمْرِيكِيَّةُ، فقَامَتْ الحَرْبُ، ولم تَزَلْ!

* * *

وهَكَذَا مُنْذُ مُؤتمَرِ «يَالْتَا» عَامَ (١٣٦٥هـ ـ ١٩٩١م) انْعَدَمَتِ المُساوَاةُ بَيْنَ الدُّوَلِ، ولم تَعُدْ قَوَاعِدُ القَانُوْنِ الدَّوَلِيِّ مُلْزِمَةً؛ إلَّا لمَنْ تُرِيْدُ أمْرِيْكا أنْ تُلْزِمَهُ بِهَا، ولم تَعُدْ قَرَارَاتُ الهَيْئَةِ العَامَّةِ للأمَمِ المُتَّحِدَةِ نَافِذَةً؛ إلَّا إذَا أرادَتْ أمْرِيكَا نَفَاذَهَا، ولم تَعُدِ الجَمْعِيَّةُ العَامَّةُ لهَيْئَةِ الأمَمِ المُتَّحِدَةِ بَرْلمَانَهَا، ولم يَعُدْ مَجْلِسُ الأمْنِ سُلْطَتَهَا التَّنْفِيْذِيَّةَ، فَسقَطَتِ الهَيْمَنَةُ الدُّوَلِيَّةُ، كَما تَسْقُطُ الهَيْمَنَةُ فِي أيِّ مُجْتَمَعٍ يَتَحكَّمُ فِيْهِ طُغَاةٌ أو طَاغِيَةٌ!

فَما فَائِدَةُ الحَيَاةِ إذَنْ؟ مَا فَائِدَةُ الحَدِيْثِ عَنْ دُوَلٍ حُكَّامُهَا، وأعْلامُهَا، وجُيُوشُهَا، وشُعُوبُهَا مُجَرَّدُ أدَوَاتٍ مُسَخَّرَاتٍ لإشْبَاعِ نَهَمِ الوَحْشِ الأمْرِيكيِّ؟!

إنَّ سُقُوْطَ الهَيْمَنَةِ الدُّوَلِيَّةِ قَدْ وَضَعَ كُلَّ الأمَمِ، والشُّعُوْبِ، والبَشَرِ في كُلِّ الدُّوَلِ المَقْهُوْرَة أمَامَ الخَيارِ بَيْنَ أمرَيْنِ، لا ثَالِثَ لهُمَا: إمَّا أنْ تَقْبَلَ مَذَلَّةَ الخُضُوْعِ للإدَارَةِ الأمْرِيكِيَّةِ، وإمَّا أنْ تُقَاتِلَ مِنْ أجْلِ الحُرِّيَّةِ!

وهَكَذَا قَامَ النِّظَامُ الدُّوليُّ المُتَجَسِّدُ في هَيئَةِ الأمَمِ المُتَّحِدَةِ، فَلا تَقْبَلُ أيَّةَ دَوْلَةٍ عُضوًا في الجَمْعِيَّةِ العَامَّةِ إلَّا إذَا وَافَقَتْ الوِلايَاتُ المُتَّحِدَةُ الأمْرِيْكِيَّةُ، ولَوْ وَافَقَتْ كُلُّ الدُّوَلِ مَا عَدَاهَا، لأجْلِ هَذَا بَقِيَتِ الصِّيْنُ الشَّعْبِيَّةُ غَيْرَ مَقْبُوْلَةٍ إلى أنْ أرَادَتِ الوِلايَاتُ المُتَّحِدَةُ فَقُبِلَتْ، ولا تَسْقُطُ العُضْوِيَّةُ عَنْ أيِّ عُضْوٍ، ولَوْ كَانَ عُنْصُرِيًّا إنْ لم تُوَافِقِ أمْرِيْكَا، وهَكَذَا أصْبَحَ الجَوُّ ممَهَّدًا أمَامَ اليَهُوْدِيَّةِ الصِّهْيُونِيَّةِ، وقُوَى الاحْتِلالِ العَالميِّ لالْتِهَامِ فِلِسْطِيْنَ، ممْتَطِيَّةً ظُهُوْرَ دُوَلِ العَالم، مُمثَّلاً في هَيْئَةِ الأمَمِ ومَجْلِسِ الأمْنِ! . انْظُرْ «جَرِيْدَةَ الشَّعْبِ» عَدَدَ (٥٨٣).

* * *

❐ أمَّا جَامِعَةُ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ: فَهِيَ مُنَظَّمَةٌ إقْلِيمِيَّةٌ، أُنْشِئَتْ عَامَ (١٣٦٥هـ - ٢٢ مَارِسْ ١٩٤٥م)، مِنْ أجْلِ مَزِيْدٍ مِنَ التَّعَاوُنِ السِّيَاسِيِّ، والاقْتِصَادِيِّ، والثَّقافيِّ بَيْنَ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ المُسْتَقِلَّةِ، وأعْضَاؤُهَا اثْنَتَانِ وعِشْرُوْنَ دَوْلَةً: هِيَ المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُوْدِيَّةُ، الكُوَيْتُ، البَحْرِيْنُ، قَطَرُ، عُمَانُ، اليَمَنُ الشَّمالِيَّةُ، اليَمَنُ الجَنُوْبِيَّةُ، والأمَارَاتُ العَرَبِيَّةُ، الأرْدُنُ، سُوْرِيَا، لِبْنَانُ، العِرَاقُ، مِصْرُ،

السُّوْدَانُ، الصُّوْمَالُ، جِيبُوتي، لِيْبيَا، تُوْنِسُ، الجَزَائِرُ، المَغْرِبُ، مُوْرِيْتَانِيَا، بالإضَافَةِ إلى فِلِسْطِيْنَ، وكَانَ مَقَرُّهَا القَاهِرَةَ، وانْتَقَلَ إلى تُوْنِسَ عَامَ (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م) بَعْدَ اعْتِرَافِ مِصْرَ بالكَيَانِ الصِّهْيُونيِّ في فِلِسْطِيْنَ المُحْتَلَّةِ؛ لكِنَّهَا رَجَعَتْ مَرَّةً أُخْرَى إلى القَاهِرَةِ أيَّامَ حَرْبِ الخَلِيْجِ الأوْلى عَامَ (١٤١١).

لَقَدِ انْحلَّت جَمَاعَةُ المُسْلِمِيْنَ وتَبَعْثَرَت بَعْدَ الحَرْبِ العَالمِيَّةِ الأوْلى (١٣٣٢ ـ ١٣٣٦) (١٩١٤ ـ ١٩١٨م)، كَمَا أنَّهَا تَمزَّقَتْ بَعْدَ إلْغَاءِ الخِلافَةِ العُثْمانِيَّةِ رَمْزِ الوِحْدَةِ الإسْلامِيَّةِ، وقُسِّمَتْ بِلادُ الإسْلامِ إلى مُسْتَعْمَرَاتٍ حَكَمَهَا الإنْجِلِيْزُ، والفِرَنْسِيُّوْنَ، والإيْطَالِيُّوْنَ، ولم يَبْقَ مَنْ يَتَمَتَّعُ باسْتِقْلالِهِ إلَّا المملَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُوْدِيَّةُ، واليَمَنُ الشَّمالِيَّةُ، وأفْغَانِسْتَانُ، وبَعْضُ الدُّوَلِ الصَّغِيْرَةِ، وأخَذَتِ الاتِّجاهَاتُ الوَطَنِيَّةُ، والإقْلِيْمِيَّةُ تَجِدُ لها صَدًى بَيْنَ شُعُوْبِ العَالمِ الإسْلامِيِّ تَحْتَ شِعَارَاتِ الاسْتِقْلالِ، والحُرِّيَّةِ، ومُكَافَحَةِ الاحْتِلالِ إلى جَانِبِ الاتِّجَاهَاتِ والحَرَكَاتِ الإسْلامِيَّةِ الَّتِي لا يُمْكِنُ إغْفَالُهَا.

* * *

أمَّا مِيْلادُ جَامِعَةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ، فَقَدْ تَأسَّسَتْ عَامَ (١٣٦٥هـ ـ ٢٢ مَارِسْ ١٩٤٥م)، بَعْدَ مُحَادَثَاتٍ بَدَأتْ بِمِصْرَ سَنَةَ (١٣٦٢هـ ـ ١٩٤٣م)؛ حَيْثُ اشْتَرَكَ في تَوْقِيْعِ مِيْثَاقِهَا سَبْعُ دُوَلٍ عَرَبِيَّةٍ: هِيَ مِصْرُ، والمَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ، ولِبْنَانُ، وشَرْقُ الأرْدُنِ، والعِرَاقُ، واليَمَنُ.

وكَانَ رَئِيْسُ حَكُوْمَةِ مِصْرَ: مُصْطَفى النَّحَّاسُ، وكَانَ رَئِيْسُ وَزَرَاءِ العِرَاقِ: هُوَ نُوْرِي السَّعِيْدُ، وكَانَ وَزِيْرُ خَارِجِيَّةِ بِرِيْطَانِيَا: هُوَ «انْتُوني إيْدِن».

وصَاحِبُ فكْرَةِ الجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ: هُوَ «إيْدِنْ» الإنْجِلِيْزِيُّ، وكَانَ الهَدَفُ مِنْهَا تَجْمِيْعَ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ في تَنْظِيْم وَاحِدٍ؛ حَتَّى يَسْهُلَ الإمْسَاكُ بزِمَامِهِ وتَوْجِيْهِهِ الوِجْهَةَ الَّتِي يُرِيْدُ المُحْتَلُّ الأجْنَبِيُّ، وفي ظِلِّ جَامِعَةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ، تَمَّ اغْتِصَابُ فِلَسْطِيْنَ، وأقَامَ اليَهُوْدُ دَوْلَتَهُم على الأرْضِ المُحْتَلَّةِ، واعْتَرَفَتْ مُعْظَمُ الدُّوَلِ الَّتِي في هَذِهِ الجَامِعَةِ للعَدُوِّ اليَهُوْدِيِّ الَّذِي اغْتَصَبَ فِلَسْطِيْنَ: بأنَّهُ صَاحِبُ فِلَسْطِيْنَ، وفي ظِلِّهَا اغْتُصِبَ المَسْجِدُ الأقْصَى، وبَيْتُ المَقْدِسِ، وامْتَدَّتْ حُدُوْدُ الدَّوْلَةِ اليَهُوْدِيَّةِ، وفُكَّ الحِصَارُ مِنْ حَولِهَا، وأصْبَحَ الطَّرِيْقُ مَفْتُوْحًا أمَامَ بَنِي يَهُوْدَ لتَحْقِيْقِ المَزِيْدِ مِنَ الأهْدَافِ، وعلى حِسَابِ العَالَمِ العَرَبِيِّ!. انْظُرْ «الاتِّجَاهَاتِ الوَطَنِيَّةَ» لمُحَمَّد حُسَيْن (٢/ ١٨٩).

* * *

وبَعْدَ هَذَا؛ هَاكَ أخِي المُسْلِمُ هَذَا المُؤتَمرَ الَّذِي مِنْ خِلالِهِ سَتَعْرِفُ حَقِيْقَةَ الهَيْمَنَةِ الأوْرِبِّيَّةِ على دُوَلِ الجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ، وغَيْرِهَا مِنْ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ، وذَلِكَ حِيْنَما اجْتَمَعَ مُلُوْكُ، ممَثِّلِي سَبْعِ دُوَلٍ عَرَبِيَّةٍ، وممَثِّلِي الجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ في عَامِ (٧٦٧هـ ـ ١٣٦٦م).

وهُوَ مَا ذَكَرَهُ صَالِحٌ أبُو بَصِيرٍ في كِتَابِهِ التَّارِيْخيِّ العُجَابِ: «جِهَادُ شَعْبِ فِلَسْطِيْنَ» (٢٩١): «إنَّ أولَئِكَ العَرَبَ الَّذِيْنَ اجْتَمَعُوا في

«بُلُوْدَان» عامَ (١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م)، لم يَكُنْ أغْلَبُهُم يَمْلِك نَفْسَهُ، ولا يُعْتَرَفُ لَهُ باسْتِقْلالِهِ، فَقَدْ لَحِقَ بالمُجْتَمِعِيْنَ الجِنَرَالُ «كِلايْتُوْن» رَئِيْسُ المُخَابَرَاتِ بالجَيْشِ البرِيْطَانيِّ في الشَّرْقِ الأوْسَطِ، ورَافَقَهُ المِسْتَرُ «بْرَايَانْس» المُدِيْرُ المُسَاعِدُ للمُخَابَرَاتِ البرِيْطَانيَّةِ في فِلِسْطِيْنَ، وهُوَ المُخْتَصُّ بالشُّؤوْنِ العَرَبِيَّةِ فِيْهَا، ولم يَجْرُؤ عَرَبيٌّ وَاحِدٌ أنْ يَسْتَغْرِبَ وُجُوْدَ هَذَيْنِ الإنْجِلِيْزِيَّيْنِ الخَطِرَيْنِ، بَلْ ولم يَسْتَطِعِ العَدِيْدُ مِنْ أولَئِكَ المُجْتَمِعِيْنَ أنْ يَبْعُدَ عَنْ لِقَائِهِما، والتَّحَدُّثِ إلَيْهِما».

«ومُنْذُ أنْ دَخَلَ «كِلايْتُوْن» بَهْوَ فُنْدُقِ «بُلُوْدَان» الكَبِيْرِ، جَاءَتْ قَرَارَاتُ الجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ على وِفَاقٍ، لا خِلافَ فِيْهِ، مَعَ مَا قَرَّرَتْهُ برِيْطَانِيَا قُبُلاً، وأعْلَنَهُ «بِيفِنْ» وزَيرُ خَارِجِيَّتِهَا: وبِهَذِهِ الرُّوْحِ الكِلايْتُونِيَّةِ قَرَّرَ مَجْلِسُ الجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ مُفَاوَضَةَ الحُكُوْمَةِ البرِيْطَانِيَّةِ، وفي حَالِ فَشَلِ المُفَاوَضَاتِ تُعْرَضُ القَضِيَّةُ على الأمَمِ المُتَّحِدَةِ، ولَيْسَ مِنْ شَكٍّ أنَّ هَذَا القَرَارَ يَكَادُ يَكُوْنُ مِنْ صِيَاغَةِ «كِلايْتُوْن»». انْتَهَى.

❑ ❑ ❑

البَابُ الثاني

فِلِسْطِيْنُ بَيْنَ الاسْتِنْكَارِ والأَخْبَارِ

- □ الفَصْلُ الأوَّلُ: أهْلُ الاسْتِنْكَارِ.
- □ الفَصْلُ الثَّاني: أهْلُ الأخْبَارِ.
- □ الفَصْلُ الثَّالِثُ: مَنْهجُ النَّبِيِّ ﷺ في التَّعامُلِ مَعَ القَضَايَا الإسْلامِيَّةِ.
- □ الفَصْلُ الرَّابعُ: التَّحْلِيْلاتُ الشَّرعِيَّةُ.

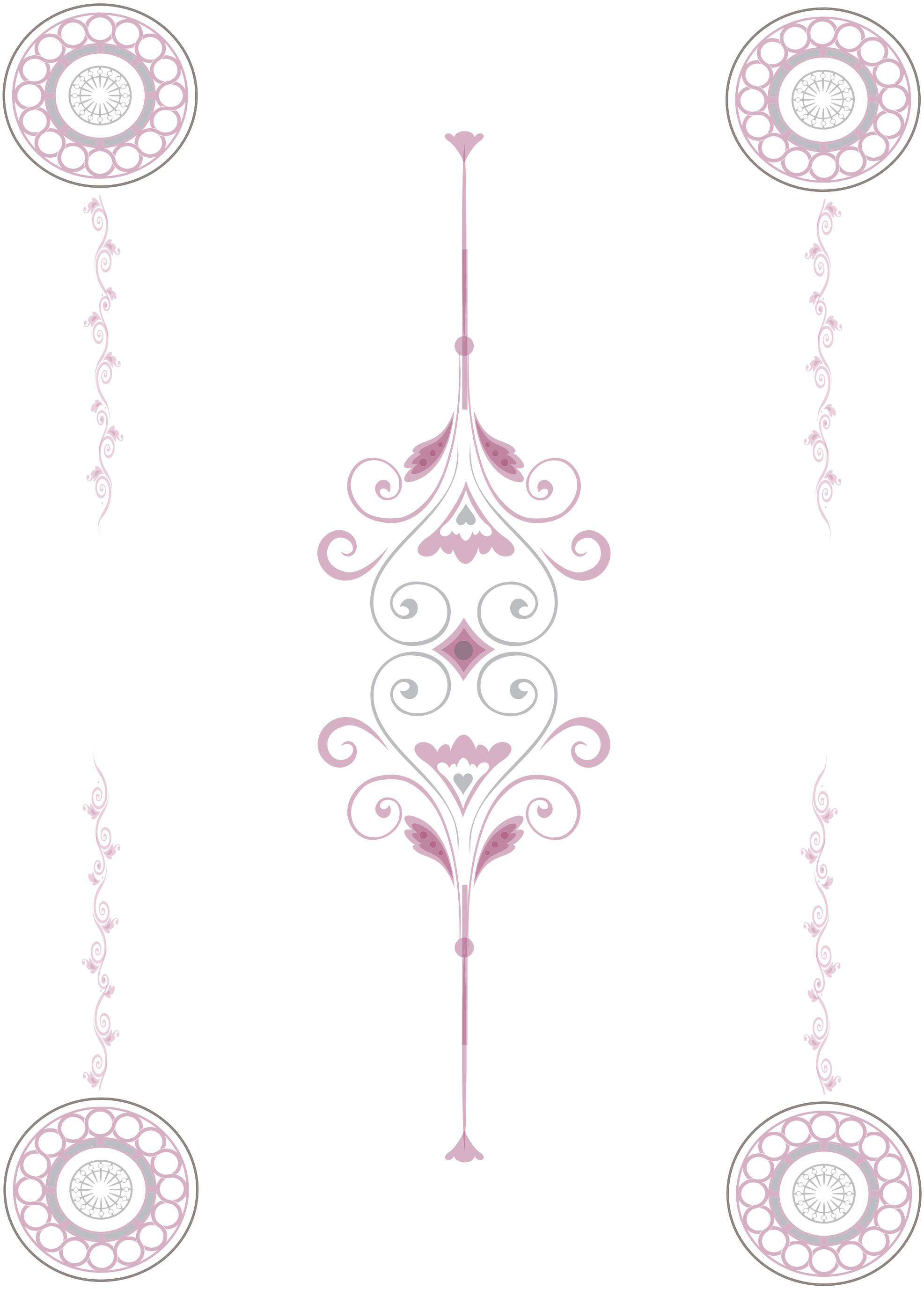

الفَصْلُ الأوَّلُ

أهْلُ الاسْتِنْكَارِ

إن المُتَابعَ لِقَضِيَّةِ فِلِسْطِيْنَ مُنْذُ أنْ تَربَّعت يَهُوْدُ على أرَاضِهَا؛ يَسْتَطِيْعُ أنْ يُلْقِيَ الضَّوْءَ مُبَاشَرَةً، ويُصْدِرَ الأحْكَامَ في تَوِّهِ دُوْنَمَا تَردُّدٍ أوْ تَرَاجُعٍ، وهَذَا مِنْهُ لَيْسَ تَحَكُّمَاتٍ أو تَخمِيْنَاتٍ؛ كَلَّا!

كُلُّ هَذَا لأنَّ قَضِيَّةَ فِلِسْطِيْنَ وَاضِحَةٌ في رَابِعَةِ النَّهَارِ لِكُلِّ ذِي عَيْنَيْنِ، وأخْبَارَهَا مَسْمُوْعَةٌ لِكُلِّ أُذْنَيْنِ، فَحِيْنَئِذٍ لا تَثْرِيْبَ على أحَدٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ أنْ يُبْدِيَ رَأيَهُ، ويُفْصِحَ عَنْ كَلامِهِ، ويَبُثَّ خَوَاطِرَهُ؛ عَسَاهَا تَكُوْنُ دُرَّةً مَنْشُوْدَةً، وحُلُوْلاً رُبَّمَا كَانَت مَفْقُوْدَةً؛ واللهُ يَهْدِي إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ.

عُذْرًا؛ إذَا قُلْتُ: إنَّنِي سَأتَجَاسَرُ في رِسَالَتِي هَذِهِ؛ في إلْقَاءِ بَعْضِ آرَائِي وأُطْرُوْحَاتِي، لا جُرْأةً على البَاطِلِ (وأعُوْذُ باللهِ مِنْ ذَلِكَ!)، ولَكِنَّهَا مَشَاعِرُ حَبِيْسَةٌ، وآرَاءُ مُقَيَّدَةٌ بِحِبَالِ الهمِّ والحَزَنِ الضَّارِبَةِ بأطْنَابِهَا في أنْفَاسِ ونَفْسِ كُلِّ مُسْلِمٍ قَدْ تَجَرَّعَ ألْوَانَ الهَوَانِ والذُّلِّ فِيْما يَرَى ويَسْمَعُ صَبَاحَ مَسَاءَ عَنْ مَآسِي فِلِسْطِيْنَ المَسْلُوْبَةِ!

أمَّا اليَوْمَ؛ يَوْمَ كَشَّرَتْ يَهُوْدُ عَنْ أنْيَابِهَا، وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاعِدِهَا لِتَضْرِبَ بِيَدٍ مِنْ حَدِيْدٍ، وتَقْتُلَ المُسْلِمِيْنَ بِكُلِّ ضَرَاوَةٍ ووَحْشِيَّةٍ؛ فَقَمِنٌ

بِكُلِّ مُسْلِمٍ أنْ يُشَارِكَ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ قُوَّةٍ، يُرْهِبُ بِهَا عَدُوَّ اللهِ، وعَدُوَّ المُسْلِمِيْنَ، في حِيْنِ سَكَتَتِ الأصْوَاتُ، وانْكَشَفَتِ الرَّايَاتُ الزَّائِفَةُ، وأدْبَرَ الكَاذِبُوْنَ؛ فَكَانَ مِنَ الحَقِّ أنْ يَسعَنِي هَذَا الحَالُ في إبْدَاءِ رَأْيِي، ونَثْرِ خَواطِرِي، واللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ.

* * *

□ أقُوْلُ: إنَّ قَضِيَّةَ فِلِسْطِيْنَ (لِلأسَفِ!) قَدْ ذَهَبَتْ طُفُوْلَتُها، وذَبُلَتْ زَهْرَةُ شَبَابِهَا بَيْنَ أهْلِ الاسْتِنْكَارِ والأخْبَارِ، فَكَانَت بَيْنَ إفْرَاطٍ وتَفْرِيْطٍ، يَوْمَ نَشَأ فِيْنَا الصَّغِيْرُ، وهَرِمَ فِيْنَا الكَبِيْرُ على صَوْتِ الاسْتِنْكَارِيِّيْنَ، وحَدِيْثِ الأخْبَارِيِّيْنَ، وكُلُّ هَذَا يَوْمَ غُيِّبَتْ عِنْدَهُم قَضِيَّةُ فِلِسْطِيْنَ عَنِ الحَقِيْقَةِ الشَّرْعِيَّةِ، والطُرُقِ النَّبَوِيَّةِ، ومَا ذَاكَ إلَّا أنَّ ثَمَّةَ خُطُوْطًا حَمْرَاءَ لَم يَسْتَطِيْعُوا تَجاوُزَها، أوْ حَتَّى الحَدِيْث عَنْهَا؛ إلَّا مَا رَحِمَ رَبُّكَ!

فَكَانَت قَضِيَّةُ فِلِسْطِيْنَ رَهِيْنَةَ هَذِهِ التَّوَسُّعَاتِ الأخْبارِيَّةِ، والاجْتِهَادَاتِ الاسْتِنْكَارِيَّةِ الَّتِي عَلَتْ وطَغَتْ على حِسَابِ الحَلِّ الشَّرْعِيِّ المَنْشُوْدِ، مَعَ مَا تَركَتْهُ أيْضًا مِنْ آثَارٍ سَيِّئَةٍ مَا كَانَ لَهَا أنْ تَعْمَلَ في جَسَدِ الأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ هَذَا الأثَرَ؛ إلَّا يَوْمَ غَلَبَتْنَا العَادَاتُ، وضُغُوْطُ الوَاقِعِ، واجْتِهَادَاتُ بَعْضِ المُنْتَسِبِيْنَ إلى قَبِيْلِ العِلْمِ الَّذِيْنَ أخَذَتْهُمُ الانْهِزَامِيَّةُ، واكْتَنَفَهُمُ الهَوَانُ؛ حَتَّى قَدَّسُوا وقَدَّمُوا الوَاقِعَ المَشْحُوْنَ بالتَّغَيُّرَاتِ والتَّجَدُّدَاتِ على حِسَابِ الشَّرْعِ الرَّبَّانِيِّ، بِطَرِيْقٍ أوْ آخَرَ.

فكَانَتْ قَضِيَّةُ فِلِسْطِيْنَ كَغيْرِهَا مِنَ القَضَايا الإسْلامِيَّةِ الَّتِي أشْغَلَتْ كُلَّ مُسْلِمٍ وأجْهَدَتْ كُلَّ مُؤْمِنٍ: فِكْرًا، وجُهْدًا، ومَالاً، ودُعَاءً، ودُمُوْعًا... كَيْفَ لا!

وقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَثَلُ المُؤْمِنِيْنَ في تَرَاحُمِهِم، وتَوَادِّهِم، وتَعَاطُفِهِم كَمَثَلِ الجَسَدِ إذَا اشْتَكَى عُضْوٌ مِنْهُ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالحُمَّى والسَّهَرِ»**، وقَالَ أيْضًا ﷺ: **«المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»**، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أصَابِعِهِ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمَا.

فَهَذَا كُلُّهُ رَصِيْدٌ تَحْتَفِظُ بِهِ الأُمَّةُ الإسْلامِيَّةُ، وتَسْعَدُ بِهِ، وتُحْمَدُ عَلَيْهِ، فالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِيْنَ، على رُغْمِ أُنُوفِ المُخَذِّلِيْنَ والمُرْجِفِيْنَ!

* * *

لَكِنَّ هَذَا لا يَكْفِي إذا لَم يَكُنْ لِهَذِهِ العَوَاطِفِ الإيْمانِيَّةِ رَصِيْدٌ في الوَاقِعِ، وعَمَلٌ مَلْمُوْسٌ لِحَلِّ قَضَايَا أُمَّتِهِمُ المُسْلِمَةِ، إنَّ هَذِهِ العَوَاطِفَ الجَيَّاشَةَ إذَا تُرِكَتْ هَكَذَا لِمَصِيْرِ الأحْدَاثِ، وتَغَيُّرَاتِ الزَّمَانِ تَلْعَبُ بها الرِّيَاحُ كَمَا تَشَاءُ، ما بَيْنَ تَصْعِيْدِ الإعْلامِ لَهَا تَارَةً، وإخْفَاقِ الحُكَّامِ لها تَارَةً أُخْرَى، أو تَرْكِهَا لأهْلِ المَصَالِحِ الشَّخْصِيَّةِ، أو الرَّايَاتِ المَزْعُوْمَةِ يُقَامِرُوْنَ بِهَا كَما يَشَاؤُوْنَ: إنَّهُ مِنَ الخَطَأ بِمَكَانٍ!

فَكَانَ مِنَ الوَاجِبِ على العُلَمَاءِ والدُّعَاةِ إلى اللهِ تَعَالى أنْ يَسْتَغِلُّوا هَذِهِ المَوَاقِفَ الَّتِي يَبُثُّ فِيْهَا المُسْلِمُوْنَ إلَيْهِم أشْجَانَهُم،

ويَبْعَثُوْنَ نَحْوهُم عَوَاطِفَهُم لِيَسْتَفِيْدُوا مِنْهَا، في تَوْجِيْهِهَا إلى أهْدَافِهَا المَرْجُوَّةِ، ونِصَابِهَا الشَّرْعِيِّ.

* * *

لَكِنْ مِنَ المُؤْسِفِ أنَّ قَضِيَّةَ فِلِسْطِيْنَ وغَيْرَهَا مِنَ القَضَايا الإسْلامِيَّةِ قَدْ أخَذَتْ اليَوْمَ مَنْحًى غَيْرَ ما يُرَادُ لَهَا؛ حَيْثُ اكْتَنَفَتْهَا طَائِفَتَانِ مُتَنَاقِضَتَانِ، وهُمَا: أهْلُ الاسْتِنْكَارِ، وأهْلُ الأخْبَارِ، وكُلٌّ مِنْهُمَا على قِسْمَيْنِ كَمَا يَلِي:

❑ الطَّائِفَةُ الأوْلى: أهْلُ الاسْتِنْكَارِ، وهَؤُلاءِ على قِسْمَيْنِ.

القِسْمُ الأوَّلُ: أهْلُ السَّاسَةِ.

القِسْمُ الثَّاني: أهْلُ التَّعَاسَةِ.

❑ الطَّائِفَةُ الثانيةُ: أهْلُ الأخْبَارِ، وهَؤُلاءِ على قِسْمَيْنِ.

القِسْمُ الأوَّلُ: أهْلُ الرِّوَايَةِ.

القِسْمُ الثَّاني: أهْلُ الدِّرَايَةِ.

* * *

❑ فأمَّا **الطَّائِفَةُ الأوْلى**: فَهُم أهْلُ الاسْتِنْكَارِ، وهُمْ قِسْمانِ، كَمَا ذَكَرْنَا:

❑ **القِسْمُ الأوَّلُ**: أرْبابُ السَّاسَةِ مِنْ أهْلِ الاسْتِنْكَارِ.

إنَّ أكْثَرَ السَّاسَةِ مِنْ حُكَّامِ المُسْلِمِيْنَ اليَوْمَ لَيْسَ لهُم مِنَ الأمْرِ شَيءٌ؛ اللَّهُمَّ إنَّ أحدَهُم إذَا سَمِعَ عَبْرَ قَنَوَاتِهِ الفَضَائِيَّةِ، أو صُحُفِهِ

المَحَلِّيَّةِ عَنْ مَذْبَحَةٍ يَهُوْدِيَّةٍ، أو هَجْمَةٍ نَصْرَانِيَّةٍ، أو مَجْزَرَةٍ صِرْبِيَّةٍ، أو إبَادَةٍ رُوْسِيَّةٍ؛ قَامَ ورَفَعَ عَقِيْرَتَهُ، وقَالَ قَوْلَتَهُ الجَرِيْئَةَ الَّتِي لا يَخَافُ فِيْهَا لَوْمَةَ لائِمٍ: «إنَّنَا نَسْتَنْكِرُ ونَشْجُبُ هَذَا العُدْوَانَ الصِّهْيَونيَّ...!»، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كَأنَّ شَيْئًا لم يَكُنْ، في حِيْنَ أنَّنا لا نَشُكُّ أنَّ هُنَالِكَ أصْوَاتًا، ومَوَاقِفَ، ونِيَّاتٍ صَادِقَةً عِنْدَ بَعْضِهِم؛ إلَّا أنَّها يَتِيْمَةُ الأبَوَيْنِ!

بَلْ أصْبَحَ دَوْرُ كَثِيرٍ مِنْ حُكَّامِ العَرَبِ الآنَ مَعْرُوْفًا لا يَتَجَاوَزُ حَالاتِ المآسِي والكَوَارِثِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ، فالكُلُّ يَعْرِفُ دَوْرَهُ وعَمَلَهُ؛ كالتَّالي:

اليَهُوْدُ: يَقْتُلُوْنَ ويَهْدِمُوْنَ!

والأشِقَّاءُ العَرَبُ: جَاهِزُوْنَ بالأكْفَانِ (التَّوَابِيْتِ)، وسَيَّارَاتِ الإسْعَافِ، وعَمَلِيَّاتِ إعَادَةِ الإعْمَارِ؛ أيْ: لَيْسَ لَهُم مِنَ الأمْرِ إلَّا: دَوْرُ «الحَانُوتي»، أو «سَيَّارَاتِ الإسْعَافِ»، أو «شَرِكَاتِ المُقَاوَلاتِ»!

لِذَا فَكَثِيْرٌ مِنَ الاسْتِنْكَارَاتِ الَّتِي يَتَلَفَّظُ بِها هَؤلاءِ مَا هِيَ إلَّا مَكَاسِبُ سِيَاسِيَّةٌ، ومَوَاقِفُ إعْلامِيَّةٌ، ومُغَازَلاتٌ شَعْبِيَّةٌ، فالْكَيِّسُ مِنْهُم مَنْ يَكْسِبُ المَوْقِفَ حَسَبَ مَا تُمْلِيْهِ عَلَيْهِ مَصَالِحُهُ الدُّوَلِيَّةُ، واللهُ مِن وَرَاءِ القَصْدِ.

فَمِنْ هَؤلاءِ مَنْ كَانَ يُصَرِّحُ بأنَّه: يَمْلِكُ مَلْيُوْنَ جُنْدِي، وهُوَ لا يُرِيْدُ اليَوْمَ إلَّا طَرِيْقًا يُوْصِلُهُ إلى فِلِسْطِيْنَ! فَهَلْ يَظُنُّ هَذَا القَائِدُ البَائِدُ

أنَّ أحَدًا مِنَ المُسْلِمِيْنَ نَسِي مَا فَعَلَهُ بجُنُوْدِهِ لمَّا وَجدَ طَرِيْقًا إلى الكُوَيْتِ؟ نَعَمْ هَذِهِ شِنْشِنَةٌ نَعْرِفُهَا مِنْ أخْزَمٍ!

ومِنْهُم مَنْ يَتَشَدَّقُ صَباحَ مَسَاءَ بحَرْبِ وتَدْمِيْرِ اليَهُوْدِ في «تَلْ أبِيْب»، ولَيْسَ لَهُ مِنْ هَذِهِ التَّهْدِيْدَاتِ إلَّا: الشِّعَارَاتُ، والهُتَافَاتُ تَحْتَ عَنَاوِيْنَ: «لا لأمْرِيْكا!»، وهُوَ الَّذِي ارْتَكَبَ في الوَقْتِ نَفْسِهِ العُدْوَانَ والمَجَازِرَ في حَقِّ حُجَّاجِ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ في مَكَّةَ، بَلْ لَيْسَ لَهُ نَصِيْبٌ مِنَ الكُرْهِ والعَدَاءِ إلَّا وَجَّهَهُ لأهْلِ السُّنَّةِ مِنَ المُسْلِمِيْنَ، ولا سِيَّما بَلادِ الحَرَمَيْنِ أهْلِ التَّوْحِيْدِ والسُّنَّةِ، فاللهُ مُحِيْطٌ بالظَّالمِيْنَ!

* * *

فَإذَا عُلِمَ هَذَا؛ كَانَ مِنَ الجَدِيْرِ بالمُسْلِمِيْنَ عَامَّةً، وطَلَبَةِ العِلْمِ خَاصَّةً أنْ يَشْتَغِلُوا بِما فِيْهِ فَائِدَةٌ تَعُوْدُ على أمَّتِهِم الإسْلامِيَّةِ، وأنْ يَصْرِفُوا وُجُوْهَهُم عَنْ مُتَابَعَةِ أخْبَارِ ولِقَاءَاتِ أهْلِ الاسْتِنْكَارِ؛ لأنَّ في هَذَا مَضْيعَةً للوَقْتِ، فَكَم ضَاعَتْ أوْقَاتٌ وأيَّامٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ حِيْنَ أعْطَوْا هَؤلاءِ بَعْضَ أوْقَاتِهِم، مَا بَيْنَ انْتِقَادِهِم لَهُم، وبَيْنَ تَتَبُّعٍ لأخْطَائِهِم... فَكُلُّ هَذَا لَيْسَ مِنْ أخْلاقِ المُسْلِمِ النَّاصِحِ، ولا مِنْ سَنَنِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ!

وفي قَوْلِهِ تَعَالى تَسْلِيَةٌ لكُلِّ مُصَابٍ: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٤﴾ [البَقَرَةُ: ١٣٤].

* * *

□ **القِسْمُ الثَّاني**: أرْبابُ التَّعَاسَةِ مِنْ أهْلِ الاسْتِنْكَارِ.

أمَّا أهْلُ التَّعَاسَةِ، فَهُم كَثِيرٌ (لا كَثَّرَهُمُ اللهُ!)، يَوْمَ اسْتَبَاحُوا الصُّحُفَ الإسْلامِيَّةَ، وتَسَنَّمُوا المَنَاصِبَ العَلِيَّةَ، فَإنْ تَعْجَب فَعَجَبٌ مِنْ هَؤلاءِ القَوْمِ؛ الَّذِيْنَ لم نَعرِفْ لهُم وُجْهَةً، أو هَدَفًا، أو غَايَةً... فَلا أُبَالِغُ حِيْنَ أقُوْلُ: إنَّ أكْثَرَ هَؤلاءِ قَدْ مُسِخَتْ عُقُولُهم، وانْتَكَسَتْ فِطَرُهُم، وانْطَمَسَتْ عَقَائِدُهُم، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُم سِوى اللَّحْمِ والعَظْمِ مَعَ لَفَائِفِ أقْمِشَةٍ تَكْسُو أبْدَانَهُم!

أُولَئِكَ القَوْمُ الَّذِيْنَ قَالُوا: لا تُنْفِقُوا على فِلِسْطِيْنَ إلَّا المُجُوْنَ، والفُجُوْرَ، والغِنَاءَ، واللَّهْوَ، واللَّعِبَ؛ حَتَّى يَنْفضَّ يَهُوْدُ مِنْ فِلِسْطِيْنَ!

الَّذِيْنَ قَالُوا: إنَّ العِزَّةَ اليَوْمَ للمُنْتَخَبَاتِ الوَطَنِيَّةِ، والتَّشْجِيْعَاتِ الجَماهِرِيَّةِ، وحَمْلِ الأعْلامِ الصِّبْيانِيَّةِ، ورَفْعِ الصَّيْحاتِ الرِّيَاضِيَّةِ! فَلا عِزَّةَ لِيَهُوْدَ بَعْدَ اليَوْمِ إلَّا إذَا نَازَلْتَنا في النَّوادِي الرِّيَاضِيَّةِ؛ لِيَعْلَمُوا أنَّا أُسُدٌ في اللِّقَاءِ!

الَّذِيْنَ قَالُوا: سَوْفَ نُشَارِكُ في كَأسِ آسِيَا على رُغْمِ عُدْوَانِ يَهُوْدَا!

كَما قَامَ سَفِيْهُهُم: وقَدْ رَفَعَ قِطْعَةَ قِمَاشٍ فَوْقَ أحَدِ الجُسُوْرِ العَالِيَةِ لِيُخْبِرَ عَامَّةَ المُسْلِمِيْنَ: أنَّهُ سَيَتِمُّ افْتِتَاحُ دَوْرَةٍ رَمَضَانِيَّةٍ لِكُرَةِ القَدَمِ في مَكَانِ كَذَا (؟)، باسْمِ: «الشَّهِيْدِ محمَّد جَمَالِ الدُّرَّةِ»!

وقَالَ غَاوِيْهُم: «سَوْفَ نُغَنِّي ونُغَنِّي لأجْلِ جِرَاحَاتِ فِلِسْطِيْنَ»!

أمَّا جَاهِلُهُم، فَقَالَ: «سَوْفَ يَكُوْنُ رِيْعُ هَذِهِ المَسَارِحِ الغِنَائِيَّةِ: صَدَقَاتٍ لِفِلِسْطِيْنَ»!

* * *

وهَذَا غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ، فالَّذِي يَتَتَبَّعُ أخْبَارَ هَؤلاءِ المَمْسُوخِيْنَ يَجِدُ عَجَبًا عُجَابًا، فهَذِهِ الصُّحُفُ، والمَجَلَّاتُ، والإذَاعَاتُ أكْبَرُ دَلِيْلٍ على مَا نَقُوْلُ؛ اللَّهُمَّ رُحْمَاكَ، اللَّهُمَّ رُحْمَاكَ... آمِيْنَ!

فَقَدْ صَدَقَ اللهُ، إذْ قَالَ: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ (٧٠)﴾ [الأنْعَامُ: ٧٠]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ (٥١)﴾ [الأعْرَافُ: ٥١].

نَعَم؛ إنَّ هَؤلاءِ المَمْسُوخِيْنَ هُمُ الَّذِيْنَ يَلْعَبُوْنَ بدِمَاءِ الشُّهَدَاءِ، ويُغَنُّوْنَ على أرْوَاحِ الأبْرِيَاءِ، ويَتَسَافَهُوْنَ على قَضَايَا الأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ!

فَنَسْألُ اللهَ تَعَالى لَنَا ولهُم الهِدَايَةَ والرُّشْدَ؛ قَبْلَ أنْ يَلْقَوْا اللهَ بِهَذِهِ المَاسِخَاتِ الأخْلاقِيَّةِ، والانْحِرَافَاتِ العَقَدِيَّةِ!

❏ ❏ ❏

الفَصْلُ الثَّاني

أَهْلُ الأَخْبَارِ

لا شَكَّ أنَّ الَّذِيْنَ اشْتَغَلُوا بالأَخْبَارِ، وقَامُوا على مُتَابَعَةِ مَجْرَيَاتِها هُمْ غَالِبًا مِنَ الصَّالِحِيْنَ الَّذِيْنَ لا يُشَكُّ في نِيَّاتِهِم وأقْلامِهِم.

فَعِنْدَئِذٍ كَانَ مُرادُنَا بأهْلِ الأَخْبَارِ هُنَا: أهْلَ الخَيْرِ والصَّلاحِ مِنَ الكُتَّابِ الصَّادِقِيْنَ الَّذِيْنَ لمعَتْ أسْماؤُهم، وتَألَّقَتْ أقْلامُهُم، وعَلَتْ أصْواتُهُم في مُعْظَمِ المَجَلَّاتِ والصُّحُفِ الإسْلامِيَّةِ، واللِّقَاءاتِ الاجْتِماعِيَّةِ... أمَّا مَا سِوَاهُم مِنْ أهْلِ الصَّحَافَةِ والإذَاعَاتِ... فَهَؤلاء لَيْسَ لَنا مَعَهُم كَلامٌ؛ بَلْ يَصْدُقُ فِيْهِمُ المَثَلُ السَّائِرُ: «تَسْمَعُ بالمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أنْ تَرَاهُ».

لِذَا سَيَكُوْنُ حَدِيْثُنَا مَعَ إخْوانِنَا الأخْبارِيِّيْنَ: مِنْ بَابِ النَّصِيْحَةِ، والنَّقْدِ البَنَّاءِ، وإنِ اكْتَنَفَ ذَلِك بَعْضُ المُصارَحَاتِ والمُطَارَحَاتِ؛ إلَّا أنَّها إنْ شَاءَ اللهُ لَنْ تُخْرِجَنا عَنِ البَحْثِ عَنِ الحَقِّ المَنْشُوْدِ، هَذا إذَا عَلِمْنَا جَمِيْعًا أنَّنا نَسْعَى في مَخْرَجٍ لأمَّتِنَا الإسْلامِيَّةِ مِنَ هَذَا الهَوَانِ الَّذِي نَعِيْشُهُ، وهَذَا الضَّيْمِ الَّذِي نَتَجَرَّعُهُ، وهَذَا الظُّلْمِ الَّذِي نَتَذَوَّقُهُ!

إنَّ أمَّةً مِثْلَ هَذِهِ؛ كَانَ يَجِبُ على المُصْلِحِيْنَ فِيْهَا أنْ يَتَنَازَل

بَعْضُهُم لبَعْضٍ فِيْما فِيْهِ صَلاحٌ يَعُوْدُ على أمَّتِهِم، ولَوْ على لمَمٍ مِنَ الخَدْشِ في بَعْضِ الجُهُوْدِ والاجْتِهَادَاتِ هُنَا أو هُنَاك، واللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ.

* * *

❏ وبَعْدَ هَذَا؛ نَسْتَطِيعُ أنْ نُقَسِّمَ أهْلَ الأخْبَارِ إلى قِسْمَيْنِ: أهْلِ رِوَايَةٍ، وأهْلِ دِرَايَةٍ، كَمَا يَلي:

❏ **القِسْمُ الأوَّلُ**: أهْلُ الرِّوَايَةِ، وهُمُ الَّذِيْنَ يَنْقُلُوْنَ الأخْبَارَ الَّتِي تَتَكَلَّمُ عَنْ قَضايَا الأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ مَا بَيْنَ: حُرُوْبٍ، ومَآسٍ، ومَذَابِحَ، وزَلازِلَ، وكَوَارِثَ، ومَجَاعَاتٍ، وفَيَاضَانَاتٍ... إلَخْ.

ونَحْنُ لا نَشُكُّ ـ طَرْفَةَ عَيْنٍ ـ في أنَّ إخْوانَنَا هَؤلاءِ لم يَقْصِدُوا بهَذَا إلَّا خَيْرًا، وذَلِك صَائِرٌ في رَبْطِ المُسْلِمِيْنَ بقَضَايَاهُم، وحَفْزِ هِمَمِهِم، وإثَارَةِ حَفَائِظِهِم نَحْوَ آلامِ أمَّتِهِم في جِرَاحَاتِها وكَوارِثِهَا.

فَكَمْ رَأيْنَا لهَذِهِ الأخْبَارِ مِنَ الفَوَائِدِ الكَثِيْرَةِ العَائِدَةِ عَلى الأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ في تَوْثِيْقِ الرَّوَابِطِ الإيْمانِيَّةِ بَيْنَهُم، والتَّكَاتُفِ الوَثِيْقِ بَيْنَ أطْرَافِ البِلادِ الإسْلامِيَّةِ، وهُوَ كَذَلِك، فَجَزَاهُمُ اللهُ عَنِ الإسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ خَيْرًا!

* * *

❏ فَنَحْنُ وإنْ كُنَّا نَوَافِقُهُم على هَذَا المَبْدَأ الإسْلامِيِّ، إلَّا أنَّنَا نُنْكِرُ عَلَيْهِم أشْيَاءَ خَاطِئَةً لَعَلَّهَا خَفِيَتْ عَلَيْهِم في مَعَاطِفِ الأجْوَاءِ الأخْبَارِيَّةِ الَّتِي تَدَثَّرُوا بِها؛ فَمِنْ ذَلِك مَا يَلي:

* **الخَطَأ الأوَّلُ:** الإغْرَاقُ في نَقْلِ الأخْبَارِ، الَّتِي طَغَتْ على الهَدَفِ المَنْشُوْدِ، وهُوَ الحَلُّ الشَّرعِيُّ تُجاهَ هَذِهِ الأخْبَارِ، والتَّعامُلِ مَعَهَا.

كَما أنَّ في ذَلِكَ تَفْرِيْغًا لطَاقَةِ المُسْلِمِيْنَ مِنْ قُدُرَاتِهِم في الوَقْتِ الَّذِي كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِم أنْ يُوَظِّفُوْهَا في حَلِّ قَضَايَا الأمَّةِ، وذَلِكَ بحَسَبِ الاسْتِطَاعَةِ.

❑ يُوَضِّحُهُ؛ أنَّ أكْثَرَ الكُتَّابِ والخُطَبَاءِ لَيْسَ لهُم مِنَ كِتَابَةِ وخُطَبِ القَضِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ (غَالِبًا) إلَّا أمْرَانِ لا ثَالِثَ لهُمَا:

الأمْرُ الأوَّلُ: الكَلامُ عَنْ سَيْرَةِ يَهُوْدَ المَلْعُوْنَةِ في القُرْآنِ والسُّنَّةِ والتَّارِيْخِ، وأنَّهم قَتَلَةُ الأنْبِيَاءِ، ونَاكِثُو العُهُوْدِ والوُعُوْدِ، وأنَّهُم إخْوَانُ القِرَدَةِ والخَنَازِيْرِ... إلَخْ.

وهَذَا فِيْهِ خَيْرٌ عَظِيْمٌ، ولا شَكَّ؛ لكِنْ أنْ نَجْعَلَ الحَدِيْثَ عَنْ هَذَا المَوْضُوْعِ: هُوَ المَادَّةَ الفَرِيْدَةَ، والمَعِيْنَ الوَحِيْدَ على المَنَابِرِ؛ فَلا!

لأنَّ الإغْرَاقَ في مِثْلِ هَذَا المَوْضُوْعِ (للأسَفِ!) أحْدَثَ عِنْدَ كَثِيْرٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ مَلَلاً وسَآمَةً وإحْبَاطًا؛ حَتَّى إنَّ الوَاحِدَ مِنْهُم كَادَ أنْ يُصَابَ بغَثَيَانٍ مِنْ كَثْرَةِ الكَلامِ عَنْ مِثْلِ هَذَا الحَدِيْثِ!

هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ الَّذِي حَمَلَهُم على هَذَا: هُوَ الضَّيْمُ، والظُّلْمُ، والذِّلَّةُ، والهَوَانُ الَّذِي يُقَاسُوْنَهُ صَبَاحَ مَسَاءَ أمَامَ الصُّوَرِ،

والصُّحُفِ، والأخْبَارِ؛ الأمْرُ الَّذِي أحَاطَ بِهِم مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

ومَعَ هَذَا الألمِ المُحْدِقِ، والهَمِّ المُرقِّقِ؛ نَجِدُ أنَّ كَثِيْرًا مِنَ المُسْلِمِيْنَ لا يَرِيْدُوْنَ تَحْرِيْكَ مَشَاعِرَ، وإثَارَةَ عَوَاطِفَ فَقَطْ؛ بَلْ هُمْ أحْوَجُ مَا يَكُوْنُوْنَ إلى نَشْدِ وطَلَبِ: المَخْرَجَ مِنْ هَذَا المأزَقِ التَّارِيْخي الَّذِي لم تَعِشْهُ أمَّةُ الإسْلامِ مِثْلَ هَذِهِ الأيَّامِ المُسْتَطِيْرَةِ!

* * *

الأمْرُ الثَّاني: الحَدِيْثُ عَنْ فِلِسْطِيْنَ لا سِيَّما بَيْتِ المَقْدِسِ، وفَضْلِ الشَّامِ سَوَاءٌ كَانَ عَبْرَ الكُتُبِ، أو الرَّسَائِلِ، أو الخُطَبِ... إلَخْ.

ولا أبُالِغُ حِيْنَ أقُوْلُ: إنَّ أكْثَرَ هَذِهِ الكُتُبِ لا تَقُوْمُ سُوْقُهَا، ولا تُرَوَّجُ إلَّا يَوْمَ تَتَفَجَّرُ الأخْبَارُ، وتُعْرَضُ الصُّوَرُ على المُسْلِمِيْنَ، وحِيْنَئِذٍ يَكُوْنُ لها الرَّوَاجُ!

فَهَذَا؛ وإنْ كَانَ مِنَ الخَيْرِ العَمِيْمِ، إلَّا أنَّهُ بِهَذَا الكَمِّ الهَائِلِ الَّذِي تَقْذِفُهُ المَكْتَبَاتُ، والتَّسْجِيْلاتُ ممَّا يُسَاوِرُ النَّفْسَ الشَّكُّ؛ حَتَّى إنَّ الوَاحِدَ مِنَّا قَدْ يَظُنُّ في أصْحَابِ هَذِهِ الكُتُبِ الظُّنُوْنَ، وهَكَذَا تَكَاثَرَتِ الكُتُبُ، وعَلَتِ الخُطَبُ؛ حَتَّى لم تَبْقَ للكَلِمَةِ حَرَارَةٌ، ولا للزَّفْرَةِ مَرَارَةٌ!

ولا أبَالِغُ؛ إذَا قُلْتُ: كَأنَّ كَثِيرًا مِنْ أصْحَابِ هَذِهِ الكُتُبِ سُرْعَانَ مَا سَمِعَ بِفَاجِعَةِ فِلِسْطِيْنَ، وأزِيْزِ الطَّائِرَاتِ، ودَوِيِّ الدَّبَّابَاتِ؛ حَتَّى دَخَلَ خَنْدَقَهُ، وأشْهَرَ قَلَمَهُ؛ لِيَكْتُبَ عَنْ قَضِيَّةِ فِلِسْطِيْنَ؛ ورُبَّما

بَعْدُ مَا عَرَفَ مَجْرَيَاتِ وتَفْصِيْلاتِ القَضِيَّةِ، كُلُّ ذَلِكُم لِيَحْظَى بِقَصَبِ السَّبْقِ في مُسَابَقَةِ الزَّمَنِ في إخْرَاجِ مَا يُمْكِنُ إخْرَاجُهُ مِنْ نَظَرَاتٍ، وتَحلِيْلاتٍ، ومُتَابَعاتٍ للقَضِيَّةِ اليَتِيْمَةِ!

□ نَعَم؛ إنَّ تَألِيْفَ المُصَنَّفَاتِ، وإخْرَاجَ الكُتُبِ المُفِيْدَةِ الَّتِي تَخْدُمُ قَضِيَّةَ فِلِسْطِيْنَ قَرِيْبًا مِنْ عَشَرَةِ كُتُبٍ أو يَزِيْدُ؛ لَهِيَ كَافِيَةٌ ووافِيَةٌ في إبْلاغِ الحُجَّةِ، وتَوْضِيحِ المحَجَّةِ، أمَّا أنْ يَكْتُبَ كُلُّ مَنْ هَبَّ ودَبَّ، وتُبَدَّدَ الطَّاقَةُ، وتُبَعْثَرَ الأوْرَاقُ، وتُهْدَرَ الأوْقَاتُ في عَرْضِ قَضِيَّةِ فِلِسْطِيْنَ عَرْضًا يُخرِجُنَا عَنِ الهَدَفِ المَنْشُوْدِ، والغَايَةِ الشَّرعِيَّةِ؛ فَلا!

عِلْمًا أنَّ هَذَا التَّوسُّعَ والإغْرَاقَ مِنْهُم في نَقْلِ الأخْبَارِ أوْقَعَهُم أيْضًا في مَحَاذِيْرَ شَرْعِيَّةٍ، كَما يَأتي هُنَا.

* * *

* **الخَطَأُ الثَّاني**: الوُقُوْعُ في مَحْذُوْرِ التَّصْوِيْرِ لذَواتِ الأرْوَاحِ، الَّذِي هُوَ ذَرِيْعَةٌ إلى الشِّرْكِ، في حِيْنَ أنَّ الشَّرِيْعَةَ قَدْ حَرَّمَتْهُ صَرَاحَةً، ولم تَسْتَثْنِ مِنْهُ شَيْئًا، إلَّا مَا كَانَ في دَائِرَةِ الضَّرُوْرَةِ، والضَّرُوْرَةُ تُقَدَّرُ بقَدَرِهَا، عِلمًا أنَّ إخْوَانَنَا (هَدَاهُمُ اللهُ) لم يُقَدِّرُوا هَذِهِ الضَّرُوْرَةَ؛ بَلْ تَوَسَّعُوا في تَصْوِيْرِ الصَّغِيْرِ والكَبِيْرِ، والجَلِيْلِ والحَقِيْرِ... حَتَّى ذَهَبَتْ كُلُّ صُوْرَةٍ في أوْدِيَةِ المَنَاهِي، وشِعَابِ التَّضَاهِي، فَعِنْدَهَا لم تَعُدْ للحُرْمَةِ الشَّرعِيَّةِ عِنْدَهُم حُدُوْدًا يَقِفُوْنَ عِنْدَهَا، فَكَأنَّ الأخْبَارَ لا تَحْلُو لَهُم إلَّا وقَدْ أحَاطَتْ بِها الصُّوَرُ مِنْ فَوْقِ رَأسِهَا، ومِنْ تَحتِ أرْجُلِهَا!

وقَدْ قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧﴾ [الأحزاب: ٥٧]، قَالَ عِكْرِمَةُ: هُمُ الَّذِينَ يَصْنَعُوْنَ الصُّوَرَ.

وقَالَ ﷺ: «إنَّ الَّذِيْنَ يَصْنَعُوْنَ هَذِه الصُّوَرَ، يُعَذَّبُوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ يُقَالُ لَهُم: أحْيُوْا مَا خَلَقْتُم» مُتَّفقٌ عَليْهِ.

وقَوْلُهُ ﷺ لعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أشَدُّ النَّاسِ عَذابًا عِنْدَ اللهِ تَعالَى يَوْمَ القِيامَةِ الَّذِيْنَ يُضَاهُوْنَ بِخَلْقِ اللهِ تَعالَى» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وقَالَ أيْضًا ﷺ: «إنَّ البَيْتَ الَّذِي فيهِ الصُّوَرُ لا تَدْخُلُه الملائِكَةُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وعَنْ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّه جَاءهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إنِّي رَجُلٌ أصَوِّرُ هَذِه الصُّوَرَ، فافْتِنِي فِيْهَا؟ فَقَالَ لَهُ: ادْنُ مِنِّي، فَدَنَا مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: ادْنُ مِنِّي فَدَنَا مِنْهُ حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ على رَأسِهِ، وقَالَ: أنَبِّئُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ في النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُوْرَةٍ صَوَّرَها نَفْسًا تُعَذِّبُه في جَهَنَّمَ» مُسْلِمٌ، قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فإنْ كُنْتَ لا بُدَّ فَاعِلاً فاصْنَعْ الشَّجَرَةَ، ومَا لا نَفْسَ لَهُ. وفي رِوَايَةٍ للبُخَارِيِّ أنَّه قَالَ لَهُ: إنَّمَا مَعِيْشَتِي مِنْ صِنْعَةِ يَدِي، وإنِّي أصْنَعُ هَذِه التَّصَاوِيْرَ... وفِيْهِ: «عَلَيْكَ بِكُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ فيه رُوْحٌ».

* * *

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا حَاصِلُهُ: «تَصْوِيْرُ صُوْرَةِ الحَيْوَانِ حَرَامٌ مِنَ الكَبَائِرِ للوَعِيْدِ الشَّدِيْدِ، سَوَاءٌ صَنَعَه لِمَا يُمْتَهَنُ أو لِغَيْرِه إذْ فيه مُضَاهَاةٌ لِخَلْقِ اللهِ، وسَوَاءٌ كَانَ بِبِسَاطٍ، أو ثَوْبٍ، أو دِرْهَمٍ، أو دِيْنَارٍ، أو فِلْسٍ، أو إنَاءٍ، أو حَائِطٍ، أو مِخَدَّةٍ، أو نَحْوِها، وأمَّا تَصْوِيْرُ صُوَرِ الشَّجَرِ، ونَحْوِها مِمَّا لَيْسَ بِحَيْوَانٍ فَلَيْسَ بِحَرَامٍ، وأمَّا المُصَوِّرُ صَوْرَةَ الحَيْوَانِ فإنْ كَانَ مُعَلَّقًا على حَائِطٍ، أو مَلْبُوْسٍ: كَثَوْبٍ، أو عِمَامَةٍ، أو نَحْوِها مِمَّا لا يُعَدُّ مُمْتَهَنًا فَحَرَامٌ، أو مُمْتَهَنًا: كبِسَاطٍ يُدَاسُ، ومِخَدَّةٍ، ووِسَادَةٍ، ونَحْوِها فَلا يَحْرُمُ؛ لَكِنْ هَلْ يَمْنَعُ دُخُوْلَ مَلائِكَةِ الرَّحْمَةِ ذَلِكَ البَيْتَ؟ الأظْهَرُ أنَّه عَامٌ في كُلِّ صُوْرَةٍ؛ لإطْلاقِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا تَدْخُلُ المَلائِكَةُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ، ولا صُوْرَةٌ»**، ولا فَرْقَ بَيْنَ مَا لَهُ ظِلٌّ، ومَا لا ظِلَّ لَهُ، هَذَا تَلْخِيصُ مَذْهَبِ جُمْهُوْرِ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ، والتَّابِعِيْنَ، ومَنْ بَعْدَهُم كالشَّافِعِيِّ، ومَالِكٍ، والثَّوْرِيِّ، وأبي حَنِيْفَةَ، وغَيْرِهِم، وأجْمَعُوا على وُجُوْبِ تَغْيِيرِ مَا لَهُ ظِلٌّ، قَالَ القَاضِيُّ: إلَّا مَا وَرَدَ في لُعَبِ البَنَاتِ الصِّغَارِ مِنَ الرُّخْصَةِ، ولَكِنْ كَرِهَ مَالِكٌ شِرَاءَ الرَّجُلِ ذَلِكَ لِبِنْتِهِ، وادَّعَى بَعْضُهم أنَّ إبَاحَةَ اللَّعِبِ بِهِنَّ بِهَا مَنْسُوْخٌ بِمَا مَرَّ». انْتَهَى. ذَكَرَهُ ابنُ حَجَرٍ الهَيْتَمِيُّ في «الزَّوَاجِرِ عَنِ اقْتِرافِ الكَبَائِرِ» (٢/ ٦٩).

* * *

* **الخَطَأ الثَّالِثُ:** إظْهَارُ الإسْلامِ بأنَّهُ ضَعِيْفٌ، وأهْلُهُ مَغْلُوْبٌ على أمْرِهِم!

هَذَا يَوْمَ أشْعَرَ الأخْبَارِيُّوْنَ إخْوانَهُم المُسْلِمِيْنَ: كَأنَّهُم لم يُخْلَقُوا إلَّا هَكذَا مُشَرَّدِيْنَ مُطارَدِيْنَ، وكَأنَّ الذُّلَّ والصَّغارَ لم يُكْتَبْ على أمَّةٍ سِواهُم، وفي المُقَابِلِ أظْهَرُوا القُوَّةَ والسِّيَادَةَ والتَّمْكِيْنَ لكُلِّ كَافِرٍ لَعِيْنٍ مِنَ اليَهُوْدِ الغَاصِبِيْنَ، والنَّصَارَى الضَّالِّيْنَ بطَرِيْقٍ أو آخَرَ.

يُوَضِّحُهُ؛ أن المُسْلِمَ يَنْشَأ بَيْنَنا، وهُوَ لا يُشَاهِدُ إلَّا هَذِهِ المَظَاهِرَ المُؤلِمَةَ، والصُّوَرَ المَأسَاوِيَّةَ الَّتِي تُحَاكُ ضِدَّ المُسْلِمِيْنَ، فَأنَّى لَهُ بَعْدَ هَذا أنْ يَلْتَمِسَ عِزَّةً في دِيْنِهِ، أو يَرْجُوَ شُمُوْخًا في أبْنَاءِ جِلْدَتِهِ، يَوْمَ فَطَمُوْهُ على الذِّلَّةِ والتَّشْرِيْدِ؛ فَتارَةً يُظْهِرُوْنَ المُسْلِمَ أمَامَهُ وهُوَ يُدَاسُ تَحتَ أقْدَامِ الغَاصِبِيْنَ، وتَارَةً وهُوَ يُقتَلُ صَبْرًا بأيْدِي الكَافِرِيْنَ، وأُخْرَى وهُوَ يَسْقُطُ صَرِيْعَ الجُوْعِ، ومَرَّةً وهُوَ يَجْمَدُ تَحْتَ ثُلُوْجِ الرُّوْسِ... وغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَنْظُوْمَةِ الهَوَانِ، والذِّلَّةِ، والتَّشْرِيْدِ، والقَتْلِ!

فَهَذَا في حَدِّ ذَاتِهِ مُصِيْبَةٌ مَا بَعْدَهَا مُصِيْبَةٌ؛ يَوْمَ لم يَكْتَفِ الأخْبَارِيُّوْنَ بتَصْوِيْرِ القَتْلى مِنَ المُسْلِمِيْنَ؛ بَلْ قَتَلُوا مَا كَانَ مِنْهُم حَيًّا بما يَعْرِضُوْنَهُ لَهُ مَا بَيْنَ الحِيْنِ والآخَرِ مِنَ الصُّوَرِ الَّتِي يَنْخَلِعُ لهَا قَلْبُ كُلِّ إنْسَانٍ، في حِيْنِ كَانَ يَكْفِيْهِم مِنْ نَقْلِ الأخْبَارِ أنْ يَقْتَصِرُوا على مَا يَحْصُلُ بِهِ الخَبَرُ دُوْنَ تَوَسُّعٍ في مَجْرَيَاتِ الأحْدَاثِ، وَبَثِّ الصُّوَرِ.

عِلْمًا أنَّ التَّوَسُّعَ في نَقْلِ الأخْبَارِ قَدْ يَصْلُحُ لأفْرَادِ الأمَّةِ، وآحَادِهَا مِنَ العُلَماءِ، وصُنَّاعِ القَرَارِ مِنَ القَادَةِ والمُجَاهِدِيْنَ، أمَّا أنْ

تُعْرَضَ الصُّوَرُ، وتُفَصَّلَ الأخْبَارُ لكَافَّةِ المُسْلِمِيْنَ، لا سِيَّما مَعَ انْتِشَارِ الجَهْلِ بَيْنَهُم، ووُجُوْدِ اليَأسِ عِنْدِ بَعْضِهِم؛ فَحِيْنَئذٍ نَقُوْلُ لَكُم: لا.

بَلْ كَانَ مِنَ الوَاجِبِ عَلَيْكُم أنْ تُرَاعُوا الحِكْمَةَ في مُخَاطَبَةِ عُمُوْمِ المُسْلِمِيْنَ بِما يَفْقَهُوْنَ، كَمَا قَالَ عَليُّ بنُ أبي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِما يَعْرِفُوْنَ، أتُرِيْدُوْنَ أنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورَسُوْلُهُ!» أخْرَجَه البُخَارِيُّ.

* * *

* **الخَطَأ الرَّابِعُ**: أنَّ الإغْرَاقَ في نَقْلِ الأخْبَارِ يُعْتَبَرُ تَغْيِيْبًا وبُعْدًا عَنِ الهَدَفِ الشَّرعِيِّ الَّذِي هُوَ الأصْلُ مِنْ نَقْلِ الأخْبَارِ، فَنَقْلُ الأخْبَارِ مَا هِيَ إلَّا وَسِيْلَةٌ مَحْمُوْدَةٌ إلى غَايَةٍ مَنْشُوْدَةٍ، وهِيَ البَحْثُ عَنِ الحَلِّ الشَّرعِيِّ.

* * *

* **الخَطَأ الخَامِسُ**: أنَّ الإغْرَاقَ في نَقْلِ الأخْبَارِ، والتَّوَسُّعَ في التَّنْقِيْبِ عَنْهَا، وعَنِ مَظَانِّها: لَهُوَ جَدِيْرٌ في تَرْبِيَةِ المُسْلِم تَرْبِيَةً أخْبَارِيَّةً مُجَرَّدَةً؛ بمَعْنَى أنَّ الأخْبَارِيِّيْنَ سَوْفَ يُخْرِجُوْنَ لَنَا جِيْلاً بَعِيْدًا عَنِ الهَدَفِ الشَّرعِيِّ المُنَاطِ بِهِم، وذَلِكَ في البَحْثِ عَنِ الحَلِّ الشَّرعِي المَنْشُوْدِ.

يُوَضِّحُهُ؛ أنَّكَ لا تَجِدُ أكْثَرَ أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ هَذِهِ الأيَّامَ إلَّا وهُوَ مِنْ عُشَّاقِ الأخْبَارِ، وسَماسِرَةِ الأحْدَاثِ؛ فَلا يَنَامُ إلَّا على الإذَاعَاتِ العَالَمِيَّةِ، أو القَنَوَاتِ الفَضائِيَّةِ، ولا يَسْتَيْقِظُ إلَّا على

الصُّحُفِ الأخْبَارِيَّةِ، فَهكَذَا غُذِّيَ بالأخْبَارِ، وفُطِمَ علَيْهَا!

فَلَيْتَ شِعْرِي؛ لَوْ انْتَهَى بِهِ الحَالُ إلى هَذَا الحَدِّ؛ وذَلِكَ في: مُتَابعَةِ الأخْبارِ عَبْرَ الصُّحُفِ، والمَجلَّاتِ، والإذَاعَاتِ المَسْمُوْعَةِ؛ بَلْ قَادَهُ هَذَا البَلاءُ الأخْبَارِيُّ إلى مَا كُنَّا نَخْشَاهُ ولا نَتَمَنَّاهُ: وهُوَ مُتَابعَةُ هُوَايتِهِ الأخْبَارِيَّةِ عَبْرَ المَهَالِكِ الفَضَائِيَّةِ «الدُّشِّ»، أو «الإنْتَرْنِتْ»؛ يَوْمَ أسْرَعَ في اقْتِنَائِهَا وشِرائِهَا؛ فحَسْبُنَا اللهُ، ونِعْمَ الوَكِيْلُ!

وامِسْكِيْنَاهُ! كَمْ ضَحِيَّةٍ أخْبَارِيَّةٍ لَقِيَتْ حَتْفَهَا أمَامَ هَذَا «الدُّشِّ» الغَاوِي، و«الإنْتَرنِت» المَاسِخِ، وكَمْ حَيَاءٍ ذَهَبَ مَاؤُهُ، وكَمْ فَضِيْلَةٍ قُتِلَتْ، وكَمْ مُسْتَقِيْمٍ انْتَكَسَ، وكَمْ بَيْتٍ عَفِيْفٍ كُشِفَ سِتْرُهُ، وكَمْ أخْبَارِيٍّ اسْتَهْوَتْهُ الشَّهَوَاتُ!

* * *

❐ فَإذَا سَألْتَ هَذَا الأخْبَارِيَّ عَنِ اقْتِنَائِهِ لِهَذَا «الدُّشِّ» الَّذِي فَوْقَ بَيْتِهِ، أو عَنْ هَذَا «الإنْتَرنِتْ» الَّذِي فَوْقَ مَكْتَبِهِ؟

قَالَ لَكَ مِلْءَ فَمِهِ: نَحْنُ نُتَابعُ الأخْبَارَ!

فإذَا قُلْتَ لَهُ: ومَا الأخْبَارُ هَذِهِ؟

قَالَ لَكَ بَدِيْهَةً: أخْبَارُ المُسْلِمِيْنَ.

وإذَا قُلْتَ لَهُ: وأيُّ أخْبَارٍ هِيَ؟

قَالَ: حُرُوْبٌ، وتَدْمِيْرٌ، وتَشْرِيْدٌ، ومَذَابِحُ، ومَدَافِنُ جماعِيَّةٌ،

ونَوافِيرُ دِمائِيَّةٌ، وأشْلاءٌ جَسَدِيَّةٌ، واغْتِصابَاتٌ نِسَائِيَّةٌ، وإبَادَاتٌ عِرْقِيَّةٌ، وثَارَاتٌ صَلِيْبِيَّةٌ، ومُخَطَّطَاتٌ يَهُودِيَّةٌ. . . إلْخَ.

فَإذَا قُلْتَ لَهُ: ألَا يَكْفِيْكَ مِنَ الخَبَرِ مَثَلاً: أنَّ الصِّرْبَ شَنُّوا حَرْبًا ضَرُوْسًا مُدَمِّرَةً ضِدَّ إخْوَانِنَا المُسْلِمِيْنَ في الهِرْسِكِ والبُوسْنَةِ؟

أو أنَّ اليَهُوْدَ قَدِ احْتَلُّوا أرْضَ فِلِسْطِيْنَ، وجَعَلُو أعِزَّةَ أهْلِهَا أذِلَّةً، مَا بَيْنَ قَتْلٍ وتَشْرِيْدٍ وحَبْسٍ مُنْذُ عَامِ (١٣٦٧).

ورُبَّمَا قَالَ لَكَ مُتَفيْقِهًا: لَيْسَ الخَبَرُ كالمُعَايَنَةِ! فالَّذِي يُتَابِعُ الأخْبَارَ على الهَوَاءِ مُبَاشَرَةً، لَيْسَ كَمَنْ يُتَابِعُها عَبْرَ الصُّحُفِ، والإذَاعَاتِ؛ فالحَدَثُ عِنْدَنَا مَاثِلٌ، والخَبرُ سَاخِنٌ (على حَدِّ تَعْبِيرَاتِهِم!).

فَإذَا قُلْتَ لَهُ: إذَا كَانَ الأمْرُ كَما تَقُوْلُ؛ فَماذَا فَعَلْتَ إذَنْ لإخْوانِكَ المُسْلِمِيْنَ يَوْمَ رَأيْتَ نَوافِيْرَ الدِّمَاءِ، واغْتِصَابَ المُسْلماتِ؟

قَالَ مُتَلَعْثِمًا: لا شَيءَ؛ اللَّهُمَّ إلَّا مُشَاهَدَةً، ومُتَابَعَةً للأحْدَاثِ أوَّلاً بأوَّلٍ!

أخِي الأخْبَارِيَّ: ألَا تَسْتَحِي مِنَ اللهِ تَعَالى يَوْمَ يَرَاكَ وأنْتَ تَنْظُرُ إلى مَجَازِرِ المُسْلِمِيْنَ، وقَدْ عَشِقْتَ مُتَابَعَتَها، وألِفْتَ مُشَاهَدَتَها، ولَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ! فَلا جِهَادَ تَقُوْمَ بِهِ، ولا حَلَّ تَسْعَى إلَيْهِ!

إنَّ هَذَا الصَّنِيْعَ (وأعُوْذُ باللهِ مِنْهُ!) إذَا اسْتَمْرَأهُ المُسْلِمُ، وأدْمَنَ

عَلَيْهِ سَوْفَ يَكُوْنُ عِبْئًا على أمَّتِهِ، كَما أنَّ فِيْهِ تَغْلِيْفًا لأفْكَارِهِ الإسْلامِيَّةِ، وتَبْلِيْدًا لمَشَاعِرِهِ الإيْمانِيَّةِ، وتَجْمِيْدًا لطَاقَتِهِ الجِهَادِيَّةِ، وطَمْسًا لعِزَّتِهِ نَحْوَ دِيْنِهِ وأمَّتِهِ!

* * *

* **الخَطَأُ السَّادِسُ:** ضِيَاعُ الأوْقَاتِ، وهَدْرُ الأمْوَالِ، وذَلِك صَائِرٌ فِيْمَا يَضِيْعُ ويُنْفَقُ في تَحْصِيْلِ هَذِهِ الأخْبَارِ وطِبَاعَتِهَا ونَشْرِهَا، مَعَ مَا فِيْهِ مِنْ كَبِيْرِ أوْقَاتٍ تُصْرَفُ هُنَا وهُنَاكَ جَرْيًا لمُتَابَعَةِ هَذِهِ الأخْبَارِ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ وبَلَدٍ، الأمْرُ الَّذِي جَعَلَ كَثِيرًا مِنْ أوْقَاتِ وأمْوَالِ هَؤلاءِ الأخْبَارِيِّيْنَ تَذْهَبُ في غَيْرِ فَائِدَةٍ كَبِيْرَةٍ مَا بَيْنَ تَصْوِيْرَاتٍ، وطِبَاعَاتٍ، ونَشَرَاتٍ، ولقَاءَاتٍ، وتَسْجِيْلاتٍ إلى غَيْرِ ذَلِك مِمَّا هُوَ مَعْلُوْمٌ لَدَى الجَمِيعِ.

وهَذَا كُلُّهُ في الوَقْتِ الَّذِي نَحْنُ وإيَّاهُم أحْوَجُ مَا نَكُونُ إلى هَذِهِ الأوْقَاتِ والأمْوَلِ اِلَّتِي تَذْهَبُ في تَحْقِيْقِ وَسِيْلَةٍ على حِسَابِ الغَايَةِ المَنْشُوْدَةِ.

وقَدْ عَلِمَ الجَمِيْعُ مِنَ المُسْلِمِيْنَ أنَّ اللهَ تَعالى قَدْ جَعَلَ المَالَ والوَقْتَ أمَانَةً عِنْدَ كُلِّ مُكَلَّفٍ، ولا سِيَّمَا المُسْلِمُ؛ حَيْثُ يَقُوْلُ اللهُ تَعَالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ (١) إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ (٢)﴾ [العصر: ١ ـ ٢].

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لا تَزُوْلُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ حَتَّى يُسْألَ عَنْ عُمُرِهِ فِيْمَا أفْنَاهُ، وعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَ فَعَلَ فِيْهِ، وعَنْ مَالِهِ مِنْ أيْنَ**

اكْتَسَبَهُ، وفِيْمَ أنْفَقَهُ، وعَنْ جِسْمِهِ فِيْمَ أبْلاهُ» أخْرَجَهُ التِّرمِذِيُّ، وقَالَ: حَسَنٌ صَحِيْحٌ.

* * *

* **الخَطَأ السَّابِعُ:** التَّشَبُّهُ بعَادَاتِ الكُفَّارِ؛ وهَذَا مَا نَجِدُهُ عِنْدَ بَعْضِ الأخْبَارِيِّيْنَ، كَمَا هُوَ مَاثِلٌ في تَنازَلِ بَعْضِهِم عَنْ كَثِيْرٍ مِنَ آدَابِ الشَّخْصِيَّةِ الإسْلامِيَّةِ، يَوْمَ تَشَبَّهَ ببَعْضِ عَادَاتِ أهْلِ الكُفْرِ.

كَما أنَّ بَعْضَهُم لم يَسْلَمْ أيْضًا مِنْ تَقْلِيْدِ ومُحَاكَاتِ أعْدَاءِ المُسْلِمِيْنَ في مُصْطَلَحَاتِهِم المَسْمُوْمَةِ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُ، كَما هُوَ ظَاهِرٌ عِنْدَ كَثِيرٍ ممَّنْ تَوسَّعُوا في نَقْلِ الأخْبَارِ، والتَّنْقِيْبِ عَنْهَا بأيِّ مَقَالٍ، وعلى أيِّ حَالٍ!

وسَيأتي قَرِيْبًا ذِكْرُ بَعْضِ هَذِهِ المُصْطَلَحَاتِ الغَرْبِيَّةِ الَّتِي عَلِقتْ بألْسِنَةِ وأقْلامِ بَعْضِ الكُتَّابِ المُسْلِمِيْنَ إنْ شَاءَ اللهُ!

فَحَسْبُكَ؛ أنْ تُلْقِيَ نَظْرَةً سَرِيْعَةً على أحَدِ هَؤلاءِ الأخْبَارِيِّيْنَ وقَدْ تَكَلَّفَ الصِّعَابَ، وبَذَلَ الوَقْتَ والمَالَ، ليَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيْ أحَدِ العُلُوْجِ المَسْؤوْلِيْنَ الكِبَارِ، لإحْدَى الدُّوَلِ الكَافِرَةِ؛ وهُوَ يَضْحَكُ بيْنَ يَدِيْهِ، ويَنْظُرُ أمَامَ رِجْلَيْهِ، وقَدْ تَنَازَلَ عَنْ لِبْسِهِ الإسْلامِي الَّذِي كَانَ يَرْتَدِيْهِ في بِلادِ المُسْلِمِيْنَ، فعِنْدَهَا تَقَمَّصَ أكْثَرَ مَلْبُوْسَاتِ وحَرَكَاتِ الرَّجُلِ الغَرْبيِّ مُحَاكَاةً لَهُ في القِيْلِ والقَالِ، والحِوَارِ والأفْعَالِ؛ كُلُّ هَذَا ليَأخُذَ مِنْ طَرَفِ لِسَانِ هَذَا العِلْجِ كَلِماتٍ بَارِدَةً، وتَحْلِيْلاتٍ سِيَاسِيَّةً،

وابْتِسَامَاتٍ صَفْرَاءَ؛ لِيتقَوَّى بِهَا هَذَا المِسْكِيْنُ الأَخْبَارِيُّ على إِقْنَاعِ رِجَالِ الغَرْبِ:

بَأنَّ دِيْنَ الإِسْلامِ: دِيْنُ سَماحَةٍ، ويُسْرٍ، وإِنْسَانِيَّةٍ، وكَذَا لِيُثْبِتَ مِنْ خِلالِ هَذَا اللِّقَاءِ (الدُّوبْلُوماسِيِّ!): الحَقَّ الفِلَسْطِيني لِلمُسْلِمِيْنَ دُوْنَ اليَهُوْدِ الغَاصِبِيْنَ... في غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّمْتَمَاتِ الانْهِزَامِيَّةِ، والتَّراجُعَاتِ المَمْقُوْتَةِ، فَلِمَاذَا تَفعَلُ هَذَا أَيُّهَا الأَخْبَارِيُّ، ولأَجْلِ مَنْ؟

* * *

لِلأَسَفِ؛ إِنَّ القَوْمَ (الأَخْبَارِيِّينَ) لَمَّا اسْتَهْوَوْا الأَخْبَارَ، وعَشِقُوْهَا قَامُوا يَبْحَثُوْنَ عَنْ كُلِّ مَنْبَعٍ أو مَصْدَرٍ، أو قَنَاةٍ أَخْبَارِيَّةٍ تَرْوِي غُلَّتَهُم، وتَشْفِي عِلَّتَهُم لِيَتَزَوَّدُوا بِها على نَشْرِ أَخْبَارِهِم؛ ولَوْ كَانَتْ مَنابِعَ مُلَوَّثَةً تُسْتَسْقى مِنْ مُقَابَلاتِ بَعْضِ رِجَالِ الكُفْرِ.

وإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ إِخْوَانَنَا الأَخْبَارِيِّينَ؛ مَا فَعَلُوا هَذَا إِلَّا بُرْهَانًا وشَهَادَةً مِنْهُم لِلعَالَمِ الكَافِرِ: بأَنَّ كُبَراءَهُم وعُظَماءَهُم قَدْ شَهِدُوا لِلإِسْلامِ بالنَّصِفَةِ، والتَّسَامُحِ!

مُتَمَثِّلِيْنَ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [يُوسُفُ: ٢٦].

وقَوْلِ الشَّاعِرِ:

.... وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الأَعْدَاءُ

* * *

إِلَّا أَنَّنَا لا نُوَافِقُهُم ابْتِدَاءً على طَرْقِ هَذَا السَّبِيلِ؛ مُتَمَثِّلِيْنَ لَهُم

بقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٣٩]، وقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المُنَافِقُوْنَ: ٨]، وقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البَقَرَةُ: ١٢٠].

وقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أوْرَدَهَا سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ   مَا هَكَذَا، يَا سَعْدُ تُوْرَدُ الإبِلْ

* * *

كَمَا أنَّنَا نَعْلَمُ أنَّ هَذِهِ المُجَازَفَاتِ مِنَ بَعْضِ هَؤلاءِ الأخْبَارِيِّيْنَ مَا كَانَتْ مِنْهُم إلَّا بدَافِعِ الانْهِزَامِ والتَّراجُعِ الَّذِي يَعِيْشُوْنَهُ أمَامَ دُوَلِ الغَرْبِ الَّتِي أصْبَحَتْ أمَامَ أعْيُنِ بَعْضِهِم: دُوَلَ تَقَدُّمٍ، وحَضَارَةٍ، وسِيَادَةٍ... عَلِمُوا أم جَهِلُوا، واللهُ يَتَوَلَّى الصَّالحِيْنَ!

أمَّا إذَا سَألْتَ عَنِ المَجلَّاتِ، والصُّحُفِ، والأقْلامِ الَّتِي عُنِيَتْ واهْتَمَّتْ بنَقْلِ الأخْبَارِ، ونَشْرِهَا: فَهِيَ كَثِيْرَةٌ جِدًّا للأسَفِ، وإنِّي حَابِسٌ قَلَمِي عَنْ ذِكْرِهَا، وذِكْرِ أصْحَابِها وأقْلامِهَا؛ حَتَّى تَبْقَى سَفِيْنَةُ النَّجَاةِ مَاخِرَةً، ولَوْ في لُجَجِ البِحَارِ، وتَبْقَى النَّصِيْحَةُ سَائِرَةً في قُلُوْبِ الأخْيَارِ!

* * *

☐ **القِسْمُ الثَّاني**: أهْلُ الدِّرَايَةِ، وهُمُ الَّذِيْنَ لا يَكْتَفُوْنَ بنَقْلِ

أخْبارِ المُسْلِمِيْنَ؛ بَلْ يَتعَامَلُوْنَ مَعهَا مُعَامَلةً تُغايِرُ أهْلَ الرِّوَايَةِ، فَكأنَّهم قَابلُوا الخطأ بخَطأ!

فالطَّرَفُ الأوَّلُ عِنْدَهُم أصْحَابُ مَوادٍّ أوَّلِيَّةٍ، وهُمْ أصْحَابُ المَصَانِعِ الفِكْرِيَّةِ، والتَّحلِيْلاتِ السِّيَاسِيَّةِ!

فَكَانَتِ القِسْمَةُ بَيْنَهُم هَكَذَا: أهْلُ أخْبَارٍ مُجَرَّدَةٍ، وأهْلُ تَحْلِيْلاتٍ مُجَوَّدَةٍ.

فَأهْلُ التَّحْلِيْلِ؛ غَالِبًا هُمُ الَّذِيْنَ يَنْظُرُوْنَ إلى القَضِيَّةِ الإسْلامِيَّةِ بعَيْنٍ بَصِيْرَةٍ، وزَاوِيَةٍ حَادَّةٍ؛ ورُبَّما تَكَهَّنُوا المُسْتَقْبَلَ!

فَكَانَ شُغْلُهُم الشَّاغِلُ، وعَمَلُهُم الدَّؤُوْبُ: هُوَ تَحلِيْلُ الأخْبَارِ وتَجْرِيْدُهَا مِنَ اللَّمْسَةِ الظَّاهِرَةِ، والإغْرَاقُ في بَوَاطِنِ مَجْرَيَاتِها وتَفْصِيْلاتِها، ومِنْ ثَمَّ إعْطاءُ الصُّوْرَةِ القَرِيْبَةِ مِنَ الوَاقِعِ، وبَيَانُ أبْعَادِهَا السِّيَاسِيَّةِ، ومَخَاطِرِهَا البَعِيْدَةِ، ووَضْعُ التَّحْصِيْنَاتِ الوِقَائِيَّةِ... إلَخ.

❑ وهَكَذَا نَجِدُهُم يَخُوْضُوْنَ مَعارِكَ التَّحْلِيْلِ، وغِمَارَ التَّفْصِيْلِ لمَجْرَيَاتِ الأحْدَاثِ، وتَقَلُّبَاتِ الأخْبَارِ؛ حَتَّى غَلَبَ عَلَيْهِم اسْمُ: «المُفَكِّرُوْنَ الإسْلامِيُّوْنَ».

وقَدْ بَاتَ على إغْمَاضٍ أنَّ لَقَبَ المُفَكِّرِ الإسْلامِيِّ مَصْنُوْعٌ مَدْخُوْلٌ على مُصْطَلَحَاتِ المُسْلِمِيْنَ في كِتَابَاتِهم وخِطَابَاتِهم؛ حَيْثُ أخَذَ مَدْلُولاً ومَفْهُومًا مَغْلُوْطًا في ذَاكِرَةِ أكْثَرِ المُسْلِمِيْنَ!

فَعِنْدَئِذٍ فَلْيَعْلَمِ الجَمِيْعُ: أنَّ لَقَبَ «المُفَكِّرِ الإسْلامِيِّ» لَيسَ مِنْ

جَادَّةِ أهْلِ العِلْمِ، ولا مِنَ التَّحْقِيْقِ في شَيءٍ؛ فَالأفْكَارُ غَالِبًا هِيَ إلى الخَوَاطِرِ والآرَاءِ العَقْلِيَّةِ أقْرَبُ مِنْهَا إلى العُلُوْمِ الإسْلامِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، بَلْ هِيَ إلى التَّخْمِيْنَاتِ والظُّنُوْنِ أقْرَبُ مِنْهَا إلى اليَقِيْنِيَّاتِ والقَطْعِيَّاتِ، فَكَانَ الأوْلى تَرْكُهُ؛ لا سِيَّما إذَا عَلِمْنَا أنَّ أكْثَرَ دُعَاةِ «الفِكْرِ الإسْلامِيِّ» غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ التَّحْلِيْلاتُ الأخْبَارِيَّةُ، والتَّقْدِيْسَاتُ العَقْلِيَّةُ، إلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ!

وهَكَذَا؛ حَتَّى إذَا وَقَعَتِ الوَقَائِعُ، وتَفَجَّرَتِ الأحْدَاثُ، واخْتَلَطَتِ الأصْوَاتُ في قَضِيَّةٍ إسْلامِيَّةٍ؛ كَانُوا المَفْزِعَ والمَلاذَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ.

لأجْلِ هَذَا، كُلَّمَا عَصَفَتْ عَوَاطِفُ المُسْلِمِ، وثَارَتْ مَشَاعِرُهُ؛ قَامَ حَثِيثًا لِيُسَكِّنَ عَوَاطِفَهُ، ويُطْفِئ حَمَاسَهُ بإبَرٍ مُخَدِّرَةٍ لَيْسَ لهَا مِنَ الفَائِدَةِ إلَّا تَسْكِيْنُ الألَمِ حَالَ هَيَجَانِهِ، ثُمَّ يَعُوْدُ بَعْدَ هَذَا مَرِيْضًا مُدْمِنًا لَيْسَ لَهُ عِلاجٌ إلَّا إبَرَ المُفَكِّرِيْنَ، وتَحْلِيْلاتِهِمُ السِّيَاسِيَّةَ!

فأهْلُ التَّحْلِيْلِ للأسَفِ يَوْمَ تَوَسَّعُوا في تَحْلِيْلِ الأخْبَارِ على حِسَابِ الحَلِّ الشَّرْعِيِّ، والطَّرِيْقِ المَأمُوْلِ؛ انْقَلَبَتْ تَحْلِيْلاتُهُم إلى تَخْدِيْرَاتٍ لمَشَاعِرِ وآلامِ المُسْلِمِيْنَ، في حِيْنِ أنَّهم لم يَسْلَمُوا أيْضًا مِنَ التَّأثُّرِ والمُحَاكَاتِ لمُصْطَلَحَاتِ أعْدَاءِ الإسْلامِ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُوْنَ.

فَكَانَ مِنْ ضُرُوْبِ الأمْثِلَةِ هُنَا، ومِنْ تَقْرِيْبِ المَعَاني والحُلُوْلِ،

أنْ نَذْكُرَ مِثَالاً وَاحِدًا للتَّوْضِيْحِ والتَّدْلِيْلِ، وذَلِكَ مِنْ خِلالِ قَضِيَّةِ فِلِسْطِيْنَ، فإلى بَيَانِهِ.

* * *

❐ قَضِيَّةُ فِلِسْطِيْنَ:

إنَّ الصِّرَاعَ مَعَ يَهُوْدَ قَدْ عَمَّرَ في جَسَدِ الأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ أكْثَرَ مِنْ نِصْفِ قَرْنٍ، بَلْ شَارَفَ على سَبْعِيْنَ سَنَةً عِجَافًا، ومَا زَالَ حَتَّى سَاعَتِئِذٍ!

فَكَانَ الحَدِيْثُ عَنْ فِلِسْطِيْنَ المُحْتَلَّةِ حَدِيْثَ آهَاتٍ وعَبَراتٍ وحَسَرَاتٍ؛ لأجْلِ هَذَا تَسَابَقَ أبْنَاءُ المُسْلِمِيْنَ يَكْتُبُوْنَ عَنْ قَضِيَّةِ فِلِسْطِيْنَ: الكُتُبَ والمُصَنَّفَاتِ، ويُنْشِدُوْنَ الأشْعَارَ، ويُنَمِّقُوْنَ الخُطَبَ... كُلُّ هَذَا لأنَّ فِلِسْطِيْنَ مَا زالَتْ سَحَابَةً فَوْقَ رُؤوْسِهِم، ودَمْعَةً على خُدُوْدِهِم، وزَفْرَةً في صُدُوْرِهِم...!

ومِنْ خِلالِ هَذَا خَرَجَ بَعْضُ الغَيُوْرِيْنَ لقَضِيَّةِ فِلِسْطِيْنَ؛ حَيْثُ لم يرْضَوْا هَذَا الوَاقِعَ، وتِلْكَ السِّيَاسَاتِ، ونَقْلَ الأخْبَارِ المُجَرَّدَةِ، فَنَذَرُوا وَقْتَهُم وأقْلامَهُم لِنُصرَةِ القَضِيَّةِ بأنْ غَيَّروا مَنْحَى نَقْلِ الأخْبَارِ إلى تَحْلِيْلٍ تَحْكُمُهُ الوَاقِعِيَّةُ، والفِكْرُ الصَّحِيْحُ في الجُمْلَةِ، وهَكَذَا أرَادُوا.

لِذَا؛ تَسَابَقُوا في مَيْدَانِ التَّحْلِيْلِ، ومِضْمارِ التَّفْكِيْرِ يُسَطِّرُوْنَ، ويَصُوْغُوْنَ عِبَارَاتٍ فِكْرِيَّةً، وأقْوَالاً أخْبَارِيَّةً... وتَدْلِيْلاً على ذَلِكَ

نَذْكُرُ شَيْئًا مِنْ أقْوالِهِم، مَعَ تَعْقِيْبٍ مُختَصَرٍ لهَا، كَمَا يَلي:

□ قَالَ قَائِلُهُم: إنَّ سُكُوْتَ العَالَمِ عَنْ قَضِيَّةِ فِلَسْطِيْنَ نَذِيْرُ شَرٍّ، ممَّا يُشِيْرُ إلى الانْحِيَازِ الأوْرُوبِّي السَّافِرِ إلى دَوْلَةِ إسْرَائِيْلَ اللَّعِيْنَةِ.

قُلْتُ: إنَّ تَسْمِيَةَ شَعْبِ يَهُوْدَ بـ «إسْرَائِيْلَ» يُعْتَبَرُ خَطَأً تَارِيْخِيًّا؛ لأنَّ إسْرائِيْلَ: هُوَ نَبِيُّ اللهِ يَعْقُوْبُ بنُ إسْحَاقَ بنِ إبْرَاهِيْمَ ﷺ، فَكَانَ تَسْمِيَتُهُم بإسْرَائِيْلَ يُعَدُّ تَزْكِيَةً لهُم؛ لِذَا كَانَ على المُسْلِمِيْنَ أنْ يَذْكُرُوْهُم باليَهُوْدِ، كَما ذَكَرَهُم اللهُ تَعَالى في كِتَابِهِ المبِيْنِ، عِلْمًا أنَّ اليَهُوْدَ لا يرْضَوْنَ مُخَاطَبَتَهُم بيَهُوْدَ؛ لأنَّهُم يَعْلَمُوْنَ أنَّ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ لم تُذْكَرْ عَنْهُم في الوَحْيَيْنِ غَالِبًا إلَّا في مَعْرَضِ الذَّمِّ والتَّوْبِيْخِ!

كَمَا في ذِكْرِنَا لَهُم بإسْرَائِيْلَ: إغْضَاضٌ ضِمْنِيٌّ بنَبِيِّ اللهِ تَعَالى يَعْقُوْبَ ﷺ، حَالَ لَعْنِنَا وسَبِّنَا لهُم باسْمِ: إسْرَائِيْلَ!

* * *

□ وقَالَ آخَرُ: إنَّ التَّوَاطُؤَ والتَّضَامُنَ الغَرِيْبَ بَيْنَ التَّلْمُوْدِ والإنْجِيْلِ دَلِيْلٌ قَاطِعٌ على المُؤامَرَةِ الدُّوَلِيَّةِ ضِدَّ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ والإسْلامِيَّةِ على حَدٍّ سَوَاءٍ.

فَمِثْلُ هَذِهِ الاخْتِرَاقَاتِ والمُنَاقَضَاتِ للاتِّفَقَاتِ والمُعَاهَدَاتِ الدُّوَلِيَّةِ يُعْتَبرُ تَهْدِيْدًا للأمَّتَيْنِ العَرَبِيَّةِ والإسْلامِيَّةِ!

قُلْتُ: لا شَكَّ أنَّ التَّفْرِيْقَاتِ القَوْمِيَّةَ بيْنَ المُسْلِمِيْنَ مِنَ الجَاهِلِيَّةِ النَّتِنَةِ؛ الَّتِي ما كَانَ لهَا أنْ تَأخُذَ هَذَا النُّفُوْذَ في كِتَابَاتِ أهْلِ

الإسْلامِ؛ ولَكِنَّ العَدْوَى الغَرْبِيَّةَ (للأَسَفِ!) قَدْ أصَابَتْ كَثِيْرًا مِنْ أقْلامٍ، وخِطَابَاتِ المُسْلِمِيْنَ.

لِذَا فَإنَّهُ لا يَجُوْزُ شَرْعًا إطْلاقُ التَّفْرِيْقِ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ والعَرَبِ، أو إطْلاقُ الأمَّةِ على كُلٍّ مِنْهُما؛ فَهَذَا شَيءٌ لا يُقِرُّهُ الإسْلامُ، هَذَا إذَا عَلِمْنَا جَمِيعًا أنَّ العَرَبَ لم يَكُنْ لهُم تَارِيْخٌ حَافِلٌ في الحَضَارَةِ، أو الثَّقَافَةِ، أو العِلْمِ إلَّا بَعْدَ إسْلامِهِم، فَهُم في الجَاهِلِيَّةِ الأوْلى لم يَكُوْنُوا شَيْئًا مَذْكُوْرًا في كُتُبِ التَّوَارِيْخِ الحَضَارِيَّةِ والثَّقَافِيَّةِ؛ اللَّهُمَّ إنَّهُم كَانُوا يُذْكَرُوْنَ على اسْتِحْيَاءٍ وقِلَّةٍ، ولا سِيَّما في الإغَارَاتِ، والسَّبِيْءِ، وظُلْمِ المَرْأةِ، والجَهْلِ السَّائِدِ إلَّا بَقِيَّةً قَلِيْلَةً لَيْسَ لها مِنَ الأمْرِ شَيءٌ!

فَمِنْ هُنَا؛ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَحْنُ (العَرَبَ) أنْ نَقُوْلَهَا بِكُلِّ صَرَاحَةٍ: إنَّ حَقِيْقَةَ تَارِيْخِ العَرَبِ، هُوَ تَارِيْخُ الإسْلامِ لَيْسَ إلَّا، فَمَهْمَا حَاوَلْنَا عَبَثًا أنْ نَفْصِلَ بَيْنَ تَارِيْخِ العَرَبِ وتَارِيْخِ الإسْلامِ؛ فَحِيْنَئِذٍ قَدِ اسْتَطَعْنَا أنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ الإسْلامِ والكُفْرِ، وبَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ، وبَيْنَ العِلْمِ والجَهْلِ، وبَيْنَ النُّوْرِ والظُّلُمَاتِ!

وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٠٣]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿...وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ [الرُّوْمُ: ٣١ ـ ٣٢]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢﴾ [الأنبياء: ٩٢].

ومَعَ هَذِهِ المَنَاهِي الشَّرْعِيَّةِ؛ إلَّا أنَّهُ يَجُوزُ التَّفْرِيْقُ بَيْنَ العَرَبِ، وعَامَّةِ المُسْلِمِيْنَ فِيْما إذَا كَانَ الكَلامُ عَنْ خَصَائِصِ العَرَبِ: كالوِلايَةِ، والنَّسَبِ، ونَحْوِ ذَلِكَ، أمَّا إذَا كَانَ المَقَامُ مُتَعَلِّقًا بقَضَايَا المُسْلِمِيْنَ؛ فَلَيْسَ حِيْنَئِذٍ للعَرَبِ خُصُوْصِيَّةٌ عَنْ غَيْرِهِم.

* * *

❑ وقَالَ آخَرُ: إنَّ الصِّهْيُوْنِيَّةَ اليَوْمَ قَدْ أبْدَتْ ارْتِيَاحًا سِيَاسِيًّا مِنْ خِلالِ الانْدِمَاجِ الَّذِي جَاءَ مُؤخَّرًا بَيْنَ كَنِيْسَةِ «الكَاثُولِيْكَ»، وكَنِيْسَةِ «البُرُوتُسْتَانَتْ» ممَّا يُثِيْرُ العَجَبَ والدَّهْشَةَ؛ في الوَقْتِ الَّذِي تَخْتَلِفُ فِيْهِ الكَنِيْسَتَانِ في العَقِيْدَةِ والنُّبُوَّاتِ!

قُلْتُ: لا شَكَّ أنَّ اسْتِخْدَامَ مُصْطَلَحِ «الصِّهْيُوْنِيَّةِ» عَلى إطْلاقِهِ دُوْنَ قَيْدٍ أو إضَافَةٍ، يُعْتَبرُ تَغْرِيْبًا للألْفَاظِ الشَّرعِيَّةِ، وتَفْرِيْغًا لهَا مِنْ مَدْلُولِهَا الشَّرعِيِّ والوَضْعِيِّ.

فَإنَّ الصِّهْيُوْنِيَّةَ وإنْ كَانَتْ حَرَكَةً يَهودِيَّةً مَاكِرَةً خَبِيْثَةً؛ إلَّا أنَّ هَذَا الاسْمَ غَرِيْبُ المَبْنَى بَعِيْدُ المَعْنَى عِنْدَ أكْثَرِ المُسْلِمِيْنَ اليَوْمَ، هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ مَنْصُوْصَاتِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ مُسْتَفِيْضَةٌ بذِكْرِ اليَهُوْدِ والنَّصَارَى، فكَانَ الأوْلى شَرْعًا التَّقَيُّدُ بالاسْمِ الشَّرعِي لَفْظًا وخَطًّا، كَما لا يَجُوْزُ أيْضًا اسْتِخْدَامُ مُصْطَلَحِ «الكَاثُوْلِيْك»، أو «الأرْثُوذِكْس»، أو «البُروتُسْتَانَتْ» أو غَيْرَها مِنْ فِرَقِ النَّصَارَى الصَّلِيْبِيَّةِ، إلَّا عِنْدَ التَّعْرِيْفِ، أو التَّقْيِيْدِ.

وعلَيْهِ؛ فَقَدْ بَاتَ عِنْدَ عامَّةِ المُسْلِمِيْنَ أنَّ كَلِمَةَ اليَهُوْدِ إذَا ذُكِرَتْ في الوَحْيَيْنِ، أو في عِبارَاتِ أهْلِ العِلْمِ لا يَتبادَرُ مِنْهَا إلَّا تِلْكَ الأمَّةُ المَلْعُوْنَةُ، المَغْضُوْبُ عَلَيْهَا، إخْوانُ القِرَدَةِ والخَنازِيْرِ، قَتَلَةُ الأنْبِياءِ والمُسْلِمِيْنَ، نَاكِثُو العُهُوْدِ والوُعُوْدِ... وكَذَا كَلِمَةُ النَّصارَى إذَا ذُكِرَتْ لا يَتبادَرُ مِنْهَا عِنْدَ عامَّةِ المُسْلِمِيْنَ: إلَّا تِلْكَ الأمَّةُ المَلْعُوْنَةُ الضَّالَّةُ الصَّلِيْبِيَّةُ الكَافِرَةُ!

فَكَانَ الأوْلى تَرْكُ وطَرْحُ مُصْطَلَحِ كُلِّ اسْمٍ مِنْ أسْماءِ الفِرَقِ اليَهُوْدِيَّةِ، أو النَّصْرانِيَّةِ، والاكْتِفاءُ بذِكْرِ اليَهُوْدِ والنَّصارَى، أو ذِكْرِهِما مُضافَتَيْنِ لليَهُوْدِ والنَّصارَى؛ كقَوْلِكَ: الصِّهْيُوْنِيَّةُ اليَهُوْدِيَّةُ، والكَاثُولِيْكِيَّةُ النَّصْرانِيَّةُ وهَكَذَا، واللهُ تَعالى أعْلَمُ.

وحَسْبُنا قَوْلُ اللهِ تَعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البَقَرَة: ١٢٠].

وقَالَ تَعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [البَقَرَة: ١١٨].

* * *

☐ وقَالَ آخَرُ: إنَّ زِيَارَةَ الرَّئِيْسِ الأمْرِيْكِي لنَظِيْرِهِ الرُّوسِي لهُوَ دَلِيْلٌ على دَعْمِ المُؤامَرَةِ ضِدَّ المُسْلِمِيْنَ العَرَبِ في فِلَسْطِيْنَ؛ حَيْثُ

صَرَّحَ الأخِيْرُ في إحْدَى الصُّحُفِ البِرِيْطَانِيَّةِ عِنْدَ زِيَارَتِه عَنِ المُحَادَثَاتِ الثُّنَائِيَّةِ الَّتِي أُجْرِيَتْ بَيْنَهُ وبَيْنَ الرَّئِيْسِ الأمْرِيْكِي، بِما يَلِي: «إنَّ المَصَالِحَ الرُّوسِيَّةَ قَوِيَّةٌ، وفي الوَقْتِ نَفْسِهِ غَنِيَّةٌ؛ إذَا حَافَظْنَا على تَسْوِيْقِهَا في دَوْلَةِ إسْرَائِيْلَ...»، الأمْرُ الَّذِي يَجْعَلُنَا نَسْتَلِهُم أنَّ رُوْسِيَا عَازِمَةٌ على تَدْشِيْنِ السُّوْقِ اليَهُوْدِيَّةِ، وهَذَا كَائِنٌ في حِرَاسَةِ دَوْلَةِ يَهُوْدَ مِنْ أيِّ عَدُوٍّ لهَا؛ بمَعْنَى أنَّهم يَعْنُوْنَ دُوَلَ الجِوَارِ في الشَّرْقِ الأوْسَطِ!

قُلْتُ: إنَّ مُصْطَلَحَ «الشَّرْقِ الأوْسَطِ» نَابِعٌ مِنْ إفْرَازَاتِ دُوَلِ الاحْتِلالِ، زِيَادَةً مِنْهُم في تَمْزِيْقِ الأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ، فَإذَا عُلِمَ هَذَا كَانَ وَاجِبًا على الكُتَّابِ المُسْلِمِيْنَ أنْ يَطْمِسُوا هَذَا الاسْمَ مِنْ مَعَاجِمِهِم الكِتَابِيَّةِ، وألْفَاظِهِم الكَلامِيَّةِ، أمَّا الاسْمُ الصَّحِيْحُ لهَذِهِ المَنْطِقَةِ: فَهُوَ المَشْرِقُ الإسْلامِيُّ، كَمَا سَمَّاهُ أهْلُ التَّارِيْخِ الإسْلامِيِّ.

* * *

□ وقَالَ آخَرُ: إنَّ التَّحَرُّكَاتِ الصِّهْيُوْنِيَّةَ في مَدِيْنَةِ القُدْسِ، والتَّحَرُّشَاتِ الاسْتِفْزَازِيَّةَ بالشَّعْبِ الفِلِسْطِيْنِي، وكَذَا الرَّحَلاتِ المَكُوْكِيَّةَ بَيْنَ رَئِيْسِ الوُزَرَاءِ الصِّهْيُونِيِّ، والرَّئِيْسِ الأمْرِيْكِيِّ، كُلُّ هَذَا تَمْهِيْدٌ وتَعْبِيْدٌ لبِنَاءِ هَيْكَلِ سُلَيْمَانَ المَزْعُوْمِ على أنْقَاضِ القُدْسِ، ويَدُلُّ على هَذَا العَمَلِ الإجْرَامِيِّ: الاسْتِمْرَارُ المَكْشُوْفُ في شَقِّ الأنْفَاقِ تَحْتَ المَسْجِدِ الأقْصَى، كَما يُسَانِدُ هَذَا الفِعْلَ الصِّهْيُونيَّ تَدْشِيْنُ العَوَاطِفِ المُتَطَرِّفَةِ مِنْ يَهُوْدَ مِنْ خِلالِ ذَبْحِ البَقَرَةِ الحَمْرَاءِ، وبِنَاءِ حَائِطِ

المَبْكَى... وهَذا وَاضِحٌ عَبْرَ «الزَّخَمِ» الإعْلامِيِّ العَالمي كُلَّ يَوْمٍ.

قُلْتُ: لا يَجُوْزُ إطْلاقُ كَلِمَةِ «الشَّعْبِ» على إخْوانِنَا المُسْلِمِيْنَ في فِلِسْطِيْنَ؛ لأنَّ مُصْطَلَحَ «الشَّعْبِ» لا يُطْلَقُ على العَرَبِ، بَلْ هُوَ مِنْ خَاصَّةِ العَجَمِ والفُرْسِ ونَحْوِهِم، أمَّا العَرَبُ فَيُطْلَقُ عَنْهُم كَلِمةُ «قَبَائِلَ»، كَما قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحُجُرَاتُ: ١٣].

ثُمَّ إنَّنا نَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الإعْلامِيِّيْنَ للأسَفِ يَسْتَخْدِمُوْنَ كَلِمَةَ «الزَّخَمِ» في تَعْبِيرِهِم عَنْ كَثْرَةِ الشَّيءِ، وهَذَا خَطأٌ لا تُقِرُّه اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ؛ لأنَّ الزَّخَمَ في اللُّغَةِ: هُوَ الرَّائِحَةُ الكَرِيْهَةُ، وقِيْلَ: اللَّحْمُ كَثِيرُ الدَّسَمِ، وهَذَا هُوَ المَعْرُوْفُ في المَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ، لَيسَ إلَّا.

* * *

❑ وقَالَ آخَرُ: لم تَزَلْ دُوَلُ الاسْتِعْمارِ في تَحرُّكَاتِها المَشْبُوْهَةِ نَحْوَ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ، بَيْنَ الحِيْنِ والآخَرِ.

قُلْتُ: إنَّ إطْلاقَ مُصْطَلحِ: «دُوَلِ الاسْتِعْمَارِ» علَى الدُّوَلِ الكَافِرَةِ الَّتِي اجْتَاحَتْ بِلادَ المُسْلِمِيْنَ لَيْسَ بصَوَابٍ مِنْ وَجْهَيْنِ.

الأوَّلُ: أنَّ في هَذِهِ التَّسْمِيَةِ تَغْلِيْفًا لحَقِيْقَةِ دَوْرِ وأهْدَافِ هَذِهِ الدُّوَلِ الكَافِرَةِ، فَهِيَ في حَقِيْقَتِها دُوَلُ احْتِلالٍ ودَمَارٍ، وغَزْوٍ لبِلادِ المُسْلِمِيْنَ.

الثَّاني: أنَّ كَلِمَةَ «اسْتِعْمارٍ» مُشْتَقَّةٌ مِنَ التَّعْمِيْرِ والبِنَاءِ، وهَذَا المَعْنَى أيْضًا مُنْتَفٍ في دَوْرِ هَذِهِ الدُّوَلِ؛ فَكَانَ تَسْمِيَتُهَا: بِدُوَلِ الاحْتِلالِ، أو دُوَلِ الدَّمَارِ، أو نَحْوِهِ، هُوَ الصَّوَابُ لُغَةً وشَرْعًا.

* * *

❐ وقَالَ آخَرُ: إنَّ الاجْتِماعَاتِ البِرْلَمانِيَّةَ المُتَعاقِبَةَ في البَيْتِ الأبْيَضِ الأمْرِيْكي في غُضُوْنِ هَذِهِ الأيَّامِ؛ يُعَدُّ صَفْعَةً قَوِيَّةً لاجْتِماعِ قِمَّةِ الجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ؛ وذَلِكَ يَوْمَ شَاهَدَ العَالَمُ تِلْكَ القَرَارَاتِ التَّعَسُّفِيَّةَ، والتَّهْدِيْدَاتِ اللَّادِيْمُقْرَاطِيَّةَ بِشَأنِ الْتِزَامِ القِمَّةِ بِعَدَمِ إدَانَةِ الحُكُوْمَةِ الصِّهْيُونِيَّةِ، بِأيِّ شَيءٍ يَمَسُّ شَرْعِيَّتَهَا، ومَا تَتَّخِذُهُ هَذِهِ الأيّامَ ضِدَّ الأهَالي العُزَّلِ، مَعَ السَّعْي إلى وَقْفِ الانْتِفَاضَةِ الفِلِسْطِيْنِيَةِ، وكَذَا تَحْجِيْمِ ووَقْفِ حَرَكَةِ المُقَاوَمَةِ في فِلِسْطِيْنَ، لا سِيَّما في الضَّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ وقِطَاعِ غَزَّةَ!

قُلْتُ: هُنَا مَلْحُوْظَاتٌ:

فأمَّا **الأوْلى**: لا شَكَّ أنَّ الجَامِعَةَ العَرَبِيَّةَ، والقِمَّةَ العَرَبِيَّةَ، وغَيْرَهَا تُعَدُّ مِنَ القَوْمِيَّاتِ العَرَبِيَّةِ الَّتِي مَا أنْزَلَ اللهُ بِها مِنْ سُلْطَانٍ؛ وهَلْ انْفَرَدَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ يَوْمًا مِنَ الأيَّامِ بِالعَرَبِ قَطُّ دُوْنَ سَائِرِ المُسْلِمِيْنَ لِلنَّظَرِ في قَضَايَا الأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ، أو خَاضَ مَعْرَكَةً ضِدَّ أعْدَاءِ الدِّيْنِ مُنْفَرِدًا بالعَرَبِ؟ كَلَّا!

وهَلْ يَنْسَى أحَدٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ: بِلالاً الحَبَشِيَّ، وسَلْمَانَ

الفَارِسِيَّ، وصُهَيْبًا الرُّومِيَّ، وصَلاحَ الدِّيْنِ الأيُّوبيَّ الكُرْدِيَّ، في غَيْرِهِم مِنَ غَيْرِ العَرَبِ!

وهَلْ كَانَ يَوْمُ الخَنْدَقِ: إلَّا لسَلْمَانَ الفَارِسِيِّ رضي الله عنه، يَوْمَ أشَارَ على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بحفْرِ الخَنْدَقِ.

إنَّ مِثْلَ هَذِهِ التَّحَزُّبَاتِ، والنَّعَرَاتِ كَافِيَةٌ في القَضَاءِ على مَا بَقِيَ مِنْ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ!

كَما لا نَنْسَى أنَّ في مِثْلِ هَذِهِ التَّفْرِيْقَاتِ: تَجْمِيْدًا، وتَهْمِيْشًا لعَدَدٍ كَبِيْرٍ لا يُسْتَهَانُ بِهِ مِنَ المُسْلِمِيْنَ، هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ مَا تَملِكُه دَوْلَةُ بَاكِسْتَانَ، وأفْغَانِسْتَانَ، ودُوَلُ شَرْقِ آسِيَا، وغَيْرَهَا مِنْ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ (المُهَمَّشَةِ عِنْدَ العَرَبِ) مِنَ العُدَدِ، والعَتَادِ، والمُعِدَّاتِ، والطَّاقةِ، والرِّجَالِ مَا يَكْفِي لتَحْرِيْرِ العَالمِ أجْمَعَ، واللهُ تَعَالى أعْلَمُ.

هَذَا إذَا عَلِمَ الجَمِيْعُ أيْضًا أنَّ الجَامِعَةَ العَرَبِيَّةَ مُنْذُ نَشْأتِهَا لم تُقَدِّمْ للقَضِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ حَلًّا جَذْرِيًّا فَاصِلاً، اللَّهُمَّ إلَّا التَّنْدِيْدَاتِ والمُؤتمرَاتِ، وتَعْلِيْقَ مَصَالِحِ وحُلُوْلِ القَضِيَّةِ بمَجْلِسِ الأمْنِ، وهَيْئَةِ الأمَمِ، وغَيرِهَا مِنَ الأوْكَارِ والمُنَظَّماتِ الَّتي يَعْلَمُ الجَمِيْعُ أنَّ مِنْ أهَمِّ أهْدَافِ هَذِهِ المُنَظَّماتِ وقَرَارَاتِهَا: هُوَ تَثْبِيْتُ، وتَعْزِيْزُ، ومُنَاصَرَةُ اليَهُوْدِ في فِلَسْطِيْنَ، ومَدُّهَا بالمَالِ والرِّجَالِ، والعَتَادِ والسِّلاحِ!

وهَلْ أحَدٌ يَجْهَلُ حَقِيْقَةَ دَوْلَةِ اليَهُوْدِ؟ فَقَدْ بَاتَ لَدَى الخَاصَّةِ والعَامَّةِ أنَّ دَوْلَةَ اليَهُوْدِ المُحْتَلَةِ لأرْضِ فِلَسْطِيْنَ مَا هِيَ إلَّا صَنِيْعَةٌ

نَصْرَانِيَّةٌ صَلِيْبِيَّةٌ غَاشِمَةٌ ظَالمَةٌ، وأنَّهَا قَدْ خَرجَتْ للعَالمِ مِنْ رَحِم بَغَايا المُومِسَاتِ، وشُذَّاذِ اللُّقَطَةِ مِنْ أطْرَافِ البِلادِ الكَافِرَةِ!

فَكَانَت بِرِيْطَانِيا الصَّلِيْبِيَّةُ: هِيَ أوَّلُ الدُّوَلِ النَّصْرَانِيَّةِ الَّتِي تَوَلَّت كِبْرَ هَذِهِ المُؤامرَةِ، وسَعَتْ في قِيَامِ دَوْلَةِ اليَهُوْدِ على أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، وذَلِكَ بإطْلاقِ وَعْدِ «بِلْفُوْر»، ثُمَّ لما آذَنَتْ بِرِيْطَانِيَا بالرَّحِيْلِ (بلا رَجْعَةٍ) مِنْ أرْضِ فِلِسْطِيْنَ عِنْدَ انْتِهَاءِ انْتِدَابِها الغَاشِم قَامَتْ بتَمْكِيْنِ اليَهُوْدِ مِنْ إدَارَةِ دُفَّةِ القِيَادَةِ في فِلِسْطِيْنَ، وذَلِكَ بتَسْلِيْمِهَا كُلَّ الأسْلِحَةِ والمَطَارَاتِ والمبَاني الحَكُوْمِيَّةِ، وتَركَتِ المُسْلِمِيْنَ في فِلِسْطِيْنَ عُزَّلاً مِنْ كُلِّ شَيءٍ يتَقَوَّوْنَ بِهِ في دَفْعِ القَتْلِ والظُّلْمِ الَّذِي نَزَلَ بِهِم مِنَ العَدُوِّ الجَدِيْدِ، وهُوَ الوُجُوْدُ اليَهُوْدِيُّ الصَّائِلُ.

وبَعْدَ الرَّحِيْلِ البرِيْطَانيِّ النَّصْرَانيِّ، جَاءَتْ دَوْلَةُ الكُفْرِ والنِّفَاقِ أمْرِيْكا النَّصْرَانِيَّةُ لِتُكمِلَ المَسْيرَةَ اليَهُودِيَّةَ في ظُلْمِهَا وجَوْرِهَا، وذَلِك بدَعْمِهَا المَاليِّ والسِّيَاسِيِّ.

ومِنْ قَبْلُ لم تَتأخَّرْ أيْضًا أكْثَرُ الدُّوَلِ الصَّلِيْبِيَّةِ والشُّيُوعِيَّةِ كَألمَانِيا والرُّوْسِ وغَيْرِهِما، مِنْ تَمْكِيْنِ وتَشْجِيْعِ الهِجْرَةِ اليَهُوْدِيَّةِ إلى فِلِسْطِيْنَ بكُلِّ مَا تَمْلِكُ مِنْ رَحَلاتٍ بَرِّيَّةٍ وبَحْرِيَّةٍ وجَوِّيَّةٍ!

وهَلْ بَعْدَ هَذَا؛ يَظُنُّ مَنْ لَهُ مِسْكَةُ عَقْلٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ أنْ مَجْلِسَ الأمْنِ أو نَحْوَهِ مِنْ أوْكَارِ اليَهُوْدِ والنَّصَارَى أنَّهُ سَوْف يَقِفُ أو سَيَنْصُرُ القَضِيَّةَ الفِلِسْطِيْنِيَّةَ؟ اللَّهُمَّ لا!

وهَذَا للأسَفِ هُوَ الأمْرُ الَّذِي لم تَزَلْ جَامِعَةُ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ تَسْعَى إلَيْهِ، وتَبْحَثُ عَنْهُ، وتُعَلِّقُ عَلَيْهِ آمَالَهَا في حَلِّ القَضِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ!

ومِنَ الخِزْيِ والعَارِ أنْ يَعْلَمَ أبْنَاءُ المُسْلِمِيْنَ أنَّ أوَّلَ مَشْرُوْعٍ طَرَحَتْهُ الجَامِعَةُ العَرَبِيَّةُ لِمُنَاصَرَةِ القَضِيَّةِ في فِلِسْطِيْنَ: هُوَ تَجْرِيْدُ كُلِّ المُسْلِمِيْنَ في فِلِسْطِيْنَ، ولا سِيَّما المُقَاوَمَةُ الإسْلامِيَّةُ مِنَ السِّلاحِ، بِذَرِيْعَةِ أنَّ مَجْلِسَ الأمْنِ هُوَ الجِهَةُ المَعْنِيَّةُ في حَلِّ القَضِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ، ومِنْ هُنَا أصْبَحَ المُسْلِمُوْنَ في فِلِسْطِيْنَ جُنْدًا عُزْلاً ضُعَفَاءَ أمَامَ الجَيْشِ اليَهُوْدِيِّ الصَّائِلِ الغَاشِمِ الَّذِي لا يَرْحَمُ صَغِيْرًا ولا كَبِيْرًا!

* * *

أمَّا **الثَّانِيَةُ**: لا شَكَّ أنَّ تَسْمِيَةَ الجِهَادِ الفِلِسْطِيْنِيِّ بـ «الانْتِفَاضَةِ»، شَيءٌ لا يُقِرُّهُ الإسْلامُ، فَما يَقُوْمُ بِهِ أطْفَالُ الحِجَارَةِ في فِلِسْطِيْنَ ضِدَّ يَهُوْدَ: لَهُوَ مِنْ أعْظَمِ الجِهَادِ هَذِهِ الأيَّامَ.

كَما لا نَنْسَى أنَّ وَرَاءَ هَذِهِ المُصْطَلَحَاتِ المَشْبُوْهَةِ: اليَهُوْدُ، والنَّصَارَى الَّذِيْنَ لا يُرِيْدُوْنَ أنْ تَرْتَفِعَ للمُسْلِمِيْنَ رَايَةٌ جِهَادِيَّةٌ، أو صَوْتٌ يُنَادِي باسْمِ الجِهَادِ، لِعِلْمِهِم أنَّ المُسْلِمِيْنَ لا يُحَرِّكُهُم، ولا يُوْقِظُهُم مِنْ سُبَاتِهِم إلَّا كَلِمَةُ: «حَيَّ على الجِهَادِ»!

لِذَا وَجَبَ على حُمَاةِ الإسْلامِ مِمَّنْ لَهُ صَوْتٌ، أو قَلَمٌ إسْلامِيٌّ

أنْ يَكْسُوَ الانْتِفَاضَةَ الفِلِسْطِيْنِيَّةَ باسْمِ الجِهَادِ الإسْلامِيِّ؛ كَقَوْلِهِم: المُقَاوَمَةُ الجِهَادِيَّةُ، أو النَّهْضَةُ الجِهَادِيَّةُ، أو أطْفَالُ الجِهَادِ، أو أطْفَالُ الحِجَارَةِ المُجَاهِدُوْنَ، ونَحْوِهَا، والأوَّلُ قَرِيْبٌ، واللهُ تَعَالى أعْلَمُ.

* * *

أمَّا **ثَالِثًا**: كَانَ مِنَ الخَطأ الشَّرْعِيِّ، أنَّ نُسَمِّي كُلَّ جِهَادٍ يَقُوْمُ بِهِ المُسْلِمُوْنَ ضِدَّ أعْدَائِهِم مِنَ اليَهُوْدِ والنَّصَارَى، لا سِيَّما في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ: أنَّهُ مُقَاوَمَةٌ!

فَهَذَا مِنْ تَغْرِيْبِ الألْفَاظِ الشَّرْعِيَّةِ، وتَفْرِيْغِهَا مِنْ مَعْنَاهَا الصَّحِيْحِ، كَمَا فِيْهِ تَحْرِيْفٌ للكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وتَلْبِيْسٌ للحَقِّ بالبَاطِلِ، كَمَا فِيْهِ مُتَابَعَةٌ وتَقْلِيْدٌ لأنْظِمَةِ القَوَانِيْنِ الوَضْعِيَّةِ الكَافِرَةِ في مَعَاجِمِهَا الدُّوَلِيَّةِ؛ حَيْثُ نَصَّتْ أكْثَرُ المُنَظَّماتِ والحُقُوْقِ الدُّوْلِيَّةِ: أنَّ كُلَّ جَماعَةٍ تُدَافِعُ عَنْ أرْضِهَا المُحْتَلَّةِ، فَلَهَا الحَقُّ في الدِّفَاعِ عَنْ أرْضِهَا، وأنَّ مَا تَقُوْمُ بِهِ يُسَمَّى مُقَاوَمَةً نِظَامِيَّةً!

ونَحْنُ وكُلُّ مِلَلِ الكُفْرِ، نَعْرِفُ مَعْنَى كَلِمَةِ «الجِهَادِ»، فالجِهَادُ كَلِمَةٌ شَرْعِيَّةٌ قِتَالِيَّةٌ لَهَا وَقْعُهَا وأثَرُهَا وتَأثِيرُهَا وتَارِيْخُهَا وحَقَائِقُهَا الشَّرعِيَّةُ والتَّارِيخِيَّةُ، والقَوْمُ أيْضًا يَعْلَمُوْنَ مَا لِهَذِهِ الكَلِمَةِ مِنْ أثَرٍ في نُفُوْسِهِم، وتَارِيخِهِم مَعَ المُسْلِمِيْنَ المُجَاهِدِيْنَ على مَرِّ التَّارِيْخِ، فتَأمَّلْ!

* * *

ومِنْ بَقَايَا الأَسفِ، وخَبَايَا الضَّعْفِ أنَّ طَائِفَةً مِنَ المُنْتَسِبِيْنَ إلى العِلْمِ الشَّرعِيِّ هَذِهِ الأيَّامِ قَدْ رَقَّ دِيْنُهم، وانْكَشَفَ ضَعْفُهُم يَوْمَ حَرَّفُوا الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، ورَكَنُوا إلى المُرَاوغَةِ والمماحَلَةِ في تَغْرِيْبِ الأَلْفَاظِ الشَّرعِيَّةِ، تَحتَ غَاشِيَةِ الهَجْمَةِ الشَّرِسَةِ الَّتِي أطْلَقَتْهَا أنْظِمَةُ دُوَلِ الكُفْرِ مِنَ اليَهُوْدِ والنَّصارَى، يَوْمَ تَرَاهُم يَنْظُرُوْنَ إلى الأَلْفَاظِ الشَّرعِيَّةِ بطَرْفٍ خَفِيٍّ، لا يَسْتَطِيْعُوْنَ حِيْلَةً ولا سَبِيْلاً، فَتَراهُم في كِتَابَاتِهِم ولِقَاءاتِهِم لا يَقْدِرُوْنَ أنْ يَتفَوَّهُوا، أو أنْ يَصِفُوا مَا يَحْدُثُ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، والعِرَاقِ، وغَيرِهَا: بأنَّهُ جِهَادٌ شَرْعِيٌّ، بَلْ يَصِفُوْنَهُ: بالمُقَاوِمَةِ، ورُبَّمَا وَصَفُوْهَا: بالمُقَاوِمَةِ الشَّرعِيَّةِ، إلَّا أنَّهُم يَقْصِدُوْنَ بِهَا: الشَّرعِيَّةَ الدُّوَلِيَّةَ!

وقَدْ وَقَعَتْ عَيْنِي مُؤخَّرًا على كِتَابٍ لأحَدِهِم، وقَدْ حَشَرَهُ مِنْ بَابِهِ إلى مِحْرَابِهِ، ومِنْ أوَّلِهِ إلى آخِرِه بكَلِمَةِ المُقَاوَمَةِ، مُسْتَنْكِفًا عَنْ لَفْظَةِ الجِهَادِ الشَّرْعِيَّةِ، فاللهُ يَهْدِيْنَا وإيَّاهُ آمِيْنَ!

ومَهْمَا ذُكِرَ مِنْ ضَعْفٍ عِنْدَ بَعْضِ كُتَّابِنَا أو غَيْرِهِم، إلَّا أنَّنَا مُوْقِنُوْنَ بأنَّ أنَّ الأُمَّةَ الإسْلامِيَّةَ هَذِهِ الأيَّامَ لَنْ تُرَاهِنَ على مَوَاقِفِهَا الحَاسِمَةِ، وقَضَايَاهَا المَصِيرِيَّةِ مِنْ خِلالِ ضَعْفِ المَسَاكِيْنِ، أو مَوَاقِفِ المُنْهَزِمِيْنَ!

فالأُمَّةُ هَذِهِ الأيَّامَ (وللهِ الحَمْدُ) قَدْ خَطَّتْ طَرِيْقَهَا، وشَقَّتْ سَبِيْلَهَا في مَعْرِفَةِ العُلَماءِ الرَّبَّانِيِّيْنَ، والمُجَاهِدِيْنَ الصَّادِقِيْنَ، فَلَيْسَ

عِنْدَهَا اليَوْمَ للمَصَالِحِ الشَّخْصِيَّةِ، والمَوَاقِفِ الانْتِهَازِيَّةِ نَصِيْبٌ يُرْتَجَى، أو مُسَاوَمَةٌ تُبْتَغَى!

ومِنْ هُنَا؛ فلْيَعْلَمِ الجَمِيْعُ أنَّ المُقَاوَمَةَ الَّتِي يَقُوْمُ بِهَا المُسْلِمُوْنَ مِنْ أجْلِ الدِّفَاعِ عَنْ دِيْنِهِم وأرْضِهِم لا سِيَّما في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ والعِرَاقِ وغَيرِهَا مِنْ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ: هُوَ في حَقِيْقَتِهِ جِهَادٌ شَرْعِيٌّ، عَرِيْقُ الأصْلِ وَثِيْقُ الوَصْلِ بتَارِيْخِ الأمَّةِ العِلْمِيِّ والعَمَلِيِّ، ومَنْ خَالَفَ ذَلِك فَقَدْ خَالَفَ إجمَاعَ الأمَّةِ سَلَفًا وخَلَفًا، واللهُ المُوَفِّقُ، والهَادِي إلى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

وهُنَاكَ أيْضًا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مَنْظُوْمَةِ التَّحْلِيْلاتِ الفِكْرِيَّةِ، عِلمًا أنَّنَا لا نَتَّهِمُ نَوَايَا هَؤلاءِ الأخْبَارِيِّيْنَ مِنَ المُفَكِّرِيْنِ وغَيْرِهِم؛ بقَدْرِ مَا نُعَاتِبُهُم على الإغْرَاقِ في تَحلِيْلِ الأخْبَارِ، ومُتَابَعَتِهَا حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ على حِسَابِ مَا هُوَ أهَمُّ، وذَلِك في البَحْثِ عَنِ الحَلِّ الإسْلامِيِّ لا أكْثَرَ، واللهُ المُوَفِّقُ.

فاحْتِلالُ يَهُوْدَ لبَيْتِ المَقْدِسِ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ كَافٍ في حَدِّ ذَاتِهِ لتَحْرِيْكِ المُسْلِمِيْنَ نَحْوَ البَحْثِ عَنِ اتِّخاذِ المَوْقِفِ الشَّرعِيِّ الصَّحِيْحِ تُجَاهَ القَضِيَّةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ.

وهُنَاكَ الكَثِيْرُ والكَثِيْرُ مِنَ الأخْطَاءِ الشَّرعِيَّةِ الَّتِي تَرَكَتْهَا التَّحْلِيْلاتُ الأخْبَارِيَّةُ، والإفْرَازَاتُ الفِكْرِيَّةُ في نُفُوْسِ أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ؛ حَتَّى أمْسَى الوَاحِدُ مِنْهُم للأسَفِ سُرْعَانَ مَا يَسْمَعُ بفَاجِعَةٍ ضِدَّ

المُسْلِمِيْنَ يَنْقَلِبُ إلى مَكْتَبِهِ، ويُضِيءُ مِصْبَاحَهُ، ويَنْشُرُ أوْرَاقَهُ؛ ثُمَّ يُفَكِّرُ ويُقَدِّرُ، ويُقْبِلُ ويُدْبِرُ: بَاحِثًا عَنْ أبْعَادِ القَضِيَّةِ، ومُلابَسَاتِها، وتحَلِيْلِ الظُّرُوْفِ الَّتِي تَكْتَنِفُهَا؛ جَاهِدًا نَفْسَهُ وفِكْرَهُ؛ كَي يُبَصِّرَ الأمَّةَ الإسْلامِيَّةَ سَواءَ السَّبِيْلِ، ويَضَعَ يَدَهُ على خَفَايَا الأمُوْرِ تَجْلِيَةً لسَبَبِ القَضِيَّةِ، وإزَاحَةً للرُّكَامِ القَاتِمِ مِنْ أمَامِ أعْيُنِ المُسْلِمِيْنَ، وهَكَذَا في دَوَّامَةٍ فِكْرِيَّةٍ!

كَما نَجِدُ في المُقَابِلِ جُمُوعًا كَبِيرةً مِنَ أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ عِنْدَ نُزُوْلِ أمْثَالِ هَذِهِ المَصَائِبِ والمَذَابِحِ بالمُسْلِمِيْنَ يَقِفُوْنَ بِكُلِّ وَلَعٍ وهَلَعٍ يَنْتَظِرُوْنَ صُدُوْرَ تِلْكُمُ المَجَلَّاتِ الإسْلامِيَّةِ على شَوْقٍ وهُيَامٍ عَسَاهُم يَقْرَؤوْنَ شَيْئًا مِنَ هَذِهِ التَّحْلِيْلاتِ الفِكْرِيَّةِ لتَدْفَعَ عَنْهُم بَعْضَ الضَّيْمِ والحُزْنِ، وتُطْفِيءَ الحمَاسَ المُتَوَقِّدَ، وتَطْمَئِنَّ لهَا القُلُوْبُ، وتَسْتَرْخِي بَعْدَهَا الأعْصَابُ، وتَنَامَ عَلَيْهَا العُيُوْنُ، وبَعْدَهَا كَأنَّ شَيْئًا لم يَكُنْ!

نَعَمْ هَذِهِ حَقَائِقُ يَنْبَغِي أنْ نَقِفَ مَعهَا طَوِيلاً، فَهَلْ عَرَفْتُم مَاذَا نُرِيْدُ؟! فَكَانَ الأوْلى مِنْ هَذِهِ التَّحْلِيْلاتِ الأخْبَارِيَّةِ الاسْتِفَادَةَ مِنْ طَاقَةِ وحَمَاسِ أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ، وتَوْظِيْفَ مَا عِنْدَهُم مِنْ قُدُرَاتٍ في نُصْرَةِ القَضَايَا الإسْلامِيَّةِ؛ لا أنْ تُدَاعِبَ هَذِهِ المَشَاعِرُ، وتُغَازَلَ تِلْكَ العَوَاطِفُ بتَحْلِيْلاتٍ فِكْرِيَّةٍ صَمَّاءَ بَكْمَاءَ دُوْنَ حِرَاكٍ للإيْمَانِ.

* * *

أمَّا إذَا سَألْتَ عَنِ المَجَلَّاتِ، والصُّحُفِ، والأقْلامِ الَّتِي عُنِيَتْ واهْتَمَّتْ بتَحْلِيْلِ الأخْبَارِ، بنَقْلِ الأخْبَارِ، ونَشْرِهَا: فَهِيَ كَثِيْرَةٌ جِدًّا

للأسَفِ، وإنِّي حَابِسٌ قَلَمِي عَنْ ذِكْرِهَا، وذِكْرِ أصْحَابِها وأقْلامِهَا؛ حَتَّى تَبْقَى سَفِيْنَةُ النَّجَاةِ مَاخِرَةً ولَوْ في كِلالٍ، وتَبْقَى النَّصِيْحَةُ سَائِرَةً في قُلُوْبِ الرِّجَالِ!

❐ وأخِيْرًا؛ فَهَذِهِ وَقَفَاتٌ مَعَ مَنْهجِ النَّبِيِّ ﷺ في التَّعامُلِ مَعَ القَضَايَا الإسْلامِيَّةِ بعَامَّةٍ، ومَعَ اليَهُوْدِ بخَاصَّةٍ؛ ما يُنْبِئُك بشَيءٍ مِنَ الهِدَايَةِ والرَّشَادِ في التَّعَامُلِ مَعَ قَضَايَانَا اليَوْمَ مَعَ اليَهُوْدِ في أرْضِ الإسْرَاءِ والمِعْرَاجِ ببِلادِ فِلَسْطِيْنَ، فَإلى بَيَانِها: بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا شِيَةَ فِيْهَا!

❐ ❐ ❐

الفَصْلُ الثَّالِثُ

مَنْهَجُ النَّبِيِّ ﷺ في التَّعَامُلِ مَعَ القَضَايَا الإسْلامِيَّةِ

أمَّا إنْ سَألْتَ أخِي المُسْلِمُ عَنِ المَخْرَجِ مِنْ هَذِهِ الأخْبَارِ والاسْتِخْبَارَاتِ؛ فَهُوَ الأخْذُ بنَاصِيَةِ المَنْهَجِ النَّبَوِيِّ في سِيْرَتِهِ ﷺ؛ ولا سِيَّمَا في مُعَامَلَتِهِ ﷺ مَعَ مِثْلِ هَذِهِ القَضَايَا النَّازِلَةِ.

فَلَنَا في سِيْرَتِهِ ﷺ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لمنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ واليَوْمَ الآخِرَ، ويُرِيْدُ أنْ يُعِيْدَ للأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ عِزَّهَا، ومَجْدَهَا التَّلِيْدَ.

كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحْزَابُ: ٢١].

فَعِنْدَ أوَّلِ قِرَاءَةٍ للسِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ يَجِدُ المُسْلِمُ حَقَائِقَ وحُلُولاً جَلِيَّةً وَاضِحَةً لا تَحْتَاجُ مِنَّا إلَّا الصِّدْقَ مَعَ اللهِ تَعَالى في رَغْبَتِنَا في تَحْرِيْرِ فِلِسْطِيْنَ المُحْتَلَّةِ لا غَيْرَ!

هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ الوَقَائِعَ والغَزَوَاتِ والسَّرَايَا في عَهْدِهِ ﷺ كَانَتْ كَثِيْرَةً جِدًّا؛ إلَّا أنَّنَا نَرَى مِنَ المُنَاسِبِ أنْ نَذْكُرَ مِنْهَا مَا لَهُ صِلَةٌ كَبِيْرَةٌ بقَضِيَّتِنَا مَعَ يَهُوْدَ، فَكَانَ ذِكْرُنَا لمَوَاقِفِهِ ﷺ مَعَ يَهُوْدِ بَنِي قَيْنُقَاعٍ،

وبَنِي قُرَيْظَةَ، وبَنِي النَّضِيْرِ، وخَيْبَرَ أبْلَغ مِثَالاً، وأحْسَنَ حَالاً، واللهُ المُوَفِّقُ، والهَادِي إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ.

* * *

□ وقَبْلَ أنْ نَشْرَعَ في ذِكْرِ سِيْرَتِهِ ﷺ في تَعَامُلِهِ مَعَ اليَهُوْدِ آنَذَاكَ، أحْبَبْنَا أنْ نَذْكُرَ نُتَفًا مِنْ سِيْرَتِهِ ﷺ حَتَّى يَقْرُبَ لَنَا الطَّرِيْقُ، ويُوْضَحَ لَنَا السَّبِيْلُ في مَوْقِفِنَا مَعَ مِثْلِ هَذِهِ القَضَايَا العَصْرِيَّةِ العَصِيْبَةِ!

فَحَسْبُنَا أنْ نَأخُذَ مِنْ حُلُوْلِهِ ﷺ في مِثْلِ هَذِهِ المَوَاقِفِ شِعَارًا نَجْعَلُهُ دَائمًا رَايَةً فَوْقَ رُؤوسِنَا، وصَيْحَةً نُرَدِّدُهَا على مَنَابِرِنَا؛ وهِيَ قَوْلُهُ ﷺ: **«مَنْ يُبَايِعُ على المَوْتِ»**؟!

ومُنَاسَبَةُ هَذِهِ الكَلِمَةِ العَصْمَاءِ الَّتِي قَدْ نَسِيَهَا أو تَنَاسَاهَا كَثِيْرٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ أنَّهُ ﷺ قَالَ حِيْنَ بَلَغَهُ أنَّ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ ﵁ قَدْ قُتِلَ: لا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ القَوْمَ، فَدَعَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ النَّاسَ إلى البَيْعَةِ، فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَكَانَ النَّاسُ يَقُوْلُوْنَ: «بَايَعَهُم رَسُوْلُ اللهِ ﷺ على المَوْتِ»(١).

---

(١) انْظُرْ: «سَيْرَةَ ابنِ هِشَامٍ» (٣/ ٤٢٦)، والبُخَارِيَّ (٠٧/ ٤٤٨)، ومُسْلِمًا (٣/ ١٤٨٦)، ولِلْبُخَارِيِّ ألْفَاظٌ قَرِيْبَةٌ. انْظُرْهَا في «الفَتْحِ» (١٢/ ٧٩)، وانْظُرْ أيْضًا: تَوْفِيْقَ ابنِ حَجَرٍ ﵀ لِهَذِهِ الألْفَاظِ، وعِنْدَ مُسْلِمٍ (٣/ ١٤٨٣)، أنَّ جَابِرَ بنَ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «إنَّ رَسُوْلَ اللهِ؟ لم يُبَايِعْنَا على المَوْتِ؛ ولَكِنْ بَايَعْنَا على أنْ لا نَفِرَّ»، قُلْتُ: أيًّا كَانَ الأمْرُ فِكَلاهُما حَلٌّ شَرعِيٌّ نَبَوِيٌّ سَوَاءٌ كَانَتْ بَيْعَةً على المَوْتِ، أو على عَدَمِ الفِرَارِ، فَتَأمَّلْ!

❑ أمَّا مَواقِفُهُ ﷺ مع يَهُوْدَ؛ فَكَثِيْرَةٌ؛ حَسْبُنَا مِنْهَا مَا يَلي:

❑ غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ: ذَكَرَتْ كُتُبُ السِّيَرِ سَبَبَيْنِ لِهَذِهِ الغَزْوَةِ:

الأوَّلُ: أنَّ يَهُوْدَ بَنِي قَيْنُقَاعٍ أظْهَرُوا الغَضَبَ والحَسَدَ عِنْدَمَا نَصَرَ اللهُ المُسْلِمِيْنَ بِبَدْرٍ، ويَظْهَرُ ذَلِكَ في مَوْقِفِهِم مِنَ الرَّسُوْلِ ﷺ عِنْدَمَا جَمَعَهُم في سُوْقِهِم بَعْدَ بَدْرٍ، وقَالَ لهُم: «**يَا مَعْشَرَ يَهُوْدَ أسْلِمُوا قَبْلَ أنْ يُصِيْبَكُم مِثْلُ مَا أصَابَ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ لا يَغُرنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا في قُرَيْشٍ كَانُوا أغْمارًا لا يَعْرِفُوْنَ القِتَالَ، إنَّكَ لو قَاتَلْتَنا لعَرَفْتَ أنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وأنَّكَ لم تَلْقَ مِثْلَنَا**»، فأنْزَلَ اللهُ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢]، أبُو دَاوُدَ (٣٠٠١)، وقَدْ حَسَّنَهُ ابنُ حَجَرٍ في «الفَتْحِ» (١٥/ ٢٠٤).

والسَّبَبُ الثَّاني: هُوَ أنَّ أحَدَهُم عَقَدَ طَرَفَ ثَوْبِ امْرَأةٍ مُسْلِمَةٍ في سُوْقِ بَنِي قَيْنُقَاعٍ، فَلَّما قَامَتِ انْكَشَفَتْ، فَصَاحَتْ مُسْتَنْجِدَةً، فَقَامَ أحَدُ المُسْلِمِيْنَ فَقَتَلَ اليَهُوْدِيَّ، وتَوَاثَبَ عَلَيْهِ اليَهُوْدُ فَقَتَلُوْهُ، فاسْتَصْرَخَ أهْلُ المُسْلِمِ المُسْلِمِيْنَ على اليَهُوْدِ، فَغَضِبَ المُسْلِمُوْنَ، ووَقَعَ القِتَالُ بَيْنَهُم، وبَيْنَ بَنِي قَيْنُقَاعٍ.

انْظُرْ: «سَيْرَةَ ابنِ هِشَامٍ» (٣/ ٧٠) بِتَصَرُّفٍ يَسِيْرٍ، وإسْنَادُهُ ضَعِيْفٍ، والرِّوَايَةُ يُسْتَأنَسُ بِهَا!

وجَمْعًا بَيْنَ السَّبَبَيْنِ يَعُوْدُ إلى مَا أظْهَرُوْهُ مِنْ مَوَاقِفَ عَدَائِيَّةٍ ضِدَّ المُسْلِمِيْنَ، انْتَهَتْ إلى نَقْضِ العَهْدِ.

* * *

ومِنْ خِلالِ مَا مَضَى نَسْتَنْتِجُ ـ لا سِيَّما مِنَ السَّبَبِ الثَّاني ـ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يَكْتَفِ بنَقْلِ الأخْبارِ، كَما أنَّه لم يَشْتَغِلْ بتَحْلِيْلِهَا؛ بقَدْرِ مَا كَانَ حَرِيْصًا كُلَّ الحِرْصِ على التَّعامُلِ مَعَ حَلِّ المُعْضِلَةِ، ومَعَ المَوْقِفِ تُجَاهَ يَهُوْدَ لا غَيْرَ، فَما أنْ سَمِعَ النَّبيُّ ﷺ بِما وَقَعَ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ ويَهُوْدَ إلَّا وقَامَ مِسْرِعًا إلى يَهُوْدَ، ونَبَذَ إلَيْهِم على سَوَاءٍ، وحَاصَرَهُم خَمْسَ عَشَرَةَ لَيْلَةً، وعِنْدَمَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الحِصَارُ نَزَلُوا على حُكْمِ الرَّسُوْلِ ﷺ على أنَّ لهُم أمْوالَهُم، وأنَّ لهُم النِّسَاءَ والذُّرِّيَّةَ، فَأُمِرَ بِهِم فَكُتِّفُوا، ثُمَّ كَلَّمَهُم فِيْهِ حَلِيْفُهُم عَبْدُ اللهِ بنُ سَلُوْلٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: «**هُمْ لَكَ...**»⁽¹⁾، وأمَرَ بِهِم أنْ يُجْلَوا عَنِ المَدِيْنَةِ، فَلَحِقُوا بأذْرُعَاتٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ؛ يَتَأكَّدُ لَدَيْنَا: أنَّ نَقْلَ الأخْبارِ وتَحْلِيْلَهَا: مَا هِيَ إلَّا وَسِيْلَةٌ ومُسْتَنَدًا، أمَّا طَرْحُ الحَلِّ فَهُوَ غَايةٌ ومَقْصَدٌ!

* * *

❐ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيْرِ:

ذَكَرَتْ كُتُبُ السِّيَرِ أنَّ لغَزْوَةِ بَنِي النَّضِيْرِ ثَلاثَةَ أسْبَابٍ، والَّذِي يُهِمُّنَا مِنْهَا: هُوَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ عِنْدَمَا ذَهَبَ إلَيْهِم في دِيَّةِ الكِلابِيَّيْنِ، لمَّا كَانَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُم مِنَ الحِلْفِ، جَلَسَ إلى جِدَارٍ لهُم في انْتِظارِهِم

---

(١) انْظُرْ: «سَيْرَةَ ابنِ هِشَامٍ» (٣/ ٧٠)، و«مَغَازِي الوَاقِدِي» (١/ ١٧٧)، و«طَبَقَاتِ ابنِ سَعْدٍ» (٢/ ٩٢).

لِيَأْتُوا بِما وَعَدُوا بِهِ مِنَ المُسَاهَمَةِ في الدِّيَةِ، ثُمَّ خَلا بَعْضُهُم بِبَعْضٍ فَقَالُوا: إنَّكُم لَنْ تَجِدُوا الرَّجُلَ (النَّبِيَّ ﷺ) على مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ، فاتَّفَقُوا على أنْ يَعْلُوَ: عَمْرُو بنُ جِحَاشٍ ذَلِكَ الجِدارَ، فيُلْقِيَ صَخْرَةً على الرَّسُوْلِ ﷺ فيَقْتُلَهُ، فَأخْبَرَ اللهُ رَسُوْلَهُ بِما أرَادُوا، فَخَرَجَ رَاجِعًا إلى المَدِيْنَةِ، وعِنْدَمَا تَأخَّرَ عَنْ أصْحَابِهِ الَّذِيْنَ كَانُوا مَعَهُ سَألُوا عَنْهُ، فَعَلِمُوا رُجُوْعَهُ إلى المَدِيْنَةِ، فَأتَوْهُ فَأخْبَرَهُم الخَبَرَ، ثُمَّ أمَرَ بالتَّهَيُّؤِ لِحَرْبِهِم، والسَّيْرِ إلَيْهِم، ومُحَاصَرَتِهِم، فَنَزَلُوا على الصُّلْحِ، بَعْدَ حِصَارٍ دَامَ سِتَّ لَيَالٍ على أنَّ لَهُم مَا حَمِلَتِ الإبِلُ(١).

وفي هَذَا دَلِيْلٌ آخَرُ على حِرْصِهِ ﷺ على أخْذِ الحَلِّ مُبَاشَرَةً دُوْنَ الإغْرَاقِ في نَقْلِ الأخْبَارِ، وتَحْلِيْلِهَا.

* * *

❐ غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ:

وَاضِحٌ مِنَ سِيَرِ الأحْدَاثِ أنَّ سَبَبَ الغَزْوَةِ كَانَ نَقضَ بَنِي قُرَيْظَةَ العَهْدَ الَّذِي بَيْنَهُم وبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ، بِتَحْرِيْضٍ مِنْ حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ النَّضَرِيِّ(٢).

ولأنَّ هَذَا النَّقْضَ، وهَذِهِ الخِيَانَةَ قَدْ جَاءَتْ في وَقْتٍ عَصِيْبٍ،

---

(١) انْظُرْ: «سَيْرَةَ ابنِ هِشَامٍ» (٣/ ٢٦٧)، و«الدَّلائِلَ» للبَيْهَقِيِّ (٣/ ١٨٠)، و«الفَتْحَ» (١٥/ ٢٠٢).

(٢) انْظُرْ: «المُصَنَّفَ» لعَبْدِ الرَّزَّاقِ (٥/ ٣٦٨)، و«الدَّلائلَ» لأبي نُعَيمٍ (٢/ ٥٠٤).

فَقَدَ أمَرَ اللهُ تَعَالى نَبِيَّهُ بِقِتَالِهِم بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنَ الخَنْدَقِ، ووَضْعِهِ السِّلاحَ. أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ.

وامْتِثَالاً لأمْرِ اللهِ؛ أمَرَ الرَّسُوْلُ ﷺ أصْحابَهُ أنْ يَتوَجَّهُوا إلى بَنِي قُرَيْظَةَ، وتَوْكِيْدًا لطَلَبِ السُّرْعَةِ أوْصَاهُم قَائِلاً: «**لا يُصَلِينَّ أحَدٌ العَصْرَ إلَّا في بَنِي قُرَيْظَةَ**» أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ.

وعِنْدَمَا أدْرَكَهُمُ الوَقْتُ في الطَّرِيْقِ، قَالَ بَعْضُهُم: «لا نُصلِّي؛ حَتَّى نَأتي قُرَيْظَةَ»، وقَالَ بَعْضُهُم الآخَرُ: «بَلْ نُصَلِّي؛ لم يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ»، فَذُكِرَ ذَلِكَ للنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُم. أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ، وهَذَا اجْتِهَادٌ مِنْهُم في مُرَادِ الرَّسُوْلِ ﷺ(١).

* * *

فَخَرَجَ الرَّسُوْلُ ﷺ في ثَلاثَةِ آلافِ مُقَاتِلٍ، مَعَهُم سِتَّةٌ وثَلاثُوْنَ فَرَسًا(٢)، وضُرِبَ الحِصَارُ على بَنِي قُرَيْظَةَ لمدَّةِ خَمْسٍ وعِشْرِيْنَ لَيْلَةٍ على الأرْجَحِ، وضُيِّقَ عَلَيْهُمُ الخِنَاقُ؛ حَتَّى عَظُمَ عَلَيْهُمُ البَلاءُ، فَرَغِبُوا أخِيْرًا في الاسْتِسْلامِ، وقَبُولِ حُكْمِ الرَّسُوْلِ ﷺ فِيْهِم، واسْتَشَارُوا في ذَلِكَ حَلِيْفَهُم: أبا لُبَابَةَ ابنَ عَبْدِ المُنْذِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَأشَارَ إلى أنَّ ذَلِكَ يَعْنِي الذَّبْحَ، ونَدِمَ على هَذِهِ الإشَارَةِ فَرَبَطَ نَفْسَهُ إلى إحْدَى سَوَارِي المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ؛ حَتَّى قَبِلَ اللهُ تَوْبَتَهُ،

---

(١) انْظُرْ: «سَيْرَةَ ابنِ هِشَامٍ» (٣/ ٣٢٦).

(٢) انْظُرْ: «طَبَقَاتِ ابنِ سَعْدٍ» (٣/ ٧٤).

أخْرَجَهُ أحْمَدُ(١).

وعِنْدَمَا نَزَلُوا على حُكْمِ الرَّسُوْلِ ﷺ أحَبَّ أنْ يَكِلَ الحُكْمَ عَلَيْهِم إلى وَاحِدٍ مِنْ رُؤسَاءِ الأوْسِ؛ لأنَّهُم كَانُوا حُلفَاءَ بَنِي قُرَيْظَة، فَجَعَلَ الحُكْمَ فِيْهِم إلى سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ رضي الله عنه، فلمَّا دَنَا مِنَ المُسْلِمِيْنَ، قَالَ الرَّسُوْلُ ﷺ للأنْصَارِ: **«قُوْمُوا إلى سَيِّدِكِم، أو خَيْرِكُم»**، ثُمَّ قَالَ: **«إنَّ هَؤلاءِ نَزَلُوا على حُكْمِكَ»**، قَالَ: تُقْتَلُ مُقَاتِلَتُهُم، وتُسْبَى ذَرارِيْهِم، وتُقَسَّمُ أمْوالُهُم، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«قَضَيْتَ بحُكْمِ اللهِ تَعالى»** مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ومِنْ خِلالِ مَا ذَكَرْنَاهُ نَسْتَيْقِنُ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ رَجُلَ مَوَاقِفَ وأفْعَالٍ أكْثَرَ مِنْهُ صَاحِبَ تَحْلِيْلاتٍ وكَلامٍ، فَعَلَيْهِ أفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ!

* * *

ثُمَّ؛ لا شَكَّ أنَّنَا وإيَّاهُم؛ لا نَقُوْلُ بطَرْحِ التَّحْلِيْلاتِ رَأسًا ـ السِّيَاسِيَّ مِنْهَا أو الشَّرعِيَّ ـ؛ بَلْ نَعْتَبِرُ مِنْهَا مَا اعْتَبَرَهُ الشَّرْعُ، ولا سِيَّمَا إذَا رَبَطْنَا الأحْدَاثَ بالأسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ: زِيَادَةً في الإيْمَانِ، وتَوَكُّلاً على اللهِ تَعَالى، وأخْذًا للحَذَرِ، وتَجَنُّبًا للخُدْعَةِ مَعَ العَدُوِّ المُقَاتِلِ، وهَذَا مَا سَنُبَيِّنُهُ فِيْمَا يَأتي إنْ شَاءَ اللهُ.

❑ ❑ ❑

---

(١) أخْرَجَهُ أحْمَدُ. انْظُرْ: «الفَتْحَ الرَّبانيّ» للبَنَّا (٢١/ ٨١)، و«البِدايَةَ والنِّهَايَةَ» لابنِ كَثِيرٍ (٤/ ١٤٠)، و«تَارِيْخَ الطَّبريِّ» (٢/ ٥٨٣)، و«سِيْرَةَ ابنِ هِشَامٍ» (٣/ ٣٢٦)، و«الفَتْحَ» لابنِ حَجرٍ (١٦/ ٣٠).

الفَصْلُ الرَّابِعُ

التَّحْلِيْلاتُ الشَّرْعِيَّةُ

لا شَكَّ أنَّ الأخْذَ بالأسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ تَوَكُّلاً على اللهِ تَعَالى، هُوَ مِنْ قَواعِدِ الإيْمانِ وتَحْقِيْقِ التَّوْحِيْدِ، فَكَانَ حِيْنَئِذٍ الأخْذُ بالتَّحْلِيْلاتِ الشَّرْعِيَّةِ، والوُقُوْفُ مَعهَا وَقْفَةَ تَدَبُّرٍ ومُرَاجَعَةٍ ومُحَاسَبَةٍ مَعَ اللهِ تَعَالى، ثُمَّ مَعَ النَّفْسِ: هُوَ مِنْ جَادَّةِ المُؤمِنِيْنَ، وسَبِيْلِ المُتَّقِيْنَ؛ لأنَّ في ذَلِكَ زِيَادَةَ إيْمانٍ، وتَوَكُّلاً على اللهِ تَعَالى.

لِذَا كَانَ مِنْ مَمْحُوْضِ الخطَأ أنْ نُغْمِضَ الأعْيُنَ أو نَصُمَّ الأذَانَ عَنِ اعْتِبَارِ التَّحْلِيْلاتِ الشَّرْعِيَّةِ أو السِّيَاسِيَّةِ؛ بَلْ نَعْتَبِرُ مِنْهَا مَا اعْتَبَرَهُ الشَّرْعُ، ونُلْغِي مِنْهَا مَا ألْغَاهُ الشَّرْعُ، بحَيْثُ يَكُوْنُ أخْذُنَا لِهَذِهِ التَّحْلِيْلاتِ في اعْتِدَالٍ واقْتِصَادٍ، دُوْنَ إيْغَالٍ أو إغْرَاقٍ، أو غَيْرِهِ، ممَّا سَيُخْرِجُنَا عَنِ المَقْصَدِ الشَّرْعِيِّ، والهَدَفِ المَنْشُوْدِ.

هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ هَذِهِ التَّحْلِيْلاتِ: هِيَ وَسِيْلَةٌ لغَايَةٍ شَرْعِيَّةٍ، لِذَا كَانَ مِنَ الخطَأ أنْ نُغَلِّبَ جَانِبَ الوَسِيْلَةِ على جَانِبِ الغَايَةِ، وإلَّا وَقَعْنَا في حَيْصَ بَيْصَ!

وفِيْهِ أيْضًا؛ ألَّا نُغَلِّبَ التَّحْلِيْلاتِ السِّيَاسِيَّةَ على التَّحْلِيْلاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وإلَّا وَقَعْنَا في وَادِي تُظُلِّلَ!

❐ ومِنْ أسَفٍ أيْضًا؛ أنَّ بَعْضًا مِنَ المُحَلِّلِيْنَ والمُفكِّرِيْنَ؛ يَسْتَنْكِفُوْنَ الحَدِيْث عَنِ التَّحْلِيْلاتِ الشَّرْعِيَّةِ، والبَحْثِ عَنْ سَبَبِ الحُرُوْبِ والكَوارِثِ: مِثْلُ ظُهُوْرِ المَعَاصِي، وكَثْرَةِ الفَسادِ، وانْتِشَارِ الجَهْلِ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ... زَعْمًا مِنْهُم أنَّ الحَدِيْثَ عَنْ هَذَا قَدْ يُؤخِّرُنَا عَنْ مُعَالجَةِ الأمُوْرِ وَقْتَئِذٍ، لِذَا كَانَ مِنَ المُنَاسَبِ تَأخِيْرُهُ؛ حَتَّى تَسْتَقِيْمَ الأمُوْرُ أوَّلاً، ثُمَّ نَسْعَى في مُعَالجَةِ المَعَاصِي وغَيْرِهَا ثَانِيًا!

قُلْتُ: لا شَكَّ أنَّ هَؤلاءِ القَوْمَ مَا دَفَعَهُم لهَذَا القَوْلِ: إلَّا الاجْتِهَادُ في إصْلاحِ الوَاقِعِ المَشِيْنِ، إلَّا أنَّنا مَعَ هَذَا نُخالِفُهُم في هَذَا الطَّرحِ جُمْلَةً وتَفْصِيلاً، يَوْمَ نَعْلَمُ أنَّ النُّصُوْصَ الشَّرْعِيَّةَ كَافَّةً تَأبَى هَذَا القَوْلَ وتَرُدُّهُ، ولَسْنَا بحَاجَّةٍ أنْ نَسْتَرْسِلَ في رَدِّ هَذَا القَوْلِ هُنَا، بَلْ مَنْ نَظَرَ في عُمُوْمِ أدِلَّةِ القُرْآنِ والسُّنَّةِ عَلِمَ بُطْلانَ هَذَا المَذْهَبِ، وتِي الفِكْرَةِ.

فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٦٥].

وقَالَ تَعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشُّوْرَى: ٣٠].

وقَالَ تَعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ [الحُجُرَاتُ: ٥].

* * *

❑ ومِنْ هُنا؛ كَانَ لَنَا في غَزْوَةِ أحُدٍ، مِثَالٌ وعِبْرَةٌ فِيْما سَوَاهَا مِنَ المَوَاقِفِ، والكَوائِنِ التَّارِيْخِيَّةِ:

يُوَضِّحُهُ؛ أنَّنا إذَا نَظَرْنَا إلى غَزْوَةِ أحْدٍ، وحَلَّلْنَاهَا تَحْلِيلاً فَكْرِيًّا مُجَرَّدًا عَنِ الشَّرْعِ لقُلْنَا:

إنَّ ذَكَاءَ خَالِدِ بنِ الوَلِيْدِ، والْتِفَافَهُ حَوْلَ مُؤخِّرَةِ مُعَسْكَرِ المُسْلِمِيْنَ، وذَلِكَ حِيْنَ نُزُوْلِ الرُّمَاةِ مِنْ مَكَانِهِم؛ كَانَ سَبَبًا كَبِيْرًا في انْهِزَامِ المُسْلِمِيْنَ... وهَكَذَا في غَيْرِهَا مِنْ تَشْقِيْقِ التَّحْلِيْلاتِ؛ إلَّا أنَّ اللهَ تَعَالى هُنَا لم يَذْكُرْ هَذَا السَّبَبَ التَّحْلِيْلي المُجَرَّدَ، وإنَّما قَالَ تَعَالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عِمْرَان: ١٦٥]، فَأرْجَعَ اللهُ تَعَالى الأمْرَ إلى السَّبَبِ الشَّرعِيِّ: وُهَو أنَّ المُسْلِمِيْنَ أنْفُسَهُم كَانُوا السَّبَبَ في الانْهِزَامِ لا الكُفَّارَ؛ وذَلِكَ يَوْمَ عَصَوْا أمْرَ النَّبيِّ ﷺ بنُزُوْلِهِم عَنْ مَوَاقِعِهِم.

* * *

❑ وكَذَلِك في غَزْوَةِ حُنَيْنَ: نَسْتَطِيْعُ أنْ نَقُوْلَ:

إنَّ الكَمِيْنَ الَّذِي وَقَّتَهُ الكُفَّارُ ضِدَّ المُسْلِمِيْنَ كَانَ سَبَبًا قَوِيًّا في انْكِشَافِ المُسْلِمِيْنَ عَنْ مَوَاقِعِهِم، وهَكَذَا في غَيْرِهَا مِنْ تَفْرِيْعِ التَّحْلِيْلاتِ؛ إلَّا أنَّ اللهَ تَعَالى هُنَا لم يَذْكُرْ هَذَا السَّبَبَ التَّحْلِيْليَّ المُجَرَّدَ؛ بَلْ أرْجَعَ السَّبَبَ إلى المُسْلِمِيْنَ أنْفُسِهِم: وهُوَ الإعْجَابُ

بالكَثْرَةِ لا غيْرَ؛ حَيْثُ قَالَ تَعَالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التَّوْبَةُ: ٢٥].

وفي الخِتَامِ نَعُوْدُ بالمُسْلِمِ الصَادِقِ إلى حَدِيْثِنا عَنْ ذِكْرِ الحُلُوْلِ الإسْلامِيَّةِ، وكَيْفِيَّةِ الاسْتِفَادَةِ مِنْهَا إنْ شَاءَ اللهُ.

❑ ❑ ❑

البَابُ الثالِثُ

الحُلُوْلُ الإسْلامِيَّةُ

- الفَصْلُ الأوَّلُ: الحَلُّ الإسْلامِيُّ بَيْنَ القَبُوْلِ والرَّدِّ.
- الفَصْلُ الثَّاني: قَائِمَةُ الحُلُوْلِ.

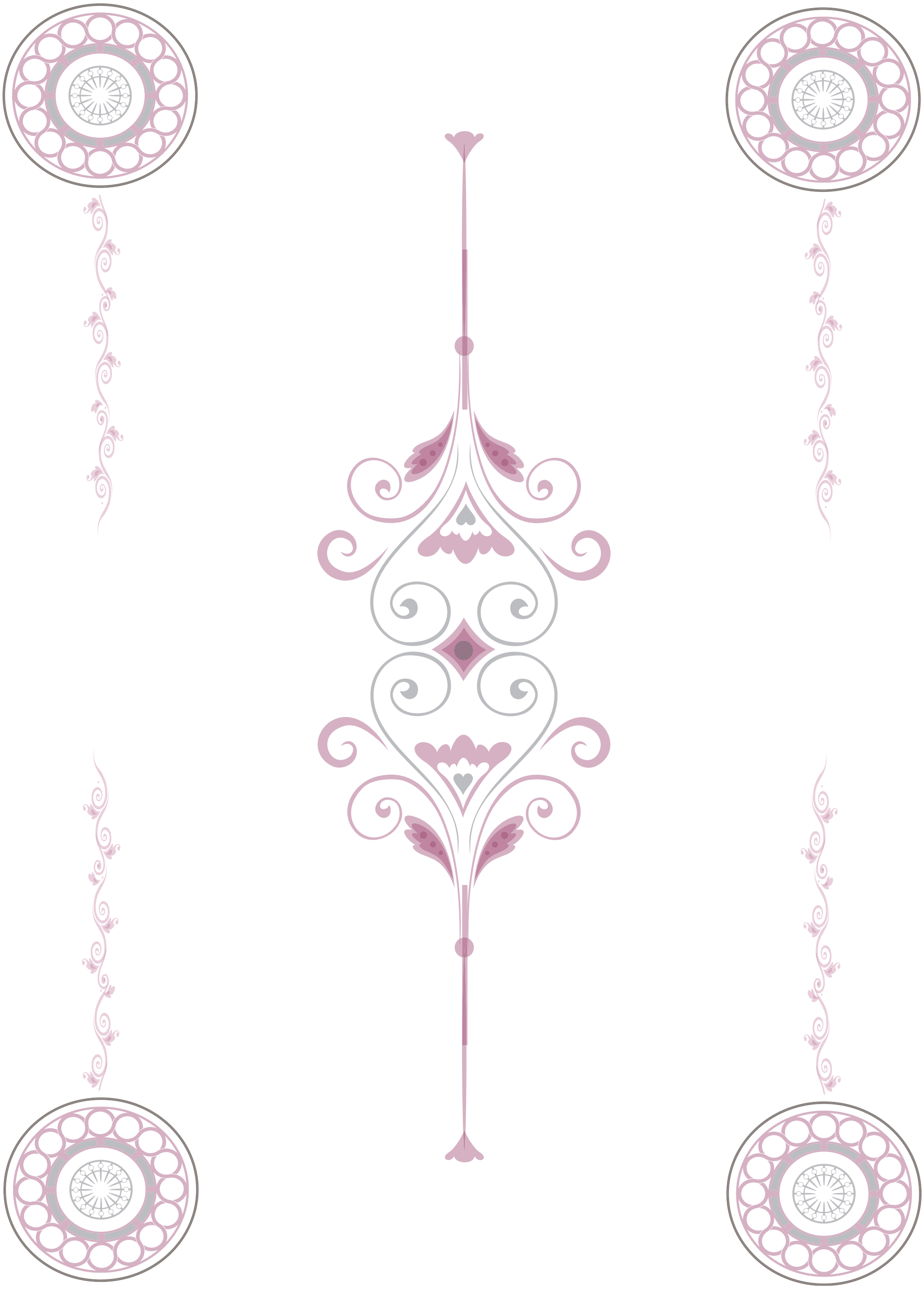

الفَصْلُ الأوَّلُ

الحَلُّ الإسْلامِيُّ بَيْنَ القَبُوْلِ والرَّدِّ

إنَّ طَرحَ الحَلِّ الإسْلامِيِّ أيًّا كَانَ نَوْعُهُ؛ لَهُوَ نَوْعٌ مِنَ أنْواعِ النِّيَّاتِ الصَّادِقَةِ، والرَّغَباتِ الإيْمانِيَّةِ، والعَزَماتِ الجِهَادِيَّةِ نَحْوَ الخُرُوْجِ بالأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ مِنْ هَذَا الهَوَانِ الَّذِي تَعِيْشُهُ، وهَذَا الذُّلِّ الَّذِي مَا بَرِحَ فَوْقَ رَأسِهَا مُنْذُ سِنِيْنَ عَدَدًا، فَإنَّا للهِ وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُوْنَ!

فَكَانَ البَحْثُ عَنِ الحَلِّ الإسْلامِيِّ أمْرًا مُهِمًّا، وفَرْضًا مُتَحَتِّمًا على كَافَّةِ المُسْلِمِيْنَ؛ وكُلٌّ على حَسَبِ قُدْرَتِهِ واسْتِطاعَتِهِ، كَما قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التَّغَابُنُ: ١٦].

❐ فَإذَا عُلِمَ مَا ذَكَرْنَاهُ هُنَا؛ كَانَ مِنَ العَدْلِ والإنْصَافِ أنْ نَضَعَ الأمُوْرَ في نِصَابِها، وذَلِكَ مَاثِلٌ في مَعْرِفةِ حَقِيْقةٍ مُسَلَّمَةٍ: وهِيَ أنَّ طَرحَ الحُلُوْلِ، وإيْجادَهَا، والكَلامَ عَنْهَا لا يَلْزَمُ مِنْهَا ضَرُوْرَةَ الصِّحَّةِ والقَبُوْلُ؛ بقَدْرِ مَا هِيَ دَعْوَةٌ إيْمانِيَّةٌ لشَحْذِ الهِمَمِ، والاسْتِفَادَةِ مِنْ أفْكَارِ وطَاقَةِ المُسْلِمِيْنَ في التَّعَامُلِ مَعَ قَضَايَاهُم الإسْلامِيَّةِ، لا سِيَّما الَّتِي تَمَسُّ دِيْنَهُم، وعَقِيْدَتَهُم، وأخْلاقَهُم، وعِزَّتَهُم، أو شَيْئًا مِنْ حُقُوْقِهِمُ الدِّيْنِيَّةِ أو الدُّنْيَوِيَّةِ، وهَذَا كُلُّهُ بَعْدَ عَرْضِهَا على المِيْزَانِ

الشَّرْعِيِّ رَدًّا وقَبولاً، ومَا كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَهُوَ مَحلٌّ للنَّظَرِ والاجْتِهَادِ!

* * *

فَعِنْدَ هَذَا؛ كَانَ مِنَ الحِكْمَةِ البَالِغَةِ أنْ نَدْعُوَ كَافَّةَ المُسْلِمِيْنَ عَالمِهِم ومُتَعَلِّمِهِم؛ كَبِيْرِهِم وصَغِيرِهِم، ذَكَرِهِم وأنْثَاهُم... للمُشَارَكَةِ والتَّعَاوُنِ في طَرْحِ الحُلُوْلِ، وعَرْضِهَا بقَدْرِ مَا نَمْلِكُ مِن اسْتِطَاعَةٍ، وهَذَا بَابٌ مِنَ المُشَاوَرَةِ والشُّوْرَى الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحُثُّ عَلَيْهَا، ويُقِيْمُ لَهَا حَقَّهَا بَيْنَ عَامَّةِ المُسْلِمِيْنَ، وسَيَأتِي لَهُ بَيَانٌ إنْ شَاءَ اللهُ.

* * *

❑ فكَلامُنَا حِيْنَئِذٍ سَيَدُوْرُ حَوْلَ نُقْطَتَيْنِ مُهِمَّتَيْنِ:

الأوْلى: لَيْسَ مِنَ الضَّرُوْرَةِ؛ صِحَّةُ الحُلُوْلِ عِنْدَ طَرْحِهَا، بَلْ هِيَ مَتْرُوْكَةٌ للوِزَانِ الشَّرْعِيِّ رَدًّا وقَبُولاً، أو مَحلًّا للنَّظَرِ والاجْتِهَادِ.

الثَّانِيَةُ: مَبْدَأ الشُّوْرَى أصْلٌ مِنْ أصُولِ السِّيَاسَةِ الشَّرْعِيَّةِ، والتَّدَابِيرِ المَرْعِيَّةِ.

فَمَنْ قَرَأ السِّيْرَةَ النَّبوِيَّةَ على صَاحِبِهَا أفْضَلُ الصَّلاةِ والتَّسْلِيْمِ، أو قَلَّبَ صَفَحَاتِ التَّارِيْخِ؛ عَلِمَ يَقِيْنًا أنَّ الإسْلامَ لم يَمْنَعْ أحَدًا مِنَ المُسْلِمِيْنَ مِنْ إبْدَاءِ رَأيِهِ، والمُشَارَكَةِ في قَضَايَا المُسْلِمِيْنَ؛ فالكُلُّ سَوَاءٌ بسَوَاءٍ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ الحَلُّ الأمْثَلُ قُبِلَ وقُدِّمَ على غَيْرِهِ أيًّا كَانَ قَائِلُهُ مَا كَانَتْ سِمَةُ الإسْلامِ بَيْنَهُم ظَاهِرَةً!

فَقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أنَّهُ قَالَ: «**المُسْلِمُوْنَ يَدٌ على مَنْ سِوَاهُم، تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُم، ويَسْعَى بذِمَّتِهِم أدْنَاهُم، ويُجِيرُ عَلَيْهِم أقْصَاهُم**» أخْرَجَهُ

أَحْمَدُ وغَيْرُهُ، وحَسَّنَهُ ابنُ حَجرٍ في «الفَتْحِ» (١٢/ ٢٣١).

وكَما قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقالَ تَعالى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

وتَدْلِيلاً على ذَلِكَ أيْضًا: أنَّ آراءَ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنِ الجَمِيْعِ، حَوْلَ أسْرَى بَدْرٍ تَكاثَرَتْ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ، فمِنْهُم مَنْ قَالَ بقَتْلِهِم، ومِنْهُم مَنْ أمَرَ بحَرْقِهِم، ومِنْهُم مَنْ رَجَّح فِدَاءَهُم... إلَخْ.

ومَعَ هَذَا كُلِّهِ لم يَمْنَعِ النَّبِيُّ ﷺ أحدًا مِنَ المَشُوْرَةِ وطَرْحِ الحَلِّ الَّذِي يَخْدُمُ الأمَّةَ، كَما أنَّنا لا نَنْسَى مَشُوْرَتَهُ ﷺ للصَّحابَةِ يَوْمَ قَالَ في بَدْرٍ: «**أشِيْرُوا عَليَّ أيُّها النَّاسُ!**»، ولَيْسَتْ عَنَّا قِصَّةُ سَلْمَانَ الفَارِسيِّ ببَعِيْدٍ يَوْمَ طَرَحَ حَلًّا لم يَكُنْ مَألُوْفًا، أو مَعْرُوفًا عِنْدَ العَرَبِ آنَذَاكَ، وهُوَ أمْرُهُ رضي الله عنه: بحَفْرِ خَنْدَقٍ يَحْجُزُ بِهِ العَدُوَّ عَنْ دُخُوْلِ المَدِيْنَةِ النَّبَوِيَّةِ.

كَمَا أنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَاوَرَ أمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها في عُمْرَتِهِ الَّتِي مَنَعَهُ مِنْها أهْلُ مَكَّةَ، وذَلِكَ عِنْدَمَا أمَرَ النَّاسَ أنْ يَنْحَرُوا الهَدْيَ، ويَحْلِقُوا رُؤوْسَهُم، فَلَمْ يَقُمْ مِنْهُم أحَدٌ إلى ذَلِكَ، فَكَرَّرَ الأمْرَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ؛ فأشَارَتْ إلَيْهِ بأنْ يَبْدَأ هُوَ بِما يُرِيْدُ، فَفَعَلَ، فَقَامُوا فَنَحَرُوا، وجَعَلَ

بَعْضُهم يَحْلِقُ بَعْضًا؛ حَتَّى كَادَ بَعْضُهم يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا، كَما جَاءَ ذَلِكَ عِنْدَ البُخارِيِّ.

ومِنْ بَابَةِ هَذَا؛ مَا جَاءَتْ بِهِ الأخْبَارُ والوَقَائِعُ الَّتِي تَضِيْقُ بِهَا هَذِهِ الرِّسَالَةُ، كُلُّ هَذَا دَلِيْلٌ على تَعْزِيْزِ مَبْدَأ مُشَارَكَةِ الآرَاءِ، وأخْذِ المَشُوْرَةِ مِنْ كَافَّةِ المُسْلِمِيْنَ.

إذًا فلْنَجْعَلْ شِعَارَنَا حِيْنَئِذٍ؛ هَوْ مَا قَالَهُ ﷺ: «**أشِيرُوا عَليَّ أيُّها النَّاسُ**»!

* * *

فَإنَّنا مِنْ خِلالِ مَا تَقدَّمَ نَدْعُو كُلَّ مُسْلِمٍ يُؤمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ أنْ يُشَارِكَ مَعَنَا الطَّرْحَ فِيْما يَرَاهُ مُنَاسِبًا مِنَ الحُلُوْلِ الشَّرْعِيَّةِ تُجَاهَ أمَّتِهِ الإسْلامِيَّةِ؛ كَي يَأخُذَ بَيدِهَا مِنَ هَذَا الهَوَانِ والصَّغَارِ إلى عِزِّهَا، وسِيَادَتِها، ورِيَادَتِهَا للعَالمِ بأسْرِهِ.

لِذَا كَانَ حَقًّا على كُلِّ مُسْلِمٍ أنْ يُدْليَ بِرَأيِهِ حَوْلَ طَرْحِ الحُلُوْلِ الشَّرْعِيَّةِ: فالمُزَارِعُ في مَزْرَعَتِهِ لا بُدَّ أنْ يَخْدِمَ أمَّتَهُ في طَرْحِ مَا يَرَاهُ مُنَاسِبًا، وكَذَا التَّاجِرُ في مَتْجَرِهِ، والأعْرَابيُّ في إبِلِهِ، والطَّالِبُ في جَامِعَتِهِ، والمَرْأةُ في بَيْتِهَا، والكُلُّ في أمَّتِهِ... فَنَحْنُ بهَذِهِ الدَّعْوَةِ قَطْعًا (إنْ شَاءَ اللهُ) سَنُعِيْدُ للأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ شَيْئًا ممَّا أوْصِدَتْ قِبالَتَهُ الأبْوَابُ: مِنْ تَحْقِيْقِ التَّوْحِيْدِ، ومُنَابَذَةِ الشِّرْكِ، وفَتْحِ بَابِ الشُّوْرَى... ولَنْ يَخْذُلَنا اللهُ تَعالى؛ حَيْثُ يَقُوْلُ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا

لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العَنْكَبُوْت: ٦٩].

هَذَا إِذَا عَلِمْنَا أَنَّنا هَذِهِ الأَيَّامَ مُحْتَاجُوْنَ مَضْطَرُّوْنَ، واللهُ تَعَالى يَقُوْلُ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النَّمْلُ: ٦٢].

وبَعْدَ هَذَا حَانَ لَنَا أَنْ نَذْكُرَ مَا نَرَاهُ مُنَاسِبًا مِنَ الحُلُوْلِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي تَتَنَاسَبُ مَعَ وَاقِعِنَا وحَالِنَا الَّذِي نَعِيْشُهُ ونُلامِسُهُ، مَعَ اعْتِبَارِ مَا قَرَّرْنَا آنفًا أَنَّ طَرْحَنَا للحُلُوْلِ لا يَلْزَمُ مِنْهَا ضَرُوْرَةَ الصَّوَابُ؛ عِلْمًا أَنَّنا لم نَألُ جُهْدًا في اخْتِيَارِ مَا نَحْسِبُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَقْرَبَ مَا يَكُوْنُ إلى الجَادَّةِ والصَّوَابِ، واللهُ المُوَفِّقُ، والهَادِي إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ.

❑ ❑ ❑

الفَصْلُ الثَّاني

قَائِمَةُ الحُلُوْلِ

لا شَكَّ أنَّ الحُلُوْلَ كَثِيْرَةٌ جِدًّا؛ فَكَانَ مِنَ المُنَاسِبِ أنْ نُجْمِلَهَا في اثْنَيْنِ لا ثَالِثَ لهُمَا، وهُمَا باخْتِصَارٍ: عَامٌّ، وخَاصٌّ.

❑ **الأوَّلُ** مِنْهُمَا: حُلُوْلٌ عَامَّةٌ لا تَتَقَيَّدُ بزَمَانٍ أو مَكَانٍ، فَهِي مُسْتَمِرَّةٌ لا تَنْفَكُّ عَنْ حَياةِ المُسْلِمِ مَا تَرَدَّدَتْ أنْفَاسُه في جَوْفِهِ؛ لأنَّها مَعْلُوْمَةٌ مِنَ الدِّيْنِ بالضَّرُوْرَةِ، لأجْلِ هَذَا لم أتَكَلَّفْ التَّوَسُّعَ في الحَدِيْثِ عَنْهَا، فَمِنْ ذَلِكَ:

أوَّلاً: دَعْوَةُ المُسْلِمِيْنَ إلى تَصْحِيْحِ العَقِيْدَةِ الإسْلامِيَّةِ، ومُنَابَذَةِ الشِّرْكِ، وذَلِكَ بتَحْقِيْقِ العُبُوْدِيَّةِ للهِ تَعَالى في الأقْوالِ والأفْعَالِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ، وإخْلاصِ العَمَلِ للهِ تَعَالى، وتَرْكِ كُلِّ مَا يُنَاقِضُ التَّوْحِيْدَ، أو يُنْقِصُه مِنَ الشِّرْكِيَّاتِ القَوْلِيَّةِ والعَمَلِيَّةِ والاعْتِقَادِيَّةِ.

ثَانِيًا: تَعْلِيْمُ المُسْلِمِيْنَ أمُوْرَ دِيْنِهِم، وذَلِكَ بحَمْلِهِم على فِعْلِ المأمُوْرَاتِ، وتَرْكِ المَحْظُوْرَاتِ، والرِّضَى بالمَقْدُوْرَاتِ.

ثَالِثًا: تَقْوِيَةُ الرَّوَابِطِ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ، وذَلِكَ بتَعْزِيْزِ الأخُوَّةِ الإيْمانِيَّةِ بَيْنَهُم.

رَابِعًا: إحْيَاءُ قَضِيَّةِ الوَلاءِ والبَرَاءِ في قُلُوْبِ المُسْلِمِيْنَ، وذَلِكَ عَنْ طَرِيْقِ تَعْزِيْزِ قَضَايَا المَحَبَّةِ والمُوَالاةِ والمُنَاصَرَةِ والمُسَاعَدَةِ والإثَارِ والعَطَاءِ بَيْنَهُم، وأيْضًا عَنْ طَرِيْقِ مُنَابَذَةِ وبُغْضِ وكَرَاهِيَّةِ ومُجَانَبَةِ أهْلِ الكُفْرِ والضَّلالِ في كُلِّ أمُوْرِهِم الدِّيْنِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ، وكُلِّ مَا مِنْ شَأنِهِ يَخُصُّهُم.

خَامِسًا: إحْيَاءُ قَضِيَّةِ الأمْرِ بالمَعْرُوْفِ، والنَّهي عَنِ المُنْكَرِ عِنْدَ عَامَّةِ المُسْلِمِيْنَ، إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الحُلُوْلِ العَامَّةِ الهَامَّةِ.

سَادِسًا: على قَادَةِ «حمَاس» ألَّا يَرْكَنُوا إلى مَجَالِسِ الكُفْرِ ـ كهَيْئَةِ الأُمَمِ وغَيْرِهَا ـ في دَعْوَى اعْتِرَافِهِم في مَطْلَعِ هَذَا العَامِ (١/ ١/ ١٤٣٤) بِقِطَاعِ غَزَّةَ: بكَوْنِهِ دَوْلَةً مُسْتَقِلَّةً.

وألَّا يَقْتَصِرُوا أيْضًا على انْتِصَارِهِم على اليَهُوْدِ في غَزَّةَ فَقَطْ، بَلْ عَلَيْهِم شَرْعًا أنْ يَجْعَلُوا مِنْ قِطَاعِ غَزَّةَ: نُقْطَةَ انْطِلاقٍ إلى تَحْرِيْرِ بَاقي أرْضي فِلِسْطِيْنَ مِنَ اليَهُوْدِ الغَاصِبِيْنَ.

وأنْ يَجْعَلُوا أيْضًا مِنِ انْتِصَارِهِم اليَوْمَ: انْطِلاقَةَ انْتِصَارَاتٍ لإخْوَانِهِم في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ.

ومِنْ قَبْلُ، ومِنْ بَعْدُ؛ فَإنَّا لم نَزَلْ نَسْمَعُ مِنْ قَادَةِ «حَمَاسٍ» غَيْرَ مَرَّةٍ: بأنَّهُم لا يَعْتَرِفُوْنَ بالاحْتِلالِ الصِّهْيُوني اليَهُودِيِّ جُمْلَةً وتَفْصِيْلاً، ولا يَرْضَوْنَ لهُم بشِبْرٍ وَاحِدٍ على أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، فالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

فَقَدْ جَاءَ فِي المَادَّةِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ مِيْثَاقِ حَرَكَةِ «حَمَاس»: «تَعْتَقِدُ حَرَكَةُ المُقَاوَمَةِ الإسْلامِيَّةِ أنَّ أرْضَ فِلسْطِيْنَ: أرْضُ وَقْفٍ إسْلامِيٍّ على أجْيَالِ المُسْلِمِيْنَ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ، لا يَصِحُّ التَّفْرِيْطُ بِهَا، أو بِجُزْءٍ مِنْهَا، أو التَّنَازُلُ عَنْهَا، أو جُزْءٍ مِنْهَا، هَذَا حُكْمُهَا في الشَّرِيْعَةِ الإسْلامِيَّةِ».

وجَاءَ في المَادَّةِ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: «فالتَّفْرِيْطُ في أيِّ جُزْءٍ مِنْ فِلسْطِيْنَ هُوَ تَفْرِيْطٌ في جُزْءٍ مِنَ الدِّيْنِ، وفي هَذَا الإطَارِ: الدُّوْلَةُ الوَاحِدَةُ تَعْنِي سِيَادَةَ الإسْلامِ على كُلِّ الأرْضِ الفِلسْطِيْنِيَّةِ».

أمَّا بالنِّسْبَةِ لشَكْلِ الدَّوْلَةِ الفِلسْطِيْنِيَّةِ مِنْ مَنْظُوْرِ «حَمَاس»، فسَتَكُوْنُ كَمَا قَالَ «تُومِي لِيْبِيْد» رَئِيْسُ حِزْبِ «شِيْنُوي» سَابِقًا: «لا تَسْتَطِيْعُ إسْرَائِيْلُ أنْ تَقُوْمَ اليَوْمَ بتَنَازُلاتٍ للفِلسْطِيْنِيِّيْنَ في يَهُوْدَا والسَّامِرَةِ، في حِيْنَ أنَّ «حَمَاس» قَدْ تَسْتَولي في كُلِّ لحْظَةٍ على رَامَ اللهِ، كَمَا اسْتَوْلَتْ على غَزَّةَ، سَيُطْرَدُ أبو مَازِنٍ، وسَيَعْلَمُوْنَ أنَّ هَنِيَّةَ رَئِيْسَ فِلسْطِيْنَ الحُرَّةِ، وسَتُأمَرُ النِّسَاءُ بأنْ يُغَطِّيْنَ وُجُوْهَهُنَّ بالبَرَاقِعِ، وسَيُلْزَمُ الرِّجَالُ بإعْفَاءِ اللِّحى، وسَتَسْقُطُ صوَارِيْخُ القَسَّامِ - وصَوَارِيْخ «الكَاتْيُوشَا» أيْضًا في يَوْمٍ مِنَ الأيَّامِ، لا على سِيْدُرُوت فَقَطْ، بَلْ على نَتَانِيَا، وكَفَار سَابَا، ومَطَارِ بن غُوْرِيُون أيْضًا».

ويَصِفُهَا المُعَلِّقُ «بنْ كَاسْبِيت» بأنَّهَا سَتَكُوْنُ: «الدَّوْلَةَ الوَحِيْدَةَ في العَالَمِ الَّتِي يَحْكُمُهَا الإخْوَانُ المُسْلِمُوْنَ»، ويَقُوْلُ: إنَّ حَمَاس:

«تَتَبَنَّى الإبَادَةَ المُطْلَقَةَ لدَوْلَةِ إسْرَائِيْلَ، وتَحْوِيْلَ أرَاضِيْهَا إلى أرْضِ وَقْفٍ، وخِلافَةٍ إسْلامِيَّةٍ، هَذِهِ إيْدُلِيوجِيَا حَمَاس، ولا غَيْرَهَا».

وبَعْدَ أنْ أصَابَ اليَأسُ قَادَةَ الكَيَانِ اليَهُوْدِي مِنْ حُدُوْثِ أيِّ حِوَارٍ مَعَ «حَمَاس»، وبَعْدَ فَوْزِهَا أيْضًا في الانْتِخَابَاتِ، قَالَ «نِتْنِيَاهُو» في مَقَالٍ بعِنْوَانِ: «حَرَكَةُ طَالِبَانَ هُنَا»: «حَمَاس سَتَظَلُّ نَفْسَهَا حَمَاس، ولا يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ مَعَهَا إلى تَفَاهُمَاتٍ؛ لأنَّ الحَرَكَةَ تَدْعُو إلى إبَادَةِ دَوْلَةِ إسْرَائِيْلَ».

وهُنَاكَ صُحُفِيٌّ آخَرُ بَدَأ يَدْعُو إلى التَّعَامُلِ مَعَ الحَقِيْقَةِ المُرَّةِ، وهِيَ أنَّ «حَمَاس لَنْ تَعْتَرِف: «الحَقِيْقَةُ البَشِعَةُ هِيَ أنَّهُ لَيْسَ بَيْنَنَا وبَيْنَ حَمَاس حِوَارٌ، بَلْ لَنْ يَكُوْنَ! يُوْجَدُ مُونُولُوغ (حَدِيْثٌ مَعَ الذَّاتِ) لحَمَاس، وصَمْتِ إسْرَائِيْلَ، فَهِيَ تَخْطُبُ، ونَحْنُ نَرْكُضُ نَحْوَ المَجَالِ المُحَصَّنِ».

وجَاءَ في بَرْنَامِجِ «حَمَاس» الانْتِخَابي أنَّ الشَّعْبَ الفِلَسْطِيْنِيَّ جُزْءٌ لا يَتَجَزَّأُ مِنَ الأُمَّةِ العَرَبِيَّةِ والإسْلامِيَّةِ... الإسْلامُ هُوَ مَرْجَعِيَّةُ الحَيَاةِ بكُلِّ مُكَوِّنَاتِهَا السِّيَاسِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ والقَانُونِيَّةِ... فِلَسْطِيْنُ جُزْءٌ مِنَ الأرْضِ العَرَبِيَّةِ والإسْلامِيَّةِ، وهِي حَقٌّ للشَّعْبِ الفِلَسْطِيْنِي لا يَزُوْلُ بالتَّقَادُمِ، ولا يُغَيِّرُ مِنَ ذَلِكَ أيُّ إجْرَاءاتٍ».

انْظُرْ: «مَرْكَزَ دِرَاسَاتِ الشَّرْقِ الأوْسَطِ» (٢٧/ ١٢/ ١٤٢٦)،

ومَوْقِع «يَدِيْعُوت أحْرُونُوت» (٤/ ١/ ١٤٣٠) مَرْكَزَ النَّاطُوْرِ، و«لِمَاذَا يَكْرَهُوْنَ حَمَاس؟» (٧٧، ٨١).

* * *

❐ **الثَّاني** مِنْهُمَا: حُلُوْلٌ خَاصَّةٌ يَحْكُمُهَا الزَّمَانُ والمَكَانُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ كَانَتِ القَرَائِنُ والظُّرُوْفُ هِي مَنَاطَ الحُكْمِ فِيْهَا وُجُوْدًا وعَدَمًا، فهَذِهِ الحُلُوْلُ لَيْسَتْ مَتْرُوكَةً لاخْتِيَارِ المُسْلِمِ بقَدْرِ مَا هِي ضَرُوْرَةٌ تَفْرِضُهَا الوَقَائِعُ والأحْدَاثُ، وهَذَا النَّوْعُ مِنَ الحُلُوْلِ: هُوَ بَيْتُ القَصِيْدِ، والدَّافِعُ مِنْ رَسَالَتِي هَذِهِ برُمَّتِهَا.

❐ أمَّا إنْ سَألْتَ عَنْ مِثَالٍ يُقَرِّبُ ويُجَسِّمُ هَذَا الحَلَّ الثَّاني؛ فَهُنَاكَ قَضَايَا جِسَامٌ كَثِيْرَةٌ ألَمَّتْ بالأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ: كسُقُوْطِ كَثِيرٍ مِنْ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ في أيْدِي الكَفَرةِ ابْتِدَاءً بالأنْدَلُسِ وانْتِهَاءً ببَيْتِ المَقْدِسِ وغَيْرِهَا، وحَسْبُنَا مِنْ هَذِهِ القَضَايَا الآنَ: «قَضِيَّةُ فِلِسْطِيْنَ».

فَعِنْدَ هَذَا نَسْتَطِيعُ أنْ نَقْطَعَ القَوْلَ: بأنَّ الحُلُوْلَ الإسْلامِيَّةَ الَّتِي طُرِحَتْ حَوْلَ قَضِيَّةِ بَيْتِ المَقْدِسِ كَثِيْرَةٌ جِدًّا، رُبَّما فَاقَتِ الحَصْرَ؛ عِلْمًا أنَّ بَعْضَهَا مَا زَالَ قَابِلاً للطَّرْحِ والزِّيَادَةِ، واللهُ أعْلَمُ.

وبَعْدَ هَذَا؛ فَلَنَا أنْ نَبْدَأَ بذِكْرِ الحُلُوْلِ الإسْلامِيَّةِ الَّتِي نَرَاهَا نَافِعَةً نَاجِعَةً نَحْوَ قَضِيَّةِ فِلِسْطِيْنَ إنْ شَاءَ اللهُ، فَإلى المَوْعُوْدِ، وعلى اللهِ القَصْدُ.

* * *

○ الحَلُّ الأوَّلُ: تَحْقِيْقُ التَّوْحِيْدِ.

لَقَدْ كَرَّرْتُ هَذا الحَلَّ هُنا بَعْدَ ذِكْرِهِ في الحُلُوْلِ العَامَّةِ؛ لأنَّهُ مِنَ الأهمِّيَّةِ بمَكانٍ، فمِنْهُ المَبْدَأ، وإلَيْهِ النِّهَايَةُ في سَائِرِ الحُلُوْلِ العَامَّةِ والخاصَّةِ، فَانْتَبِهْ!

أقُوْلُ: إنَّ مَسْألَةَ تَحْقِيقِ التَّوْحِيْدِ للهِ تَعالى: هِيَ أصْلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ، والحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ أجْلِهَا خُلِقَ الإنْسُ والجِنُّ، ولأجْلِهَا خُلِقَتِ الجَنَّةُ والنَّارُ، لِذَا كَانَ على المُسْلِمِيْنَ عَامَّةً، والفِلِسْطِيْنِيِّيْنَ خَاصَّةً، لا سِيَّما هَذِهِ الأيَّامَ: أنْ يُحَقِّقُوا تَوْحِيْدَهُم للهِ تَعالى، وأنْ يُخْلِصُوا لَهُ الدِّيْنَ حُنَفَاءَ، وأنْ يَعْبُدُوْهُ ظَاهِرًا وباطِنًا، لا يُشْرِكُوْنَ باللهِ شَيْئًا: لا في الأقْوالِ ولا في الأفْعالِ، ولا في الاعْتِقَادِ، ولا في الألْفَاظِ.

كَمَا قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذَّارِيَاتُ: ٥٦]، وقَالَ تَعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [النِّسَاءُ: ٣٦].

بَلْ مَا أرْسَلَ اللهُ تَعالى نَبِيًّا إلى قَوْمِه إلَّا وقَدْ أمَرَهُم بتَحْقِيْقِ التَّوْحِيْدِ وتَجْرِيْدِهِ، ومُنَابَذَةِ الشِّرْكِ وتَنْدِيْدِهِ، كما قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [النَّحْلُ: ٣٦].

فَعِنْدَ تَحْقِيْقِنَا لِعِبَادَةِ اللهِ تَعَالى كَما يُرِيْدُ رَبُّنَا ويَرْضَى، وأنْ نَعْبُدَه بِمَا شَرَعَ، وذَلِك بتَحْقِيْقِ مَا جَاءَ في الكِتَابِ والسُّنَّةِ، بشَرْطَيْهَا: الإخْلاصِ والمُتَابَعةِ، نَكُوْنَ عِنْدَهَا أهْلاً للنَّصرِ، والتَّوْفِيْقِ، والتَّأيِيْدِ مِنَ اللهِ تَعَالى.

فَقِتَالُنَا مَعَ العَدُوِّ أيًّا كَانَ (دَفْعًا، أو طَلَبًا) لَيْس قَائِمًا على الكَثْرَةِ أو القِلَّةِ، ولا على العُدَّةِ أو العَتَادِ، بقَدْرِ مَا هُوَ قَائِمٌ على الطَّاعَةِ أو المَعْصِيَةِ، فَكُلَّمَا كُنَّا للهِ أطْوَعَ، كُنَّا للنَّصرِ أقْرَبَ، وإنْ كُنَّا له أعْصَى (عِيَاذًا باللهِ!) كُنَّا عَنِ النَّصْرِ أبْعَدَ وأبْعَدَ!

هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ أعْظَمَ طَاعَةٍ: هِيَ تَحْقِيْقُ التَّوْحِيْدِ للهِ تَعَالى، وأعْظَمَ مَعْصِيَةٍ عُصِيَ اللهُ بِهَا: هِيَ الشِّرْكُ باللهِ تَعَالى؛ حَيْثُ لا يَنْفَعُ مَعَ الشِّرْكِ حَسَنَةٌ، ولا طَاعَةٌ، فَاحْذَرْ!

* * *

❑ ثُمَّ اعْلَمْ رَحِمَنِي اللهُ وإيَّاكَ أنَّ فَرِيْضَةَ الجِهَادِ: هِيَ وَسِيْلَةٌ لا غَايَةٌ، بَلْ لم يُشْرَعِ الجِهَادُ إلَّا لتَحْقِيْقِ التَّوْحِيْدِ، وإقَامَةِ العُبُوْدِيَّةِ للهِ تَعالى خَالِصَةً لَهُ الدِّيْنَ لا شَرِيْكَ لَهُ، وبِذَلِكَ أُمِرْنَا، ولأجْلِهِ خُلِقْنَا، فَإذَا فُهِمَ هَذَا على مُرَادِهِ ومُبْتَغَاهُ؛ وإلَّا خَسِرْنَا جِهَادَنَا مَعَ اليَهُوْدِ وغَيْرِهِم، فَحِيْنَئِذٍ لا نَصْرَ في الدُّنْيَا، ولا أجْرَ في الآخِرَةِ (عِيَاذًا باللهِ)!

ثُمَّ اعْلَمْ أخِي المُسْلِمَ: أنَّ الأرْضَ لا تُقَدِّسُ أحَدًا، ولا تُقَدِّمُهُ

عِنْدَ اللهِ تَعَالى، بَلِ الَّذِي يُكَرِّمُه ويُقُدِّمُه عِنْدَ اللهِ تَعَالى: هُوَ تَحْقِيْقُه للتَّوْحِيْدِ أوَّلاً.

ثُمَّ اعْلَمْ أيْضًا: أنَّ دِيْنَنَا الإسْلامِيَّ قَدْ شَرَعَ لَنا، بَلْ أمَرَنَا أمْرَ إيْجابٍ: أنْ نُدَافِعَ عَنْ أرَاضِيْنَا بِكُلِّ مَا نَمْلِكُ، وأنْ نَسْعَى في اسْتِرْدَادِها مِنْ أيْدِي كُلِّ مُعْتَدٍ كَافِرٍ، لأنَّ فِيْهِ أيْضًا تَحْقِيْقًا للتَّوْحِيْدِ؛ حَيْثُ لا يَسْتَقِيْمُ تَوْحِيْدُ الوَلاءِ والحُبِّ إلَّا بتَوْحِيْدِ البَرَاءِ والبُغْضِ، وهُوَ مِنْ أرْكَانِ كَلِمَةِ التَّوْحِيْدِ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ!

كَمَا قَالَ ﷺ: **«مَنْ قُتِلَ دُوْنَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيْدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُوْنَ دِيْنِه فَهُوَ شَهِيْدٌ، ومَنْ قُتِلَ دُوْنَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيْدٌ، مَنْ قُتِلَ دُوْنَ أهْلِهِ فَهُوَ شَهِيْدٌ»** أخْرَجَهُ أحْمَدُ، والتِّرمِذيُّ، والنَّسَائيُّ وغَيْرُهم، وهُوَ صَحِيْحٌ.

وقَوْلُه ﷺ: **«مَنْ أُرِيْدَ مَالُه بغَيْرِ حَقٍّ فقَاتَلَ، فقُتِلَ فَهُوَ شَهِيْدٌ»** أخْرَجَهُ أحْمَدُ، والتِّرمِذيُّ، والنَّسَائيُّ وغَيْرُهم، وهُوَ صَحِيْحٌ.

وقَوْلُه ﷺ: **«مَنْ قُتِلَ دُوْنَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيْدٌ»** أخْرَجَهُ النَّسَائيُّ، وهُوَ صَحِيْحٌ.

لِذَا كَانَ نَصْرُنَا اليَوْمَ مَعَ اليَهُوْدِ مُتَوَقِّفٌ ابْتِدَاءً على تَحْقِيْقِنَا للتَّوْحِيْدِ وأسْبَابِه، ومُنَابَذَةِ الشِّرْكِ وأسْبَابِهِ، وإلَّا أصْبَحْنَا (عِيَاذًا باللهِ!) كالَّتِي تَنْقُضُ غَزْلَها، مَهْمَا تَكَلَّفْنَا القُوَّةَ، والعَتَادَ، والرِّجَالَ، فالتَّوْحِيْدُ أوَّلاً، وإلَّا فَهَيْهَات هَيْهَات!

فَحِيْنَئِذٍ لا مَقَامَ للوَطَنِيَّاتِ، ولا للقَوْمِيَّاتِ، ولا للشَّعَارَاتِ

الزَّائِفَةِ، ولا لِشَيءٍ خَارِجٍ عَنْ إعْلاءِ كَلِمَةِ اللهِ: تَحْقِيْقًا لعِبادَتِه، وتَحْقِيْقًا لتَوْحِيْدِهِ تَعالى!

* * *

❐ ثم اعْلَمْ رَحِمَني اللهُ وإيَّاكَ أنَّ تَحْقِيْقَ التَّوْحِيْدِ لَهُ أسْبَابٌ ووَسَائِلُ، فَكَانَ على كُلِّ مُسْلِمٍ اعْتِبارُهَا والأخْذُ بِهَا، تَحْقِيْقًا للقَاعِدَةِ الأصُولِيَّةِ: مَا لا يَتِمُّ الوَاجِبُ إلَّا بِهِ فَهُو وَاجِبٌ.

فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ:

طَلَبُ العِلْمِ الشَّرعِيِّ، وتَحْصِيْلُ أسْبَابِهِ، وهُوَ قِسْمانِ: وَاجِبٌ، ومُسْتَحَبٌّ.

❐ فالعِلْمُ الوَاجِبُ مِنْهُمَا: هُوَ مَا تَتَعلَّقُ بِهِ ذِمَّةُ كُلِّ مُسْلِمٍ مُكلَّفٍ؛ لأنَّه عِلْمٌ تَتَوقَّفُ عَلَيْهِ صِحَّةُ العِبادَةِ.

لِذَا لا يُعْذَرُ أحَدٌ في تَرْكِهِ؛ لأنَّه مِنْ فُرُوْضِ الأعْيَانِ، فَكانَ والحَالَةُ هَذِهِ وَاجِبٌ على كُلِّ مُسْلِمٍ مُكلَّفٍ أنْ يَسْعَى إلى تَحْصِيْلِ القَدْرِ الوَاجِبِ مِنَ العِلْمِ الَّذِي تَتَحقَّقُ بِهِ عِبادَتُهُ للهِ تَعالى: كتَحْقِيْقِ شُرُوْطِ، وأرْكَانِ ووَاجِبَاتِ: التَّوْحِيْدِ، والصَّلاةِ، والصِّيَامِ، وغَيْرِهَا مِمَّا تَتَوقَّفُ عَلَيْهِ العِبادَةُ الوَاجِبَةُ.

كَما قَالَ تَعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [مُحَمَّدٌ: ١٩].

وقَالَ ﷺ: «**طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ على كُلِّ مُسْلِمٍ**» أخْرَجَهُ ابنُ مَاجَه، وغَيْرُهُ، وهُوَ حَسَنٌ بشَوَاهِدِهِ.

❑ أمَّا العِلْمُ المُسْتَحَبُّ مِنْهُمَا: هُوَ مَا زَادَ على العِلْمِ الوَاجِبِ، ممَّا هُوَ مِنْ فُرُوْضِ الكِفَايَةِ، ممَّا لَيْسَ تَحْصِيْلُهُ مُتَوَقِّفًا على صِحَّةِ العِبَادَةِ.

* * *

○ الحَلُّ الثَّاني: الجِهَادُ في سَبِيْلِ اللهِ.

لا شَكَّ أنَّ الجِهَادَ في سَبِيْلِ اللهِ: هُوَ ذِرْوَةُ سَنَامِ الإسْلامِ، وسَيْفُهُ الصَّارِمُ المَتِيْنُ، وحَارِسُهُ القَوِيُّ الأمِيْنُ، لِذَا فَإنَّ دِيْنَ الإسْلامِ مُتَوَقِّفٌ على كِتَابٍ يَهْدِي، وسَيْفٍ يَنْصُرُ!

إلَّا أنَّنا مَعَ هَذَا وذَاكَ، نَجِدُ كَلِمَةَ الجِهَادِ، أو الحَدِيْثَ عَنِ الجِهَادِ هَذِهِ الأيَّامَ كَادَ يُصْبِحُ عِنْدَ بَعْضِ المُسْلِمِيْنَ عَبَثًا في نِدَاءٍ، أو نَدْبًا في عَزَاءٍ، ومَا ذَاكَ إلَّا أنَّ كَلِمَةَ الجِهَادِ قَدْ أخَذَتْ في تَرْدِيْدِهَا وتَأيِيْدِهَا هُنَا وهُنَاكَ أكْثَرَ مِنْ إعْمَالِهَا وتَوْظِيْفِهَا على أرْضِ الوَاقِعِ... فَكَانَ والحَالَةُ هَذِهِ أنْ أحْدَثَتْ هَذِهِ النِّدَاءَاتُ (التَّرْدِيْدِيَّةُ) في نُفُوْسِ بَعْضِ المُسْلِمِيْنَ تَبَلُّدًا قَلْبِيًّا، فَلَمْ يَعُدْ لكَلِمَةِ الجِهَادِ عِنْدَهُم كَبِيْرُ تَأثِيرٍ، إلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي!

كُلُّ هَذَا؛ لمَّا فَقَدَتِ الكَلِمَةُ مَعْنَاهَا الإيْمانِي، ومُحْتَوَاهَا الصَّحِيْحَ؛ حَيْثُ أصْبَحَتْ على لِسَانِ كُلِّ صَادِقٍ وكَاذِبٍ، بَلْ غَدَتْ عِنْدَ بَعْضِ السَّاسَةِ: وَرَقَةً تِجَارِيَّةً يَلْعَبُ بِها حَسْبَما تُمْلِيهِ عَلَيْهِ السُّوْقُ السِّيَاسِيَّةُ، وكَذَا أصْبَحَتْ عِنْدَ بَعْضِهِم: تُهمَةً يُحَاكَمُ عِنْدَهَا مَنْ يُنَادِي إلَيْهَا!

كَما غَدَتْ هَذِهِ الكَلِمَةُ عِنْدَ بَعْضِ الأفَّاكِيْنَ الضَّالِيْنَ: قِصَصًا رِوَائِيَّةً، وأفْلامًا تَضْلِيْلِيَّةً، ومَقَالاتٍ اسْتِهْزَائِيَّةً، فاللهُ طَلِيْبُهُم!

وآخرِيْنَ صَالحِيْنَ؛ أمْسَتْ عِنْدَهُم: لَيْلَةً ذَاتَ شُجُوْنٍ يَتَسَامَرُوْنَ عَلَيْهَا، ويَتَذَاكَرُوْنَ أطْلالَهَا، ويَتَدَارَسُوْنَ فَضَائِلَهَا، لَيْسَ إلَّا (دُوْنَ عَمَلٍ)، وهَكَذَا؛ حَتَّى ذَهَبَتْ قَدَاسَتُهَا الشَّرعِيَّةُ يَوْمَ تَعَلَّقَ بِهَا مَنْ لَيْسَ أهْلاً لَهَا... فاللهُ المُسْتَعَانُ!

* * *

فَلَيْتَ شِعْرِي؛ إنَّ كَلِمَةَ الجِهَادِ لم تَقِفْ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ؛ بَلْ تَعَدَّى هَذَا إلى بَعْضِ الصَّالحِيْنَ (للأسَفِ!) يَوْمَ تَجِدُ أكْثَرَهُم إذَا عَضَّتْهُ الصُّوَرُ المأسَاوِيَّةُ، وقَتَلَتْهُ المَشَاهِدُ الدَّمَوِيَّةُ ضِدَّ المُسْلِمِيْنَ؛ قَامَ يُنَادِي بأعْلَى صَوْتِهِ فَوْقَ مَنْبرِهِ: الجِهَادَ الجِهَادَ أيُّهَا المُسْلِمُوْنَ!

وآخَرَ: لم يَمْلِكْ نَفْسَهُ؛ حَتَّى أخَذَ قَلَمَهُ، وكَسَرَ غِمْدَهُ؛ لِيَكْتُبَ عَنِ الجِهَادِ وفَضْلِهِ... إلَخْ.

وهَكَذَا؛ كُلٌّ تَدْفَعُهُ الغَيْرَةُ إلى الحَدِيْثِ عَنِ الجِهَادِ، لَكِنْ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ؛ حَيْثُ ذَهَبَتْ كَلِماتُهُم وعَبَرَاتُهُم في مَهَبِّ الرِّيحِ، لا أثَرَ لهَا ولا تَأثِيرَ؛ لا لِشَيءٍ؛ غَيْرَ أنَّهُم (للأسَفِ!) لم يُحْسِنُوا اسْتِخْدَامَ كَلِمَةِ الجِهَادِ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ، ولم يَعْرِفُوا طَرْحَهَا على أرْضِ الوَاقِعِ، وكَيْفَ تَوْظِيْفُهَا، وتَوْجِيْهُهَا لحَلِّ قَضِيَّةِ فِلَسْطِيْنَ.

إنَّ الكَلامَ عَنِ «الجِهَادِ» دُوْنَ فَعْلٍ، أو عَمَلٍ لهُوَ مُصِيْبَةٌ؛ يَوْمَ

تبْقى حَبِيْسَةَ النُّفُوْسِ، وأسِيرَةَ القُلُوْبِ؛ لِذَا كَانَ لَنَا نَحْنُ أيْضًا نَصِيْبٌ (للأسَفِ!) مِنْ هَذَا الخَطَأ يَوْمَ جَعَلْنَا مِنْ كَلِمَةِ «الجِهَادِ»: كَلِمَةً جَوْفَاءَ في آذَانِ المُسْلِمِيْنَ، وطَبْلاً أجْوَف كُلُّهُ خُوَاءٌ!

إلَّا أنَّنَا مَع هَذَا؛ لا نَشُكُّ أنَّ طَائِفَةً غَيْرَ قَلِيْلَةٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ: هُمْ صَادِقُوْنَ في طِلْبَةِ الجِهَادِ، عَازِمُوْنَ على رَغْبَةِ الإعْدَادِ؛ لكِنَّهُم والحَالَةُ هَذِهِ مَعْذُوْرُوْنَ شَرْعًا، مَغْلُوْبُوْنَ طَبْعًا، ولِكُلٍّ أجْرُهُ بقَدْرِ صِدْقِهِ واسْتِطَاعَتِهِ، و﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٨٦].

وقَدْ قَالَ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالى الشَّهَادَةَ بصِدْقٍ؛ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ؛ وإنْ مَاتَ على فِرَاشِهِ» مُسْلِمٌ.

* * *

❐ أقُوْلُ: إنَّ الأمَّةَ الإسْلامِيَّةَ تَجْتَازُ مَرْحَلَةً خَطِيرَةً مِنْ مَرَاحِلِ حَيَاتِهَا؛ فلَقَدِ اعْتَدَى الأعْدَاءُ على دِيْنِهَا وبِلادِهَا وأرَاضِيْهَا، ودَنَّسُوا مُقَدَّسَاتِها وحُرُمَاتِهَا، وعَاثُوا في أرْجَائِهَا فَسَادًا ودَمَارًا فأصْبَحَ والحَالَةُ هَذِهِ: الجِهَادُ في فِلِسْطِيْنَ فَرْضًا على كُلِّ قَادِرٍ مُسْتَطِيْعٍ سَوَاءٌ بالنَّفْسِ، أو المَالِ، أو اللِّسَانِ، أو القَلَمِ، أو التَّحْرِيْضِ، أو التَّذْكِيْرِ، أو الدُّعَاءِ... بَلْ كُلُّ مَا مِنْ شَأنِهِ دَعْوَةٌ وإعَانَةٌ على الجِهَادِ، كَمَا سَيَأتي بَيَانُهُ إنْ شَاءَ اللهُ.

وهَذَا مَا نَصَّ عَلَيْه ابنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ بقَوْلِه: «وأمَّا قِتَالُ الدَّفْعِ فَهُوَ أشَدُّ أنْوَاعِ دَفْعِ الصَّائِلِ، ودَفْعُ الصَّائِلِ عَنِ الحُرْمَةِ والدِّيْنِ، وَاجِبٌ

إجْمَاعًا، فالعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّيْنَ والدُّنْيا لا شَيْءَ أوْجَبَ بَعْدَ الإيْمَانِ مِنْ دَفْعِه، فَلا يُشْتَرَطُ لَه شَرْطٌ؛ بَلْ يُدْفَعُ بِحَسَبِ الإمْكَانِ، وقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ العُلَمَاءُ، أصْحَابُنا وغَيْرُهُم، فَيَجِبُ التَّفْرِيْقُ بَيْنَ دَفْعِ الصَّائِلِ الظَّالِمِ الكَافِرِ، وبَيْنَ طَلَبِه فِي بِلادِهِ»، انْتَهَى، انْظُرْ «الاخْتِيَارَاتِ» للبَعْلِيِّ (٤٤٧).

ويَقْصِدُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِه: «دَفْعِ الصَّائِلِ الظَّالِمِ الكَافِرِ»: جِهَادَ الدَّفْعِ، و«بَيْنَ طَلَبِه فِي بِلادِه»: جِهَادَ الطَّلَبِ، فَتَأمَّلْ!

وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٣٦].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾ [البَقَرَةُ: ١٩١].

وقَالَ تَعَالى: ﴿فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٢].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المَائِدَةُ: ٢].

وقَالَ تَعَالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى

سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [التَّوْبَةُ: ٤١].

وقَالَ تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾ [الأنْفَالُ: ٦٥].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾ [التَّوْبَةُ: ١٢٢].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ [الأنْفَالُ: ٦٠].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفُرْقَانُ: ٥٢].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ [الأنْفَالُ: ٧٢].

وقَالَ ﷺ: **«جَاهِدُوا المُشْرِكِيْنَ بأمْوَالِكم، وأنْفُسِكُم، وألْسِنَتِكُم»** أخْرَجَهُ أبو دَاوُدَ، والنَّسَائيُّ، وهُوَ صَحِيْحٌ.

وقَوْلُهُ ﷺ: **«يا حَسَّانُ أجِبْ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، اللَّهُمَّ أيِّدْهُ بِرُوْحِ القُدُسِ»**، وفي رِوَايَةٍ: **«اهْجُهُم وجِبْرِيْلُ مَعَكَ»** البُخَارِيُّ.

وهَذَا وغَيْرُهُ مِنْ أنْوَاعِ الجِهَادِ المَفْرُوْضِ: مُتَوَقِّفٌ على القُدْرَةِ والاسْتِطَاعَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾

[البقرة: ٢٨٦]، وقَوْلُه تَعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦].

وقَوْلُه ﷺ: «فَإذَا أَمَرْتُكُم بأَمْرٍ؛ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُم» مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

* * *

لِذَا كَانَ وَاجِبًا على كُلِّ مُسْلِمٍ أنْ يُعِدَّ نَفْسَهُ لِيَكُوْنَ مُجاهِدًا بنَفْسِهِ ومَالِهِ، لإنْقَاذِ مُقَدَّسَاتِهِ مِنْ أيْدِي الطُّغَاةِ المُعْتَدِيْنَ الَّذِيْنَ اعْتَدُوا على المَسْجِدِ الأقْصَى المُبَارَكِ أُوْلى القِبْلَتَيْنِ.

ولَقَدْ تَحدَّثَ التَّارِيْخُ بأنَّ هَذِهِ البِلادَ المُقَدَّسَةَ كُلَّما ألَمَّتْ بِها مُلِمَّةٌ، أو وَقَعَتْ بِها نَازِلَةٌ اسْتَصْرَخَتْ مَنْ حَوْلَها المُسْلِمِيْنَ: فَكَانَ الغَوْثُ، والعَوْنُ يَأتِيْها (بَعْدَ اللهِ) مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيْقٍ: في جَماعَاتٍ، وأفْرَادٍ يَتَنَسَّمُوْنَ مِنْها نَسَماتِ الجَنَّةِ، ويَبْتَغُوْنَ عِنْدَهَا الفَضْلَ والمِنَّةَ مِنَ اللهِ تَعالى.

* * *

لَقَدْ كَانَ أشْرَفُ أُمْنِيَةٍ، وأنْبَلُ غَايَةٍ يَرْجُوْهَا المُجَاهِدُ الحَاذِقُ، والمُؤمِنُ الصَّادِقُ مِنْ رَبِّهِ: أنْ يَمُوْتَ شَهِيْدًا في سَاحَاتِ بَيْتِ المَقْدِسِ مَعَ إخْوانِهِ الشُّهَداءِ الأبْرَارِ الَّذِيْنَ اسْتُشْهِدُوا في مَوْقِعَةِ مُؤتَة، واليَرْمُوْكِ، وحِطِّيْنَ وغَيْرِها مِنَ المَعارِكِ الخَالِدَةِ الطَّاهِرَةِ.

نَعَمْ؛ لَقَدْ سَلَّمَ لَنا سَلَفُنَا الصَّالِحُ هَذِهِ البِلادَ المُقَدَّسَةَ سَالمةً نَقِيَّةً، لِتَبْقَى أمَانَةً في أعْنَاقِنا، فَكَانَ عَلَيْنا أنْ نُسَلِّمَها إلى الأجْيَالِ القَادِمَةِ كَما تَسَلَّمْنَاهَا: يَدًا بِيَدٍ، مِثْلاً بمِثْلٍ، لا نَقِيْلُ ولا نَسْتَقِيْلُ،

وإلَّا فسَيَبْقَى يُطارِدُنَا على ألْسِنَةِ الأجْيَالِ مِنْ بَعْدِنَا!

فَحِيْنًا بَعْدَ حِيْنٍ؛ كَانَ عَلَيْنَا أنْ نَعْتَرِفَ: أنَّنَا بابْتِعَادِنَا عَنِ اللهِ، وعَنْ دِيْنِهِ، وعَنِ العَمَلِ بكِتَابِهِ وسُنَّةِ رَسُوْلِهِ ﷺ، وإقَامَةِ حُدُوْدِهِ، واخْتِلافِ كَلِمَتِنَا، وتَفَرُّقِنَا شِيَعًا وأحْزَابًا، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، وتَرْكِنَا للجِهَادِ إعْدَادًا وعُدَّةً كَمَا أمَرَنَا اللهُ بِهِ؛ كُلُّ ذَلِك كَانَ سَبَبًا في مُلابَسَتِنَا للهَوَانِ وتَجَرُّعِ الذِّلَّةِ، وتَسَلُّطِ الأعْدَاءِ عَلَيْنَا، ولا سِيَّما يَهُوْدُ إخْوَانُ القِرَدَةِ والخَنَازِيْرِ؛ حَيْثُ سَهَّلَ كُلُّ ذَلِك لهُم تَنْفِيْذَ مُؤامَرَاتِهم، وتَحْقِيْقَ مَكَائِدِهِم: فَسَلَبُوا أرْضَنَا، وانْتَهَكُوا حُرْمَةَ مُقَدَّسَاتِنَا، وسَامُوْنَا في أهْلِنَا الخَسْفَ، والاضْطِهَادَ، وسُوْءَ العَذَابِ.

فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إذَا تَبَايَعْتُم بالعِيْنَةِ، وأخَذْتُم أذْنَابَ البَقَرِ، ورَضِيْتُم بالزَّرْعِ، وتَرَكْتُمُ الجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُم ذُلًّا لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرجِعُوا إلى دِيْنِكِم**» أخْرَجَه أحْمَدُ وأبو دَاوُدَ، وهُوَ صَحِيْحٌ.

فَحَاجَتُنَا نَحْنُ (المُسْلِمِيْنَ) أحْوَجُ مَا تَكُوْنُ اليَوْمَ إلى الرُّجُوْعِ إلى اللهِ تَعَالى، والاعْتِصَامِ بحَبْلِهِ المَتِيْنِ، كَما كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُنَا الصَّالِحُ: عَقِيْدَةً وأخْلاقًا، شِرْعَةً ومِنْهَاجًا، يَوْمَ امْتَدَّتْ فُتُوْحَاتُهُم ودَعَوَاتُهم مَشَارِقَ الأرْضِ ومَغَارِبَهَا، كَما قَالَ تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [مُحَمَّدٌ: ٧].

* * *

فاسْتِرْدَادُ الأَقْصَى المُبَارَكِ، وتَحْرِيْرُ الأَرَاضِي المُحْتَلَّةِ لا يَتِمُّ بالأَقْوَالِ والاحْتِجَاجَاتِ، ولا بالمَسِيْرَاتِ والبَرْقِيَّاتِ، ولا بالتَّحْلِيْلاتِ الفِكْرِيَّةِ، أو التَّصْرِيْحَاتِ السِّيَاسِيَّةِ، فَضْلاً أنْ نَمُدَّ أيْدِيْنَا أو نُعَلِّقَ آمَالَنَا أو نَسْتَعِيْنَ بأعْدَائِنَا الآخَرِيْنَ، تَحْتَ مُسَمَّيَاتِ: مَحْكَمَةِ العَدْلِ الدُّوَلِيَّةِ (مَحْكَمَةِ الظُّلْمِ العُدْوَانِيَّةِ)، أو مَجْلِسِ الأمْنِ (مَجْلِسِ الإرْهَابِ والعَفَنِ)، أو حُقُوْقِ الإنْسَانِ (حُقُوْقِ الحَيْوَانِ)، أو غَيْرِهَا مِنْ مَنَاقِعِ ادِّعَاءَاتِ الغَرْبِ الكَافِرِ!

يَقُوْلُ اللهُ تَعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البَقَرَة: ١٢٠].

ويَقُوْلُ اللهُ تَعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المُنَافِقُوْنَ: ٨].

وقَالَ تَعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [مُحَمَّدٌ: ٣٥].

فالاحْتِجَاجَاتُ والمَسِيْرَاتُ لا تُعِيْدُ حَقًّا، ولا تُرْجِعُ وَطَنًا، ولا تُنْقِذُ مَسْجِدًا، ولا تَدْفَعُ شَرًّا، وكُلُّ مَنْ يُحَاوِلُ الوُصُوْلَ إلى تَحْرِيْرِ الأقْصَى أو غَيْرِهِ، بمِثْلِ هَذِهِ الأمُوْرِ فإنَّما يُحَاوِلُ عَبَثًا!

فَلُغَةُ الاحْتِجَاجَاتِ أصْبَحَتْ في هَذَا الوقْتِ العَصِيْبِ، وَقْتِ

الحَدِيْدِ والنَّارِ: عَقِيْمَةً عَدِيْمَةَ الجَدْوَى، فَلا يَفِلُّ الحَدِيْدَ إلَّا الحَدِيْدُ، ولا يُقَابِلُ القُوَّةَ إلَّا القُوَّةُ، وإلَّا فَبَاطِنُ الأرْضِ خَيْرٌ مِنْ ظَاهِرِهَا!

وإنَّهُ لَمِنَ الوَاجِبِ على المُسْلِمِيْنَ أنْ يَهُبُّوا هَبَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، ويَنْفُرُوا خِفَافًا وثِقَالاً لِنَجْدَةِ المَسْجِدِ الأقْصَى مِنْ أيْدِي إخْوَانِ القِرَدَةِ والخَنَازِيْرِ بِما يَسْتَطِيْعُوْنَ ويَمْلِكُوْنَ، كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٨٦].

فَلا يَحِقُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَغمِضَ لَهُ جِفْنٌ، أو تَنَامَ لَهُ عَيْنٌ: والمَسْجِدُ الأقْصَى المُبَارَكُ في قَبْضَةِ الأعْدَاءِ وسَيْطَرَتِهِم، فَمَتَى سَكَتَ المُسْلِمُوْنَ اليَوْمَ عَنْ أُوْلى القِبْلَتَيْنِ (بَيْتِ المَقْدِسِ)، ورَضُوْا أنْ يَبْقَى مُحْتَلاً في أيْدِي العَدُوِّ الكَافِرِ، فَعِنْدَهَا سَيَأتي ذَلِكَ اليَوْمُ (لا قَدَّرَ اللهُ!) الَّذِي سَنَسْكُتُ ونَرْضَى عَنْ غَيْرِهِ مِنَ المُقَدَّسَاتِ الإسْلامِيَّةِ، فاللهَ اللهَ!

ومِنْ نَافِلَةِ البَيَانِ هُنَا: أنْ يَعْلَمَ المُسْلِمُوْنَ أنَّ هَذِهِ الأيَّام خَطِيْرَةٌ في تَارِيْخِنَا وحَيَاتِنَا؛ بَلْ هَذِهِ هِيَ الأوْقَاتُ العَصِيْبَةُ الَّتِي تُمْتَحَنُ فِيْهَا قُوَّةُ إيْمانِنَا، وسَلامَةُ يَقِيْنِنَا، وصِدْقُ عَزِيْمَتِنَا، وثَبَاتُنَا على الحَقِّ والدِّفَاعِ عَنْهُ؛ حَتَّى يُشْرِقَ الحَقُّ عَنْ نُوْرِهِ، ويَزْهَقَ البَاطِلُ عَنْ شَرِّهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾ [الرُّوْمُ: ٤ ـ ٦].

* * *

❑ وبَعْدَ هَذَا؛ فَقَدْ جَمَعْنَا لَكَ أخِي المُسْلِمَ حُلُوْلاً لِرَفْعِ رَايَةِ الجِهَادِ لِتَحْرِيْرِ بَيْتِ المَقْدِسِ مِنْ أيْدِي يَهُوْدَ، وهِيَ حُلُوْلٌ قَابِلَةٌ للأخْذِ والعَطَاءِ؛ بَلْ أكْثَرُهَا يَحْكُمُهُ الوَاقِعُ.

لِذَا لَنْ يَكُوْنَ الكَلامُ اليَوْمَ عَنِ الجِهَادِ كَلامًا ارْتِجَالِيًّا نَظَرِيًّا تَسَعُهُ الدَفَاتِرُ والخُطَبُ والمُحَاضَرَاتُ، كَما بيَّنَّاه آنِفًا؛ كَلَّا، بَلْ طَرْحًا فِيْهِ شَيءٌ مِنَ شَوَاهِدِ الحَالِ، ودَلائِلِ الوَاقِعِ، إنْ شَاءَ اللهُ.

فَعِنْدَ هَذَا؛ عُذْرًا إلَيْكَ أخِي: إذَا خَانَنِي اجْتِهَادِي، أو كَذَّبَتْنِي أرَائِي؛ ولَكِنْ حَسْبِي قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هُوْدٌ: ٨٨].

* * *

❑ فَكَانَ مِنْ أهَمِّ وَسَائِلِ تَحْقِيْقِ فَرِيْضَةِ الجِهَادِ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ اليَوْمَ: هُوَ صِدْقُ النِّيَّةِ والعَزِيْمَةِ والرَّغْبَةِ في جِهَادِنَا مَعَ اليَهُوْدِ في أرْضِ فِلَسْطِيْنَ.

كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١١٩)﴾ [التَّوْبَةُ: ١١٩].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا (٢٣)﴾ [الأحْزَابُ: ٢٣].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن

سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٩١) وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ (٩٢)﴾ [التَّوْبَة: ٩١ ـ ٩٢].

وقَوْلُه ﷺ: **«مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ؛ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وإنْ مَاتَ على فِرَاشِهِ»** مُسْلِمٌ. وفي رِوَايَةٍ: **«مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيْهَا، ولَوْ لم تُصِبْهُ»** مُسْلِمٌ.

وقَالَ ﷺ: **«إنَّ بالمَدِيْنَةِ أقْوَامًا مَا قَطَعْتُم وَادِيًا، ولا سِرْتُم سَيْرًا إلَّا وهُمْ مَعَكُم»** قَالُوا: وهُم بالمَدِيْنَةِ؟ قَالَ: **«نَعَم؛ حَبَسَهُمُ العُذْرُ»** مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

نَعَم؛ لا شَكَّ أنَّ أكْثَرَ المُسْلِمِيْنَ اليَوْمَ صَادِقُوْنَ في رَغْبَتِهِم في جِهَادِ يَهُوْدَ، وإخْرَاجِهِم مِنْ أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، ولا أُبَالِغُ يَوْمَ أقُوْلُ: واللهِ وباللهِ وتَاللهِ! لَوْ فُتِحَ بَابٌ إلى فِلِسْطِيْنَ لرَأيْتَ عَجَبًا مَا كَانَ لَكَ أنْ تَحْلَمَ بِهِ، فَضْلاً أنْ تَرَاهُ أو تَسْمَعَ بِهِ، وذَلِكَ يَوْمَ تَرَى المُسْلِمِيْنَ يَرْكَبُ بَعْضُهُم بَعْضًا، وهُم يَتَدَافَعُوْنَ على بَابِ الجِهَادِ كُهُولاً وشَبَابًا؛ كِبَارًا وصِغَارًا؛ وكَأنِّي أسْمَعُ صَوْتَ قَائِلِهِم: السَّكِيْنَةَ السَّكِيْنَةَ عِبَادَ اللهِ! فَأرْضُ فِلِسْطِيْنَ لا تَسَعُ (لمِلْيَارٍ) مِنَ البَشَرِ!

إلَّا أنَّنَا مَعَ هَذَا التَّفَاؤلِ الكَبِيْرِ يَنْبَغِي لَنَا: ألَّا نَنْسَى أمْرًا مُهِمًّا؛ وإلَّا ذَهَبَتْ آمَالُنَا وحُلُوْلُنَا هَبَاءً مَنْثُورًا أدْرَاجَ الرِّيَاحِ، كَمَا يُرَادُ لهَا مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ.

وذَلِكَ كَامِنٌ في مَعْرِفَةِ حَقِيْقَةٍ خَطِيْرَةٍ: وهِيَ أنَّ قَضَايَا الأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ لَنْ تَتَغَيَّرَ أبَدًا، كَما أنَّها سَتَبْقَى أمَدًا؛ إذَا مَا عَلَّقْنَا آمَالَنَا وحُلُوْلَنا بأيْدِي وسِيَاسَةِ أكْثَرِ حُكَّامِ المُسْلِمِيْنَ اليَوْمَ، وإلَّا كُنَّا كالَّتِي: تَنْقُضُ غزْلَها، إنَّ هَذِهِ الحَقِيْقَةَ يَنْبَغِي أنْ تَكُوْنَ نُصْبَ أعْيُنِنا، وقَضِيَّةً مُسَلَّمَةً عِنْدَنَا.

نَعَم؛ فإنَّنا لا نَشُكُّ أنَّ هُنَاكَ بَعْضَ الحُكَّامِ الصَّادِقِيْنَ في مَواقِفِهِم مَعَ قَضِيَّةِ فِلَسْطِيْنَ، وفي تَحْرِيْرِهَا مِنْ أيْدِي اليَهُوْدِ الغَاصِبِيْنَ، لكِنَّهُم كَغَيْرِهِم مِنَ المُسْلِمِيْنَ لا حَوْلَ لَهُم ولا قُوَّةَ؛ لأنَّهم يُعانُوْنَ كَما نُعَاني مِنْ تَفْرِقَةٍ واخْتِلافٍ ومُنَافَرَةٍ عِنْدَ أكْثَرِ المُسْلِمِيْنَ!

* * *

❐ ومِنْ قَبْلُ؛ كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا أيْضًا: أنْ نَعْلَمَ حَقَائقَ مُهِمَّةً، وأمُوْرًا مُسَلَّمَةً قَدْ عَلِمَهَا الكَثِيْرُ، ودَوَّنَها رِجالُ التَّارِيْخِ، فمِنْ ذَلِكَ: أنَّ العَالَمَ الإسْلامِيَّ لا يَنْسَى قَضِيَّةَ أفْغَانِسْتَانَ مَعَ الشُّيُوعِيِّيْنَ، يَوْمَ انْتَظَرَ المُسْلِمُوْنَ في أفْغَانِسْتَانَ مِنَ الدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ أنْ تَرْفَعَ رَايَةَ الجِهَادِ، وأنْ تَتَقَدَّمَ بجُيُوْشِهَا وعَتَادِهَا لتَحْرِيْرِ أفْغَانِسْتَانَ مِنْ قَبْضَةِ الشُّيُوْعِيِّيْنَ.

فَعِنْدَمَا طَالَ الانْتِظَارُ، ويَئِسَ أهْلُ أفْغَانِسْتَانَ مِنْ قُدُوْمِ جُيُوْشِ المُسْلِمِيْنَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَحرَّكَتْ حَفَائظُ المُسْلِمِيْنَ هُنَاكَ، وثَارَ طَلَبَةُ العِلْمِ، وقَامَ المُصْلِحُوْنَ في إنْقَاذِ بِلادِهِم مِنْ طُغْيَانِ ووَحْشِيَّةِ النِّظَامِ الشُّيُوعِيِّ الكَافِرِ!

نَعم؛ قَامُوا قِيامَ اللَّيْثِ الكَاسِرِ، والْتفَّ المُسْلِمُوْنَ حوْلَ طَلَبَةِ العِلْمِ ليَقُوْمُوا بواجِبِهم نَحْوَ بِلادِهِم؛ ضَارِبِيْنَ بتَنْدِيْدَاتِ الاسْتِنْكَارَاتِ عُرْضَ الحَائِطِ، فَكَانَ مِنْهُم أنْ طَهَّرُوا بِلادَهُم، ورَفَعُوا رَايَةَ الإسْلامِ خَفَّاقَةً تُرَفْرِفُ فَوْقَ جُثَثِ العَابِثِيْنَ ببِلادِهِم، فاللهُ أكْبَرُ!

ومَعَ هَذَا النَّصْرِ؛ إلَّا أنَّهُ لم يَسْلَمْ كَثِيْرٌ مِنَ القَادَةِ الأفْغَانِ مِنْ بَعْضِ المآخِذِ الشَّرعِيَّةِ ـ لَيْسَ هَذَا مَحلَّ مُنَاقَشَتِهَا ـ حَتَّى إذَا اخْتلَفَتْ كَلِمَةُ القَادَةِ آنَذَاكَ، ودَارَتْ رَحى الحَرْبِ بَيْنَهُم؛ قَيَّضَ اللهُ تعَالى لَهَا حَرَكَةَ طَالِبَانَ في حَكُوْمَتِهَا الإسْلامِيَّةِ، حَيْثُ أقَامَتْ شَرْعَ اللهِ تَعالى في تَرْسِيْخِ التَّوْحِيْدِ، ومُنَابَذَةِ الشِّرْكِ، والحُكْمِ بِما أنْزَلَ اللهُ؛ لكِنَّهَا لم تَمْكُثْ طَوِيْلاً؛ حَتَّى ضُرِبَتْ في مَهْدِهَا مِنْ قِبَلِ اليَهُوْدِ والنَّصَارَى والمُنَافِقِيْنَ والعُمَلاءِ، فاللهُ طَلِيْبُهُم!

* * *

كَما لا نَنْسَى مَا صَنَعَهُ أبْطَالُ المُسْلِمِيْنَ، ولُيُوْثُ المُجَاهِدِيْنَ في أرْضِ البُوْسْنَةِ والهِرْسِكِ يَوْمَ خَافَهُمُ الغَرْبُ الكَافِرُ الصَّلِيْبِيُّ، فَعِنْدَهَا أعْلَنَتْ دُوَلُ الغَرْبِ: وَقْفَ القِتَالِ، ووَضْعَ الهُدْنَةِ، وطَرْحَ السَّلامِ!

كُلُّ هَذَا لمَّا عَلِمَ طَلَبَةُ العِلْمِ والمُجَاهِدُوْنَ هُنَاكَ: أنَّ التَّنْدِيْدَاتِ والاسْتِنْكَارَاتِ لَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا، لِذَا هَبُّوا وُحْدَانًا وزَرَافَاتٍ، يَحْدُوْهُم قَوْلُ الشَّاعِرِ:

قَوْمٌ إذَا الشَّرُّ أبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهَمْ   طَارُوا إلَيْهِ زَرَافاتٍ وَوُحْدَانَا

لا يَسْأَلُوْنَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهمْ   في النَّائِباتِ على مَا قَالَ بُرْهَانَا

* * *

وهَلْ يَنْسَى أَحَدٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ مَا فَعَلَهُ رِجَالُ وأُسُوْدُ الشِّيْشَانِ يَوْمَ انْتَظَرُوا أَنْ تُرْفَعَ رَايَةُ الجِهَادِ مِنْ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ، أو تَأْتي الجُيُوْشُ الإسْلامِيَّةُ لتَنْقِذَ مُسْلِمِي الشِّيْشَانِ!

فلَمَّا كَانَ مَا كَانَ: قَامَ المُجَاهِدُوْنَ يُدَافِعُوْنَ عَنْ أرْضِهِم وبِلادِهِم، ويَسْعَوْنَ في رَفْعِ الظُّلْمِ عَنْ إخْوانِهِم... فَكَانَ لهُم مَا سَجَّلَهُ التَّارِيْخُ لهُم، ومَا عَلِمَهُ العَالَمُ الغربيُّ أجْمَعُ عَنْهُم، بَأنَّ هُنَالِك رِجَالاً لا كالرِّجَالِ، ونُفُوْسًا لا كالنُّفُوْسِ، وأبْطَالاً لا كالأبْطَالِ، إنَّهم مُسْلِمُوْنَ اشْتَرَوا الآخِرَةَ بالحَيَاةِ الدُّنْيا، وبَاعُوا أنْفُسَهُم رَخِيْصَةً للهِ تَعَالى، نَعَم: «رَبِحَتِ البَيْعَةُ!».

* * *

ولَيْسَتْ أرْتِيرِيا (الحَبَشَةُ!) عَنَّا ببَعِيْدٍ، يَوْمَ قَامَ طُلَّابُ العِلْمِ بوَاجِبِهِم نَحْوَ بِلادِهِم ودِيْنِهِم: فُرْسَانًا وأبْطَالاً يَجُولُوْنَ الصَّحَارِي، ويَصْعَدُوْنَ الجِبَالَ، ويَخُوْضُوْنَ البِحَارِ... كُلُّ هَذَا لعِلْمِهِم الصَّادِقِ أنَّ بِلادَهُم لَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْ أيْدِي النَّصَارَى والعَلْمانِيِّيْنَ إلَّا بدِمَائِهِم، وأرْوَاحِهِم، في حِيْنِ أنَّهم قَدْ رَكَلُوا بأقْدَامِهِم مَا يَتَشَدَّقُ بِهِ غَيْرُهُم مِنْ أذْنَابِ الغَرْبِ!

* * *

وهَذِهِ كِشْمِيْرُ، فَحَدِّثْ عَنْهَا ولا حَرَجَ، يَوْمَ قَامَرَتْ بقَضِيَّتِها

حَكُوْمَةُ بَاكِسْتَانَ غَيْرَ مرَّةٍ، وهَذِهِ الهِنْدُ لم تَزَلْ تَقْتُلُ مِنْهُم كَيْفَ تَشاءُ، وتَعْبَثُ بأرْوَاحِهِم كَما تَشاءُ، والعَالَمُ الإسْلامِيُّ بَعْدُ يَسْتَنْكِرُ ويُنَدِّدُ، وغَيْرُهَا كَثِيْرٌ مِنْ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ.

❐ ومُحَصَّلَةُ كَلامِي هَذَا: أنْ نَعْلَمَ أنَّ قَضِيَّةَ فِلِسْطِيْنَ مُتَوَقِّفَةٌ على أبْنَائِهَا مِنَ المُسْلِمِيْنَ، مِنْ أهْلِ العِلْمِ، والمُجَاهِدِيْنَ، وغَيْرِهِم مِنَ المُصْلِحِيْنَ النَّاصِحِيْنَ!

كَما أنَّني مِنْ هَذَا الكِتَابِ أُنَادِي كَافَّةَ المُسْلِمِيْنَ، قَائِلاً لهُم: «مَنْ يَأخُذُ السَّيْفَ بحَقِّهِ»؟!

* * *

لأجْلِ هَذَا فَإنِّي أُرِيْدُ أنْ أُبَرْهِنَ صِدْقَ تَفَاؤلِنَا اليَوْمَ مَعَ يَهُوْدَ بمَوْقِفِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ يَهُوْدِ بَنِي النَّضِيْرِ، ولا سِيَّما إذَا عَلِمْنَا أنَّ قِصَّةَ بَنِي النَّضِيْرِ في زَمَنِ الرَّسُوْلِ ﷺ مُماثِلَةٌ في أبْعَادِهَا وأحْوالِهَا ومُلابَسَاتِها بيَهُوْدِ اليَوْمِ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، فَمَا أشْبَهَ اللَّيْلَةَ بالبَارِحَةِ، فاليَهُوْدُ يَهُوْدُ، ولَوْ هَمْلَجَتْ بِهِم حَمِيرُ أمْرِيْكَا، أو طَبَّلَتْ لهُم دُوَلُ الكُفْرِ قَاطِبَةً!

فَقَدْ مَرَّ مَعَنَا أنَّ يَهُوْدَ بَنِي النَّضِيْرِ قَدَ نَكَثُوا العَهْدَ، ونَقَضُوا الوَعْدَ يَوْمَ أرَادُوا إلْقَاءَ الحَجَرِ على رَأسِ الرَّسُوْلِ ﷺ، فَعِنْدَ هَذَا قَامَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ بمُحَاصَرَتِهِم بالكَتَائِبِ، وقَالَ: «**إنَّكُم لا تَأمَنُوْنَ عِنْدِي إلَّا بعَهْدٍ تُعَاهِدُوني عَلَيْهِ**»، فَأبَوْا أنْ يُعْطُوْهُ عَهْدًا، فقَاتَلَهُم يَوْمَهُم ذَلِك

هُوَ والمُسْلِمُوْنَ، ثُمَّ غَدَا الغَدَ على بَنِي قُرَيْظَةَ بالخَيْلِ والكَتَائِبِ (وتَرَكَ بَنِي النَّضِيْرِ) ودَعَاهُم إلى أنْ يُعاهِدُوْهُ، فَعاهَدُوْهُ فانْصَرَفَ عَنْهُم، وغَدَا إلى بَنِي النَّضِيْرِ بالكَتَائِبِ فقَاتَلَهُم؛ حَتَّى نَزَلُوا على الجَلاءِ، وعلى أنَّ لَهُم مَا أقَلَّتِ الإبلُ إلَّا الحَلَقَةَ ـ السِّلاحَ ـ فَجَاءَتْ بَنُو النَّضِيْرِ، واحْتَمَلُوا مَا أقَلَّتِ الإبلُ مِنْ أمْتِعَتِهِم، وأبْوَابِ بُيُوْتِهِم، فَيَهْدِمُوْنَها فَيَحْمِلُوْنَ مَا وَافَقَهُم مِنْ خَشَبِهَا. أخْرَجَهُ أبو دَاوُد، وعَبْدُ الرَّزَّاقِ وغَيْرُهُمَا.

يَقُوْلُ ابنُ هِشَام رَحِمَهُ اللهُ في «سِيْرَتِهِ» (٣/ ٢٧٠): «ونَزَلَ في بَنِي النَّضِيرِ سُوْرَةُ الحَشرِ بأَسْرِهَا، يَذْكُرُ فِيهَا مَا أصَابَهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ نِقْمَتِهِ، ومَا سَلَّطَ عَلَيْهِم بِهِ رَسُوْلَهُ ﷺ، ومَا عَمِلَ بِهِ فِيْهِم، فقَالَ تَعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢]، وذَلِكَ لِهَدْمِهِم بُيُوْتَهِم عَنْ نُجُفِ أبْوَابِهِم إذَا احْتَمَلُوْهَا: «فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَار، وَلَوْلَا أنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ». وكَانَ لَهُم مِنَ اللهِ نِقْمَةٌ: «لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا»؛ أيْ: بالسَّيْفِ: «وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ»، مَعَ ذَلِكَ». انْتَهَى.

فَإذَا تَدَبَّرْنَا سُوْرَةَ الحَشْرِ، ومَا حَصَلَ في هَذِهِ الغَزْوَةِ نَسْتَطِيعُ أنْ نَقِفَ مَعَ بَعْضِ العِبَرِ والمَوَاعِظِ الَّتِي تَدْفَعُنَا إلى الاطْمِئْنَانِ بنَصْرِنَا وجِهَادِنَا مَعَ يَهُوْدِ اليَوْمِ في أرْضِ فِلَسْطِيْنَ إنْ شَاءَ اللهُ، فمِنْ ذَلِكَ:

أوَّلاً: أنَّ يَهُوْدَ بَنِي النَّضِيرِ أخَذَتْهُمُ العِزَّةُ بالإثْمِ، يَوْمَ تَحَصَّنُوا في بُيُوتِهِم وقِلاعِهِم ظَنًّا مِنْهُم أنَّها سَتَحْمِيْهِم.

وهَذَا حَاصِلٌ لِيَهُوْدِ اليَوْمِ فِيْما بَنَوْهُ وعَمَّرُوْهُ مِنْ جُسُوْرٍ وحُدُوْدٍ!

ثَانِيًا: أنَّ يَهُودَ بَنِي النَّضِيْرِ أيْضًا ظَنُّوا أنَّ مَا عِنْدَهُم مِنَ العَتَادِ والعُدَّةِ مَا سَيَكْفِيْهِم في مُقَاوَمَةِ المُسْلِمِيْنَ، وذَلِكَ لِعِلْمِهِم بأنَّهم يَمْلِكُوْنَ مِنَ السِّلاحِ والكُرَاعِ والحَافِرِ مَا يَفُوْقُ مَا عِنْدَ المُسْلِمِيْنَ آنَذَاكَ!

وهَذَا حَاصِلٌ لِيَهُوْدِ اليَوْمِ فِيْما عِنْدَهُم مِنْ أسْلِحَةٍ نَوَوِيَّةٍ، وطَيْرَانٍ جَوِّيٍّ كَبِيرٍ، وغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأسْلِحَةِ المُتَطَوِّرَةِ!

ثَالِثًا: أنَّهُم ازْدَادُوا ثَبَاتًا وقُوَّةً يَوْمَ تَحَالَفَ مَعَهُم بَعْضُ الأحْلافِ.

وهَذَا حَاصِلٌ لِيَهُوْدِ اليَوْمِ في تَحَالُفِهَا السَّافِرِ مَعَ أمْرِيْكَا، ودُوَلِ الغَرْبِ الكَافِرِ!

أمَّا المُسْلِمُوْنَ آنَذَاكَ فَحَالُهُم مَعَ بَنِي النَّضِيْرِ شَبِيْهٌ بحَالِنَا هَذِهِ الأيَّامَ بَعْضَ الشَّيءِ، وذَلِكَ في الآتي.

رَابِعًا: أن المُسْلِمِيْنَ ظَنُّوا أنَّهُم لَنْ يَقْدِرُوا على إخْرَاجِ بَنِي النَّضِيْرِ مِنْ حُصُوْنِهِم؛ لِعِلْمِهِم أنَّها حُصُوْنٌ قَوِيَّةٌ، وعِنْدَهُم مِنَ الشَّجَاعَةِ والقِتَالِ مَا يَحْمِلُهُم على الدِّفَاعِ عَنْ بِلادِهِم... وعِنْدَهُم مِنْ أدَوَاتِ الحَرْبِ الكَثِيرِ مَا لم يَكُنْ يَخْفَى على المُسْلِمِيْنَ!

وهَذَا شَبِيْهٌ بحَالِنَا مَعَ اليَهُوْدِ، مَعَ عِلْمِنَا أنَّهُم يَمْلِكُوْنَ مِنَ القُوَى العَسْكَرِيَّةِ مَا لا يَخْفَى كَثْرَةً وتَقْنِيَةً!

* * *

□ أمَّا إذَا سَألْتَ عَنِ الفَوَارِقِ بَيْنَ حَالِنَا، وحَالِ المُسْلِمِيْنَ آنَذَاكَ فَهِيَ كَثِيْرَةٌ لا تُحَدُّ؛ لكِنْ بحَسْبِنَا مِنْهَا:

الصِّدْقُ مَعَ اللهِ تَعَالى في قِتَالِ اليَهُوْدِ، وهَذَا الفَارِقُ وَحْدَهُ كَافٍ في بَيَانِ البَوْنِ الشَّاسِعِ بَيْنَنَا وبَيْنَ مَنْ سَبَقُوْنَا مِنَ المُسْلِمِيْنَ الصَّادِقِيْنَ!

وذَلِكَ يَوْمَ صَدَقَ النَّبِيُّ ﷺ، ومَنْ مَعَهُ في قِتَالِ بَنِي النَّضِيْرِ، مَعَ عِلْمِهِم السَّابِقِ أنَّ بَنِي النَّضِيْرِ يَمْلِكُوْنَ مِنَ العُدَّةِ والعَتَادِ الشَّيْءَ الكَثِيْرَ كَما أسْلَفْنَا؛ إلَّا أنَّهُم صَدَقُوا مَعَ اللهِ تَعَالى، وامْتَثَلُوا لأمْرِ نَبِيِّهِم ﷺ، فَكَانَ حِيْنَئِذٍ النَّصرُ حَلِيْفَهُم، والعِزَّةُ لهُم.

وذَلِكَ لَمَّا عَلِمَ اللهُ تَعَالى مِنْهُمُ الصِّدْقَ، وامْتِثَالَهُم للأمْرِ مُبَاشَرَةً: نَصَرَهُم اللهُ تَعَالى حِيْنَ أرْسَلَ جُنُوْدًا لم يَرَوْهَا، جُنُوْدًا لَيْسُوا مِنَ البَشَرِ، ولا مِنَ المَلائِكَةِ فَقَطُ؛ بَلْ جُنُوْدًا مِنَ السَّمَاءِ حِيْنَ أنْزَلَ عَلَيْهِمُ الرُّعْبَ والخَوْفَ في قُلُوْبِهِم، فَما كَانَ مِنْهُم إلَّا أنْ ألْقَوْا السِّلاحَ، وجَعَلُوا مَعَ هَذَا يُخْرِبُوْنَ بُيُوْتَهُم بأيْدِيْهِم؛ وأيُّ حَسْرَةٍ بَعْدَ هَذَا: يَوْمَ يَقُوْمُ الوَاحِدُ بنَقْضِ بَيْتِهِ الَّذِي طَالمَا بَنَاهُ وشَيَّدَهُ؟!

إنَّها الانْتِصَارَاتُ الإلَهِيَّةُ، يَوْمَ تَعْجزُ القُوَى البَشَرِيَّةُ، وتَنْقَطِعُ السُّبُلُ الكَوْنِيَّةُ، فَلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿يَاأَيُّهَا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ (٧)﴾ [مُحَمَّدٌ: ٧].

فَجدْيرٌ بِنَا أنْ نَصْدُقَ مَعَ اللهِ تَعَالى في قِتَالِ يَهُوْدَ اليَوْمَ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، لأنَّنَا إذَا صَدَقْنَا اللهَ فَسَوْفَ يَتَوَلَّى اللهُ تَعَالى المُسْلِمِيْنَ حِيْنَ يَخْذِلُ يَهُوْدَ، ويَقْلِبُ كَيْدَهُم عَلَيْهِم، هَذَا إذَا مَا قَامُوا هُم بتَخْرِيْبِ مَا عِنْدَهُم مِنْ أسْلِحَةٍ حَرْبِيَّةٍ، ولَيْسَ هَذَا على اللهِ بَعَزِيْزٍ!

* * *

❐ ونَحْنُ مَعَ هَذَا التَّفَاؤُلِ، وهَذِهِ المَطَالِبِ الإيْمانِيَّةِ في تَحْقِيْقِ الجِهَادِ على أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، كَانَ عَلَيْنَا والحَالَةُ هَذِهِ أنْ نَكُوْنَ نَاظِرِيْنَ بعَيْنِ الاعْتِبَارِ إلى حَالِ الوَاقِعِ، ومَآلِ الوَقَائِعِ، وهُوَ مَا يُسَمَّى: بفِقْهِ الوَاقِعِ!

لِذَا بَاتَ في مَكْنُوْنِ عِلْمِ الجَمِيْعِ، أنَّ تَحقِيْقَ أو إقَامَةَ الجِهَادِ على أرْضِ فِلِسْطِيْنَ اليَوْمَ مِنْ عَامَّةِ المُسْلِمِيْنَ؛ كَادَ أنْ يُصْبِحَ ضَرْبًا مِنَ الخَيَالِ، أو لَغْوًا مِنَ الأقْوَالِ؛ لأنَّ الكُلَّ يَعْلَمُ أنَّ الدُّخُوْلَ لأرْضِ فِلِسْطِيْنَ هَذِهِ الأيَّامَ مِنْ غَيْرِ أهْلِهَا لَيْسَ مِنَ السُّهُوْلَةِ بمَكَانٍ، ولَوْ قُدِّرَ للبَعْضِ (الدُّخُوْلُ) فَفِيْهِ أيْضًا مِنَ الصُّعُوْبَةِ والمُقَامَرَةِ الشَّيءُ الكَبِيْرُ، ممَّا لم يُكَلِّفْنَا اللهُ بِهِ.

لأجْلِ هَذَا؛ فَإنَّني مَا أرَدْتُ بكَلامِي هَذَا (أوَّلًا) إلَّا أهْلَ فِلِسْطِيْنَ كَافَّةً، لأنَّ الجِهَادَ في حَقِّهِم أصْبَحَ فَرْضَ عَيْنٍ، على كُلِّ

قَادِرٍ مِنْهُم، كَما أجْمعَ عَلَيْهِ أهْلُ العِلْمِ كَافَّةً(١).

ومَهْمَا يَكُنْ مِنْ مُحَاوَلاتٍ فَرْدِيَّةٍ مِنْ هُنَا أو هُنَاكَ مِمَّا تَكَلَّفَ بِهِ بَعْضُ المُجَاهِدِيْنَ الغَيُوْرِيْنَ في دُخُوْلِهِم مُتَسَلِّلِيْنَ إلى أرْضِ فِلَسْطِيْنَ: يُعْتَبَرُ مِنْهُم جِهَادًا فَوْقَ جِهَادِهِم، إلَّا أنَّهَا حَالاتٌ فَرْدِيَّةٌ لا يُقَاسُ عَلَيْهَا، فمِنْ هُنَا كَانَ مِنَ الخَطَأ الفِقْهِي أنْ يَذْهَبَ بَعْضُ أهلِ العِلْمِ إلى وُجُوْبِ دُخُوْلِ عُمُوْمِ المُسْلِمِيْنَ إلى أرْضِ فِلَسْطِيْنَ، دُوْنَ النَّظَرِ إلى وَاقِعِ الحُدُوْدِ الَّتِي تُحِيْطُ وتُحْدِقُ بأرْضِ فِلَسْطِيْنَ؛ هَذَا إذَا عَلِمَ الجَمِيْعُ أنَّ عَامَّةَ الحُدُوْدِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ الَّتِي لا يُمْكِنُ عُبُوْرُهَا: هِيَ حُدُوْدُ بِلادٍ إسْلامِيَّةٍ، ومِنْ حُكُوْمَاتٍ إسْلامِيَّةٍ، (الأرْدُنُ، وسُوْرِيا، ولِبْنَانُ، ومِصْرُ)، وهَذَا في حَدِّ ذَاتِهِ يُعْتَبَرُ خِيَانَةً لا تُغْفَرُ، وجَرِيْمَةً لا نَعْلَمُ لهَا سَابِقَةً في تَارِيْخِ المُسْلِمِيْنَ، إلَّا مَا كَانَ مِنَ الفَاطِمِيِّيْنَ العُبَيْدِيِّيْنَ، أو القَرَامِطَةِ البَاطِنِيِّيْنَ، ولَيْسَ عَنَّا مَا فَعَلَتْهُ حَكُوْمَةُ مِصْرَ في عَهْدِ الرَّئِيْسِ الهَالِكِ مُحَمَّد حُسْنِي مُبَارَكٍ، عَامَ (٢٠٠٨م ـ ١٤٢٩هـ)، أثْنَاءَ حَرْبِ اليَهُوْدِ على إخْوَانِنَا في غَزَّةَ؛ حَيْثُ أغْلَقَتِ الحُدُوْدَ والمَعَابِرَ، وسَدَّتِ الأنْفَاقَ، بَلْ مَنَعَتْ دُخُوْلَ كُلِّ شَيءٍ إلى غَزَّةَ، ولو كَانَ دَوَاءً، أو طَعَامًا، فاللهُ المُسْتَعَانُ!

لأجْلِ هَذَا؛ فَإنَّ دُخُوْلَ عُمُوْمِ المُسْلِمِينَ إلى أرْضِ فِلَسْطِيْنَ كَادَ

---

(١) الحَدِيْثُ هُنَا عَنِ الجِهَادِ في أرْضِ فِلَسْطِيْنَ، أمَّا الحَدِيْثُ عَنْ أحْكَامِهِ العَامَّةِ، فَلَهُ كُتُبُهُ المَبْسُوْطَةُ.

يَكُوْنُ اليَوْمَ: مُحالاً (كَما أسْلَفْنا)، إلَّا أنَّنا مَعَ هَذَا الاعْتِذَارِ: نُطَالِبُ عُمُوْمَ المُسْلِمِيْنَ شَرْعًا، بِما يَأتِي مِنَ الحُلُوْلِ.

* * *

□ **الحَلُّ الثَّالِثُ: أخْذُ العُدَّةِ، وتَدْرِيْبُ النَّفْسِ على الجِهَادِ تَدْرِيْبًا مَعْنَوِيًّا وبَدَنِيًّا.**

لِقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنْفَالُ: ٦].

واسْتِنَادًا على هَذِهِ الآيَةِ وغَيْرِهَا: أوْجَبَ أهْلُ العِلْمِ الإعْدَادَ على كُلِّ مُسْلِمٍ مِنْ غَيْرِ أهْلِ الأعْذَارِ الشَّرْعِيَّةِ، وذَلِكَ على قَدْرِ الاسْتِطَاعَةِ.

بَلْ عَدَّ أهْلُ العِلْمِ الإعْدَادَ البَدنِيَّ: هُوَ الفَارِقُ بَيْنَ المُؤمِنِ المُنَافِقِ، لِقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التَّوْبَةُ: ٤٦]، وسَيَأتِي لِهَذِهِ الآيَاتِ شَيءٌ مِنَ التَّفْسِيرِ إنْ شَاءَ اللهُ.

* * *

□ فالجِهَادُ المَعْنَوِيُّ: هُوَ أنْ يَحْمِلَ المُسْلِمُ نَفْسَهُ على طَاعَةِ اللهِ تَعالى في السَّرَاءِ والضَّراءِ، والسِّرِّ والعَلانِيَةِ، وذَلِكَ بِفِعْلِ المَأمُوْرِ، وتَرْكِ المَحْظُوْرِ، والرِّضَى بالمَقْدُوْرِ.

فَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الجِهَادِ: هُوَ رَأسُ الجِهَادِ وأُسُّهُ الَّذِي لا يَسْتَقِيمُ جِهَادٌ إلَّا بِهِ؛ لا سِيَّما جِهَادُ النَّفْسِ، والشَّيْطَانِ، والمُنَافِقِيْنَ، والفُسَّاقِ، والكُفَّارِ.

وقَدْ قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العَنْكَبُوْت: ٦٩].

وقَالَ ﷺ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ في اللهِ» أخْرَجَهُ أحْمَدُ، والتِّرْمِذيُّ، وهُوَ صَحِيْحٌ.

وقَدْ سُئِلَ ﷺ أيُّ الأعْمَالِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «طُولُ الْقِيَامِ»، قِيلَ: فَأيُّ الصَّدَقَةِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «جَهْدُ المُقِلِّ»، قِيلَ: فَأيُّ الهِجْرَةِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ»، قِيلَ: فَأيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ جَاهَدَ الْمُشْرِكِينَ بِمَالِهِ، وَنَفْسِهِ»، قِيلَ: فَأيُّ القَتْلِ أشْرَفُ؟ قَالَ: «مَنْ أُهَرِيقَ دَمُهُ، وعُقِرَ جَوَادُهُ» أخْرَجَهُ أبُو دَاوُدَ، وهُوَ صَحِيْحٌ.

* * *

❑ أمَّا الجِهَادُ البَدَنيُّ (المَادِّيُّ): فَهُوَ تَدْرِيبُ النَّفْسِ على حَمْلِ السِّلاحِ بكُلِّ أنْوَاعِهِ، ولا سِيَّما الأسْلِحَةُ الحَدِيْثَةُ مِنْهَا، وذَلِكَ على قَدْرِ الاسْتِطَاعَةِ، فمُسْتَقِلٌ ومُسْتَكْثِرٌ.

كَما قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]، وقَوْلُه تَعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التَّغَابُن: ١٦].

* * *

والدَّلِيْلُ على وُجُوبِ الإعْدَادِ البَدَنيِّ للجِهَادِ، قَوْلُهُ تَعالى:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ [الأنْفَالُ: ٦٠].

وقَدْ فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ القُوَّةَ في هَذِهِ الآيَةِ: بالرَّمي، كَما أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ وهُوَ على المِنْبَرِ يَقُوْلُ: «**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**»، «**ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمي، ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمي، ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمي**».

قَالَ ابنُ جَرِيْرٍ رحمه الله في تَفْسِيْرِ هَذِهِ الآيَةِ: «والصَّوابُ مِنَ القَوْلِ في ذَلِك أنْ يُقَالَ: إنَّ اللهَ أمَرَ المؤمِنِيْنَ بإعْدَادِ الجِهَادِ، وآلَةِ الحَرْبِ، ومَا يَتقَوَّوْنَ بِهِ على جِهادِ عَدُوِّهِ وعَدُوِّهِم مِنَ المُشْرِكِيْنَ مِنَ السِّلاحِ والرَّمي وغَيْرِ ذَلِكَ ورِبَاطِ الخَيْلِ، ولا وَجْه لأنْ يُقَالَ: عُنِيَ «بالقُوَّةِ» مَعْنًى دُوْنَ مَعْنًى مِنْ مَعَاني «القُوَّةِ» وقَدْ عَمَّ اللهُ الأمْرَ بِهَا».

وقَالَ أيْضًا ابنُ كَثِيْرٍ رحمه الله في هَذِهِ الآيَةِ: «أمَرَ تَعَالى بإعْدَادِ آلاتِ الحَرْبِ لمُقَاتَلَتِهِم حَسَبَ الطَّاقَةِ والإمْكَانِ والاسْتِطَاعَةِ، فَقَالَ: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ»؛ أيْ: تُخِيْفُوْنَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُم: أيْ مِنَ الكُفَّارِ».

وقَالَ النَّوَوِيُّ رحمه الله في شَرْحِ هَذَا الحَدِيْثِ (١٣/ ٦٤): «وفِيْهِ فَضِيْلَةُ الرَّمي والمُنَاضَلَةِ والاعْتِنَاءِ بذَلِكَ بِنِيَّةِ الجِهَادِ في سَبِيْلِ اللهِ تَعَالى، وكَذَلِكَ المُشَاجَعَةِ وسَائِرِ أنْوَاعِ اسْتِعْمَالِ السِّلاحِ، وكَذَلِك

المُسَابَقَةِ بالخَيْلِ وغَيْرِهَا، والمُرَادُ التَّمَرُّنُ على القِتَالِ والتَّدْرِيْبِ والحَذْقِ فِيْهِ، ورِيَاضَةِ الأعْضَاءِ بذَلِكَ».

وقَالَ الصَّنْعانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أيْضًا في «سُبُلِ السَّلامِ» (٤/ ٢٦٥) عِنْدَ شَرْحِ هَذَا الحَدِيْثِ: «أفَادَ الحَدِيْثُ تَفْسِيْرَ القُوَّةِ في الآيَةِ بالرَّمِي بالسِّهَامِ؛ لأنَّهُ المُعْتَادُ في عَصْرِ النُّبُوَّةِ، ويَشْتَمِلُ الرَّمِيَ بالبَنَادِقِ للمُشْرِكِيْنَ والبُغَاةِ، ويُؤخَذُ مِنْ ذَلِكَ شَرْعِيَّةُ التَّدَرُّبِ فِيْهِ؛ لأنَّ الإعْدَادَ إنَّما يَكُوْنُ مَعَ الاعْتِيَادِ؛ لأنَّ مَنْ لم يُحسِنِ الرَّمْيَ لا يُسَمَّى مُعِدًّا للقُوَّةِ، واللهُ أعْلَمُ».

* * *

ومِنْ خِلالِ هَذِهِ الآيَةِ، والحَدِيْثِ، وكَلامِ أهْلِ العِلْمِ؛ كَانَ وَاجِبًا على عُمُوْمِ المُسْلِمِيْنَ أنْ يَتَدَرَّبُوا على السِّلاحِ الحَدِيْثِ مِنْ بَنَادِقَ ودَبَّابَاتٍ وطَائِرَاتٍ وغَيْرِهَا، وذَلِكَ بحَسَبِ الاسْتِطَاعَةِ والقُدْرَةِ، ولَوْ بالقَدْرِ الَّذِي يَسْقُطُ بِهِ الطَّلَبُ وتَبْرأ بِهِ الذِّمَّةُ: كالجَرْيِ أو المُسَابَقَةِ بالأقْدَامِ، أو تَدْرِيْبِ الأعْضَاءِ على الحَرَكَةِ، وكَذَا الرَّمِي بالبُنْدُقِيَّةِ ونَحْوِهَا (كالرَّشَّاشِ)، ممَّا هُوَ مِنْ آلَةِ الحَرْبِ هَذِهِ الأيَّامَ.

❐ ومِنَ المُؤسِفِ، بَلْ مِنَ المُحْزِنِ في الوَقْتِ نَفْسِهِ أنَّنَا نَجدُ طَائِفَةً مِنْ أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ هَذِهِ الأيَّامَ قَدْ تَرَبَّوْا ونَشَأوا على حَيَاةِ الدَّعَةِ والتَّرَفِ والتَّنَعُّمِ، فَغَالِبُهم يَتَقَلَّبُ ما بَيْنَ مَصَاعِدَ كَهْرُبَائِيَّةٍ، وسَيَّارَاتٍ فَارِهَةٍ، وفُرُشٍ نَاعِمَةٍ، وهَكَذَا حَتَّى أصْبَحَ الوَاحِدُ مِنْهُم إنْسَانًا مُنَعَّمًا ذَابِلاً فَاتِرًا!

❐ يُوَضِّحُهُ؛ أنَّكَ إذَا طَلَبْتَ مِنْ بَعْضِهِم أنْ يَرْكُضَ مُسْرِعًا بَيْنَ يَدَيْكَ مَسَافَةً قَصِيْرَةً تبلغ رَمْيَةَ حَصَاةٍ، أي: نَحْوَ مَائَةِ مِتْرٍ (١٠٠م) تَقْرِيبًا، لَرَأيْتَ مِنْهُ العَجَبَ العُجَابَ: لَرَأيْتَ مِنْهُ لهَثًا، واسْتِرْجَاعًا، وعَرَقًا، وتَصْعِيْدًا في الأنْفَاسِ، وحَملَقَةً في الأبْصَارِ، كَأنَّهُ يَنْظُرُ إلَيْكَ نَظَرَ المَغْشيِّ عَلَيْهِ مِنَ التَّعَبِ!

والمُصِيْبَةُ كُلُّهَا إذَا عَلِمَ الجَمِيْعُ أنَّ هَذَا الحَالَ المُسْتَكْرَه قَدْ وَصَلَ إلى طَائِفَةٍ لَيْستْ قَلِيْلَةً مِنْ أهْلِ العِلْمِ وطُلَّابِهِ، فاللهُ المُسْتَعَانُ!

نَعَم؛ هَذِهِ حَقَائِقُ يَنْبَغِي عَلَيْنا ألَّا نَغُضَّ الطَّرْفَ عَنْهَا بِحَالٍ مِنَ الأحْوَالِ؛ فَكَانَ مِنَ النَّصِيْحَةِ أنْ نَحْمِلَ المُسْلِمِيْنَ هَذِهِ الأيَّامَ على الإعْدَادِ البَدَنِي؛ كَما يَجِبُ على وُلاةِ الأمْرِ ممَّنْ أعْطَاهُمُ اللهُ بَسْطَ يَدٍ على الرَّعِيَّةِ أنْ يَحْمِلُوْهُم ويَدْفَعُوْهُم إلى التَّدَرُّبِ على الأسْلِحَةِ الحَدِيْثَةِ، هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ الأمَّةَ الإسْلامِيَّةَ تَمرُّ هَذِهِ الأيَّامَ بظُرُوْفٍ حَرِجَةٍ: فالوَقْتُ ضَيِّقٌ، والعَدُوُّ مُتَرَبِّصٌ، والأحْدَاثُ مُتَتَابِعَةٌ، والأيَّامُ تُبَشِّرُ بمَوْلُودٍ جَدِيْدٍ عَسَاهُ يَكُوْنُ خَيْرًا!

وكَما قَالَ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ في «مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى» (٢٨/ ٢٥٩): «كَمَا يَجِبُ الاسْتِعْدَادُ للجِهَادِ بإعْدادِ القُوَّةِ ورِبَاطِ الخَيْلِ في وَقْتِ سُقُوْطِهِ للعَجْزِ؛ فَإنَّ مَا لا يَتِمُّ الوَاجِبُ إلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ».

* * *

❐ وفي قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التَّوْبَةُ: ٤٦]، دَلِيْلٌ ظَاهِرٌ على أنَّ الإعْدَادَ البَدنيَّ: هُوَ الفَارِقُ بَيْنَ المُؤمِنِ والمُنَافِقِ، لِذَا كَانَ مِنْ صِفَاتِ المُنَافِقِيْنَ تَرْكُ الإعْدَادِ للجِهَادِ، وهَذَا ما بَيَّنَهُ النَّبيُّ ﷺ بقَوْلِهِ: «**مَنْ مَاتَ ولم يَغْزُ، ولم يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بالغَزْوِ مَاتَ على شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ**» مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيْثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقَالَ أيْضًا ﷺ: «**مَنْ عَلِمَ الرَّمِيَ ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، أو قَدْ عَصَى**» مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيْثِ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عِنْدَ شَرْحِ هَذَا الحَدِيْثِ: «هَذَا تَشْدِيْدٌ عَظِيْمٌ في نِسْيَانِ الرَّمِي بَعْدَ عِلْمِهِ، وهُوَ مَكْرُوْهٌ كَرَاهَةً شَدِيْدَةً لمَنْ تَرَكَهُ بِلا عُذْرٍ».

قُلْتُ: كَيْفَ والحَالَةُ هَذِهِ بمَنْ لم يَتَعَلَّمِ الرَّمِيَ ابْتِدَاءً! فلْيَحْذَرِ المُسْلِمُ مِنْ خِصَالِ النِّفَاقِ، ومَوَاطِنِ العَذَابِ!

وحَسْبُكَ هَذَا الوَعِيْدُ الشَّدِيْدُ مِنَ النَّبيِّ ﷺ، إذْ يَقُوْلُ: «**مَنْ لم يَغْزُ، أو يُجَهِّزْ غَازِيًا، أو يَخْلُفْ غَازِيًا في أهْلِهِ بخَيْرٍ، أصَابَهُ اللهُ بقَارِعَةٍ، قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ**» أخْرَجَهُ أبو دَاوُدَ وابنُ مَاجه، وهُوَ حَسَنُ الإسْنَادِ، والقَارِعَةُ هُنَا: الدَّاهِيَةُ المُهْلِكَةُ!

ومِنْ خِلالِ هَذَا الحَدِيْثِ فَقَدْ جَعَلَ النَّبيُّ ﷺ المُسْلِمَ وَاحِدًا مِنْ ثَلاثَةٍ: إمَّا غَازِيًا، أو مُجَهِّزًا، أو خَالِفًا بِخَيْرٍ قَطُّ.

أمَّا الرَّابِعُ فَهُوَ المُنَافِقُ (عَيَاذًا باللهِ!): وهُوَ الَّذِي لم يَتَلَبَّسْ بوَاحِدَةٍ مِنَ هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلاثَةِ!

* * *

□ وعِنْدَ التَّحْقِيْقِ؛ نَجِدُ أنَّ اللهَ تَعالى لم يَعْذُرْ أحَدًا مِنَ المُسْلِمِيْنَ المُكَلَّفِيْنَ عَنِ الجِهَادِ ولَوْ بنَوْعٍ مِنَ أنْوَاعِ المُنَاصَرَةِ، وهُوَ مَا ذَكَرَهُ تَعالى بقَوْلِهِ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التَّوْبَةُ: ٩١ ـ ٩٢].

فَهَذِهِ الآيَةُ قَاطِعَةٌ بعَدَمِ الإعْذَارِ لأحَدٍ مِنَ المُكَلَّفِيْنَ عَنِ الجِهَادِ في سَبِيْلِ اللهِ بحَالٍ مِنَ الأحْوَالِ، سَوَاءٌ كَانَ بنَفْسِهِ أو مَالِهِ، فَإنْ لم يَكُنْ شَيءٌ مِنْ ذَلِكَ فبِالمُنَاصَحَةِ.

فاللهُ تَعَالى في هَذِهِ الآيَةِ لمَّا عَذَرَ أصْحَابَ الأعْذَارِ الشَّرْعِيَّةِ في تَرْكِهِم للجِهَادِ: وهُمُ الضُّعَفَاءُ، والمَرْضَى، والمُعْسِرُوْنَ، بَيَّنَ اللهُ تَعَالى أنَّهُم غَيْرُ مَعْذُوْرِيْنَ على الإطْلاقِ، وغَيْرُ مَرْفُوْعٍ عَنْهُمُ الحَرَجُ: إلَّا بشَرْطِ المُنَاصَحَةِ للهِ تَعَالى ولرَسُوْلِه ﷺ، فَتأمَّلْ!

قَالَ ابنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللهُ في تَفْسِيْرِ هَذِهِ الآيَةِ: «فَلَيْسَ على هَؤلاءِ حَرَجٌ إذَا قَعَدُوا ونَصَحُوا في حَالِ قُعُوْدِهِم، ولم يُرْجِفُوا بالنَّاسِ، ولم يُثَبِّطُوْهُم، وهُم مُحْسِنُوْنَ في حَالِهِم هَذَا».

قُلْتُ: كَيْفَ والحَالَةُ هَذِهِ ممَّنْ لَيْسَ مِنْ أهْلِ الإعْذَارِ، ممَّنْ جَلَسَ للإرْجَافِ والتَّثْبِيْطِ والنَّيْلِ مِنْ أعْرَاضِ إخْوَانِهِ المُجَاهِدِيْنَ!

والمُصِيْبَةُ كُلُّ المُصِيْبَةِ إذَا كَانَ حِلْسُ الإرْجَافِ هَذَا مِنَ المُنْتَسِبِيْنَ إلى العِلْمِ، فاللهُ المُسْتَعَانُ!

أمَّا إذا سَألْتَ أخِي المُسْلِمَ عَنْ حَقِيْقَةِ النَّصِيْحَةِ للهِ والرَّسُوْلِ ﷺ الوَاجِبَةِ على أصْحَابِ الأعْذَارِ عَنِ الجِهَادِ بأبْدَانِهِم، فكَثِيْرَةٌ، وذَلِك مَاثِلٌ في الحُلُوْلِ الآتِيَةِ هُنَا.

* * *

○ **الحَلُّ الرَّابِعُ: إدْخَالُ السِّلاحِ لإخْوَانِنَا المُسْلِمِيْنَ دَاخِلَ فِلِسْطِيْنَ بطَرِيْقٍ أو آخَرَ**، وهَذَا الحَلُّ مَا أظُنُّه مِنَ الصُّعُوْبَةِ بمَكَانٍ، هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ الحُدُوْدَ كُلَّهَا إسْلامِيَّةٌ، فَخُذْ مَثَلاً مِنَ الغَرْبِ: البَّحْرُ الأبْيَضِ المُتَوَسِّطِ ومِصْرُ، ومِنَ الشَّرْقِ سُوْرِيَا والأرْدُنُ، ومِنَ الجَنُوْبِ خَلِيْجُ العَقَبَةِ، ومِنَ الشَّمالِ لِبْنَانُ، وأكْثَرُ هَذِهِ الحُدُوْدِ مَكْشُوْفَةٌ يَسْتَطِيْعُ الوَاحِدُ المُرُوْرَ عَبْرَهَا، لا سِيَّما سَيْنَاءَ!

وقَدْ تَقُوْلُ كَيْفَ هَذَا؟ أقُوْلُ لَكَ: هَلْ أهْلُ تَهْرِيْبِ المُخَدَّرَاتِ - الَّذِيْنَ يَسْعَوْنَ في الأرْضِ فَسَادًا - أحْكَمُ وأعْلَمُ وأوْفَقُ مِنَ المُصْلِحِيْنَ؟ كَلَّا!

ولَكِنْ هَذَا لا يَكُوْنُ إلَّا إذَا صَدَقتِ مِنَّا العَزِيْمَةُ، فَحِيْنَئِذٍ تَتَحَقَّقُ الأهْدَافُ بإذْنِ اللهِ تَعَالى!

❐ يُوَضِّحُه أيْضًا؛ مَا نَراهُ ونَسْمَعُه هَذِهِ الأيَّامَ مِنْ وُجُوْدِ الأسْلِحَةِ (الخَفِيْفَةِ، والثَّقِيْلَةِ) في أيْدِي إخْوانِنا المُجاهِدِيْنَ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، الشَّيءُ الَّذي لم نَكُنْ نَراهُ أو نَسْمَعُهُ مِنْ زَمَنٍ بَعِيْدٍ، فَإنَّ صَنِيْعًا مِثْلَ هَذَا ممَّا يُبَشِّرُ بالنَّصْرِ قَرِيْبًا إنْ شَاءَ اللهُ.

ولَيْسَ مِنَ الضَّرُورِي أنْ يَكُوْنَ دُخُوْلُ هَذِهِ الأسْلِحَةِ عَنْ طَرِيْقِ آحَادِ النَّاسِ وأفْرَادِهِم، بَلْ قَدْ يَكُوْنُ عَنْ طَرِيْقِ بَعْضِ الجَماعَاتِ المُنَظَّمَةِ، وهُوَ كَذَلِكَ!

إلَّا إنَّنا هُنَا نَدْعُو أيْضًا إلى الحَذَرِ والتَّأكُّدِ مِنْ خَطَرِ ومَغَبَّةِ بَعْضِ هَذِهِ الحُدُوْدِ (للأسَفِ!)، كَما نُطَالِبُ بالتَّأكُّدِ مِنْ سَلامَةِ عُبُوْرِهَا، وإلَّا كَمَا قَالَ تَعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٨٦]، هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ القُدْرَةَ هُنَا أيْضًا مُعَلَّقَةٌ بالاسْتِطَاعَةِ، كَمَا قَالَ تَعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التَّغابُنُ: ١٦].

وقَدْ سَمِعْتُ مُؤخَّرًا في مَطْلَعِ هَذَا العَامِ (١٤٣٤) كَلِمَةً عَظِيْمَةً مِنْ رَئِيْسِ وُزَرَاءِ السُّلْطَةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ سَابِقًا، المُجَاهِدِ القَائِدِ: إسْمَاعِيْلَ هَنِيَّةَ، حَفِظَهُ اللهُ؛ حَيْثُ قَالَ وهُوَ يَخْطُبُ في أهْلِ غَزَّةَ بَعْدَ انْتِصَارِهِم المُحَقَّقِ على اليَهُوْدِ، مَا يَلي: «كَانَتْ غَزَّةُ في عَامِ (٢٠٠٨م) تُضْرَبُ مِنَ القَاهِرَةِ، واليَوْمَ في عَامِ (٢٠١٢م) تُنْصَرُ غَزَّةُ مِنَ القَاهِرَةِ!».

أيْ: أنَّ غَزَّةَ كَانَتْ تُضْرَبُ في عَصْرِ رَئِيْسِ مِصْرَ السَّابِقِ:

مُحمَّد حُسْني مُبارَك، وهِيَ اليَوْمَ تُنْصَرُ في عَصْرِ رَئِيْسِ مِصْرَ الجَدِيْدِ: مُحَمَّد مُرْسِي!

إنَّها كَلِمَةٌ مُؤلِمَةٌ كَاشِفَةٌ؛ لَهَا مَدْلُوْلاتُها السِّيَاسِيَّةُ، ومَفْهُوْمَاتُها التَّارِيْخِيَّةُ، فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ!

* * *

○ **الحَلُّ الخَامِسُ: تَحْرِيْضُ المُؤمِنِيْنَ على الجِهَادِ في فِلِسْطِيْنَ،** ولا سِيَّما الَّذِيْنَ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، كَما قَالَ تَعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ۝٨٤﴾ [النِّسَاء: ٨٤].

وعِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيْثِ أبي مَسْعُودٍ البَدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ، فَلَهُ مِثْلُ أجْرِ فَاعِلِه**».

والتَّحْرِيْضُ في مِثْلِ حَالِنَا هَذَا يَكُوْنُ: عَبْرَ الكِتَابِ، والمُحَاضَرَةِ، والمَنْبَرِ، و«التِّلْفَازِ»، والمِذْيَاعِ، والصُّحُفِ، والجَرَائِدِ، وغَيْرِها مِنْ وَسَائِلِ الأخْبَارِ، والتَّوْجِيْهِ، والتَّعْلِيْم.

* * *

❐ **الحَلُّ السَّادِسُ: الإنْفَاقُ في سَبِيْلِ اللهِ تَعَالى،** وهُوَ مَا يُسَمَّى: بالتَّبَرُّعَاتِ المَالِيَّةِ، وهَذَا لا شَكَّ أنَّه مِنَ الحُلُوْلِ المُهِمَّةِ، كَيْفَ لا؛ واللهُ تَعَالى أمَرَنَا بالإنْفَاقِ في سَبِيْلِهِ في غَيْرِ آيَةٍ؛ بَلْ قَدَّمَه تَعَالى على النَّفْسِ في عَشَرَةِ مَوَاضِعَ مِنَ القُرْآنِ، وفي هَذَا دَلِيلٌ على أهَمِّيَّةِ الإنْفَاقِ بالمَالِ في سَبِيْلِ اللهِ تَعالى.

كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النِّسَاءُ: ٩٥]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنْفَالُ: ٧٢]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصَّفُّ: ١٠ ـ ١١].

* * *

يَقُوْلُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في «زَادِ المَعَادِ» (٣/ ٥٥٨): «فَإنَّ الأمْرَ بالجِهَادِ بالمَالِ شَقِيْقُ الأمْرِ بالجِهَادِ بالنَّفْسِ في القُرْآنِ وقَرِيْنُه، بَلْ جَاءَ مُقَدَّمًا على الجِهَادِ بالنَّفْسِ في كُلِّ مَوْضِعٍ، إلَّا مَوْضِعًا وَاحِدًا، وهَذَا يَدُلُّ على أنَّ الجِهَادَ بِهِ أهَمُّ وآكَدُ مِنَ الجِهَادِ بالنَّفْسِ، ولا رَيْبَ أنَّهُ أحَدُ الجِهَادَيْنِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غَزَا»** (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)، فَيَجِبُ على القَادِرِ عَلَيْهِ، كَما يَجِبُ على القَادِرِ بالبَدَنِ، ولا يَتِمُّ الجِهَادُ بالبَدَنِ إلَّا بِبَذْلِهِ، ولا يَنْتَصِرُ إلَّا بالعَدَدِ والعُدَدِ، فَإنْ لم يَقْدِرْ أنْ يُكَثِّرَ العَدَدَ، وَجَبَ عَلَيْهِ أنْ يُمِدَّ بالمَالِ والعُدَّةِ، وإذَا وَجَبَ الحَجُّ بالمَالِ على العَاجِزِ بالبَدَنِ، فَوُجُوْبُ الجِهَادِ بالمَالِ أوْلى وأحْرَى». انْتَهَى.

وقَالَ إمَامُ الحَرَمَيْنِ الجُوَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «غِيَاثِ الأمَمِ» (٢٥٦):

«إنَّ إعْدَادَ المَالِ للجِهَادِ يُنَزَّلُ مَنْزِلَةَ إعْدَادِ الرِّجَالِ، وأوْجَبُ على المَيْسُوْرِيْنَ أنْ يَقُوْمُوا بكِفَايَةِ الجُنْدِ إنْ لم يَفِ بَيْتُ المَالِ بذَلِكَ، وأنَّ على الإمَامِ أنْ يُفْرِضَ على الأغْنِيَاءِ مَا يَسُدُّ بِهِ الكِفَايَةَ». . انْتَهَى.

* * *

❐ فَإذَا كَانَ الإنْفَاقُ في سَبِيْلِ اللهِ تَعَالى بهَذِهِ الدَّرَجَةِ الكَبِيْرَةِ مِنَ الأهَمِيَّةِ؛ إلَّا أنَّهُ أصْبَحَ هَذِهِ الأيَّامَ للأسَفِ مِنَ الأمُوْرِ الَّتِي تَحْتَاجُ إلى تَأمُّلٍ وتَرَيُّثٍ!

كُلَّ هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ كَثِيْرًا مِنَ الَّذِيْنَ يُنَادُوْنَ بجَمْعِ التَّبرُّعَاتِ المَالِيَّةِ: هِيَ جِهَاتٌ مَشْبُوْهَةٌ لَيْسَتْ مَحلًّا للأمَانَةِ، ولا أهْلاً لهَا، فَكَانَ الوَاجِبُ عَلَيْنَا أنْ نَتمَهَّلَ في هَذِهِ المَسْألَةِ رُوَيْدًا.

لِذَا؛ أرَى مِنَ الوَاجِبِ على المُسْلِمِيْنَ أنْ يَجْتَهِدُوا في البَحْثِ عَنِ الأيْدِي الأمِيْنَةِ الَّتِي تَأخُذُ أمْوَالهُم، والجِهَاتِ المَرْضِيَّةِ الَّتِي تَجْمَعُ تَبرُّعَاتِهِم؛ لأنَّ كَثِيْرًا مِنْ هَذِهِ الجِهَاتِ تُعْتَبَرُ جِهَاتٍ انْتِهَازِيَّةً، تَعْرِفُ كَيْفَ تُحرِّكُ مَشَاعِرَ المُسْلِمِيْنَ في مِثْلِ هَذِهِ الأوْقَاتِ العَصِيْبَةِ، وكَيْفَ تُثِيرُ جُوْدَهُم وكَرَمَهُم وسَخَاءَهُم؛ حَتَّى إذَا حَازَتْ تِلْكُم الأمْوَالَ قَامَتْ بوَضْعِهَا في مَصَالحِهَا الشَّخْصِيَّةِ، أو السِّيَاسِيَّةِ!

مَعَ عِلْمِنَا أنَّ هُنَاكَ بَعْضَ البِلادِ الإسْلامِيَّةِ فِيْهَا مُؤسَّسَاتٌ حُكُوْمِيَّةٌ، وجِهَاتٌ خَيْرِيَّةٌ، وجُهُوْدٌ فَرْدِيَّةٌ هِيَ على خَيْرٍ وأمَانَةٍ وصِدْقٍ، إلَّا أنَّنا مَعَ هَذَا نُؤكِّدُ على التَّثَبُّتِ والتَّرَوِّي، وذَلِكَ بَعْدَ

السُّؤالِ عَنْهَا عِنْدَ أهْلِ العِلْمِ الرَّبَّانِيِّيْنَ الكِبَارِ المَشْهُوْدِ لهُم بالعِلْمِ والتَّقْوَى والنَّزَاهَةِ.

* * *

○ **الحَلُّ السَّابِعُ: الدُّعَاءُ والقُنُوْتُ لإخْوانِهِم المُجَاهِدِيْنَ في فِلِسْطِيْنَ، جِهَارًا وإسْرَارًا، لَيْلاً ونَهَارًا**، وكَذَا الدُّعَاءُ على يَهُوْدَ والنَّصَارَى وذَلِكَ بأنْ تَتَضَافَرَ جُهُوْدُ المُسْلِمِيْنَ، وتَجْتَمِعَ كَلِمَتُهُم، وتَتَوحَّدَ دَعْوَتُهُم على رَفْعِ أكُفِّ الضَّرَاعَةِ إلى اللهِ تَعَالى؛ بحَيْثُ يَلْهَجُ بالدُّعَاءِ قَرَابَةُ (مِلْيَارٍ، ونِصْفِ المِلْيَارِ) مُسْلِمٍ، سَوَاءٌ كَانَ دُعَاؤهُم جَمَاعَةً في المَسَاجِدِ وهُم في الصَّلاةِ (أيْ: دُعَاءَ النَّوازِلِ)، أو فُرَادَى في صَلَوَاتِهِم وخَلَوَاتِهِم.

كَمَا قَالَ ﷺ: **«جَاهِدُوا المُشْرِكِيْنَ بأمْوَالِكُم، وأنْفُسِكُم، وألْسِنَتِكُم»** أخْرَجُهُ أبو دَاوُدَ، وهُوَ صَحِيْحٌ، وقَوْلُهُ ﷺ: **«يا حَسَّانُ أجِبْ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، اللَّهُمَّ أيِّدْهُ برُوْحِ القُدُسِ»**، وفي رِوَايَةٍ: **«اهْجُهُم وجِبْرِيْلُ مَعَكَ»** البُخَارِي، وقَوْلُهُ ﷺ: **«هَلْ تُنْصَرُوْنَ وتُرْزَقُوْنَ؛ إلَّا بضُعَفَائِكُم»** البُخَارِيُّ.

وعِنْدَ النَّسائيِّ، أنَّهُ ﷺ قَالَ: **«إنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأمَّةَ بضَعِيْفِهَا: بدَعْوتِهِم، وصَلاتِهِم، وإخْلاصِهِم»** وهُوَ صَحِيْحٌ.

* * *

○ **الحَلُّ الثَّامِنُ: تَشْجِيعُ الجَمَاعَاتِ الَّتِي لهَا اهْتِمامٌ كَبِيْرٌ في قَضِيَّةِ فِلِسْطِيْنَ**؛ لا سِيَّما جَمَاعَةُ «حَمَاس» وغَيْرُهَا، فهَذِهِ الجَمَاعَةُ

لا شَكَّ أنَّها قَدْ أخذَت على نَفْسِهَا الوُقُوْفَ في وَجْهِ العُدْوَانِ اليَهُوْدِيِّ بكُلِّ مَا تَملِكُ مِنْ رِجَالٍ ومَالٍ وقَلَمٍ ولِسَانٍ لنَصْرَةِ قَضِيَّةِ فِلِسْطِيْنَ، ولَيْسَ عَنَّا جِهَادُهَا اليَوْمَ في قِطَاعِ غَزَّةَ المَجْرُوْحَةِ أمَامَ الحَرْبِ اليَهُوْدِيَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ ببَعِيْدٍ!

كَمَا أنَّنِي قَدْ فَصَّلْتُ الحَدِيْثَ آنِفًا عَنْ «حَمَاس» فَانْظُرْهُ مَشْكُوْرًا.

فَكَانَ عَلَيْهَا حِيْنَئِذٍ أنْ تَنْزِلَ في المَيْدَانِ بقُوَّةٍ، ولا سِيَّما أنَّ المُسْلِمِيْنَ هَذِهِ الأيَّامَ تَغْلِي مَرَاجِلُهُم حَنَقًا على يَهُوْدَ.

* * *

○ الحَلُّ التَّاسِعُ: تَشْجِيْعُ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ في نُفُوْسِ المُسْلِمِيْنَ الَّذِيْنَ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ مَعَ مُرَاعَاةِ المَصَالِحِ والمَفَاسِدِ، وذَلِكَ في تَحْقِيْقِ قَاعِدَةِ: «دَرْءِ المَفَاسِدِ مُقَدَّمٌ على جَلْبِ المصالح».

وأقْصِدُ بالأعْمَالِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ: مَا حَقَّقَ نِكَايَةً أغْلَبِيَّةً بالعَدُوِّ، سَوَاءٌ كَانَتْ حِسِّيَّةً أو مَعْنَوِيَّةً.

والنِّكَايَةُ الحِسِّيَّةُ: هِيَ إحْدَاثُ قَتْلٍ في العَدُوِّ، سَوَاءٌ كَانَ كَثِيْرًا أو قَلِيْلاً.

والنِّكَايَةُ المَعْنَوِيَّةُ: هِيَ إحْدَاثُ تَثْبِيْتٍ وقُوَّةٍ في قُلُوْبِ المُؤمِنِيْنَ، أو إنْزَالُ رُعْبٍ وخَوْفٍ في قُلُوْبِ العَدُوِّ، دُوْنَ اعْتِبَارٍ لتَحْقِيْقِ القَتْلِ.

وعَلَيْهِ؛ فَإنَّهُ لا يَنْبَغِي أن نُطْلِقَ على مِثْلِ هَذِهِ العَمَلِيَّاتِ بأنَّها: عَمَلِيَّاتٌ انْتِحَارِيَّةٌ!

بَلْ هَذَا الإطْلاقُ يُبْعِدُهَا عَنْ حَقِيْقَتِهَا الشَّرعِيَّةِ، فَكَانَ الصَّحِيْحُ أنْ نُطْلِقَ عَلَيْهَا: العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةَ، أو الجِهَادِيَّةَ، أو القِتَالِيَّةَ(١).

هَذَا إذَا عَلمْنَا أنَّ مُصْطَلَحَ «العَمَلِيَّاتِ الانْتِحَارِيَّةِ» لم يَكُنْ مُتَدَاوَلاً بَيْنَ أهْلِ العِلْمِ قَدِيْمًا، بَلْ لم يَأخُذْ انْتِشَارُهُ إلَّا في العُصُوْرِ المُتَأخِّرَةِ الَّتِي طَغَتْ فِيْهَا المُصْطَلَحَاتُ الإعْلامِيَّةُ هُنَا وهُنَاك.

وهَذَا مَا نَصَّتْ عَلَيْهِ المَوْسُوْعَةُ الفِقْهِيَّةُ في كَلِمَةِ «انْتِحَارٍ» (٦/ ٢٨١): «ولم يَسْتَعْمِلْهُ الفُقَهَاءُ بِهَذَا المَعْنَى، لكِنَّهُم عَبَّرُوا عَنْهُ بقَتْلِ الإنْسَانِ نَفْسَهُ، ويُطْلَقُ الانْتِحَارُ على قَتْلِ الإنسَانِ نَفْسَه بأيِّ وَسِيْلَةٍ كَانَتْ، ولِهَذَا ذَكَرُوا أحْكَامَهُ باسْمِ قَتْلِ الشَّخْصِ نَفْسَهُ».. انْتَهَى.

* * *

في حِيْنِ أنَّ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ لم تَظْهَرْ إلَّا في العُصُوْرِ المُتَأخِّرَةِ، ومَا كَانَ لَهَا هَذَا الظُّهُوْرُ إلَّا عِنْدَ اكْتِشَافِ المَوَادِ المُتَفَجِّرَةِ، الَّتِي مِنْ شَأنِهَا تَوْسِيْعُ دَائِرَةِ التَّأثِيْرِ لتَحْقِيْقِ النِّكَايَةِ بالعَدُوِّ!

وكَانَ وَرَاءَ هَذِهِ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ دَوَافِعُ كَثِيْرَةٌ، كَانَ مِنْ

---

(١) انْظُرْ: «الأعْمَالُ القِتَالِيَّةُ» للشَّيْخِ سَامِي الحُمُوْدِ، وكِتَابُهُ هَذَا يُعْتَبَرُ مِنْ أحْسَنِ الكُتُبِ الَّتِي تَكَلَّمَتْ عَنْ حُكْمِ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ، بَلْ إخَالُهُ مِنْ أجْمَعِهَا وأنْفَعِهَا، وفِيْهِ تَحْرِيْرَاتٌ فِقْهِيَّةٌ، وتَحْقِيْقَاتٌ جِهَادِيَّةٌ قَدْ لا تَجِدُهَا في كِتَابٍ غَيْرِهِ، وقَدِ اسْتَفَدْتُ مِنْهُ، فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا.

أبْرَزُهَا: رَفْعُ الظُّلْمِ الجَائِرِ، والاحْتِلالِ الغَاشِمِ، الَّذِي حَلَّ بكَثِيْرٍ مِنَ الشُّعُوْبِ الضَّعِيْفَةِ، ولا سِيَّمَا في كَثِيْرٍ مِنْ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ الَّتِي اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا فُلُوْلُ الجُيُوْشِ الصَّلِيْبِيَّةِ واليَهُوْدِيَّةِ، تَحْتَ مُسَمَّى الاسْتِعْمَارِ الصِّلِيْبِي اليَهُوْدِي!

لأجْلِ هَذَا السَّبَبِ وغَيْرِه، ظَهرَتِ العَمَلِيَّاتُ الاسْتِشْهَادِيَّةُ بَيْنَ الشُّعُوْبِ المُضْطَهدَةِ مُنْذُ قَرْنٍ ونِصْفِ القَرْنِ تَقْرِيْبًا؛ حَيْثَ انْدَلَعَتِ الحَرْبُ الأهْلِيَّةُ الأمْرِيْكِيَّةُ عَامَ (١٢٧٧ ـ ١٢٨٢)، (١٨٦١ ـ ١٨٦٥م)، فَكَانَتِ الحَرْبُ بَيْنَ الحَكُوْمَةِ الاتِّحَادِيَّةِ للوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ وإحْدَى عَشَرَةَ وِلايَةٍ في الجَنُوْبِ، وفَرَّقَتِ الحَرْبُ بَيْنَ الشَّمَالِ والجَنُوْبِ الانْفَصَالي بسَبَبِ الرِّقِّ وحُقُوْقِ الوِلايَاتِ.

فعِنْدَهَا شَهِدَتْ هَذِهِ الحَرْبُ العَدِيْدَ مِنَ العَمَلِيَّاتِ القِتَالِيَّةِ ضِمْنَ حَرْبِ العِصَابَاتِ الَّتِي كَانَ يَقُوْمُ بِهَا الجَنُوْبِيُّوْنَ الانْفِصَالِيُّوْنَ الَّذِيْنَ كَانُوا يُعَانُوْنَ مِنَ القَهْرِ والقَتْلِ!

وكَذَا مَا حَدَثَ في حَرْبِ البُوِيْرِ عَامَ (١٣١٧ ـ ١٣٢٠)، (١٨٩٩ ـ ١٩٠٢م)، وهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ حَرْبَيْنِ خَاضَتْهَا القُوَّاتُ البِرِيْطَانِيَّةُ في جَنُوْبِ إفْرِيْقِيَا:

الأُوْلى: كَانَتْ ضِدَّ التِّرْنسْفَال.

والثَّانِيَةُ: كَانَتْ ضِدَّ التِّرنسْفَالِ والوِلايَةِ البُرْتُقَالِيَّةِ الحُرَّةِ، وهِيَ وَاحِدَةٌ مِنْ أُوْلى الحُرُوْبِ المُنَاهِضَةِ للاسْتِعْمَارِ البِرِيْطَانيِّ.

والبُوير مُصْطَلَحٌ يُطْلَقُ على المُسْتَوْطِنِيْنَ الهُوْلَنْدِيِّيْنَ الَّذِيْنَ كَانُوا يُعْرَفُوْنَ باسْمِ: البُويرز؛ أيْ: المُزَارِعِيْنَ.

وعلى الرُّغْمِ مِنَ العَمَلِيَّاتِ القِتَالِيَّةِ الَّتِي قَامَ بِهَا البُوير إلَّا أنَّهُم في أوَاخِرِ الحَرْبِ اسْتَسْلَمُوا، وعَادَتْ دَوْلَتُهُم إلى مُسْتَعْمَرَاتِ بِرِيْطَانِيَا!

* * *

وكَذَا مَا حَدَثَ في الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ (١٣٥٨ ـ ١٣٦٤)، (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م)؛ حَيْثُ شَهِدَتِ الحَرْبُ الثَّانِيَةُ تَطَوُّرًا نَوْعِيًّا للعَمَلِيَّاتِ القِتَالِيَّةِ، وهُوَ الأُسْلُوْبُ القِتَالي بتَفْجِيْرِ الطَّائِرَاتِ، وذَلِكَ حِيْنَمَا حَوَّلَ الطَّيَّارُوْنَ اليَابَانِيُّوْنَ طَائِرَاتِهِم وأنْفُسَهَم إلى قَنَابِلَ بَشَرِيَّةٍ؛ حَيْثُ انْقَضُّوا بكُتُلِ طَائِرَاتِهِم السَّاقِطَةِ على الأُسْطُوْلِ الأمْرِيْكِي الَّذِي كَانَ جَاثِمًا في مِيْنَاءِ «بِيْرلْ هَارْبر» العَسْكَرِيِّ الوَاقِعِ في جُزُرِ «هَاوَاي» الوَاقِعَةِ في المُحِيْطِ الهَادِي.

ومِنْ خِلالِ هذِهِ العَمَلِيَّاتِ الفَرِيْدَةِ أعْلَنَتْ أمْرِيْكا الحَرْبَ على اليَابَانِ، الأمْرُ الَّذِي دَفَعَ أمْرِيْكا إلى إلْقَاءِ القُنْبُلَتَيْنِ النَّوَوِيَّتَيْنِ على مَدِيْنَتَيْ: «هِيْرُوشِيْما»، و«نَاجَازَاكِي»!

في حِيْنَ أنَّ هَذِهِ العَمَلِيَّاتِ القِتَالِيَّةَ الَّتِي نَفَّذَهَا الطَّيَّارُوْنَ اليَابَانِيُّوْنَ لم تَكُنْ مُخَطَّطًا لهَا مِنْ قَبْلُ، بَلْ كَانَ سَبَبُهَا أنَّ القُوَّاتِ الأمْرِيْكِيَّةَ قَدْ أصَابَتِ الطَّائِرَتَيْنِ اليَابَانِيَّتَيْنِ، مِمَّا أحْدَثَ فِيْهَا خَلَلاً،

فعِنْدَهَا لجأ قَائِدَا الطَّيَّارَتَيْنِ إلى هَذَا الأُسْلُوْبِ القِتَالي، وهُوَ الانْقِضَاضُ على حَظَائِرِ الطَّائِرَاتِ الأمْرِيْكِيَّةِ الرَّابِضَةِ على الأرْضِ!

وكَذَا؛ مَا حَصَلَ في حَرْبِ الفِيتْنَام عَامَ (١٣٧٨ ـ ١٣٩٥)، (١٩٥٩ ـ ١٩٧٥م)؛ حَيْثُ اسْتَخْدَمَ الفِتِيْنامِيُّوْنَ العَمَلِيَّاتِ القِتَالِيَّةَ ضِدَّ القُوَّاتِ الأمْرِيْكِيَّةِ، فَكَانَ لهَذِهِ العَمَلِيَّاتِ دَوْرٌ كَبِيْرٌ في إنْهَاءِ الوُجُوْدِ الأمْرِيْكي في فِيتْنَام، كَمَا أنَّها كَبَّدَتِ القُوَّاتِ الأمْرِيْكِيَّةَ خَسَائِرَ فَادِحَةً.

* * *

أمَّا إذَا سَألْتَ عَنْ أوَّلِ ابْتِدَاءٍ للعَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ في بِلادِ المُسْلِمِيْنَ، فَهُوَ مَا ذَكَرَتْه المَوْسُوْعَةُ الفِلَسْطِيْنِيَّةُ (٣/ ٣٩٤): «جَاءَ العَمَلُ الفِدَائيُّ مِنْ غَزَّةَ في عَامَيْ (١٩٥٥م و١٩٥٦م)، ظَاهِرَةً جَدِيْدَةً في الصِّرَاعِ العَرَبي ـ الإسْرَائِيْلي، وَضَعَتْ «إسْرَائِيْلَ» لأوَّلِ مَرَّةٍ في مَوْقِفٍ حَرِجٍ لم تَسْتَطِعْ أنْ تَخْرُجَ مِنْهُ إلَّا بالعُدْوَانِ الثُّلاثِي على مِصْرَ عَامَ (١٩٥٦م)». انْتَهَى.

ثُمَّ انْتَقَلَتِ العَمَلِيَّاتُ الاسْتِشْهَادِيَّةُ إلى لِبْنَانَ في الثَّمانِيْنَاتِ المِيْلادِيَّةِ؟، وذَلِكَ عَامَ (١٤٠٢)، (١٩٨٢م).

ومِنْ أوَائِلِ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ المَشْهُوْرَةِ عَمَلِيَّةُ تَفْجِيْرِ مَقَرِّ القِيَادَةِ العَسْكَرِيَّةِ اليَهُوْدِيَّةِ في «صُوْر» في (٢٤/ ١/ ١٤٠٣)، (١١/ ١١/ ١٩٨٢م)، ثُمَّ انْتَقَلَتْ هَذِهِ العَمَلِيَّاتُ إلى بَيْرُوْتَ ضِدَّ القُوَّاتِ

الفِرِنْسِيَّةِ والأمْرِيْكِيَّةِ؛ حَيْثُ كَانَ تَفْجِيْرُ السَّفَارَةِ الأمْرِيكِيَّةِ في بَيْرُوْتَ (٥/ ٧/ ١٤٠٣)، (١٨/ ٤/ ١٩٨٣م)، بِوَاسِطَةِ سَيَّارَةٍ مُحَمَّلَةٍ بالمَوَادِ المُتَفَجِّرَةِ.

ثُمَّ وَقَعَ حَادِثَا تَفْجِيْرٍ في وَقْتٍ وَاحِدٍ في (١٦/ ١/ ١٤٠٤)، (٢٣/ ١٠/ ١٩٨٣م):

أحَدُهُمَا: كَانَ في مَبْنَى قُوَّاتِ المَارِيْنز الأمْرِيْكِيَّةِ، والآخَرُ: كَانَ في مَبْنَى القُوَّاتِ الفِرِنْسِيَّةِ، ووَقَعَ الحَادِثَانِ عَنْ طَرِيْقِ سَيَّارَتَيْنِ مُحَمَّلَتَيْنِ بالمُتَفَجِّرَاتِ.

ومِنَ العَجِيْبِ أنَّ اليَهُوْدَ هِيَ الَّتِي فَتَحتْ بَابَ العَمَلِيَّاتِ القِتَالِيَّةِ لِحرَكَاتِ المُقَاوَمَةِ باسْتِخْدَامِهَا أُسْلُوْبَ السَّيَّارَاتِ المُفَخَّخَةِ في عَمَلِيَّاتِ القِتَالِ والاغْتِيَالِ، فَتَحوَّلَ هَذَا السِّلاحُ ضِدَّ المَصَالِحِ اليَهُوْدِيَّةِ بِوَاسِطَةِ الفِدَائِيِّيْنَ اللِّبْنَانِيِّيْنَ، والجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، فعِنْدَهَا تَوَالَتِ العَمَلِيَّاتُ الاسْتِشْهَادِيَّةُ بَعْدَ ذَلِكَ ضِدَّ الأهْدَافِ الأمْرِيْكِيَّةِ واليَهُوْدِيَّةِ في لِبْنَانَ، انْظُرْ: «دِرَاسَةً تَحْلِيْلِيَّةً في العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ في جَنُوْبِ لِبْنَانَ» (١٥، ٢٥، ٤٣).

* * *

وشَهِدَ عَامَ (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) تَطَوُّرًا هَامًّا في العَمَلِ العَسْكَرِيِّ لِحَرَكَةِ المُقَاوَمَةِ الإسْلامِيَّةِ «حَمَاسٍ»؛ بِحَيْثُ أصْبَحَ القَسَّامِيُّوْنَ الاسْتِشْهَادِيُّوْنَ القَادِرُوْنَ على الوُصُوْلِ إلى كُلِّ مَكَانٍ في

فِلِسْطِيْنَ المُحْتَلَّةِ ـ على الرُّغْمِ مِنَ الطَّوْقِ الأمْنِي، والحِصَارِ العَسْكَرِيِّ الَّذِي فُرِضَ على الضَّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ، وقِطَاعِ غَزَّةَ ـ: هُمُ الأشْبَاحَ المُرْعِبَةَ الَّتِي تُطَارِدُ مَسْؤُولِي الأمْنِ والمُخَابَرَاتِ وقَادَةِ المُؤسَّسَةِ العَسْكَرِيَّةِ الصِّهْيُوْنِيَّةِ قَبْلَ المُسْتَوْطِنِيْنَ أنْفُسِهِم!

وفي انْتِفَاضَةِ الأقْصَى الأخِيْرَةِ بَرَزَتْ «حَمَاسُ» بوَصْفِهَا الفَصِيْلَ الأقْوَى على صَعِيْدِ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ الَّتِي وُسِمَتْ بِهَا هَذِهِ المَرْحَلَةِ، ولا تَزَالُ حَتَّى الآنَ تُسَجِّلُ أعْنَفَ هَذِهِ العَمَلِيَّاتِ وأكْثَرَهَا قُوَّةً مُقَارَنَةً بالفَصَائِلِ الأُخْرَى، كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ، انْظُرْ: «مُوْعِد مَع الشَّابَاك» (٩١).

* * *

وأمَّا فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بالجِهَادِ الأفْغَانِي: فَقَدْ وَقَعَتْ الحَرْبُ الأفْغَانِيَّةُ الرُّوْسِيَّةُ بسَبَبِ الغَزْوِ السُّوْفِيْتِي لأفْغَانِسْتَانَ عَامَ (١٣٩٩)، (١٩٧٩م).

وشَهِدَتْ هَذِهِ الحَرْبُ عَدَدًا مِنَ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ، والَّتِي وَقَعَتْ ضِمْنَ حَرْبِ العِصَابَاتِ الَّتِي كَانَتْ يَقُوْمُ بِهَا المُجَاهِدُوْنَ الأفْغَانُ، ومَنْ مَعَهُم مِنَ المُجَاهِدِيْنَ العَرَبِ وغَيْرِهِم.

وقَدْ حَقَّقَ المُجَاهِدُوْنَ مَكَاسِبَ كَبِيْرَةً مِنَ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ، لدَرَجَةِ أنَّ مَجْمُوْعَةً مِنَ المُجَاهِدِيْنَ لا تَتَجَاوَزُ السَّبْعَةَ هَاجَمَتْ قَافِلَةً مِنْ سَبْعِيْنَ دَبَّابَةً رُوْسِيَّةً، وألْحَقَتْ بِهَا خَسَائِرَ فَادِحَةً.

انْظُرْ: «أفْغَانِسْتَانُ نَشْأتُها وكِفَاحُهَا» (٢١٧)، و«أفْغَانِسْتَانُ مَقْبَرَةُ الغُزَاةِ» (١٣١)، وغَيْرَها.

* * *

أمَّا بالنِّسْبَةِ للجِهَادِ في الشِّيْشَانِ: فَقَدْ بَدَأ الاجْتِيَاحُ الرُّوْسِيُّ الأوَّلُ للشِّيْشَانِ في (جُمَادَى الثَّاني/ ١٤١٥)، (دِيْسَمْبَر/ ١٩٩٤م)، وبَعْدَ سُقُوْطِ العَاصِمَةِ «جَرُوزني»، ونُزُوْحِ المُجَاهِدِيْنَ إلى الوِدْيَانِ، والمَنَاطِقِ الجَبَلِيَّةِ لجَأ المُجَاهِدُوْنَ إلى شَنِّ الغَارَاتِ الخَاطِفَةِ، والعَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ، وعَمَلِيَّاتِ الكَرِّ والفَرِّ الَّتِي تَسْتَهْدِفُ القُوَّاتِ الرُّوْسِيَّةَ، وقَوَافِلَ الجَيْشِ، عَلاوَةً على أعْمَالِ الاقْتِحَام والإغَارَةِ على المَوَاقِعِ الرُّوْسِيَّةِ، مِمَّا كَانَ لَهُ الأثَرُ الكَبِيْرُ في هَزِيْمَةِ الرُّوْسِ، وتَوْقِيْعِهِم الاتِّفَاقِيَّةَ في (رَبِيْعِ الأوَّلِ/ ١٤١٧)، (أُغُسْطُس/ ١٩٩٦م)، وخُرُوْجِهم مِنَ البِلادِ.

ثُمَّ كَانَ الاجْتِيَاحُ الثَّاني في (جَمَادَى الأُوْلَى/ ١٤٢٠)، (سِبْتَمبر/ ١٩٩٩م)؛ حَيْثُ تَطَوَّرَتِ العَمَلِيَّاتُ القِتَالِيَّةُ، وبَرَزَ مِنْ خِلالِهَا نَوْعٌ جَدِيْدٌ مِنَ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ الَّتِي يُفَجِّرُ فِيْهَا المُجَاهِدُ نَفْسَهُ للنِّكَايَةِ بالعَدُوِّ.

وكَانَتْ «حَوَّاءُ بِرَايِيْف» أوَّلَ امْرَأةٍ تَقُوْمُ بعَمَلٍ فِدَائِيٍّ مِنْ هَذَا النَّوْعِ مِنَ العَمَلِيَّاتِ، فحِيْنَهَا تَوالَتِ العَمَلِيَّاتُ الاسْتِشْهَادِيَّةُ بَعْدَ هَذِهِ الحَادِثَةِ؛ حَتَّى أصْبَحَتِ السِّلاحَ الأبْرَزَ بَيْنَ العَمَلِيَّاتِ الجِهَادِيَّةِ.

وكَانَ مِنْ أبْرَزِ هَذِهِ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ تَفْجِيْرُ الغَوَّاصَةِ النَّوَوِيَّةِ «كُوْرسْك»، الَّتِي تُعَدُّ دُرَّةَ الأُسْطُوْلِ الرُّوْسِي، والَّتِي غَرِقَتْ في بَحْرِ «بَارْنِتْس» في (١١/ ٥/ ١٤٢١)، (١٢/ ٨/ ٢٠٠٠م)، وعلى مَتْنِهَا (١١٧) بَحَّارًا لم يَنْجُ مِنْهُم أحَدٌ.

انْظُرْ: «تَارِيْخُ الشَّيْشَانِ مِنْ ٦٤٠ ـ ٢٠٠٠م»، و«هَلِ انْتَحَرَتْ حَوَّاءُ أم اسْتُشْهِدَتْ؟» (٢)، وصَحِيْفَةُ «الشَّرْقِ الأوْسَطِ» الصَّادِرَةِ في (١٦/ ٥/ ١٤٢١).

* * *

ومِنْ خِلالِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ مَجْمُوْعَةِ هَذِهِ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ: فَقَدْ أثْبَتَتِ الدِّرَاسَاتُ المُعَاصِرَةُ أنَّ هَذِهِ العَمَلِيَّاتِ هِيَ الأكْثَرُ نِكَايَةً باليَهُوْدِ المُغْتَصِبِيْنَ، والأنْجَعُ في إدْخَالِ الرُّعْبِ في قُلُوْبِهِم.

فَقَدْ نَزَعَتِ الأمْنَ مِنْ قُلُوْبِهِم وصُفُوْفِهِم؛ حَيْثُ أصْبَحَ الخَوْفُ يُطَارِدُهُم في طُرُقَاتِهِم، ووَسَائِلِ تَنَقُّلاتِهِم، وأمَاكِنِ تَجَمُّعَاتِهِم العَسْكَرِيَّةِ.

جَاءَ في دِرَاسَةِ مَرْكَزِ النُّوْرِ للأبْحَاثِ والدِّرَاسَاتِ عَنِ العَمَلِيَّاتِ العَسْكَرِيَّةِ والاسْتِشْهَادِيَّةِ الَّتِي نَفَّذَتْهَا حَرَكَاتُ المُقَاوَمَةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةُ مَا يَلِي: «يَتَّضِحُ مِنْ خِلالِ الدِّرَاسَةِ أنَّ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةَ هِيَ رَأسُ الانْتِفَاضَةِ، وهِيَ السِّلاحُ الأقْوَى الَّذِي أوْقَعَ في العَدُوِّ أكْبَرَ الخَسَائِرِ البَشَرِيَّةِ والمَادِيَّةِ والمَعْنَوِيَّةِ على حَدٍّ سَوَاءٍ، وقَدْ تَنَوَّعَتِ العَمَلِيَّاتُ

الاسْتِشْهَادِيَّةُ بأَسَالِيْبَ مُخْتَلِفَةٍ، وطُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ كالحِزَامِ النَّاسِفِ والحَقَائِبِ والسَّيَّارَاتِ المُفَخَّخَةِ، وإطْلاقِ النَّارِ حَتَّى الشَّهَادَةِ دَاخِلَ كَيَانِ العَدُوِّ، والتَّسَلُّلِ إلى المُسْتَوْطَنَاتِ... إلخ.

وقَدْ قُتِلَ مِنَ اليَهُوْدِ جَرَّاءَ هَذِهِ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ في مُخْتَلِفِ الأرَاضِي الفِلِسْطِيْنِيَّةِ مَا يَرْبُو عَنْ (٨٠٪) مِنْ إجْمَالي قَتْلاهُم، وهَذَا يُبرِزُ أهمِّيَّةَ هَذَا السِّلاحِ بَيْدِ المُقَاوَمَةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ، ويُعْطِي التَّفْسِيْرَ الوَاضِحَ لمُطَالَبَةِ دَوْلَةِ العَدُوِّ وحُلَفَائِهَا وأصْدِقَائِهَا بالوَقْفِ الفَوْرِي لِهَذَا النَّوْعِ مِنَ العَمَلِيَّاتِ السَّاخِنَةِ.

وقَدِ اعْتَرَفَ عَدَدٌ مِنْ سَاسَةِ اليَهُوْدِ ومُفَكِّرِيْهِم بأهَمِّيَّةِ هَذِهِ العَمَلِيَّاتِ وشِدَّةِ آثَارِهَا.

يَقُوْلُ الكَاتِبُ الصِّهْيُونيُّ «آرِيَه شَبِيْط»: «إنَّهُ بفَضْلِ العَمَلِيَّاتِ الانْتِحَارِيَّةِ (هَكَذَا يُسَمِّيْهَا!) نَجَحَ الفِلِسْطِيْنِيُّوْنَ في قَلْبِ الشَّوَارِعِ اليَهُوْدِيَّةِ إلى مَوْقِعٍ عَسْكَرِيٍّ كَبِيْرٍ ومُرْهِقٍ.

وبِفَضْلِ العَمَلِيَّاتِ الانْتِحَارِيَّةِ نَجَحُوا في الحِفَاظِ على اهْتِمَامِ الأُسْرَةِ الدُّوَلِيَّةِ بمُشْكِلَتِهِم، ولَوْلَا العَمَلِيَّاتُ الانْتِحَارِيَّةُ لكَانَ القَلِيْلُ فَقَطْ مِنَ اليَهُوْدِيِّيْنَ يُكَرِّسُوْنَ التَّفْكِيْرَ بِمَا يَجْرِي وَرَاءَ الخَطِّ الأخْضَرِ، ولَوْلَا العَمَلِيَّاتُ الانْتِحَارِيَّةُ لَكَانَتِ المُعَانَاةُ والضَّائِقَةُ مِنْ نَصِيْبِ الفِلَسْطِيْنِيِّيْنَ فَقَطْ، ولَكَانَ قُدِّرَ لَهُم الاسْتِسْلامُ والخُضُوْعُ بِدُوْنِ شُرُوْطٍ» انْتَهَى.

انْظُرْ: «العَمَلِيَّاتُ الاسْتِشْهَادِيَّةُ في المَيْزَانِ الفِقْهِي» (٢٤)، و«عَمَلِيَّاتُ المُقَاوَمَةِ العَسْكَرِيَّةِ والعَمَلِيَّاتُ الاسْتِشْهَادِيَّةُ الَّتِي نَفَّذَتْهَا حَرَكَاتُ المُقَاوَمَةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ» (١٩٠)، و«الانْتِفَاضَةُ والتَّتَارُ الجُدُدُ» (٤١)، وصَحِيْفَةُ «مَعَارِيْف» اليَهُوْدِيَّةِ الصَادِرَةِ في (١٥/ ٧/ ١٤٢٣).

* * *

وبَعْدَ هَذَا العَرْضِ المُجْمَلِ لآثَارِ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ، نَسْتَطِيْعُ أنْ نُقَرِّبَ فَوَائِدَهَا العَسْكَرِيَّةَ والحَرْبِيَّةَ مِنْ خِلالِ الجَوَانِبِ التَّالِيَةِ:

أوَّلاً: آثَارُ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ على الجَانِبِ البَشَرِيِّ.

يُعَدُّ الجَانِبُ البَشَرِيُّ مِنْ أهَمِّ آثَارِ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ، وأشَدِّهَا على العَدُوِّ، وهُوَ الأثَرُ الظَّاهِرُ لقِيَاسِ نَجَاحِ أيِّ عَمَلٍ قِتَاليٍّ يُرَادُ مِنْهُ النِّكَايَةُ بالخَصْمِ.

ومِنَ الشَّوَاهِدِ العَمَلِيَّةِ في فِلَسْطِيْنَ: أنَّ نِسْبَةَ القَتْلى مِنَ اليَهُوْدِ ـ عِنْدَ قِيَامِ الانْتِفَاضَةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ ـ كَانَتْ (١ إلى٥٠) مِنَ القَتْلى الفِلَسْطِيْنِيِّيْنَ، ومَعَ اسْتِمْرَارِ الانْتِفَاضَةِ والعَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ ارْتَفَعَ مُعَدَّلُ عَدَدِ القَتْلى مِنَ المُسْتَوْطِنِيْنَ مِنْ (٣ قَتْلى إلى ١٧) قَتِيْلاً شَهْرِيًا؛ حَتَّى بَلَغَ القَتْلى مِنَ اليَهُوْدِ في شَهْرٍ وَاحِدٍ (مُحَرَّم/ ١٤٢٣)، (إبْرِيْل/ ٢٠٠٢م) أكْثَرَ مِنْ (١٤٠) قَتِيْلاً، وهُوَ مَا يُعَادِلُ خَسَائِرَ العَشَرَةِ الشُّهُوْرِ الأُوْلى مِنَ الانْتِفَاضَةِ كَامِلَةً.

وفي شَهْرِ رَمَضَانَ المُبارَكِ تَقارَبَ عَدَدُ القَتْلى مِنَ اليَهُوْدِ مَعَ عَدَدِ القَتْلى الفِلِسْطِيْنِيِّيْنَ، أيْ إنَّ النِّسْبَةَ الَّتِي كَانَتْ (١إلى٥٠) عِنْدَ بِدَايَةِ الانْتِفَاضَةِ مُرَشَّحَةٌ الآنَ لأنَ تُصْبِحَ (١إلى١) تَقْرِيْبًا، انْظُرْ: «الانْتِفَاضَةُ والتَّتَارُ الجُدُدُ» لشَيْخِنَا العَلَّامَةِ سَفَرٍ الحَوالِيِّ (٣٩).

ثَانِيًا: وبالنَّظَرِ في العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ الَّتِي تَقُوْمُ بِهَا «حَمَاسٌ» ضِدَّ اليَهُوْدِ نَجِدُ أنَّهَا أحْدَثَتْ أثَرًا كَبِيْرًا سَيِّئًا على الحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ والمَعْنَوِيَّةِ للمُجْتَمَعِ اليَهُوْدِي قَادَةً وشَعْبًا.

فقَدْ نَقَلَتْ صَحِيْفَةُ «البَيَانِ» عَنِ العَمِيْدِ مَازن عِزِّ الدِّيْنِ المُفَوَّضِ العَامِ للتَّوْجِيْهِ الوَطَنِي الفِلِسْطِيْنِي: أنَّ الانْتِفَاضَةَ أوْجَدَتْ حَالَةً مِنَ الذُّعْرِ والخَوْفِ لَدَى المُسْتَوْطِنِيْنَ مَا أدَّى إلى فِرَارِ الآلافِ مِنْهُم مِنَ العَدِيْدِ مِنْ هَذِهِ المُسْتَعْمَرَاتِ بَعْدَ تَحْوِيلِهَا إلى ثَكَنَاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ يَهُوْدِيَّةٍ.

وفَرَضَتْ على بَعْضِ القَادَةِ اليَهُوْدِيِّيْنَ التَّحَرُّكَ وِفْقَ إجْرَاءَاتٍ أمْنِيَّةٍ مُشَدَّدَةٍ خَوْفًا على حَيَاتِهِم مِنَ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ؛ حَتَّى إن رَئِيْسَ الأرْكَانِ «مُوْفَاز» صَارَ يَتَحَرَّكُ بِسَيَّارَةٍ مُصَفَّحَةٍ مُضَادَّةٍ للرَّصَاصِ!

وقَدْ دَلَّتِ البَيَانَاتُ اليَهُوْدِيَّةُ على هَذَا الرُّعْبِ بِدِقَّةِ الأرْقَامِ، فنَشَرَتْ صَحِيْفَةُ «يَدِيْعُوت أحْرُونوت» أنَّ مُعَدَّلاتِ الخَوْفِ بَيْنَ المُسْتَوْطِنِيْنَ كَانَتْ (٥٧٪) في مَطْلَعِ شَهْرِ (رَجَبٍ/ ١٤٢٢)، (أُكْتُوبَر/

٢٠٠١م)، ثُمَّ بَلَغتْ (٦٨٪) في مُنْتَصفِ الشَّهْرِ، ثُمَّ بَلَغتْ (٧٨٪) في مَطْلَعِ الشَّهْرِ التَّالي.

وبَلَغتْ نِسْبَةُ الزِّيَادَةِ في مَبِيْعاتِ المُهَدِّئَاتِ في القُدْسِ (١٠٠٪)، كَمَا بَلَغتْ نِسْبَةُ الزِّيَادَةِ لأدْويَةِ الإكْتِئَابِ (٣٠٪).

وذَكَرتْ صَحِيْفَةُ «تِلِيْجرَاف» البِرِيْطَانِيَّةِ أنَّ الصَّهَايِنَةَ أصْبَحُوا يُعَانُوْنَ مِنْ خَوْفٍ دَائِمٍ، وقَلَقٍ مُسْتَمِرٍّ نَتِيْجَةً للعَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ الَّتِي وَقَعَتْ في فِلِسْطِيْنَ المُحْتَلَّةِ.

ونَقَلَتِ الصَّحِيفَةُ عَنْ «جِيُورَا كِيْنَان» أُسْتَاذِ عِلْمِ النَّفْسِ بجَامِعَةِ «تَلْ أبِيْب» قَوْلَهُ: أثْنَاءَ قِيَادَةِ سَيَّارَتي أحْرِصُ على الابْتِعَادِ عَنِ الحَافِلاتِ خَوْفًا مِنْ إنْفِجَارِهَا.

ويُشِيْرُ عُلَمَاءُ النَّفْسِ إلى تَزَايُدِ الشَّكَاوى مِنَ اضْطِرَابَاتِ النَّوْمِ والقَلَقِ والإحْبَاطِ بَيْنَ الصَّهَايِنَةِ، كَمَا تُؤكِّدُ الإحْصَائِيَّاتُ زِيَادَةَ اسْتِهْلاكِ السَّجَائِرِ، وقِلَّةَ العَائِدَاتِ مِنْ ضَرِيْبَةِ الوَقُوْدِ، وهُوَ مَا يُشِيْرُ إلى تَجَنُّبِ الصَّهَايِنَةِ للخُرُوْجِ والتَّنَقُّلِ خَوْفًا مِنْ وُقُوْعِ أيِّ عَمَلِيَّاتٍ اسْتِشْهَادِيَّةٍ ضِدَّهُم.

وقَدْ تَسَبَّبَتْ حَالَةُ الرُّعْبِ والخَوْفِ الَّتِي أحْدَثَتْهَا العَمَلِيَّاتُ الاسْتِشْهَادِيَّةُ في المُجْتَمَعِ اليَهُوْدِي في ظُهُوْرِ عَدَدٍ مِنَ الآثَارِ الأُخْرَى:

مِنْهَا: رَفْضُ الخِدْمَةِ العَسْكَرِيَّةِ، والتَّحَايُلُ للإفْلاتِ مِنْهَا بالأعْذَارِ

الكَاذِبَةِ، وارْتِفَاعُ عَدَدِ المُهَاجِرِيْنَ إلى الخَارِجِ، وارْتِفَاعُ عَدَدِ المُطَالِبِيْنَ بالانْسِحَابِ الفَوْرِي مِنَ الأرَاضِي المُحْتَلَّةِ بدُوْنِ شُرُوْطٍ، وسَيْطَرَةُ الرُّعْبِ والهَلَعِ على المُجْتَمَعِ اليَهُوْدِي.

وكَشَفَ قِسْمُ شَكَاوِى الجُنُوْدِ في الجَيْشِ اليَهُوْدِي عَنْ أنَّ نِسْبَةَ المُضْرِبِيْنَ عَنِ الخِدْمَةِ العَسْكَرِيَّةِ ارْتَفَعَ خِلالَ عَامَ (١٤٢٢)، (٢٠٠١م) بنِسْبَةِ (٣٠٪).

ويُؤكِّدُ هَذَا «يُوئِل مَارِكُوس»، في صَحِيْفَةِ «هَآرْتِس» في عَدَدِهَا الصَّادِرِ في (٢٦/ شَعْبَانَ/ ١٤٢٢)، (١٣/ نُوْفَمْبَر/ ٢٠٠١م)؛ حَيْثُ يَقُوْلُ: «الحَقِيْقَةُ المُرَّةُ أنَّنَا لم نَنْجَحْ في تَصْفِيَةِ الإرْهَابِ ودَحْرِهِ بالقُوَّةِ، بَلْ إنَّ الفِلِسْطِيْنِيِّيْنَ نَجَحُوا في زَرْعِ الرُّعْبِ في صُفُوْفِنَا، وفَشِلْنَا في إخَافَتِهِ»!

ومِمَّا سَبَقَ يَتَبَيَّنُ أنَّ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةَ الَّتِي يَقُوْمُ بِهَا المُجَاهِدُوْنَ الفِلِسْطِيْنِيُّوْنَ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، تُعَدُّ سِلاحًا قَوِيًّا مُخِيْفًا، لا تَقِلُّ أهَمِيَّةً عَنِ الأسْلِحَةِ العَصْرِيَّةِ؛ حَيْثُ حَقَّقَتْ أثَرًا كَبِيْرًا في إرْهَابِ العَدُوِّ وتَخْوِيْفِهِ، وفي تَقْوِيْضِ قُوَاهُ ومُحْتَوَاهُ، لِذَا فَإنَّ مِثْلَ هَذِهِ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ لا تَقِلُّ أهَمِّيَّةً مِن اسْتِخْدَامِ الأسْلِحَةِ المَشْرُوْعَةِ سَوَاءٌ في أثَرِهَا أو في تَأثِيْرِهَا، واللهُ تَعَالى أعْلَمُ.

انْظُرْ: صَحِيْفَةُ «البَيَانِ» الصَّادِرَةُ في يَوْمِ الإثْنَيْنَ (٢٩/ ٩/ ١٤٢١)، و«الانْتِفَاضَةُ والتَّتَارُ الجُدُدُ» (٤٢، ٥١)، و«العَالَمُ في عَامٍ»

(٦٣)، و«مَجَلَّةُ المُجْتَمَعِ» الصَّادِرَةُ في (٥/ ٦/ ١٤٢٢).

* * *

ومِمَّا يُضَاعِفُ أثَرَ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ على المُجْتَمَعِ اليَهُوْدِيِّ أنَّ كَثِيْرًا مِنَ المُهَاجِرِيْنَ هُم مِنَ الطَّبَقَةِ المُثَقَّفَةِ والغَنِيَّةِ، فَقَدْ ذَكَرَتْ صَحِيْفَةُ «هَآرْتِس»: أنَّ هِجْرَةَ مَلْيُوْن يَهُوْدِيٍّ غَنِيٍّ أمْرٌ مُتَوَقَّعٌ، وأشَارَتِ الصَّحِيْفَةُ إلى أنَّهُ إذَا غَادَرَ هَؤلاءِ بأمْوَالِهِم، وذَهَبَ كَذَلِكَ أصْحَابُ الخِبْرَاتِ والمِهَنُ الرَّاقِيَةُ فَلَنْ يَبْقَى في البِلادِ إلَّا العُمَّالُ والفُقَرَاءُ والمُجَنَّدُوْنَ، وتَتَحَوَّلُ يَهُوْدُ إلى دَوْلَةٍ مِنَ العَالَمِ الثَّالِثِ!

وبِهَذَا يَتَّضِحُ الأثَرُ الكَبِيْرُ للعَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ على حَرَكَةِ الهِجْرَةِ والاسْتِيْطَانِ، فَقَدْ أرْهَبَتِ اليَهُوْدَ في الخَارِجِ؛ حَتَّى أحْجَمَ كَثِيْرٌ مِنْهُم عَنِ الهِجْرَةِ إلى الأرَاضِي المُحْتَلَّةِ، كَمَا أرْهَبَتِ اليَهُوْدَ دَاخِلَ فِلَسْطِيْنَ إرْهَابًا عَظِيْمًا، وكَسَرَتْ قُلُوْبَهَم؛ حَتَّى صَارُوا يُغَادِرُوْنَ مُسْتَوْطَنَاتِهِم خَوْفًا مِنْ وُقُوْعِ هَذِهِ العَمَلِيَّاتِ.

وعِنْدَمَا يَرْتَدُّ العَدُوُّ عَنْ عَقِيْدَتِه الَّتِي مِنْ أجْلِهَا جَاءَ وقَاتَلَ، فَإنَّ ذَلِكَ يَعْنِي أنَّ الهَزِيْمَةَ النَّفْسِيَّةَ لَدَيْهِ قَدْ بَلَغَتِ النِّهَايَةِ، والرِّدَّةُ هُنَا لَيْسَتْ تَعْبِيْرًا عَاطِفِيًّا، بَلْ هِيَ حَقِيْقَةٌ دِيْنِيَّةٌ عِنْدَ الصَّهَايِنَةِ، فَهُم يُسَمُّوْنَ العَوْدَةَ مِنْ أرْضِ المِيْعَادِ رِدَّةً. انْظُرْ: و«الانْتِفَاضَةُ والتَّتَارُ الجُدُدُ» لشَيْخِنَا الحَوَالِيِّ حَفِظَهُ اللهُ وشَفَاهُ (٦١).

* * *

ومِنْ خِلالِ مَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ حَقِيْقَةِ حُكْمِ وأثَرِ العَمَلِيَّاتِ

الاسْتِشْهَادِيَّةِ، لا سِيَّمَا الَّتِي يَقُوْمُ بِهَا المُجَاهِدُوْنَ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ ضِدَّ الصَّهَايِنَةِ المُحْتَلِّيْنَ: فَإنَّهُ يَجُوْزُ والحَالَةُ هَذِهِ أنْ يَقْتُلَ المُسْلِمُ جَمِيْعَ اليَهُوْدِ الَّذِيْنَ في فِلِسْطِيْنَ؛ لأنَّهم مُحَارِبُوْنَ، مُعْتَدُوْنَ، ظَالِمُونَ، مُغْتَصِبُوْنَ، أيْ: قَتْلَ كُلِّ يَهُوْدٍ دَنِسٍ نَجِسٍ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، وهَذَا كُلُّهُ مُتَوَقِّفٌ على قَاعِدَةِ: «المَصَالِحِ والمَفَاسِدِ» الَّتِي يُقَدِّرُهَا أهْلُ العِلْمِ هُنَاكَ!

❐ أمَّا مَا يُدَنْدِنُ حَوْلَهُ قَرَاصِنَةُ الإعْلامِ بأنَّ هَذِهِ العَمَلِيَّاتِ: قَتْلٌ للأبْرِيَاءِ والأطْفَالِ في غَيْرِ ذَلِكَ: فَهُوَ مِنْ بُرُوْدِ عُقُوْلِهِم، وأمْرَاضِ قُلُوْبِهِم، وسُوْءِ عَقِيْدَتِهِم، بَلْ هَذَا مِنْهُم في الحَقِيْقَةِ مُصَادَرَةٌ عَنِ الحَقِيْقَةِ، وتَلْبِيْسٌ للحَقِّ بالبَاطِلِ؛ وهُم يَعْلَمُوْنَ!

* * *

○ الحَلُّ العَاشِرُ: المُقَاطَعَةُ التِّجَارِيَّةُ للبَضَائِعِ والسِّلَعِ اليَهُوْدِيَّةِ، والأمْرِيْكِيَّةِ، والبِرِيْطَانِيَّةِ، وكَذَا الدَّنَمرْكِيَّةِ (أخِيْرًا) بجَمِيْعِ أنْوَاعِهَا وأشْكَالِهَا الصَّغِيْرِ مِنْهَا والكَبِيْرِ(١).

أخِي المُسْلِمَ: إنَّ مُقَاطَعَتَنَا للبَضَائِعِ والسِّلَعِ اليَهُوْدِيَّةِ لَنْ يَتِمَّ مَا

---

(١) قُلْتُ: لا شَكَّ أنَّ إطْلاقَ كَلِمَةِ «الاقْتِصَادِ» على المَالِ أو التِّجَارَةِ، كَقَوْلِ بَعْضِهِم: الاقْتِصَادُ الإسْلامِيُّ ونَحْوُهُ، فَهَذَا مِمَّا لا تُقِرُّهُ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ؛ لأنَّ «الاقْتِصَادَ» لُغَةً: هُوَ الاعْتِدَالُ والتَّوَسُّطُ ونَحْوُهُ، وأمَّا مَنِ اسْتَهْوَتْهُ كَلِمَةُ «الاقْتِصَادِ» فَعَلَيْهِ والحَالَةُ هَذِهِ أنْ يَذْكُرَهَا مُضَافَةً، كَقَوْلِكَ: الاقْتِصَادُ المَالِيُّ، والاقْتِصَادُ التِّجَارِيُّ ونَحْوُهُ، واللهُ أعْلَمُ.

لم نُقَاطِعْ في الوَقْتِ نَفْسِهِ جَمِيْعَ سِلَعِ الدُّوَلِ الَّتِي تُسَانِدُ اليَهُوْدَ جِهَارًا نَهَارًا: كأمْرِيْكَا، وبرِيْطَانِيا، وغَيْرِهَا؛ لأنَّها دُوَلٌ مُساعِدَةٌ ومُسَانِدَةٌ لليَهُوْدِ في احْتِلالِهَا الغَاشِمِ، وحَرْبِها الظَّالِم، هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ بَضَائِعَ اليَهُوْدِ لَيْستْ بذَلِكَ الانْتِشَارِ القَوِي، كَما أنَّ كَثِيْرًا مِنْهَا مُتَسَتِّرٌ تَحْتَ أسْماءَ شَرِكَاتٍ أمْرِيْكِيَّةٍ وبرِيْطَانِيَّةٍ؛ لِذَا كَانَ اعْتِمادُ يَهُوْدَ على تِجارَةِ أمْرِيْكَا اعْتِمَادًا كَبِيْرًا!

وهَذَا الحَلُّ أُرَاهُ مِنَ الحُلُوْلِ المُهِمَّةِ جدًّا، هَذَا إذَا عَلِمْتَ أخي المُسْلِمَ أنَّ دُوَلَ الكُفْرِ، لا سِيَّما الشَّعْبُ اليَهُوْدِيُّ، والأمْرِيْكيُّ، والبِرِيْطَانيُّ وغَيْرُهم: هُمْ عُبَّادُ الدِّرْهَمِ والدِّيْنَارِ!

كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البَقَرَةُ: ٩٦].

لِذَا يُعْتَبرُ الدِّرْهَمُ والدِّيْنَارُ عِنْدَهُم: شَرَيَانَ الحَيَاةِ، فَهُم قَدْ يَقْبَلُوْنَ التَّنَازُلَ في كُلِّ شَيءٍ سَوَاءً في دِيْنِهِم، أو عِرْضِهِم، أو عُقُولِهِم... أمَّا المَالُ فَلا يَقْبَلُوْنَ فِيْهِ تَنَازُلاً بِأيِّ حَالٍ كَانَ!

فَعِنْدَ هَذَا لا أُبالِغُ إذَا قُلْتُ: إنَّ مُقَاطَعَةَ المُسْلِمِيْنَ للبَضَائِعِ اليَهُوْدِيَّةِ والأمْرِيْكِيَّةِ سَيَكُوْنُ لَهُ الأثَرُ الكَبِيْرُ في كَشْفِ عَوْرَةِ يَهُوْدَ، وسُقُوْطِ هَيْمَنَةِ أمْرِيْكا.

فَكُلُّ مُسْلِمٍ مُطَالَبٌ بنُصْرَةِ إخْوَانِهِ المُسْلِمِيْنَ، وبمُجَاهَدَةِ أعْدَاءِ

الدِّيْنِ، لا سِيَّما اليَهُوْدُ ومَنْ عاوَنَهُم بقَدْرِ مَا يَمْلِكُ مِن اسْتِطَاعَةٍ.

* * *

□ وفي قِصَّةِ ثُمامَةَ بنِ أُثالٍ رضي الله عنه سَيِّدِ بني حَنِيْفَةَ عِبْرَةٌ، يَوْمَ أخَذَ على نَفْسِهِ ألَّا يَصِلْ إلى كُفَّارِ مَكَّةَ حَبَّةُ حِنْطَةٍ؛ حَتَّى يَأذَنَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ، فَأذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أنْ خَلِّ بَيْنَ قَوْمِي وبَيْنَ مِيرَتِهِم» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فحِيْنَئِذٍ سَيَكُوْنُ شِعَارُنَا نَحْنُ (المُسْلِمِيْنَ) هَذِهِ الأيَّامَ في حَرْبِ المُقَاطَعَةِ، قَوْلَهُ ﷺ: «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أحَدٌ»! أخْرَجَهُ أحْمَدُ، وغَيْرُهُ، وهُوَ صَحِيْحُ الإسْنَادِ.

وهَذَا مَا فَهِمَهُ أبو بَصِيرٍ رضي الله عنه، يَوْمَ قَالَهَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أنِ انْفَلَتَ مِنَ المُشْرِكِيْنَ لمَّا أسْلَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ لقَاصِدِ قُرَيْشٍ، فَأتَى سَيْفَ البَحْرِ فانْضَمَّ إلَيْهِ جَماعَةٌ، فَكَانُوا يُؤْذُوْنَ قُرَيْشًا في تِجارَتِهِم، فَرَغِبُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أنْ يُؤوِيْهِم إلَيْهِ لِيَسْتَرِيْحُوا مِنْهُم، فَفَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ، البُخَارِيُّ.

وكَذَا مَا حَصَلَ في قِصَّةِ بَنِي النَّضِيْرِ، ومَا حَدَثَ لَهُم مِنْ مُحَاصَرَةٍ، وتَقْطِيْعٍ لأشْجَارِهِم وإتْلافِهَا؛ لَمَّا نَقَضُوا عَهْدَهُم، وأرَادُوا الغَدْرَ بالنَّبِيِّ ﷺ، وقَدْ مَرَّتْ مَعَنا.

وكَذَا مَا حَصَلَ أيْضًا في حِصَارِ النَّبِيِّ ﷺ لثَقِيْفٍ في الطَّائِفِ، عِنْدَمَا غَزَاهُم سَنَةَ ثَمانٍ للهِجْرَةِ؛ حَيْثُ سَارَ إلَيْهِم، فَأغْلَقُوا عَلَيْهِم

حُصُوْنَهُم، فَأَمَرَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «**بِقَطْعِ أَعْنَابِ ثَقِيْفٍ، فَوَقَعَ النَّاسُ فِيْهَا يَقْطَعُوْنَ**»، انْظُرْهَا: «سِيْرَةَ ابنِ هِشَامٍ». وغَيْرَهَا كَثِيرٌ.

* * *

❐ ونَحْنُ مِنْ خِلالِ هَذَا نُطَالِبُ كُلَّ مُسْلِمٍ أنْ يُجَاهِدَ اليَهُوْدَ ومَنْ عَاوَنَهُم بِقَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ؛ لا سِيَّما بـ«بَطْنِه!»، وذَلِكَ بِمُقَاطَعَةِ بَضَائِعِهِم.

ولا تَنْسَ أخِي المُسْلِمُ أنَّ اللهَ تَعَالى طَلَبَ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ أنْ يُقَاتِلَ الكُفَّارَ المُحَارِبِيْنَ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ مِنْ عَتَادٍ وقُوَّةٍ.

قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحَجُّ: ٧٨].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٣٦].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾ [البَقَرَةُ: ١٩١].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٢]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ [الأنْفَالُ: ٦٠].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التَّوْبَةُ: ٢٤].

فالجِهَادُ إذًا لا يَسْقُطُ عَنِ المُسْلِمِ القَادِرِ بما يَسْتَطِيْعُ، بَلْ لا يَظُنُّ المُسْلِمُ أنَّ الجِهَادَ اليَوْمَ مَعَ اليَهُوْدِ مُقْتَصِرٌ على القِتَالِ في سَاحَاتِ المَعْرَكَةِ؛ كَلَّا! بَلْ هُوَ فَوْقَ هَذَا، فَإذَا كَانَ الجِهَادُ قَدْ يَحْصُلُ بالبَنَانِ، واللِّسَانِ، والمَالِ، فَهُوَ اليَوْمَ لا يَقِلُّ مَكَانَةً عَنِ الجِهَادِ بالمُقَاطَعَةِ التِّجَارِيَّةِ، واللهُ أعْلَمُ!

يَقُوْلُ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ «الاخْتِيَارَاتُ الفِقْهِيَّةُ» (٤٤٧): «والجِهَادُ: مِنهُ مَا هُوَ باليَدِ، ومِنْهُ مَا هُوَ بالقَلْبِ، والدَّعْوَةِ، والحُجَّةِ والبَيَانِ، والرَّأيِ والتَّدْبِيْرِ، والصِناعَةِ؛ فَيَجِبُ بغَايَةِ مَا يُمْكِنُهُ».

* * *

□ هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ غَزْوَةَ بَدْرٍ الكُبْرَى الَّتِي فَرَّقَ اللهُ بِهَا بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ، وبَيْنَ الإسْلامِ والكُفْرِ، ومَا سَبَقَهَا مِنْ غَزَوَاتٍ

وسَرَايَا: كَانَ مِنْ مَقَاصِدِهَا أيضًا الحَرْبُ التِّجارِيَّةُ، وذَلِكَ بالاسْتِيْلاءِ على أمْوَالِ قُرَيْشٍ، والظَّفَرِ بِها؛ كَي يَتقَوَّى بِها المُسْلِمُونَ، ويَضْعَفَ بها المُشْرِكُوْنَ!

وهَذَا مَا ذَكَرَهُ ابنُ هِشَامٍ في «سِيْرَتِهِ» (٢/ ٦١)، بسَنَدٍ صَحِيْحٍ إلى ابنِ عَبَّاسٍ ﵄، أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا بَلَغَهُ أنَّ عِيْرًا مُقْبِلَةً مِنَ الشَّام صُحْبَةَ أبي سُفْيَانَ، في ثَلاثِيْنَ أو أرْبَعِيْنَ رَجُلاً، وهِيَ عِيْرٌ عَظِيْمَةٌ تَحمِلُ أمْوَالاً جزِيْلَةً لقُرَيْشٍ، نَدَبَ حِيْنَهَا الرَّسُوْلُ ﷺ النَّاسَ للخُرُوْجِ إلَيْهَا، وقَالَ لهُم: «هَذِهِ عِيْرُ قُرَيْشٍ فِيْهَا أمْوَالهُم، فاخْرُجُوا إلَيْهَا لَعَلَّ اللهَ يُنْفِلْكُمُوْهَا»!

وفي هَذَا الكَلامِ مَعْنىً صَرِيْحٌ وَاضِحٌ في الاسْتِدْلالِ على أهَمِيَّةِ الحَرْبِ التِّجَارِيَّةِ.

* * *

❐ شُبْهَةٌ، وردُّها: ولا تَقُلْ أخِي المُسلِمُ بَعْدَ هَذَا مَاذَا تَفْعَلُ مُقَاطَعَتِي للبَضَائِعِ اليَهُوْدِيَّةِ، والأمْرِيْكِيَّةِ، والبرِيْطَانِيَّةِ، وغَيْرِهَا، وأنا وَاحِدٌ لا أثَرَ لمُقَاطَعَتِي في أشْيَاءٍ صَغِيْرَةٍ كشِرَاءِ قَارُوْرَةِ «الكُوكَا كُوْلا»، أو «بِيْبْسِي» مَثَلاً، أو غَيْرِهَا مِنَ الأشْيَاءِ الَّتِي لا تَفعَلُ في ظَاهِرِ مِيْزَانِ المُقَاطَعَةِ شَيْئًا!

أقُوْلُ: لا شَكَّ أنَّكَ أخِي المُسْلِمُ بمُقَاطَعَتِك هَذِهِ؛ قَدْ فَعَلْتَ أمْرًا عَظِيْمًا، وجِهَادًا كَبِيْرًا؛ وذَلِكَ حِيْنَ تَعْلَمُ مَا يَلِي:

أوَّلاً: أنَّكَ سَاهَمْتَ في الجِهَادِ الإسْلامِيِّ ضِدَّ اليَهُوْدِ، ومَنْ عَاوَنَهُم، وكَسِبْتَ أجْرَ الجِهَادِ؛ فلَكَأنَّك قَدْ جَاهَدْتَ، كَما يَقُوْلُ النَّبِيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ ليُدخِلُ بالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلاثَةً الجَنَّةَ: صَانِعَهُ، يَحْتَسِبُ في صِنْعَتِهِ الخَيْرَ، والرَّامِيَ بِهِ، والمُمِدَّ بِهِ...» أخْرَجَهُ أحْمَدُ، وابنُ مَاجَه، وهُوَ حَسَنٌ بمَجْمُوْعِ طُرُقِهِ.

وقَالَ ﷺ: «جَاهِدُوا المُشْرِكِيْنَ بأمْوَالِكِم، وأنْفُسِكُم، وألْسِنَتِكُم» أخْرَجَهُ أبو دَاوُدَ، وهُوَ صَحِيْحٌ.

* * *

فَأنْتَ أخِي المُسْلِمُ عَلَيْكَ نَفْسَكَ، وخَاصَّةَ أهْلِكَ، لِذَا كَانَ عَلَيْكَ الجِهَادُ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِكَ، كَما قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة: ١٠٥].

وقَالَ تَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التَّحْرِيْمُ: ٦].

* * *

كَما لا تَنْسَ أنَّ جَهَنَّمَ الَّتِي اسْتَعَاذَ مِنْهَا الأوَّلُوْنَ والآخِرُوْنَ مِن الأنْبِيَاءِ، والمُرْسَلِيْنَ، وسَائِرِ المُؤمِنِيْنَ، كَانَ بمَقْدُوْرِ الوَاحِدِ مِن المُسْلِمِيْنَ أنْ يَتَّقِيَهَا ولَوْ بالقَلِيْلِ، كَما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ ولَو بِشِقِّ تَمْرةٍ، فَإنْ لم تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فهَذا الحَدِيْثُ دَلِيْلٌ على أنَّ شِقَّ التَّمْرَةِ الوَاحِدَةِ يَمْنَعُ صَاحِبَهَا النَّارَ، فَكَيْفَ إذَنْ مَنْ يتَّقِيْها بعَشْرِ تَمرَاتٍ قِيْمَتُهَا ذَلِكُم «الدِّيْنَارُ» الَّذِي يُقَاطِعُ بِهِ قَارُوْرَةَ «بِيْبسي»؟!

ثَانِيًا: أخِي المُسْلِمَ إنَّكَ بدِيْنَارِكَ هَذَا تُعِيْنُ أعْدَاءَ الدِّيْنِ مِنَ اليَهُوْدِ، والنَّصَارَى، وغَيْرِهِم على قَتْلِ إخْوَانِكَ مِنَ المُسْلِمِيْنَ، وقَدْ حَذَّرَنَا اللهُ تَعَالى مِنْ إعَانَةِ الفُجَّارِ، والكُفَّارِ، بقَوْلِهِ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المَائِدَةُ: ٢].

ثَالِثًا: لا تَنْظُرْ أخِي المُسْلِمُ إلى دِيْنَارِكَ ودِرْهَمِكَ بعَيْنٍ قَاصِرَةٍ، وحُكْمٍ ضَيِّقٍ؛ يَوْمَ تَعْلَمُ أنَّ دِيْنَارَكَ ودِرْهَمَكَ سَوْفَ يَنْضَمُّ مَعَ دِيْنَارِ ودِرْهَمِ غَيْرِكَ مِنَ المُسْلِمِيْنَ وهَكَذَا.

وقَدْ قَالَ ﷺ: «**لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوْفِ شَيْئًا، ولَو أنْ تَلْقَى أخَاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ**» أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وعِنْدَ حِسَابَاتِنَا التَّقْرِيْبِيَّةِ سَتَعْلَمُ أخِي أنَّكَ مُجَاهِدٌ كَبِيْرٌ يَوْمَ شَارَكْتَ المُسْلِمِيْنَ بمُقَاطَعَتِكَ قَارُوْرَةَ «بِيْبسي»، فَمَثَلاً لَوْ قَدَّرْنَا أنَّ خَمْسَمائَةِ مَلْيُوْنِ مُسْلِمٍ (أيْ: نِصْفَ مِلْيَارِ مُسْلِمٍ)؛ سَوْفَ يُقَاطِعُوْنَ قَارُوْرَةَ «بِيْبسي»؛ فَإذَا حَسَبْنَا هَذِهِ الأمْوَالَ خِلالَ سَنَةٍ وَاحِدَةٍ سَيَكُوْنُ العَدَدُ كَبِيْرًا جِدًّا.

☐ نُوَضِّحُهُ: أنَّنا لَوْ ضَرَبْنَا نِصْفَ مِلْيَارٍ في عَدَدِ السَّنَةِ الوَاحِدَةِ

مَثْلاً، فسَيكُوْنُ الحِسَابُ هَكَذَا للتَّقْرِيْبِ: (٥٠٠٠٠٠٠٠٠ ×٣٦٠ = مَائَةً وثَمَانِيْنَ مِلْيَارِ دِيْنَارٍ (رِيَالٍ) سُعُوْدِيٍّ!

أخِي هَذِهِ مُقَاطَعَةٌ بدِيْنَارِكَ وَاحِدٍ فَقَطُ، فَكَيْفَ بِكَ إذَا اجْتَهَدْتَ في مُقَاطَعَةِ الكَثِيْرِ مِنْ بَضَائِعَ وسِلَعِ اليَهُوْدِ ومَنْ عَاوَنَهُم؛ ولا سِيَّما السِّلَعَ الأمْرِيْكِيَّةَ والبِرِيْطَانِيَّةَ مِنْهَا.

فعِنْدَئِذٍ كَانَ وَاجِبًا عَلَيْكَ أخِي المُسْلِمُ أنْ تُفَتِّشَ نَفْسَكَ عَنْ مُقَاطَعَتِكَ للبَضَائِعِ اليَهُوْدِيَّةِ، والأمْرِيْكِيَّةِ، والبِرِيْطَانِيَّةِ، والدَّنَمَرْكِيَّةِ، وأنْ تَنْظُرَ إلى حَقِيْقَةِ مَا تَشْتَرِيْهِ، وتَقْتَنِيْهِ مِنَ المَأكُوْلاتِ، والمَشْرُوْبَاتِ، والمَرَاكِبِ، وغَيْرِهَا.

* * *

❐ بَشَائِرُ: هُنَا بَعْضُ البِشَائِرِ الَّتِي تُشِيرُ إلى أنَّ المُقَاطَعَةَ الإسْلامِيَّةَ للبَضَائِعِ اليَهُوْدِيَّةِ والأمْرِيْكِيَّةِ قَدْ آتَتْ أُكلَهَا ونَجَحَتْ: فَقَدْ نَشَرَتْ بَعْضُ الصُّحُفِ: أنَّ المُقَاطَعَةَ العَرَبِيَّةَ ألحقَتْ باليَهُوْدِ خَسَارَةَ (٤٨) مِلْيَارٍ مُنْذُ قَامَتِ المُقَاطَعَةُ!

كَما نَشَرَتْ جَرِيْدَةُ «الحَيَاةِ» (٢٨/ شعبان/ ١٤٢١): أنَّ خَسَائِرَ شَرِكَاتِ التَّكْنُولُوجِيَّةِ اليَهُوْدِيَّةِ في الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ بَلَغَتْ مُنْذُ بِدَايَةِ المُقَاطَعَةِ (٢٠) مِلْيَارِ دُوْلارٍ!

كَما أكَّدَتْ بَعْضُ المَصَادِرِ أنَّ بَعْضَ الشَّرِكَاتِ اليَهُوْدِيَّةِ والأمْرِيْكِيَّةِ قَدْ انْخَفَضَتْ مَبِيْعَاتُها في مِصْرَ إلى (٨٠٪)، فللّهِ دَرُّكِ يا مِصْرُ!

وبَيْنَا أنَا هُنَا أُرَاجِعُ كِتَابِي هَذَا؛ إذْ شَاعَ في دَوْلَةِ الدَّنَمارْكِ (الصَّلِيْبِيَّةِ!)، أنَّ صُحُفَهَا لم تفْتَأ تُسِيءُ بالرُّسُوْمِ لشَخْصِ نَبِيِّنا ﷺ، وبمُنَاسَبَةِ جَدْوَى المُقَاطَعَةِ التِّجَارِيَّةِ، أفَادَتْ صَحِيفَةُ الوَطَنِ الكُوَيْتِيَّةُ في قَوْلِهَا: «تُقَدِّرُ الغُرْفَةُ التِّجَارِيَّةُ الدَّنَمرْكِيَّةُ خَسائِرَهَا بسَبَبِ المُقَاطَعَةِ إلى (ثَلاثَةِ مِلْيَارٍ) دُوْلارٍ، وفُقْدَانِ عِشْرِيْنَ ألْف وَظِيْفَةٍ!»، فَهَلْ مِنْ قَلْبٍ حَيٍّ، وأذُنٍ صَاغِيَةٍ تَتَفَاعَلُ مَعَ هَذَا الخَبَرِ العَظِيْمِ!

* * *

□ وهَاكَ أخِي المُسْلِمُ هَذِهِ الحَقَائِقَ المَيْدَانِيَّةَ الَّتِي تُبَشِّرُ بقُوَّةِ المُقَاطَعَةِ التِّجَارِيَّةِ عِنْدَ المُسْلِمِيْنَ، وقُوَّةِ أثَرِهَا في ضَرْبِ السُّوْقِ المَالِيَّةِ العَالمِيَّةِ، ولا سِيَّمَا في السُّوْقِ اليَهُوْدِيَّةِ، وذَلِكَ مِنْ خِلالِ مَا ذَكَرْتُهُ كَثِيرٌ مِنَ الصُّحُفِ العَالمِيَّةِ، الأمْرُ الَّذِي يَزِيْدُنَا يَقِيْنًا بأهَمِّيَّةِ هَذِهِ المُقَاطَعَةِ على رُغْمِ بَعْضِ المُعَارِضِيْنَ هُنَا وهُنَاكَ.

قُلْتُ: لَقَدْ تَزَامَنَتِ المُقَاطَعَةُ الاقْتِصَادِيَّةُ المَالِيَّةُ لليَهُوْدِ مَعَ بِدَايَةِ الهِجْرَةِ اليَهُوْدِيَّةِ إلى فِلَسْطِيْنَ، وفي عَامِ (١٣٤٠هـ ـ ١٩٢٢م) طَالَبَ المُؤتَمرُ العَرَبيُّ الخَامِسُ، والَّذِي عُقِدَ في مَدِيْنَةِ نَابُلِسَ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ بمُقَاطَعَةِ جَمِيْعِ البَضَائِعِ اليَهُوْدِيَّةِ، ثُمَّ تَلا ذَلِكَ المُؤتَمرُ الإسْلامِيُّ العَالميُّ الَّذِي عُقِدَ في عَامِ (١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م)، ومَعَ انْطِلاقِ ثَوْرَةِ عَامِ (١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م) تَزَايَدَتِ الحَمْلَةُ الشَّعْبِيَّةُ للمُنْتَجَاتِ اليَهُوْدِيَّةِ.

وقَدْ جَاءَ في صَحِيْفَةِ «نِيُويُورك تَايمِز» (٧/ ٥/ ١٣٥٥هـ ـ ٢٥/

٧/ ١٩٩١م): أنَّ مَجْمُوْعَةً اقْتِصادِيَّةً مالِيَّةً يَهُوْدِيَّةً قَدْ قَدَّرَتْ خَسائِرَ اليَهُوْدِ مِنْ جَرَّاءَ المُقَاطَعَةِ مُنْذُ عَامِ (١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م) بأكْثَرَ مِنْ (٧٦) مِلْيَارِ دُوْلارٍ أمْرِيْكيٍّ.

وفي عَامِ (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م) نَصَّتْ مُعاهَدَةُ السَّلامِ المِصْرِيَّةِ اليَهُوْدِيَّةِ صَرَاحَةً على إنْهاءِ المُقَاطَعَةِ بَيْنَ مِصْرَ وإسْرَائِيْلَ، وأغْرَقَتِ البَضَائِعُ اليَهُوْدِيَّةُ الأسْوَاقَ العَرَبِيَّةَ!

نَعَم؛ فَإنَّ المُقَاطَعَةَ التِّجارِيَّةَ مَعَ اليَهُوْدِ تُعْتَبَرُ سِلاحًا مُؤثِّرًا فَعَّالاً، الأمْرُ الَّذِي أقَرَّ بِهِ العَالَمُ بِأسْرِهِ، ولا سِيَّما دُوَلُ الغَرْبِ واليَهُوْدِ، فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ؟!

وقَدْ ذَكَرَ رُوْجِيْه جَارُوْدِي في كِتَابِهِ «الأسَاطِيْرُ المُؤسِّسَةُ للسِّيَاسَةِ الإسْرَائِيْلِيَّةِ» (٣٦٩): «يَجِبُ أنْ نَلْتَزِمَ بِمُقَاطَعَةٍ جَذْرِيَّةٍ لِكُلِّ مَا هُوَ أمْرِيْكيٌّ، سَوَاءٌ كَانَتْ مُنْتَجاتٍ صِنَاعِيَّةٍ بِدْءًا مِنْ «الكُوكَا كُوْلا»(١)... إلى أفْلامٍ، وكَذَلِكَ مُقَاطَعَةُ إسْرائِيْلَ... أَعْتَقِدُ أنَّ هَذَا هُوَ السِّلاحُ الوَحِيْدُ المُتَاحُ الآن». انْتَهَى.

يَقُوْلُ «شَاؤوْل مِزْرَاحِي» (أحَدُ كِبَارِ الاقْتَصادِيِّيْنَ اليَهُوْدِ): «بأنَّهُ لا يُمْكِنُ لإسْرَائِيْلَ أنْ تَجِدَ وَسِيْلَةً لاسْتِكْمالِ إمْكَانِيَّاتِ صِناعَاتِها بِزِيَادَةِ الصَّادِرَاتِ إلى البُلْدَانِ السَّائِرَةِ في طَرِيْقِ النُّمُوِّ مَا دَامَتْ مَبْتُوْرَةً

---

(١) اعْلَمْ أخِي المُسْلِمَ أنَّ شَرِكَةَ «كُوْكَا كُوْلا»: يَمْلِكُهَا رَجُلٌ ثَرِيٌّ يَهُوْدِيٌّ اسْمُهُ: «رُوْبِرْت مَاكْسُوِيْل» فَاحْذَرْهَا!

عَنْ بُلْدَانِ المَنْطَقَةِ الَّذِيْنَ هُم أقْرَبُ جِيْرَانِهَا، ويُشَكِّلُوْنَ بِذَلِكَ سُوْقًا طَبِيْعِيًّا لِمُنْتَجَاتِهَا».

قَالَ «إسْحَاقُ رَابِيْنَ» في تَصْرِيْحٍ لَهُ في الكَنِيْست في عَامِ (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م): «بأنَّ المقَاطَعَةَ العَرَبِيَّةَ إذَا ما اسْتَمَرَّتْ لِسَنَوَاتٍ أُخْرَى، فَإنَّها سَوْفَ تُؤَثِّرُ وبِشَكْلٍ كَبِيرٍ على قُدْرَةِ إسْرَائِيْلَ في اجْتِذَابِ الاسْتِثْمارَاتِ الخَارِجِيَّةِ، لِذَا فَيَجِبُ عَلَيْنَا مُوَاجَهَتُهَا وتَحْطِيْمُهَا».

ويَقُوْلُ أحَدُ الخُبَرَاءِ الأمْرِيْكِيِّيْنَ في الاقْتِصَادِ المَالِيِّ: بأنَّ الأثَرَ الأكْبَرَ على إسْرَائِيْلَ مِنْ وَرَاءِ المُقَاطَعَةِ: هُوَ في مَجَالِ الاسْتِثْمارِ، ولَيْسَ في مَجَالِ التَّبَادُلِ التِّجَارِيِّ، ويَكْفِي أنَّ المُقَاطَعَةَ الهَزِيْلَةَ في السَّنَوَاتِ المَاضِيَةِ أفْزَعَتْهُم؛ حَتَّى أنَّ الرَّئِيْسَ الأمْرِيْكِيَّ صَرَّحَ لِصَحِيْفَةِ «لُوفِيْجَار» (١٤/ ٧/ ١٣٢٩هـ ـ ١٠/ ٧/ ١٩١١م)، ولِصَحِيْفَةِ «النِّيُويُورك تَايْمز»، ويَقُوْلُ: «إنَّنِي أوَدُّ أنْ أرَى نِهَايَةَ المُقَاطَعَةِ العَرَبِيَّةِ لإسْرَائِيْلَ!».

ورَئِيْسُ الوُزَرَاءِ اليَهُوْدِيُّ السَّابِقُ: «بَعَث بِرِسَالَةٍ إلى قَادَةِ الدُّوَلِ الصِّنَاعِيَّةِ السَّبْعِ الكُبْرَى قَبْلَ اجْتِماعِهِم في «لَنْدَنْ» يَحُثُّهُم فِيْهَا على اتِّخَاذِ مَوْقِفٍ ضِدَّ المُقَاطَعَةِ العَرَبِيَّةِ لإسْرَائِيْلَ، وعلى وَضْعِ قَانُوْنٍ يُحَظِّرُ على المُؤسَّسَاتِ الخَاصَّةِ في هَذِهِ الدُّوَلِ الخُضُوْعَ لِقَرَارَاتِ المُقَاطَعَةِ العَرَبِيَّةِ»(١).

---

(١) انْظُرْ: مَقَالَ: «حَتَّى تَكُوْنَ مُقَاطَعَةُ العَرَبِ لإسْرَائِيْلَ سِلاحًا إيْجَابِيًّا» لِعَبْدِ المُنْعِمِ =

وقَالَ «كِلينْتُونْ» رَئِيْسُ الحَكُوْمَةِ الأمْرِيْكِيَّةِ: «مَا مِنْ شَكٍّ أنَّ مُفَاوَضَاتِ السَّلامِ سَتَأخُذُ وَقْتًا، ولَكِنْ هُنَاكَ خُطْوَةٌ كَانَ على العَرَبِ اتِّخَاذُهَا مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيْدٍ: إنْهَاءُ مُقَاطَعَتِهِم اللَّاشَرْعِيَّةِ لإسْرَائِيْلَ، فالمُقَاطَعَةُ هِيَ حَرْبٌ اقْتِصَادِيَّةٌ، والحَرْبُ يَجِبُ أنْ تَنْتَهِي الآنَ!». «مَجَلَّةُ المُرَاقِبِ» العَدَدُ الأوَّلُ (٩).

* * *

□ **قُلْتُ**: لَيْستِ المُقَاطَعَةُ التِّجَارِيَّةُ الَّتِي نُنَادِي بِها هُنَا: هِيَ وَاجِبَةٌ على أفْرَادِ وآحَادِ المُسْلِمِيْنَ فَقَطْ، بَلْ هِيَ أيْضًا وَاجِبَةٌ على الحُكُوْمَاتِ الإسْلامِيَّةِ بِصِفَةٍ رَسْمِيَّةٍ؛ لأنَّ الجَمِيْعَ يَعْلَمُ أنَّ المُقَاطَعَةَ الَّتِي تَكُوْنُ على مُسْتَوَى حُكُوْمَاتِ الدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ هِيَ أبْلَغُ وأقْوَى أثَرًا في انْهِيَارِ دُوَلِ الكُفْرِ، ولا سِيَّما أمْرِيْكَا وغَيْرِهَا مِنَ الدُّوَلِ الكَافِرَةِ المُسَاعِدَةِ لليَهُوْدِ، والمُنَاصِرَةِ لَهَا في التَّمْكِيْنِ عَلى أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، وغَيْرِهَا مِنْ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ المُحْتَلَّةِ!

فَقَدْ جَاءَ في «قَامُوْسِ المُصْطَلَحَاتِ الحُقُوْقِيَّةِ الدُّوَلِيَّةِ» أنَّ المُقَاطَعَةَ: «هِيَ إجْرَاءٌ تَلْجَأُ إلَيْهِ سُلُطَاتُ الدَّوْلَةِ، أو هَيْئَاتُها، وأفْرَادُهَا المشْتَغِلُوْنَ بالتِّجَارَةِ لِوَقْفِ العِلاقَاتِ التِّجَارِيَّةِ مَعَ دَوْلَةٍ أُخْرَى، ومَنْعِ التَّعَامُلِ مَعَ رَعَايَاهَا بقَصْدِ الضَّغْطِ الاقْتِصَادِي عَلَيْهَا رَدًّا على ارْتِكَابِها لأعْمَالٍ عُدْوانِيَّةٍ».

= سَلِيْم، في «مَجَلَّةِ الدَّعْوَةِ المِصْرِيَّةِ» العَدَدَ (١٥)، «وَكَالاتِ الأنْبَاءِ» في «مَجَلَّةِ السُّنَّةِ» العَدَدَ (١٧) ص (٥٢).

وفي «المَوْسُوْعَةِ البرِيْطَانِيَّةِ» أنَّ المُقَاطَعَةَ هِيَ: «رَفْضٌ أو تَحْرِيْضٌ على رَفْضِ أنْ يَكُوْنَ هُنَاكَ أيُّ تَعَامُلٍ تِجَارِيٍّ، أو اجْتِماعِيٍّ مَعَ طَرَفٍ يُرَادُ الضَّغْطُ عَلَيْه».

* * *

□ ومِنْ خِلالِ هَذَا؛ فإنَّ المُقَاطَعَةَ التِّجارِيَّةَ قَدِ اشْتَمَلَتْ على عِدَّةِ عَنَاصِرَ مُكَوَّنَةٍ، أهَمُّهَا:

١ ـ الحِصَارُ البَرِّي، والبَحْرِي، والجَوِّي على الدَوْلَةِ المُعَادِيَةِ، وذَلِكَ بمَنْعِ كُلِّ الصَّادِرَاتِ والوَارِدَاتِ مِنْهَا وإلَيْهَا، سَوَاءٌ كَانَتْ هَذِهِ البَضَائِعُ نِفْطِيَّةً، أو مَعِيْشِيَّةً، أو غَيْرَهَا.

ويَكُوْنُ هَذَا الحِصَارُ مُبَاشِرًا، أو غَيْرَ مُبَاشِرٍ، فَالأوَّلُ هُوَ مَا تَتَّخِذُهُ الحُكُوْمَاتُ عَبْرَ الطُّرُقِ الرَّسْمِيَّةِ، أمَّا الثَّاني فهُوَ مَا تَتَّخِذُهُ الشَّرِكَاتُ أو الأفْرَادُ سَوَاءً كَانُوا وُكَلاءَ أو وُسَطَاءَ أو غَيْرَ ذَلِكَ.

٢ ـ ومِنْهَا: قَطْعُ جَمِيْعِ العِلاقَاتِ الدُّوَلِيَّةِ مَعَ هَذِهِ الدَوْلَةِ المُعَادِيَةِ، وذَلِكَ بقَطْعِ العِلاقَاتِ العَامَّةِ، والخَاصَّةِ، وإلْغَاءِ السَّفَارَاتِ، وغَيْرِ ذَلِكَ.

وهُنَاكَ مِثَالٌ على ذَلِكَ: وهُوَ حَظَرُ تَصْدِيْرِ النِّفْطِ إلى الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأمْرِيْكِيَّةِ، وأوْرُوبَّا الغَرْبِيَّةِ بَعْدَ حَرْبِ (تِشْرِيْنَ ١٩٧٣م ـ ١٣٩٣هـ).

٣ ـ ومِنْهَا مَا يُسَمَّى بنِظَامِ القَوَائِمِ السَّوْدَاءِ؛ وهُوَ حَصْرُ أسْمَاءِ

المُنْشَآتِ، والشَّرِكَاتِ، والمُؤسَّسَاتِ، والبُنُوْكِ، والمَصَانِعِ، وغَيْرِهَا مِنْ مَوَارِدِ الدَّوْلَةِ المُعَادِيَةِ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا الحَصْرِ تُدْرَجُ هَذِهِ الأسْمَاءُ في القَائِمَةِ السَّوْدَاءِ؛ كَي يَتِمَّ مُقَاطَعَتُهَا في أوْقَاتِ السِّلْمِ والحَرْبِ، ويُمْنَعَ التَّعَامُلُ مَعَهَا.

وأوَّلُ مرَّةٍ اسْتُخْدِمَ فِيْهَا نِظَامُ القَوَائِمِ السَّوْدَاءِ، كَانَ في (١٣٣٤هـ ـ ١٩١٦م) مِنْ قِبَلِ بِرِيْطَانِيَا ضِدَّ ألمَانِيَا إبَّانَ الحَرْبِ العَالمِيَّةِ الأوْلى.

* * *

❐ مُقَاطَعَةُ جَامِعَةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ:

وفي عَامِ (١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م) احْتَضَنَتْ جَامِعَةُ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ: المُقَاطَعَةَ التِّجَارِيَّةَ ضِدَّ دَوْلَةِ الكَيَانِ اليَهُوْدِيِّ، بَعْدَ أنْ كَانَتْ مَسْألَةً قَدْ بَدَأهَا الفِلِسْطِيْنِيُّوْنَ أنْفُسُهم، وذَلِكَ مُنْذُ أنْ بَدَأوا يَشْعُرُوْنَ بخُطُوْرَةِ المُخَطَّطَاتِ اليَهُوْدِيَّةِ الصِّهْيُوْنِيَّةِ على وَطَنِهِم ومُقَدَّسَاتِهِم، فَقَدْ أدْرَكُوا مُنْذُ بِدَايَةِ الانْتِدَابِ البِرِيْطَانيِّ على فِلِسْطِيْنَ خُطُوْرَةَ التَّعَامُلِ التِّجَاريِّ مَعَ اليَهُوْدِ، ومَا يَترتَّبُ على ذَلِك مِنْ تَهْدِيْدٍ لمَصَالِحِهِم؛ مِنْ هُنَا كَانَ اتِّخَاذُ المُؤتَمرِ الفِلِسْطِيْنيِّ الخَامِسِ الَّذِي عُقِدَ في (١٣٤٢هـ ـ آب ١٩٢٣م) لِذَلِكَ القَرَارِ: بمُقَاطَعَةِ اليَهُوْدِ في الشِّرَاءِ، وبَيْعِ الأمْوَالِ غَيْرِ المَنْقُوْلَةِ؛ على أنْ يُعْهَدَ إلى اللَّجْنَةِ التَّنْفِيْذِيَّةِ العَرَبِيَّةِ تَعْيِيْنُ مِيْعَادِ ذَلِك، وكَيْفِيَّةُ تَطْبِيْقِهِ.

ومَعَ حُلُوْلُ عَامَ (١٣٤٨هـ ـ ١٩٢٩م) ازْدَادَتْ حَرَكَةُ المُقَاطَعَةِ العَرَبِيَّةِ؛ حَيْثُ تَألَّفَتْ في القُدْسِ لَجْنَةٌ عَرَبِيَّةٌ لمُقَاطَعَةِ التِّجَارَةِ والبَضَائِعِ اليَهُوْدِيَّةِ، وانْتَقَلَتْ حَرَكَةُ المُقَاطَعَةُ في القُدْسِ إلى بَاقِي المُدُنِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ؛ حَتَّى إنَّ التُّجَّارَ العَرَبَ رَفَعُوا الكِتَابَاتِ العِبْرِيَّةَ عَنْ لافِتَاتِهِم وإعْلانَاتِهِم، ومَعَ تَزَايُدِ الهِجْرَةِ اليَهُوْدِيَّةِ إلى فِلِسْطِيْنَ، وانْدِلاعِ انْتِفَاضَةِ عَامَ (١٣٤١هـ ـ ١٩٢٣م) أصبحتْ مُقَاطَعَةُ اليَهُوْدِ أمْرًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ، وتَسَارَعَتْ مُخْتَلَفُ الهَيْئَاتِ الوَطَنِيَّةِ لتَنْفِيْذِهَا، والالْتِزَامِ بِهَا.

ومَعَ قِيَامِ الثَّوْرَةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ الكُبْرَى عَامَ (١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م) عُقِدَ مُؤتَمرٌ كَبِيرٌ في شَهْرِ (آيار)، حَضَرَهُ المِئَاتُ مِنَ التُّجَارِ العَرَبِ، ورِجَالِ الأعْمالِ، وتَقَرَّرَ فِيْهِ بالإجْمَاعِ: فَصْلُ الحَرَكَةِ التِّجَارِيَّةِ الوَطَنِيَّةِ في القُدْسِ عَنْ كُلِّ عِلاقَةٍ باليَهُوْدِ، وإنْشَاءُ غُرْفَةٍ تِجَارِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ؛ مِنْ أغْرَاضِهَا: السَّعْيُ لإنْشَاءِ الوِكَالاتِ التِّجَارِيَّةِ للمَصَانِعِ الأوْرُوبِّيَّةِ؛ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ العَرَبُ عَنِ الوُكَلاءِ اليَهُوْدِ.

وبَعْدَ فُصُوْلٍ مِنَ المَدِّ والجَزْرِ بَيْنَ الضَّغْطِ والمُقَاطَعَةِ أو عَدَمِهَا: أُنْشِئَتْ جَامِعَةُ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ عَامَ (١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م)، وأصْدَرَتْ قَرَارًا رَقَمَ (١٦)، بتَارِيْخِ (٢٧/ ١٢/ ١٣٦٤هـ ـ ٢/ ١٢/ ١٩٤٥م): بمُقَاطَعَةِ البَضَائِعِ والصِّنَاعَاتِ اليَهُوْدِيَّةِ، وشَكَّلَتْ لَجْنَةً لتَنْفِيْذِ تِلْكَ المُقَاطَعَةِ.

ومَعَ أهَمِّيَّةِ هَذِهِ الخُطْوَةِ في تِلْكَ المَرْحلَةِ الهَامَّةِ؛ إلَّا أنَّهُ يَبْدُو أنَّ قَرَارَ المُقَاطَعَةِ اتُّخِذَ على عَجَلٍ دُوْنَ أنْ تَكُوْنَ هُنَاكَ دِرَاسَةً وَاضِحَةً حَوْلَ مَفْهُوْمِ، وكَيْفِيَّةِ تَطْبِيْقِ نِظَامِ المُقَاطَعَةِ. انْظُرْ مَقَالَ: «حِلْمٌ لا يُقَاوِمُ الصَّدَأ» لوَلِيْدِ بنِ فَارُوْقٍ، كَما جَاءَ في «لجْنَةِ المُقَاطَعَةِ العَرَبِيَّةِ».

* * *

☐ وبِنَاءً على مَا تَقَدَّمَ، وضِمْنَ إطَارِ حَظَرِ الصَّادِرَاتِ والوَارِدَاتِ مِنْ دَوْلَةِ اليَهُوْدِ وإلَيْهَا، اتَّخَذَ مَجْلِسُ الجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ في (١٣٧٠هـ - أيَار ١٩٥١م): قَرَارًا بإنْشَاءِ جِهَازِ المُقَاطَعَةِ العَرَبِيَّةِ الكَيَانِ اليَهُوْدِيِّ، وحَدَّدَتْ مَهَامَ جِهَازِ المُقَاطَعَةِ على الشَّكْلِ التَّالِي:

١ - تَنْسِيْقُ الخِطَطِ والتَّدَابِيْرِ المُتَعَلِّقَةِ بمُقَاطَعَةِ الكَيَانِ اليَهُوْدِيِّ المُحْتَلِّ.

٢ - مُرَاقَبَةُ تَطَوُّرِ الاقْتِصَادِ اليَهُوْدِيِّ، ووَضْعُ الخِطَطِ اللَّازِمَةِ للحَدِّ مِنْ تَحْقِيْقِ آمَالِ الكَيَانِ اليَهُوْدِيِّ في نُمُوِّ الاقْتِصَادِ التِّجَارِي، والتَّخْطِيْطِ لإحْبَاطِ كُلِّ مَا مِنْ شَأنِهِ تَدْعِيْمُ الاقْتِصَادِ اليَهُوْدِي.

٣ - إنْشَاءُ مَكَاتِبَ لمُقَاطَعَةِ اليَهُوْدِ في كُلِّ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ الأعْضَاءِ في جَامِعَةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ.

وبِذَلِكَ تَكُوْنُ المُقَاطَعَةُ الشَّعْبِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ قَائِمَةً قَبْلَ قِيَامِ الكِيَانِ اليَهُوْدِيِّ قَدْ تَطَوَّرَتْ إلى مُقَاطَعَةٍ عَرَبِيَّةٍ شَامِلَةٍ، صَدَرَ قَانُوْنُها

المُوحَّدُ في العَاشِرِ مِنْ (١٣٧٥هـ ـ دِيْسَمْبَر ١٩٥٦م)، تَضَمَّنَ هَذَا القَانُوْنُ مَنْعَ الأفْرَادِ، والهَيْئَاتِ، والمُؤسَّسَاتِ الرَّسْمِيَّةِ العَرَبِيَّةِ مِنْ أُمُوْرٍ مِنْهَا:

١ ـ عَقْدُ الاتِّفَاقِيَّاتِ الاقْتِصَادِيَّةِ التِّجَارِيَّةِ مَعَ الكَيَانِ اليَهُوْدِيِّ.

٢ ـ دُخُوْلُ البَضَائِعِ اليَهُوْدِيَّةِ إلى الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ.

٣ ـ تَصْدِيْرُ البَضَائِعِ الَّتِي يُعَادُ تَصْدِيْرُهَا إلى الكَيَانِ اليَهُوْدِيِّ.

٤ ـ التَّعَامُلُ مَعَ الشَّرِكَاتِ الَّتِي تَشْمَلُهَا قَوَانِيْنُ المُقَاطَعَةِ، والَّتِي تَدْخُلُ ضِمْنَ أيٍّ مِنَ التَّصْنِيْفَاتِ الآتِيَةِ:

أوَّلاً: الشَّرِكَاتُ الَّتِي لَهَا فُرُوْعٌ، أو مَكَاتِبُ، أو وُكَلاءُ في الكَيَانِ اليَهُوْدِيِّ، أو لَهَا فُرُوْعُ تَجْمِيعٍ في اليَهُوْدِ.

ثَانِيًا: الشَّرِكَاتُ الَّتِي تَقُوْمُ بتَجْمِيعٍ، وتَصْنِيعٍ، وتَسْوِيْقِ بَضَائِعَ صُنِعَتْ في الكَيَانِ اليَهُوْدِيِّ.

ثَالِثًا: الشَّرِكَاتُ الَّتِي تُعْطِي اسْمَهَا للمَصْنُوْعَاتِ اليَهُوْدِيَّةِ.

رَابِعًا: الشَّرِكَاتُ الَّتِي تُعْطِي تَرَاخِيْصَ تَصْنِيْعٍ لبَضَائِعَ تُنْتِجُهَا؛ لتَقُوْمَ شَرِكَاتٌ يَهُوْدِيَّةٌ بذَلِكَ.

خَامِسًا: الشَّرِكَاتُ، والمؤسَّسَاتُ الَّتِي تَشْتَرِي اسْمَهَا مُؤسَّسَاتٌ يَهُوْدِيَّةٌ.

سَادِسًا: الشَّرِكَاتُ الَّتِي تُشَارِكُ في غُرْفَةٍ تِجَارِيَّةٍ يَهُوْدِيَّةٍ، سَوَاءٌ دَاخِلَ الكَيَانِ اليَهُوْدِيِّ أم خَارِجَهُ.

سَابِعًا: الشَّرِكَاتُ الَّتِي تُقَدِّمُ القُرُوْضَ، أو تُسَهِّلُ تَقْدِيْمَهَا للكَيَانِ اليَهُوْدِيِّ، أو الشَّرِكَاتِ العَامِلَةِ فِيْهِ.

ثَامِنًا: الشَّرِكَاتُ الَّتِي تُنْتِجُ آلِيَّاتٍ دَخَلَتْ في صُنْعِهَا أجْزَاءٌ صُنِعَتْ في الكَيَانِ اليَهُوْدِيِّ.

وحَدَّدَتِ المَوَادُ السَّابِعَةُ، والثَّامِنَةُ، والتَّاسِعَةُ مِنْ هَذَا القَانُوْنِ الجَزَاءَاتِ الَّتِي سَيَتِمُّ تَطْبِيْقُهَا على الأفْرَادِ، والهَيْئَاتِ، والمُؤسَّسَاتِ الرَّسْمِيَّةِ العَرَبِيَّةِ ممَّنْ يُخَالِفُ لَوَائِحَ المُقَاطَعَةِ، والَّتِي تَشْمَلُ الحَبْسَ لمُدَّةٍ لا تَقِلُّ عَنْ ثَلاثِ سَنَوَاتٍ؛ على أنْ يُعْفَى مِنَ العُقُوْبَةِ كُلُّ مَنْ يُخْبِرُ عَنْ زُملائِهِ وشُرَكَائِهِ مِنَ المُهَرِّبِيْنَ الَّذِيْنَ يَتَعَامَلُوْنَ بالبَضَائِعِ اليَهُوْدِيَّةِ، كَما تُصْرَفُ مُكَافَأةٌ لكُلِّ مَنْ يَضْبِطُ بضَائِعَ يَهُوْدِيَّةً مُهَرَّبَةً للدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ. انْظُرْ: «مَجَلَّةَ الأرْضِ» العَدَدَ الثَّاني، ص(٢٨).

* * *

□ وعلى الرُّغْمِ مِنَ الأمْوَالِ الهَائِلَةِ الَّتِي أُنْفِقَتْ على أجْهِزَةِ المُقَاطَعَةِ، إلَّا أنَّ فَاعِلِيَّةَ أحْكَامِهَا كَانَتْ مَحْدُوْدَةً، ولم تَمْنَعْ مِنْ تَسرُّبِ المُنْتَجاتِ اليَهُوْدِيَّةِ إلى الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ، كَما أنَّها لم تَمْنَعْ أيْضًا مِنْ تَسرُّبِ بَعْضِ المَوَارِدِ العَرَبِيَّةِ للكَيَانِ اليَهُوْدِيِّ، وقَدِ اتَّسَعَتْ مَظَاهِرُ التَّسرُّبِ كَثِيْرًا بَعْدَ (١٣٨٧هـ ـ يُوْنِيُو ١٩٦٧م)؛ حَيْثُ أصْبَحَتِ الضِّفَّةُ الغَرْبِيَّةُ، وغَزَّةُ مَرْكَزًا مُبَاشِرًا لهَذِهِ الظَّاهِرَةِ.

كَما اسْتَغَلَّ الكِيَانُ اليَهُوْدِيُّ الثَّغَرَاتِ في أحْكَامِ المُقَاطَعَةِ، وقَامَ

بعَمَلِيَّةِ تَسرُّبٍ جُزْئيٍّ إلى أسْوَاقِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ، خَاصَّةً عَنْ طَرِيْقِ الطَّرَفِ الثَّالِثِ، أو الأسْوَاقِ الحُرَّةِ العَالمِيَّةِ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ لتَصْرِيْفِ مُنْتَجَاتِهِ، أو للحُصُوْلِ على البِتْرُوْلِ العَرَبيِّ الَّذِي كَانَ يَسْتَوْرِدُهُ العَدُوُّ مِنْ طَرَفٍ ثَالِثٍ، أو بالحُصُوْلِ على مُبَاشَرَةٍ مِنَ النَّاقِلاتِ العَالمِيَّةِ الَّتِي تُفَرِّغُ حُمُولَتَهَا في نَاقِلاتٍ إسْرَائِيْلِيَّةٍ في عَرْضِ البَحْرِ الأبْيَضِ المُتَوَسِّطِ، أو البَحْرِ الأحْمَرِ.

وأقَامَ الكِيَانُ اليَهُوْدِيُّ مَرَاكِزَ تَسْوِيْقِيَّةً وإنْتَاجِيَّةً قَرِيْبَةً مِنَ العَالمِ العَرَبيِّ (إيْرَانَ، تُرْكِيَا، اليُوْنَانِ، قُبْرُصَ)، وكَذَلِكَ في مَرَاكِزَ تَصْدِيْرِيَّةٍ عَالمِيَّةٍ، مِثْلَ «تَايْوَانَ»، و«هُوْنْج كُوْنج»، وعَنْ طَرِيْقِ دُوَلِ السُّوْقِ الأوْرُوبيَّة.

وأرَى أنَّ مَا قَامَتْ بِهِ مُنَظَّمَةُ جَامِعَةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ، وسَنَّتْهُ مِنْ قَوَانِيْنَ، وقَرَارَاتٍ بخُصُوصِ المُقَاطَعَةِ ضِدَّ الكِيَانِ اليَهُوْدِيِّ: كَفِيْلاً بَأنْ يُحقِّقَ تَأثِيرًا بَالِغًا في العَدُوِّ اليَهُودِيِّ لَوْ قَامَتِ الدُّوَلُ الأعْضَاءُ بتَفْعِيْلِ تِلْكَ القَرَارَاتِ، واتَّخَذَتْ اجْرَاءَاتٍ صَارِمَةً، وعُقُوْبَاتٍ ضِدَّ كُلِّ مُخَالِفٍ لها، إلَّا أنَّ المُشَاهَدَ هُوَ أنَّ تِلْكَ القَرَارَاتِ لم يَعُدْ لهَا وَزْنٌ في ظِلِّ الخُرُوْقَاتِ الَّتِي قَامَتْ بهَا العَدِيْدُ مِنَ الدُّوَل الأعْضَاءِ!

ولم تَزَلْ مُؤسَّسَاتُ المُجْتَمَعِ المَدَنيِّ تَسْعَى حَثِيْثًا في إظْهَارِ مَوْقِفِهَا نَحوَ المُقَاطَعَة التِّجَارِيَّةِ مَعَ اليَهُوْدِ، ومِنْ ذَلِكَ مَا قَامَتْ بِهِ مُؤسَّسَاتُ المُجْتَمَعِ المَدَنيِّ الفِلَسْطِيْنيِّ مِنَ المُنَادَاةِ بمُقَاطَعَةِ اليَهُوْدِ،

وسَحْبِ الاسْتِثْمارَاتِ مِنْهَا، وفَرْضِ العُقُوْبَاتِ عَلَيْهَا؛ حَتَّى تَنْصَاعَ للقَانُوْنِ الدُّوَلِيِّ، والمَبَادِئ الدُّوَلِيَّةِ لحُقُوْقِ الإنْسَانِ؛ حَيْثُ جَاءَ ذَلِكَ في بَيَانٍ وَقَّعتْ عَلَيْهِ أكْثَرَ مِنْ مائةٍ وسَبْعِيْنَ مُؤسَّسَةً حُقُوْقِيَّةً، ومُنَظَّمَةً مَدَنِيَّةً في (٢/٦/١٤٢٦هـ ـ ٩/٧/٢٠٠٥).

انْظُرْ: «التَّطْبِيْعَ» لغَسَّانَ حَمْدَانَ (٢١)، و«المُقَاطَعَةَ الاقْتِصَادِيَّةَ» لعَابِدِ السَّعْدُوْنِ (١٥٤).

* * *

❐ وإنَّنا مَعَ مَا ذِكْرِنَاهُ لهَذِهِ الصُّوَرِ الجِهَادِيَّةِ الَّتِي تَقُوْمُ بِهَا بَعْضُ الدُّوَلِ، والمُنَظَّماتِ، والشَّرِكَاتِ، والمُؤسَّسَاتِ، والأفْرَادِ مِنَ المُسْلِمِيْنَ في تَفْعِيلِ المُقَاطَعَةِ التِّجَارِيَّةِ، إذْ بَنَا نَجِدُ بَعْضَ الصُّوَرِ الانْهِزَامِيَّةِ للأسَفِ مِنْ بَعْضِ الدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ الَّتِي لم تَلْتَزِمْ بهَذِهِ المُقَاطَعَةِ الجِهَادِيَّةِ، فَكَانَ مِنْهَا على وَجْهِ الاخْتِصَارِ:

مَا قَامَتْ بِهِ جَمْهُوْرِيَّةُ «مِصْرَ العَرَبِيَّةُ» مِنْ خَرْمِ المُقَاطَعَةِ التِّجَارِيَّةِ ضِدَّ اليَهُوْدِ؛ حَيْثُ وَقَّعَتْ مَعَ اليَهُوْدِ اتِّفَاقِيَّةَ المُبَادَلاتِ التِّجَارِيَّةِ عَامَ (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م).

وكَذَا مَا قَامَتْ بِهِ «الأرْدُنُ» بتَوْقِيعِ اتِّفَاقِيَّةِ التِّجَارَةِ، والتَّعَاوُنِ مَعَ اليَهُوْدِ في عَامِ (١٤١٦هـ ـ١٩٩٥م).

وكَذَا مَا قَامَتْ بِهِ «عُمَانُ»، و«قَطَرُ» بَعْدَ تَوْقِيْعِ اتِّفَاقِ «أوْسْلُو» بَيْنَ مُنَظَّمَةِ التَّحْرِيْرِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ واليَهُوْدِ؛ حَيْثُ بَدَأ الحَدِيْثُ أوَّلاً مَعَ

بِدْءِ عِلاقَاتٍ تِجَارِيَّةٍ بَيْنَ «عُمَانَ»، و«قَطَرَ»، ثُمَّ تَمَّ فَتْحُ مَكَاتِبَ تِجَارِيَّةٍ يَهُوْدِيَّةٍ في «الدَّوْحَةِ» في (١٠/ ١/ ١٤١٧هـ ـ ٢٧ مَايُو ١٩٩٦م)، مَعَ مَجِيء حَكُوْمَةِ اللِّيْكُوْد برئَاسَةِ «نَتْنِيَاهُو» في اليَهُوْدِ، إذْ أعْلَنَتْ «قَطَرُ» أنَّهَا سَتَضْبِطُ إيْقَاعَ عِلاقَاتِهَا التِّجَارِيَّةِ باليَهُوْدِ مَعَ خُطُوَاتِ التَّقَدُّمِ في عَمَلِيَّةِ التَّسْوِيَةِ، لِذَلِكَ قَامَتْ بتَأجِيْلِ فَتْحِ مَكْتَبِ بِعْثَتِهَا التِّجَارِيَّةِ في «تَلْ أبِيْب».

وكَذَا مَا قَامَتْ بِهِ «المَغْرِبُ»، و«تُوْنِسُ» مِنْ عِلاقَاتٍ تِجَارِيَّةٍ بَيْنَ «المَغْرِبِ»، و«تُوْنِسَ» وبَيْنَ اليَهُوْدِ؛ حَيْثُ إنَّ الاحْصَائِيَّاتِ الرَّسْمِيَّةَ التُّوْنِسِيَّةَ ذَكَرَتْ في سَنَةَ (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م) بأنَّهُ تَمَّتْ عَمَلِيَّةُ اسْتِيْرَادٍ مِنَ اليَهُوْدِ بِمِقْدَارِ (٤٦) مَلْيُوْنِ دُولارٍ، أمَّا التَّبَادُلُ التِّجَارِيُّ بَيْنَ «المَغْرِبِ» واليَهُوْدِ، فَهُوَ أكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ حَيْثُ صَرَّحَ وَزِيْرُ الصِّنَاعَةِ والتِّجَارَةِ اليَهُوْدِيِّ أنَّ حَجْمَ التَّبَادُلِ التِّجَارِيِّ مَعَ المَغْرِبِ يُسَاوِي نَحْوَ (١٠٠) مَلْيُوْنِ دُولارٍ، وأنَّ حَجْمَ التَّصْدِيْرَ مُسَاوٍ تَقْرِيْبًا لحَجْمِ الاسْتِيْرَادِ!

ومَعَ هَذِهِ الانْهِزَامَاتِ، والعِلاقَاتِ التِّجَارِيَّةِ الَّتِي أبْرَمَتْهَا بَعْضُ الدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ مَعَ اليَهُوْدِ، سَوَاءٌ كَانَتْ هُنَا أو هُنَاكَ؛ إلَّا أنَّ هُنَاكَ بَعْضَ الدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ لم تَرْتَبِطْ بعِلاقَاتٍ تِجَارِيَّةٍ مَعَ اليَهُوْدِ، فَكَانَ على رَأسِهَا «المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُوْدِيَّةُ» الَّتِي تَمَسَّكَتْ بِمَوْقِفِهَا الدَّاعِي إلى عَدَمِ إقَامَةِ أيِّ عِلاقَةٍ تِجَارِيَّةٍ مَعَ اليَهُوْدِ قَبْلَ الانْسِحَابِ الكَامِلِ

للقُوَّاتِ اليَهُوْدِيَّةِ مِنَ الأرَاضِي المُحْتَلَّةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ، والسُّوْرِيَّةِ، واللِّبْنَانِيَّةِ. انْظُرْ: «اقْتِصَادَ إسْرَائِيْلَ» لفَضْلٍ النَّقِيْبِ، و«المُقَاطَعَةَ الاقْتِصَادِيَّةَ» لعَابِدٍ السُّعْدُوْنِ (١٦٠).

ومَهْمَا يَكُنْ مِنْ خَبَرٍ هُنَا؛ فَإنَّ هَذِهِ الصُّوَرَ الانْهِزَامِيَّةَ الَّتِي تُمَارِسُهَا بَعْضُ الدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ، مَا هِيَ إلَّا غَدَرَاتٌ في ظَهْرِ المُسْلِمِيْنَ لأجْلِ أطْماعِ الدُّنْيا، وإشْبَاعِ البُطُوْنِ بشَرٍّ مَا يَمْلأُ بِهِ الوَاحِدُ مِنْهُم بَطْنَهُ، لِذَا كَانَ على كُلِّ مُسْلِمٍ حَصِيْفٍ أنْ يَسْتَعِيْنَ باللهِ في مُواصَلَةِ جِهَادِهِ ضِدَّ اليَهُوْدِ وأعْوَانِهِم مِنَ دُوَلِ النَّصَارَى وغَيْرِهِم، وأنْ يَعْلَمَ أنَّ الجِهَادَ اصْطِفَاءٌ مِنَ اللهِ تَعَالى يَهَبُهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ المُؤمِنِيْنَ، فلْيُوَطِّنْ كُلُّ مُسْلِمٍ نَفْسَهُ بِأنْ يَكُوْنَ مِنْهُم، ولا يَلْتَفِتْ إلى هَؤلاءِ المُنْهَزِمِيْنَ المُدْبِرِيْنَ والمُتَوَلِّيْنَ وَقْتَ الزَّحْفِ، واللهُ يُؤتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ!

* * *

❒ وقَبْلَ هَذَا؛ أحْبَبْنا أنْ نَذْكُرَ بَعْضَ الفَتَاوِي العِلْمِيَّةِ المُهِمَّةِ في بَيَانِ وُجُوْبِ المُقَاطَعَةِ التِّجَارِيَّةِ مَعَ الكَيَانِ اليَهُوْدِيِّ وأمْرِيْكا وغَيْرَهِم مِمَّنْ لهم يَدٌ في مُسَانَدَةِ اليَهُوْدِ، ومُحَارَبَةِ الإسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ:

❒ فُتْيَا رَابِطَةِ عُلَماءِ فِلِسْطِيْنَ:

ومِنَ العَمَلِ الجَادِ في تَفْعِيْلِ المُقَاطَعَةِ التِّجَارِيَّةِ مَعَ اليَهُوْدِ

وأعْوَانِهَا مَا تَقُوْمُ بِهِ بَعْضُ المُؤسَّسَاتِ العِلْمِيَّةِ، ومِنْ ذَلِكَ رَابِطَةُ عُلَماءِ فِلَسْطِيْنَ؛ حَيْثُ جَاءَ في فُتْيَا هَذِهِ الرَّابِطَةِ مَا نَصُّهُ: «لمَّا كَانَ الصِّهْيُونيُّ ليَغْتَصِبَ أرْضًا إسْلامِيَّةً، ويُحَارِبَ شَعْبَنَا وأمَّتَنَا العَرَبِيَّةَ والإسْلامِيَّةَ عَسْكَرِيًّا وسِيَاسِيًّا وإعْلامِيًّا وثَقَافِيًّا واقْتِصَادِيًّا، لِذَا فَإنَّ الوَاجِبَ الدِّيْنيَّ والوَطَنيَّ يَتَحَتَّمُ على شَعْبِنَا وأمَّتِنَا العَرَبِيَّةِ والإسْلامِيَّةِ مُجَابَهَةُ هَذَا العُدْوَانِ بِكَافَّةِ الوَسَائِلِ المَشْرُوْعَةِ، وفي شَتَّى المَجَالاتِ: ومِنْهَا الاقْتِصَادِيُّ الَّذِي تَتَجَلَّى إحْدَى مَظَاهِرِهِ الهَامَّةِ في المُقَاطَعَةِ الاقْتِصَادِيَّةِ للسِّلَعِ والبَضَائِعِ الصِّهْيُوْنِيَّةِ والأمْرِيْكِيَّةِ أنَّه نَوْعٌ مِنْ مُوَالاةِ الأعْدَاءِ، وهُوَ كَبِيْرَةٌ مِنَ الكَبَائِرِ، حَرَامٌ شَرْعًا، مِصْدَاقًا لقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المُمْتَحِنَةُ: ١]. انْظُرْ: «مَوْقِعَ المَرْكَزِ الفِلِسْطِيْني للإعْلامِ». انْتَهَى.

☐ فُتْيَا عُلَمَاءِ السُّوْدَانِ:

الخَمِيْسَ (٢٦/ رَجَب/ ١٤٢٣)، المُوَافِقُ (٣٠/ أُكْتُوْبَرْ/ ٢٠٠٢).

مَوْقِعُ: الإسْلام اليَوْمَ/ خَاصٌ.

أصْدَرَ أكْثَرُ مِنْ سَبْعِيْنَ عَالِماً وأُسْتَاذًا في العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ في السُّوْدَانِ فُتْيَا بوُجُوْبِ مُقَاطَعَةِ البَضَائِعِ الأمْرِيْكِيَّةِ واليَهُوْدِيَّةِ.. كَانَ هَذَا نَصُّهَا:

الحَمْدُ للهِ الَّذِي حَضَّ عِبَادَهَ على قِتَالِ الكَافِرِيْنَ بالنَّفْسِ والمَالِ، وبَشَّرَهُم على ذَلِكَ بالنَّصْرِ والسُّؤدَدِ، فَقَالَ: «قَاتِلُوْهُم

يُعَذِّبهُمُ اللهُ بأيْدِيْكِم ويُخْزِهْم ويَنْصُرْكُم عَلَيْهِم ويَشْفِ صُدُوْرَ قَوْمٍ مُؤمِنِيْنَ»، وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ القَائِلِ: «جَاهِدُوا المُشْرِكِيْنَ بأمْوَالِكم وأنْفُسِكم وألْسِنَتِكم»، وعَلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعِيْنَ.

أيُّهَا المُسْلِمُوْنَ: لا يَخْفَى عَلَيْكُم مَا تَتَعَرَّضُ لَهُ أُمَّتُنَا في هَذِهِ الأيَّامِ مِنْ تَحَالُفِ الدَّوْلَةِ الظَّالِمَةِ (أمْرِيْكَا) مَعَ دَوْلَةِ (يَهُوْدَ) لغَصْبِ مُقَدَّسَاتِنَا، وقَتْلِ أبْنَائِنَا في فِلِسْطِيْنَ وضَرْبِ الحِصَارِ على هَذَا الشَّعْبِ المُسْلِمِ وإعْلانِ الحَرْبِ عَلَيْهِ، على مَرْأى ومَسْمَعٍ مِنَ الشَّرْعِيَّةِ الدُّوَلِيَّةِ المَزْعُوْمَةِ.

وعَلَيْهِ فالوَاجِبُ على الشُّعُوْبِ المُسْلِمَةِ القِيَامُ بدَوْرِهَا تُجَاهَ قَضِيَّتِهَا، باسْتِخْدَامِ كُلِّ الوَسَائِلِ المُتَاحَةِ وفي مُقَدِّمَتِهَا مُقَاطَعَةُ البَضَائِعِ الأمْرِيْكِيَّةِ والإسْرَائِيْلِيَّةِ؛ وذَلِكَ لمَا يَلي:

أوَّلاً: قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾.

ثَانِيًا: إقْرَارُ النَّبيِّ ﷺ لِثُمَامَةَ بنِ أُثَالٍ رضي الله عنه حِيْنَ قَالَ لقُرَيْشٍ: «واللهِ لا تَأتِيْكُم حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأذَنَ فِيْهَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ».

ثَالِثًا: قَالَ اللهُ تَعَالى: «والَّذِيْنَ إذَا أصَابَهُمُ البَغْيُ هُم يَنْتَصِرُوْنَ﴾، ومَعْلُوْمٌ أنَّ أمْرِيكَا بَغَتْ كَثِيْرًا وضَرَبَتْ حِصَارًا شَدِيْدًا على دُوَلٍ إسْلامِيَّةٍ وشُعُوْبٍ مُسْلِمَةٍ، ومَا اسْتَدَرَّ عَطْفَهَا الأطْفَالُ ولا أنِيْنُ المَرْضَى ولا عَوِيْلُ النِّسَاءِ ولا مَوْتُ الآلافِ.

رَابِعًا: إجْمَاعُ العُلَمَاءِ على حُرْمَةِ جَلْبِ المَنْفَعَةِ للكَافِرِ المُحَارِبِ.

وعَلَيْهِ فَيَحْرُمُ على كُلِّ مُسْلِمٍ شِرَاءُ البَضَائِعِ الأمْرِيْكِيَّةِ والإسْرَائِيْلِيَّةِ مِنْ مَشْرُوْبَاتٍ غَازِيَّةٍ ونَحْوِهَا مِنْ مَطْعُوْمَاتٍ ومَلْبُوْسَاتٍ وأجْهِزَةٍ وغَيْرِهَا، فمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ نَصَرَ الكَافِرِيْنَ، وأعَانَ على أذِيَّةِ إخْوَانِهِ المُسْلِمِيْنَ، وارْتَكَبَ ذَنْبًا كَبِيْرًا، وآتَى إثْمًا عَظِيْمًا.

والحَمْدُ للهِ أوَّلاً وأخِيْرًا، وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ.. انْتَهَى.

وقَدْ جَاءَ في خَاتِمَةِ الفُتْيَا ذِكْرُ أسْمَاءِ وتَوْقِيْعِ تِسْعَةٍ وسِتِّيْنَ مِنْ أهْلِ العِلْمِ المُعْتَبَرِيْنَ، فَجَزَاهُمُ اللهُ عَنِ الإسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ خَيْرَ الجَزَاءِ.

وهَذِهِ فُتْيَا الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحمَنِ بنِ نَاصِرٍ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ؛ حَيْثُ يَقُوْلُ في مَعْرِضِ كَلامٍ لَهُ يَشْحَذُ هِمَمَ المُسْلِمِيْنَ للجِهَادِ في سَبِيْلِ اللهِ، ومُنَازَلَةِ الأعْدَاءِ ـ ويَبْدُو أنَّ ذَلِكَ كَانَ إبَّانَ حَرْبِ اليَهُوْدِ سَنَةَ (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م): «كَمَا أنَّ مِنْ أنْفَعِ الجِهَادِ وأعْظَمِهِ مُقَاطَعَةَ الأعْدَاءِ في الصَّادِرَاتِ والوَارِدَاتِ، فَلا يُسْمَحُ لوَارِدَاتِهِم وتِجَارَاتِهِم، ولا نَفْتَحُ لهُم أسْوَاقَ المُسْلِمِيْنَ، وكَذَلِكَ لا نُصَدِّرُ لهُم مُنْتَجَاتِ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ ولا بَضَائِعَهُم؛ وخُصُوْصًا مَا فِيْهِ تَقْوِيَةٌ للأعْدَاءِ كالبِتْرُوْلِ، فَإنَّهُ يَتَعَيَّنُ مَنْعُ تَصْدِيْرِهِ إلَيْهِم؛ فَإنَّ تَصْدِيْرَهُ إلى المُعْتَدِيْنَ ضَرَرٌ كَبِيرٌ،

ومَنْعَه مِنْ أكْبرِ الجِهَادِ، ونَفْعَه عَظِيْمٌ، فجِهَادُ الأعْدَاءِ بالمُقَاطعَةِ التَّامَّةِ لهُم مِنْ أعْظَمِ الجِهَادِ في هَذِهِ الأوْقَاتِ». مَنْشُوْرٌ في «المَوْقِعِ الذَّهبيِّ للإسْلامِ». انْتَهَى.

▫ وكَذَا قَدْ أفْتَى الشَّيْخُ المُحَدِّثُ الألْبَانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «بوُجُوْبِ مُقَاطعَةِ المُنْتَجاتِ البِلْغَارِيَّةِ؛ لكَوْنِهم يَقْتُلُوْنَ إخْوانَنا الأتْرَاكَ المُسْلِمِيْنَ عِنْدَهُم»، انْظُرْ «مَوْقِعَ الشَّيْخِ مَشْهُوْر حَسَن».

▫ وكَذَا قَدْ أفْتَى بوُجُوْبِ مُقَاطعَةِ السِّلَعِ والبَضَائِعِ اليَهُوْدِيَّةِ، والدُّوَلِ المُعِيْنَةِ لهَا الشَّيْخُ حُمُودُ العُقْلاءُ ومَجْمُوْعَةٌ مِنْ طَلَبَةِ العِلْمِ؛ كَمَا جَاءَ في بَيَانٍ عُنْوَانُهُ: الحَثُّ على مُقَاطعَةِ مُنْتَجاتِ أعْدَاءِ الإسْلامِ كأمْرِيكَا وبِرِيْطَانِيَا وغَيْرِهَا مِنْ دُوَلِ الكُفْرِ المُجَاوِرَةِ: «ومِنَ المَعْلُوْمِ لَدَى الجَمِيْعِ أنَّ قَوَامَ قُوَّاتِ أمْرِيكَا الصَّلِيْبِيَّةِ، وغَيْرِهَا مِنْ دُوَلِ الكُفْرِ يَعْتَمِدُ على اقْتِصَادِهَا، ومَتَّى ضَعُفَ اقْتِصَادُهَا ضَعُفَتْ قُوَّتُها؛ لِذَلِك نَحُثُّ جَمِيْعَ المُسْلِمِيْنَ على المُقَاطعَةِ الشَّامِلَةِ لجَمِيْعِ المُنْتَجاتِ الأمْرِيكِيَّةِ والبِرِيْطَانِيَّةِ وغَيْرِهَا مِنْ دُوَلِ الكُفْرِ المُحَارِبَةِ للمُسْلِمِيْنَ، والبَدَائِلُ عَنْهُا بحَمْدِ اللهِ مَوْجُودَةٌ، وفي هَذَا إسْهَامٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ في جِهَادِ أعْدَاءِ اللهِ، وإضْعَافٌ لهَذِهِ الحَمْلَةِ الصَّلِيْبِيَّةِ، ومُنَاصَرَةٌ لإخْوَانِهم المُجَاهِدِيْنَ». انْظُرْ «مَوْقِعَ صَيْدِ الفَوَائِدِ». انْتَهَى.

▫ وكَذَا قَدْ أفْتَى بوُجُوْبِ المُقَاطعَةِ التِّجَارِيَّةِ مَعَ اليَهُوْدِ والدُّوَلِ المُعِيْنَةِ لهَا شَيْخُنَا ووَالِدُنَا العَلَّامَةُ عَبْدُ اللهِ بنُ جِبْرِيْنَ رَحِمَهُ اللهُ:

نَصُّ السُّؤالِ: لا يَخْفى عَلَيْكُم مَا يَتعَرَّضُ لَهُ إخْوانُنا الفِلَسْطِيْنِيُّوْنَ في الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ مِنْ قَتْلٍ واضْطِهَادٍ مِنْ قِبَلِ العَدُوِّ الصَّهْيُونيِّ، ولا شَكَّ أنَّ اليَهُوْدَ لم يَمْتَلِكُوا مَا امْتَلَكُوا مِنْ سِلاحٍ وعُدَّةٍ إلَّا بمُؤازَرَةٍ مِنَ الدُّوَلِ الكُبْرَى وعلى رَأسِهَا أمْرِيْكا، والمُسْلِمُ حِيْنَما يَرَى مَا يَتعَرَّضُ لَهُ إخْوانُنَا لا يَجِدُ سَبِيْلاً لنُصْرَةِ إخْوَانِهِ وخُذْلانِ أعْدَائِهِم إلَّا بالدُّعَاءِ للمُسْلِمِيْنَ بالنَّصْرِ والتَّمْكِيْنِ، وعلى الأعْدَاءِ بالذِّلَّةِ والهَزِيْمَةِ، ويَرَى بَعْضُ الغَيُوْرِيْنَ أنَّه يَنْبَغِي لنُصْرَةِ المُسْلِمِيْنَ أنْ تُقَاطَعَ بَضَائِعُ إسْرَائِيْلَ وأمْرِيْكا، فَهَلْ يُؤجَرُ المُسْلِمُ إذَا قَاطَعَ تِلْكَ البَضَائِعِ والسِّلَعِ بِنِيَّةِ العَدَاءِ للكَافِرِيْنَ وإضْعَافِ اقْتِصَادِهِم؟ وما هُوَ تَوْجِيْهُكُم حَفِظَكَم اللهُ؟

الجَوَابُ: عَلَيْكُمُ السَّلامُ ورَحمَةُ اللهُ وبَرَكَاتُهُ... وبَعْدُ: فَيَجِبُ على المُسْلِمِيْنَ عُمُومًا التَّعاوُنُ على البِرِّ والتَّقْوَى، ومُسَاعَدةِ المُسْلِمِيْنَ في كُلِّ مَكَانٍ بِما يَكْفَلُ لهُم ظُهُوْرَهُم، وتَمكُنَّهم في البِلادِ، وإظْهَارَ شَعَائِرِ الدِّيْنِ، وعَمَلَهُم بتَعَالِيْمِ الإسْلامِ وتَطْبِيْقِهِ للأحْكَامِ الدِّيْنِيَّةِ، وإقَامَةِ الحُدُوْدِ، والعَمَلِ بتَعَالِيْمِ الدِّيْنِ، وبِما يَكُوْنُ سَبَبًا في نَصْرِهِم على القَوْمِ الكَافِرِيْنَ مِنَ اليَهُوْدِ والنَّصَارَى، فَيَبْذُلُ جُهْدَهُ في جِهَادِ أعْدَاءِ اللهِ بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيْعُهُ؛ فَقَدْ وَرَدَ في الحَدِيْثِ: «جَاهِدُوا المُشْرِكِيْنَ بأمْوَالِكم، وأنْفُسِكم، وألْسِنَتِكم»، فَيَجِبُ على المُسْلِمِيْنَ مُسَاعَدَةُ المُجَاهِدِيْنَ بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيْعُونَهُ مِنَ القُدْرَةِ، وعَلَيْهِم أيْضًا أنْ يَفْعَلُوا كُلَّ مَا فِيْهِ إضْعَافٌ للكُفَّارِ أعْدَاءِ الدِّيْنِ، فَلا يَسْتَعْمِلُوْنَهُم كعُمَّالٍ للأجْرَةِ

كُتَّابًا أو حُسَّابًا أو مُهَنْدِسِيْنَ أو خُدَّامًا بأيِّ نَوْعٍ مِنَ الخِدْمَةِ الَّتِي فِيْهَا إقْرَارٌ لهُم وتَمْكِيْنٌ لهُم، بحَيْثُ يَكْتَسِحُوْنَ أمْوَالَ المُؤمِنِيْنَ ويُعَادُوْنَ بِها المُسْلِمِيْنَ، وهَكَذَا أيْضًا على المُسْلِمِيْنَ أنْ يُقاطِعُوا جَمِيْعَ الكُفَّارِ بتَرْكِ التَّعامُلِ مَعَهُم، وبِتَرْكِ شِرَاءِ مُنْتَجَاتِهِم سَوَاءٌ كَانَتْ نَافِعَةً كالسَّيَّارَاتِ والمَلابِسِ وغَيْرِهَا، أو ضَارَّةً كالدُّخَانِ بنِيَّةِ العَدَاءِ للكُفَّارِ، وإضْعَافِ قُوَّتِهِم، وتَرْكِ تَرْوِيْجِ بَضَائِعِهِم، ففِي ذَلِكَ إضْعَافٌ لاقْتِصَادِهِم مِمَّا يَكُوْنَ سَبَبًا في ذُلِهِم وإهَانَتِهِم، واللهُ أعْلَمُ.

قَالَهُ وأمْلاهُ: عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ الرَّحمَنِ الجِبْرِيْنُ (٢٧/ ٧/ ١٤٢١).

❐ ويَقُوْلُ الشَّيْخُ حَمَدُ بنُ عَتِيْقٍ رَحِمَهُ اللهُ: «فأمَّا مُعادَاةُ الكُفَّارِ والمُشْرِكِيْنَ؛ فاعْلَمْ أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أوْجَبَ ذَلِكَ وأكَّدَ إيْجابَهُ، وحَرَّمَ مُوَالاتَهُم وشَدَّدَ فِيْهَا؛ حَتَّى أنَّهُ لَيْسَ في كِتَابِ اللهِ تَعالى حُكْمٌ فِيْهِ مِنَ الأدِلَّةِ أكْثَرَ ولا أبْيَنَ مِنْ هَذَا الحُكْمِ بَعْدَ وُجُوْبِ التَّوْحِيْدِ وتَحْرِيْمِ ضِدِّهِ». انْتَهَى.

ومَا أجْمَلَ تِلْكَ العِبَارَةَ الَّتِي سَطَّرَهَا أبُو الوَفَاءِ ابنُ عَقِيْلٍ رَحِمَهُ اللهُ قَائِلاً: «إذَا أرَدْتَ أنْ تَعْرِفَ مَحلَّ الإسْلامِ مِنْ أهْلِ الزَّمَانِ، فَلا تَنْظُرْ إلى زِحَامِهِم عَلى أبْوَابِ الجَوَامِعِ، وإنَّما انْظُرْ إلى مُوَاطَئَتِهِم أعْدَاءَ الشَّرِيْعَةِ، عَاشَ ابنُ الرَّاوَنْدِيِّ والمَعَرِّيُّ عَلَيْهِم لَعَائِنُ اللهِ يَنْظُمُوْنَ ويَنْثُرُوْنَ كُفْرًا... وعَاشُوا سِنِيْنَ، وعُظِّمَتْ قُبُوْرُهُم، واشْتُرِيَتْ

مُصَنَّفَاتُهُم، وهَذَا يَدُلُّ على بُرُوْدِ الدِّيْنِ في القَلْبِ!». انْتَهَى.

* * *

□ ومِنْ هُنَا؛ كَانَ على الحُكُوْمَاتِ الإسْلامِيَّةِ أنْ تَتَّخِذَ إجْرَاءاتِهَا في تَفْعِيْلِ المُقَاطَعَةِ التِّجَارِيَّةِ عَلى النَّحْوِ التَّالي:

أوَّلاً: أنْ تَمْنَعَ تَصْدِيْرَ وبَيْعَ النِّفْطِ (البِتْرُوْلِ) بجَمِيْعِ مُشْتَقَّاتِهِ إلى اليَهُوْدِ، وأمْرِيْكَا، وبِرِيْطَانِيَا، والدَّنَمَرْكِ، وكُلِّ الدُّوَلِ المُحَارِبَةِ للمُسْلِمِيْنَ.

ثَانِيًا: أنْ تُقَاطِعَ وتَطْرُدَ سَفَارَاتِ الدُّوَلِ المُحَارِبَةِ للمُسْلِمِيْنَ، ولا سِيَّما سَفَارَاتِ اليَهُوْدِ، وأمْرِيْكَا، وبِرِيْطَانِيَا.

ثَالِثًا: أنْ تَطْرُدَ وتَمْنَعَ كُلَّ الشَّرِكَاتِ اليَهُوْدِيَّةِ، والأمْرِيْكِيَّةِ، والبِرِيْطَانِيَّةِ، والدَّنَمَرْكِيَّةِ، وغَيْرَهَا، مِنَ التَّسْوِيْقِ في أرْضِ المُسْلِمِيْنَ، وكَذَا عَلَيْهَا أنْ تَمْنَعَ التَّرْوِيْجَ لبَضَائِعِهِم في بِلادِهَا، سَوَاءٌ كَانَ تَسْوِيْقًا بطَرِيْقٍ مُبَاشِرٍ، أو بطَرِيْقِ وُكَلائِهَا مِنَ المُسْلِمِيْنَ.

رَابِعًا: أنْ تَسْعَى الحُكُوْمَاتُ الإسْلامِيَّةُ في تَفْعِيْلِ المُقَاطَعَةِ التِّجَارِيَّةِ بَيْنَ رَعَايَاهَا، ومُوَاطِنِيْهَا، وشَعْبِهَا، وذَلِكَ عَبْرَ الإعْلامِ، والمُحَاضَرَاتِ، والنَّدَوَاتِ، واللهُ الهَادِي إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ.

* * *

ولا تَحْسَبَنَّ أخِي المُسْلِمَ أنَّ مَا ذَكَرْتُهُ هُنَا ضَرْبٌ مِنَ الخَيَالِ؛ بَلْ هَذِهِ مَبَاغٍ إسْلامِيَّةٌ، ومَطَالِبُ شَرْعِيَّةٌ، ولا عِبْرَةَ بضَعْفِ وعَجْزِ بَعْضِ الحُكَّامِ، أو حُبِّهِم للدُّنْيَا، أو خَوْفِهِم مِنْ أمْرِيْكَا، وغَيْرِهَا...

فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالى مُحذِّرًا المُسْلِمِيْنَ مِنْ صِفَاتِ المُنَافِقِيْنَ: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)﴾ [المَائِدَةُ: ٥٢].

وقَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣)﴾ [الأَحْزَابُ: ١٣].

وقَوْلُهُ تَعَالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧)﴾ [النِّسَاءُ: ٧٧].

* * *

□ فَإذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ أخِي المُسْلِمَ الكَرِيْمَ كَانَ مِنْ تَحْقِيْقِ المُقَاطَعَةِ للبَضَائِعِ اليَهُوْدِيَّةِ، والأمْرِيكِيَّةِ، والبِرِيْطَانِيَّةِ، والدَّنَمَرْكِيَّةِ، وغَيْرِهَا مِنَ الدُّوَلِ الَّتِي تُعِيْنُ يَهُوْدَ: أنْ نَقِفَ على قَوَائِمِ أسْمَاءِ سِلَعٍ، وبَضَائِعَ، وشَرِكَاتٍ، ومُؤسَّسَاتٍ، ورُمُوْزِ بَضَائِعَ وسِلَعِ هَذِهِ الدُّوَلِ؛ كَي نَحْذَرَهَا ونُحَذِّرَ مِنْهَا، وهُوَ كَذَلِكَ.

وذَلِكَ بالسُّؤالِ عَنْهَا في مَظَانِّها، ولا سِيَّما في بَعْضِ الكُتُبِ والمَوَاقِعِ العَنْكَبُوتِيَّةِ الَّتِي اعْتَنَتْ بِرَصْدِ أسْمَائِهَا ورُمُوْزِ بَضَائِعِهَا، وكَذَا

بالسُّؤالِ عَنْهَا عِنْدَ أهْلِ العِلْمِ والمُخْتَصِّيْنَ مِنْ أهْلِ المَعْرِفَةِ، واللهُ المُوَفِّقُ، والهَادِي إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ.

❑ قَدْ يَرِدُ سُؤالٌ: وهُوَ إذَا لم أجِدْ بَدِيْلاً للمُنْتَجِ الأمْرِيْكِي ـ أو غَيرِهِ مِنَ الدُّوَلِ المُحَارِبَةِ ـ فَمَا الحَلُّ؟

الجَوَابُ: عَلَيْكَ حِيْنَئِذٍ اسْتِخْدَامُهُ في أضْيَقِ الحُدُوْدِ، مَعَ السَّعْي الدَّؤوْبِ لإيْجَادِ البَدِيْلِ، والتَّجْرِبَةُ اليَابَانِيَّةُ خَيْرُ شَاهِدٍ للعَيَانِ في هَذَا المَجَالِ، كَما لَنَا أنْ نعْتَبِرَ أيْضًا أنَّ هَذَا المُنْتَجَ الَّذِي نَوَدُّ مُقَاطَعَتَهُ مُنْتَجًا قَدِ انْتَهَتْ صَلاحِيَّتُهُ، أو أنَّهُ مَفْقُوْدٌ رَأسًا؛ وَلْيَكُنْ!

* * *

❑ خُلاصَةُ أحْكَامِ المُقَاطَعَةِ التِّجَارِيَّةِ:

قُلْتُ: ومِنْ خِلالِ مَا ذَكَرْنَاهُ هُنَا مِنْ أهَمِّيَّةِ المُقَاطَعَةِ التِّجَارِيَّةِ مَعَ اليَهُوْدِ، وغَيْرِهَا مِنَ الدُّوَلِ الكَافِرَةِ المُحَارِبَةِ، كَانَ لَنَا أنْ نَذْكُرَ تَوْظِيْفًا عَمَلِيًّا لِهَذِهِ المُقَاطَعَةِ مِمَّا سَيَكُوْنُ عَوْنًا لِكُلِّ مُسْلِمٍ يُؤمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ، وهُوَ كَما يَلي باخْتِصَارٍ:

أوَّلاً: على كُلِّ مُسْلِمٍ أنْ يُقَاطِعَ كُلَّ البَضَائِعِ، والسِّلَعِ اليَهُوْدِيَّةِ، والأمْرِيْكِيَّةِ، والبِرِيْطَانِيَّةِ، والدَّنَمرْكِيَّةِ، وغَيْرِهَا مِنْ دُوَلِ الكُفْرِ المُحَارِبَةِ للمُسْلِمِيْنَ.

ثَانِيًا: وعَلَيْهِ أنْ يُقَاطِعَ كُلَّ بَضَائِعِ الشَّرِكَاتِ، والمُؤسَّسَاتِ الَّتِي تَتَولَّى تَسْوِيْقَ، وتَرْوِيْجَ السِّلَعِ، والبَضَائِعِ اليَهُوْدِيَّةِ، والأمْرِيْكِيَّةِ،

والبِرِيْطَانِيَّةِ، والدَّنَمَرْكِيَّةِ، وغَيْرِهَا مِنْ دُوَلِ الكُفْرِ المُحَارِبَةِ، وهِيَ الشَّرِكَاتِ الَّتِي تُسَمَّى: بالوُكَالاتِ، والمُوَزِّعَاتِ، والمُسَوِّقَاتِ للبَضَائِعِ والسِّلَعِ الوَارِدَةِ مِنْ هَذِهِ الدُّوَلِ الكَافِرَةِ.

ثَالِثًا: وعَلَيْهِ أيْضًا أنْ يُقَاطِعَ كُلَّ بَضَائِعِ الشَّرِكَاتِ، والمُؤسَّسَاتِ، والمَعَارِضِ الَّتِي يَمْتَلِكُهَا بَعْضُ المُسْلِمِيْنَ الَّذِيْنَ يَقُوْمُوْنَ بشِرَاءِ بَضَائِعِ هَذِهِ الدُّوَلِ الكَافِرَةِ أوَّلاً، ثُمَّ يَقُوْمُوْنَ ببَيْعِهَا، وتَسْوِيْقِهَا في بِلادِ المُسْلِمِيْنَ بحُجَّةِ أنَّهُم قَدِ امْتَلَكُوْهَا، وامْتَلَكُوا أمْوَالَهَا، ولَيْسَ للكَافِرِ فِيْهَا نَصِيْبٌ!

قُلْتُ: إنَّ هَذِهِ الطَّرِيْقَةَ التِّجَارِيَّةَ، لا تَجُوْزُ شَرْعًا؛ لأنَّ فِيْهَا حِيْلَةً على التَّعَاوُنِ بالإثْمِ والعُدْوَانِ؛ حَيْثُ يَعْلَمُ الجَمِيْعُ أنَّ التَّاجِرَ هَذَا قَدْ قَامَ أوَّلاً بشِرَاءِ هَذِهِ البَضَائِعِ مِنَ هَذِهِ الدُّوَلِ الكَافِرَةِ المُحَارِبَةِ، وهُنَا لاعِبْرَةَ بِما يَقُوْلُهُ؛ لأنَّهُ في الحَقِيْقَةِ دَاعِمٌ ومُسَوِّقٌ لهَذِهِ الدُّوَلِ عِنْدَ شِرَائِهِ لبَضَائِعِهِم، ومُسَوِّقٌ لهَا أيْضًا في بِلادِ المُسْلِمِيْنَ.

وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المَائِدَةُ: ٢].

* * *

❒ وقَبْلَ الخُرُوْجِ مِنْ بَيَانِ حُكْمِ وكَيْفِيَّةِ المُقَاطَعَةِ التِّجَارِيَّةِ أحْبَبْتُ أنْ أُبَيِّنَ مَسْألَةً مُهِمَّةً، وهِيَ أنَّهُ يَجُوْزُ شِرَاءُ البَضَائِعِ الأمْرِيْكِيَّةِ، وغَيْرِهَا بشَرْطَيْنِ:

الأوَّلُ: إذَا اضْطُرَّ المُسْلِمُ إلى شِرَائِهَا، بمَعْنَى أنَّهُ لم يَجِدْ غَيْرَهَا مِمَّا يَقُوْمُ مَقَامَهَا في المَنْفَعَةِ، وأنَّهُ أيْضًا إذَا لم يَأخُذْهَا سَوْفَ يَقَعُ في حَرَجٍ كَبِيرٍ لمَا يَترتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ مَضرَّةٍ في نَفْسِهِ، أو أهْلِهِ، أو مَالِهِ، أو غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا تُقَدِّرُه الضَّرُوْرَةُ، والضَّرُوْرَةُ تُقَدَّرُ بقَدَرِهَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البَقَرَةُ: ١٧٣].

ثَانِيًا: يَجُوْزُ شِرَاءُ بَضَائِعِ هَذِهِ الدُّوَلِ الكَافِرَةِ مِنَ المُسْلِمِ الَّذِي اشْتَرَهَا ابْتِدَاءً، ثُمَّ أرَادَ بَيْعَهَا ثَانِيًا، بشَرْطِ أنَّهُ لم يَقْصِدِ التَّحَايُلَ أو التَّوَاطُؤَ على الإثْمِ والعُدْوَانِ في شِرَائِهَا أوَّلاً.

بمَعْنَى: أنَّهُ اشْتَرَاهَا إمَّا عَالمًا بحُكْمِهَا ثُمَّ تَابَ إلى اللهِ، أو اشْتَرَاهَا جَاهِلاً لحُكْمِهَا، ـ سَوَاءٌ كَانَ شِرَاؤُهُ مِنْ كَافِرٍ أو مُسْلِمٍ ـ فَهُنَا يَجُوْزُ الشِّرَاءُ مِنْهُ؛ لأنَّهُ قَدْ تَمَلَّكَ هَذِهِ السِّلْعَةَ، وأصْبَحَتْ في حَوْزَتِهِ، ومِنْ هُنَا تَكُوْنُ هَذِهِ السِّلْعَةُ مِنَ المَالِ المُبَاحِ، بشَرْطِ عَدَمِ الحِيْلَةِ كَمَا أسْلَفْنَا، واللهُ تَعَالى أعْلَمُ.

* * *

○ الحَلُّ الحَادِيَ عَشَرَ: حَرْبُ الشَّبَكَةِ العَنْكَبُوتِيَّةِ (الإنْتَرْنِتْ)، وذَلِكَ باخْتِرَاقِ المَوَاقِعِ اليَهُوْدِيَّةِ وتَدْمِيْرِهَا(١)!

---

(١) إنَّ مِنْ أفْضَلِ الكُتُبِ الَّتِي تَكَلَّمَت عَنِ اسْتِخْدَامِ «الإنْتَرْنِتْ» في مُوَاجَهَةِ الأعْدَاءِ، لاسِيَّما اليَهُوْدِ، كِتَابَ «انْتِفَاضَةِ الإنْتَرْنِتْ» لوَجْدِي بن عَبْدِ الفَتَّاحِ سَوَاحِلَ، فَهُوَ جَدِيْدٌ في مَوْضُوْعِهِ وبَابِهِ، وجَدِيْرٌ بالإشَادَةِ والإفَادَةِ، ومِنْهُ اسْتَفَدْتُ.

لا شَكَّ أنَّ الشَّبَكَةَ المَعْلُوماتِيَّةَ المُسَمَّاه: بـ«الإنْتَرْنِتْ»، لهِيَ سِلاحٌ ذُو حَدَّيْنِ، كَمَا أنَّ شَرَّهَا أعَمُّ مِنْ نَفْعِهَا، بَلْ لا يُقارَنُ يَقِيْنُ شَرِّهَا الكَثِيْرِ بظَنِّ خَيْرِهَا القَلِيْلِ!

ونَحْنُ مَعَ هَذَا البَلاءِ النَّازِلِ بسَاحَةِ المُسْلِمِيْنَ، قَدْ نَظَرْنَا إلى (الإنْتَرْنِتْ) بطَرِيْقِ عُمُوْمِ البَلْوَى، لِذَا ارْتَأيْنَا أنْ نَسْعَى في تَوْظِيْفِهِ واتِّخاذِهِ سِلاحًا يَخْدِمُ قَضِيَّتَنا في فِلَسْطِيْنَ وغَيْرِها مِنَ القَضَايَا النَّازِلَةِ بالأمَّةِ.

* * *

◘ عِلْمًا أنَّنِي مِنَ الَّذِيْنَ يُحَذِّرُوْنَ مِنِ اسْتِخْدَامِ (الإنْتَرْنِتْ)، إلَّا بِمَا تُقَدِّرُهُ الضَّرُوْرَةُ الشَّرْعِيَّةُ، على النَّحْوِ التَّالي:

١ ـ أنْ يَسْتَخْدِمَهُ طَائِفَةٌ مِنَ أهْلِ العِلْمِ، ممَّنْ هُم على عِلْمٍ وبَصِيْرَةٍ بمَدَاخِلَ ومَخَارِجِ (الإنْتَرْنِتْ)، ومَعْرِفَةٍ باسْتِخْدَامِهِ.

٢ ـ أنْ يَكُوْنَ اسْتِخْدَامُ (الإنْتَرْنِتْ) في تَحْصِيْلِ الفَوَائِدِ العَائِدَةِ على عُمُوْمِ الإسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ، واللهُ تَعَالى أعْلَمُ.

* * *

◘ **قُلْتُ**: لَقَدْ تَحوَّلَتْ شَبَكَةُ (الإنْتَرْنِتْ) إلى سَاحَةٍ جَدِيْدَةٍ للحُرُوْبِ والمَعَارِكِ السِّيَاسِيَّةِ في أنْحاءِ العَالمِ، فِيْما يَصِفُهُ الخُبَراءُ: بأنَّه أسْلُوْبٌ جَدِيْدٌ سَيُعِيْدُ رَسْمَ شَكْلِ المَعارِكِ، فَقَدِ أشَارَ الجَنَرَالُ الألْمَانيُّ «فَالْتَر جِيْرِكِسْ» النَّاطِقُ باسْمِ حِلْفِ شَمالِ الأطْلَسِيِّ في «كُوْسُوفُو»: بأنَّ الحَرْبَ في الإقْلِيْمِ كَانَتْ أوَّلَ نِزَاعٍ يَنْتَقِلُ إلى شَبَكَةِ (الإنْتَرْنِتْ)!

وأعْلَنَ رَئِيْسُ جِهَازِ الاسْتِخْبَراتِ الألْمَانيُّ «أُوْغُسْت هَانِيْنْغ»: «أنَّ كُلَّ الحُكُوْمَاتِ تَقُوْمُ حَالِيًّا بتَشْكِيْلِ وتَدْرِيْبِ جُنُوْدٍ قَرَاصِنَةٍ قَادِرِيْنَ على المُنَاوَشَةِ والتَّجسُّسِ على العَدُوِّ مِنْ خِلالِ «الكِمْبِيُوْتَر»، إضَافَةً إلى شَنِّ هَجَماتٍ مِنْ بُعْدٍ على البُنَى التَّحْتِيَّةِ الحَيَوِيَّةِ!

* * *

ومِنَ الهَجَماتِ الحَرْبِيَّةِ الَّتِي تَمْ شَنُّهَا مِنْ خِلالِ شَبَكَةِ (الإنْتَرْنِتْ) خِلالَ عَامَ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م): قِيَامُ أجْهِزَةِ الدِّعَايَةِ الصِّرْبِيَّةِ بإغْرَاقِ أجْهِزَةِ «الكُمْبِيُوْتَر» التَّابِعَةِ لِحِلْفِ شَمالِ الأطْلَسِيِّ بعَشَرَةِ آلافِ بَرِيْدٍ إلِكْتُرونيٍّ شَلَّتْ أنْظِمَتَهُ على مَدَى عِدَّةِ سَاعَاتٍ!

كَما أرْسَلَ المَجْلِسُ العَسْكَرِيُّ الحَاكِمُ في «بُوْرمَا» بَرِيْدًا إلِكْتُرونيًّا يَحمِلُ فَيْرُوْسَاتٍ إلى كُلِّ مُعَارِضِيْهِ، كَذَلِكَ تَعَرَّضَتْ مَوَاقِعُ أمْرِيْكِيَّةٌ كَثِيْرَةٌ لِهَجَماتٍ وعَمَلِيَّاتِ اقْتِحَامٍ لأجْهِزَةِ وَزَارَةِ الدِّفَاعِ، والقَوَاعِدِ العَسْكَرِيَّةِ الهَامَّةِ الَّتِي تَحْتَوِي عَلى مَعْلُومَاتٍ سِرِّيَّةٍ دَقِيْقَةٍ، مِنْهَا قَاعِدَةُ «سَانَ انْطُوْنِيُو» العَسْكَرِيَّةِ الجَوِّيَّةِ في «تِكْسَاس»، الَّتِي تَتَضَمَّنُ مَعْلُومَاتٍ حَوْلَ الوِحْدَاتِ العَسْكَرِيَّةِ الأمْرِيْكِيَّةِ المُتَمَرْكِزَةِ في «البُوْسنَةِ»، أو تِلْكَ الَّتِي تَقُوْمُ بمُرَاقَبَةِ الأجْوَاءِ العِرَاقِيَّةِ.

* * *

لأجْلِ هَذَا؛ فَقَدْ أصْبَحَ «فَيْرُوْسُ» الحَاسِبِ مِنْ أهَمِّ وأخْطَرِ أسْلِحَةِ الحُرُوْبِ اليَوْمَ، ورُبَّما في الحُرُوْبِ المُسْتَقْبَلِيَّةِ، فَقَدْ شَهِدَ مُنْتَصَفُ شَهْرِ (١٤٢٠هـ - فِبْرَايِر ٢٠٠٠م) وَاقِعَةً مُهِمَّةً كَانَ لَها

دِلالاتُهَا العَمِيْقَةُ في مَجَالِ التَّطْوِيْرِ التَّكْنُولُوجِي للشَّبَكَاتِ الإلِكْتُرونِيَّةِ لتَدَاوُلِ المَعْلُوْمَاتِ (الإنْتَرْنِتْ عَلى وَجْهِ الخُصُوْصِ)، فَقَدْ عَقَدَ رَئِيْسُ الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأمْرِيْكِيَّةِ لقَاءً مِهِمًّا بالغُرْفَةِ المُخَصَّصَةِ لعَقْدِ لقَاءَاتِ أعْضَاءِ الحُكُوْمَةِ بالبَيْتِ الأبْيَضِ، وحَضَرَهُ لَفِيْفٌ مِنْ كِبَارِ الخُبَراءِ، والمَسْؤولِيْنَ في وَكَالَةِ الأمْنِ القَوْمِيِّ الأمْرِيْكِيِّ، ومُدِيْرُو مَا يَقْرُبُ مِنْ (٢٠) شَرِكَةً مِنَ الشِّرَكَاتِ الإلِكْتُرونِيَّةِ، وصِنَاعَةِ «الكِمْبِيُوتَر»، أمَّا مَوْضُوْعُ الاجْتِماعِ رَفِيْعُ المُسْتَوَى فَكَانَ البَحْثُ عَنْ مَصْدَرِ، وأسْبَابِ الهُجُوْمِ الأخِيْرِ عَلى عَدَدٍ مِنْ كُبْرَى المَوَاقِعِ الأمْرِيْكِيَّةِ على شَبَكَةِ (الإنْتَرْنِتْ)، والطُّرُقِ والوَسَائِلِ المَطْلُوْبَةِ لتَحْقِيْقِ الأمْنِ الإلِكْتُرونيِّ الوَطَنِيِّ للوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأمْرِيْكِيَّةِ!

* * *

❏ ومِنْ هَذِهِ الصُّوَرِ الحَرْبِيَّةِ عَبْرَ (الإنْتَرْنِتْ) مَا يَلي باخْتِصَارٍ:

١ ـ هُجُوْمٌ على مَوَاقِعَ أمْرِيْكِيَّةٍ تِجَارِيَّةٍ:

أمَّا الدَّوَافِعُ الحَقِيْقِيَّةُ الَّتِي أدَّتْ إلى دَعْوَةِ الرَّئِيْسِ الأمْرِيْكِيِّ لعَقْدِ اجْتِماعٍ أمْنِيٍّ رَفِيْعِ المِسْتَوَى لبَحْثِ أمْرِ هَجَماتِ قَرَاصِنَةِ (الإنْتَرْنِتْ) على المَوَاقِعِ الأمْرِيْكِيَّةِ فتَمَثَّلَتْ في وَاقِعَتَيْنِ رَئِيْسَتَيْنِ، هُمَا:

الوَاقِعَةُ الأوْلى كَانَتْ سِلْسِلَةً مُتَتَالِيَةً مِنَ الهَجَمَاتِ على المَوَاقِعِ الأمْرِيْكِيَّةِ الكُبْرَى (ذَاتِ نَشَاطٍ تِجَارِيٍّ أو إعْلامِيٍّ، ولهَا

اسْمُهَا في أسْواقِ المَالِ) مِثْلَ مَوْقِعِ شَبَكَةِ (سِي إِنْ إِنْ)، وهِيَ الهَجَماتُ الَّتِي أدَّتْ إلى تَعْطِيْلِ تِلْكَ المَوَاقِعِ لعَدَدٍ مِنَ السَّاعَاتِ على مَدَى ثَلاثَةِ أيَّامٍ مُتَّصِلَةٍ قَبْلَ انْتِهاءِ الهُجُوْمِ، دُوْنَ التَّوَصُّلِ إلى الفَاعِلِ الحَقِيْقِيِّ!

وقَدْ تحَوَّلَ هَذَا الرُّعْبُ إلى حَقِيْقَةٍ، فَقَدْ حَدَثَ مَا بَيْنَ (١٤١٩هـ ـ يَنَايِر ومَايُو ١٩٩٩م) أنْ قَامَتْ جماعَةٌ مِنَ الرُّوْسِ باقْتِحَامٍ إلِكْترونيٍّ لشَبكَاتِ «البِنْتَاجُوْن» بَحْثًا عَنْ مَلْعُوْمَاتٍ مُعَيَّنَةٍ، ولكِنْ فَشِلُوا في محاوَلَةِ الاخْتِرَاقِ، وخَابَتِ المُحَاوَلَة.

والصِّيْنِيُّوْنَ أيْضًا: هَاجَمُوا بِضْعَةَ مَوَاقِعَ حُكُوْمِيَّةٍ في أمْرِيْكا.

مِنْهَا مَوْقِعُ وَزَارَاتِ الطَّاقَةِ، والدَّاخِلِيَّةِ، والبَيْتِ الأبْيَضِ، وتمَكَّنُوا مِنْ إصَابَتِهَا بشَلَلٍ مُؤَقَّتٍ في ثَلاثِ مُنَاسَبَاتٍ، وحَدَثَ ذَلِكَ في أعْقَابِ ضَرْبِ سَفَارَةِ الصِّيْنَ في «بِلْجِرَاد» بالقَنَابِلِ في شَهْرَ (١٤٢٠هـ ـ مَايُو١٩٩٩م)، والَّتِي سَوَّغَهَا الأمْرِيْكِيُّونَ بالخَطَأ غَيْرَ المَقْصُوْدِ، ولم يَقْتَنِعِ الصِّيْنِيُّوْنَ بِهَذَا العُذْرِ، ويَدَّعِي الأمْرِيْكِيُّوْنَ أنَّ النِّقَاشَ دَائِرٌ في المُسْتَوَيَاتِ العُلْيَا للقِيَادَةِ العَسْكَرِيَّةِ في الصِّيْنِ حَوْلَ ضَرُوْرَاتِ إعْدَادِ اسْتِرَاتِيْجِيَّةِ «حَرْبِ قَذِرَةٍ» مِنْ دَوَاعِي الاحْتِيَاطِ بِحَيْثُ يُمْكِنُ إذَا لَزِمَ الأمْرُ تَسْلِيْطُ «فَيْرُوْسَاتٍ» تَنْهَشُ أنْظِمَةَ الكَمْبِيُوتَر لَدَى العَدُوِّ تحَسُّبًا للطَوَارِئِ.

* * *

٢ ـ هُجُوْمٌ على كِمْبِيُوتَر وَكَالَةِ الأَمْنِ القَوْمِيِّ الأَمْرِيْكِيِّ:

عِنْدَمَا دَقَّتِ السَّاعَةُ مُعْلِنَةً تمامَ السَّابِعَةِ مِنْ مَسَاءِ يَوْمَ (١٤٢٠هـ ـ ٢٤ يِنَايِر٢٠٠٠م) تَوَقَّفَتْ فَجْأَةً أَجْهِزَةُ الكِمْبِيُوتَر العِمْلاقَةِ عَنِ العَمَلِ في وَكَالَةِ الأَمْنِ القَوْمِيِّ الأَمْرِيْكِيِّ، واسْتَمَرَّ العُطْلُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ كَامِلَةٍ قَبْلَ أنْ تَعُوْدَ الأَجْهِزَةُ للعَمَلِ بشَكْلٍ طَبِيْعِيٍّ، وعَلى الرُّغْمِ مِنْ سِرِّيَّةِ التَّحْقِيْقَاتِ فإنَّ بَعْضَ النَّتَائِجِ الَّتِي تَمَّ تَسْرِيْبُهَا إلى وَسَائِلِ الإعْلامِ العَالميَّةِ أَشَارَتْ إلى أنَّ السَّبَبَ يَعُوْدُ إلى عُطْلٍ بَشَرِيٍّ مُقْتَرِنٍ بعُطْلٍ فَنِّيٍّ دَاخِلَ الأَجْهِزَةِ، ولكِنْ ظَلَّتْ فِكْرَةُ وُجُوْدِ مُخرِّبِيْنَ تمكَّنُوا مِنِ اخْتِرَاقِ الشَّبَكَاتِ، وتَعْطِيْلِ الأَجْهِزَةِ مَطْرُوْحَةً أَمَامَ المَسْؤلِيِّنَ في الوَكَالَةِ، ووَكَالاتِ المُخَابَرَاتِ المَرْكَزِيَّةِ، ومَكْتَبِ التَّحْقِيْقَاتِ الفِيْدْرَالِيِّ، ووَزَارَةِ الدِّفَاعِ الأَمْرِيْكِيَّةِ، في ظِلِّ وُجُوْدِ (٢٥٠) أَلْفَ هُجُوْمٍ يَتِمُّ شَنَّهُ سَنَوِيًّا على شَبَكَاتِ الكِمْبِيُوتَر الخَاصَّةِ بوَزَارَةِ الدِّفَاعِ وَحْدَهَا، وإنْ كَانَ (٥٠٠) هُجُوْمٍ مِنْهَا هِيَ فَقَطُ الَّتِي تُصَنَّفُ كَهَجماتٍ تمثِّلُ تَهْدِيْدًا حَقِيْقِيًّا.

ويَبْدُو أنَّ التَحْذِيرَاتِ الَّتِي أَطْلَقَهَا كِبَارُ المَسْئُولِيِّن في وَزَارَةِ الدِّفَاعِ الأَمْرِيْكِيَّةِ، وتَنَاوَلَتها وَسَائِلُ الإعْلام العَالمِيَّةِ في شَهْرِ (مَارِس ١٩٩٩م ـ ١٤٢٠هـ) كَانَ لهَا أَسْبَابُها القَوِيَّةُ، فَقَدْ أَشَارَتِ التَّحْذِيْرَاتُ إلى إمْكَانِيَّةِ قِيَام قَرَاصِنَةِ الكِمْبِيُوتَر بهُجُوْمٍ مُفَاجِيءٍ على شَبَكَاتِ الكِمْبِيُوتَرِ الأَمْرِيْكِيَّةِ.

* * *

❑ نَعم؛ فَقَدْ تحوَّلَت شَبكَةُ (الإنْتَرنْتْ) إلى سَاحَةٍ جَدِيْدَةٍ للحَرْبِ والمَعَارِكِ السِّيَاسِيَّةِ في أنْحاء العَالم، ففِي الوَقْتِ الَّذِي تَشهَدُ فِيْهِ فِلسْطِيْنُ المُحْتَلَّةُ مُواجَهاتٍ دَمَوِيَّةً هَمَجِيَّةً بَيْنَ الجُنُوْدِ اليَهُوْدِ المُدَجَّجِيْنَ بالسَّلاحِ وبَيْنَ الفِلسْطِيْنِيِّيْنَ العُزَّلِ: تَشْهَدُ شَبكَةُ (الإنْتَرْنِتْ) حَرْبًا ضَرُوْسًا مِنْ نَوْعٍ جَدِيْدٍ في المَنْطَقَةِ، يَشُنُّ فِيْهَا فِلسْطِيْنِيُّوْنَ، ومِصْرِيُّوْنَ، وسُعُوْدِيُّوْنَ، وإمَارَاتِيُّوْنَ، وكُوَيْتِيُّوْنَ، ولِبْنَانِيُّوْنَ، ومِنْ كُلِّ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ الأُخْرَى هَجَماتٍ مُنَظَّمَةً على مَوَاقِعَ يَهُودِيَّةٍ على شَبَكَةِ (الإنْتَرْنِتْ)، ومِنْ هُنَا أصْبَحَ كُلُّ مَنْ يُجِيْدُ اسْتِخْدَامَ (الإنْتَرْنِتْ) مِنَ المُسْلِمِيْنَ يَسْتَطِيْعُ أنْ يَكُوْنَ جُنْدِيًّا مُجَاهِدًا في هَذِهِ الحَرْبِ الإلْكْتُرونِيَّةِ الجَدِيْدَةِ!

* * *

❑ ومِنْ صُوَرِ حَرْبِ شَبَكَةِ (الإنْتَرْنِتْ)، والهُجُوْمِ الإلِكْتُرونيِّ على بَعْضِ المَوَاقِعِ اليَهُوْدِيَّةِ، مَا يَلي:

١ ـ الهُجُوْمُ الإلِكْتُرونيُّ العَرَبيُّ على (١٤) مَوْقِعًا يَهُوْدِيًّا: حَيْثُ تَعرَّضَتْ عِدَّةُ مَوَاقِعُ يَهُوْدِيَّةٌ على (الإنْتَرْنِتْ) لعَمَلِيَّاتِ تَخْرِيْبٍ وقَصْفٍ إلِكْتُرونيٍّ مِنْ قِبَلِ مُوَاطِنِيْنَ عَادِيِّيْنَ في كُلٍّ مِنْ مِصْرَ، ولِبْنَانَ، وفِلسْطِيْنَ، وحَرَكَةِ «فَتْح» الفِلسْطِيْنِيَّةِ؛ وذَلِكَ بإرْسَالِهم آلافَ الرَّسَائِلِ البَرِيْدِيَّةِ المُحمَّلَةِ بالفَيْرُوْسَاتِ إلى مَوَاقِعَ يَهُوْدِيَّةٍ حُكُوْمِيَّةٍ، مِثْلَ: مَوَاقِعِ وَزَارَةِ الخَارِجِيَّةِ اليَهُوْدِيَّةِ، ووَزَارَةِ المَالِيَّةِ، ومَكْتَبِ رَئِيْسِ الوُزَرَاءِ، والكِنِيْستِ الإسْرائِيليِّ، ومَرْكَزِ المَعْلُومَاتِ الإسْرائيليِّ، وكَانَ الجَيْشُ

اليَهُوْدِيُّ قَدْ لجأ إلى شَرِكَةِ (الإنْتَرْنِتْ) الأمْرِيْكِيَّةِ (أي. تي. إن. تي) لتَزْوِيْدِه بالحِمايَةِ اللَّازِمَةِ؛ حَتَّى لا يَنْهَار مَوْقِعُه على (الإنْتَرْنِت)!

وقَدْ تَعرَّضَتْ أيْضًا مَواقِعُ تَابِعَةٌ لحَرَكَةِ المُقَاومَةِ الإسْلامِيَّةِ «حمَاس»، و«السُّلْطَةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ» لهَجماتٍ يَهُوْدِيَّةٍ.

٢ ـ هُجُوْمٌ على المَوَاقِعِ الحُكُوْمِيَّةِ اليَهُوْدِيَّةِ على (الإنْتَرْنِتْ):

بَعْدَ أنْ نَجحَ عَشَرَاتُ المُحْتَرِفِيْنَ العَرَبِ في دَكِّ المَواقِعِ الحُكُوْمِيَّةِ اليَهُوْدِيَّةِ بآلافِ الرَّسَائِلِ البَرِيْدِيَّةِ الَّتِي عَطَّلَتْها، بَدَأتْ أصْوَاتٌ يَهُوْدِيَّةٌ تُطالِبُ بوَقْفِ هَذَا القَصْفِ العَرَبيِّ بالقَنابِلِ البَرِيْدِيَّةِ للمَوَاقِعِ اليَهُوْدِيَّةِ، وجَاءَ هَذَا في الوَقْتِ الَّذِي تَبَنَّتْ فِيْهِ مَجْمُوْعَةٌ مِنَ المُحْترِفِيْنَ السُّعُوْدِيِّيْنَ، والإمَارَاتِيِّيْنَ، والمِصْرِيِّيْنَ مَسْؤولِيَّةَ الهُجُوْمِ الإلِكْتُرونيِّ الَّذِي اسْتَهْدَفَ مَوقِعَ البَرلَمانِ الإسْرَائِيْليِّ الكِنِيْست، والَّذِي أدَّى إلى إغْلاقِ المَوْقِعِ تمامًا في وَجْهِ المُسْتَخْدِمِيْنَ اليَهُوْدِ.

ومَعَ هَذَا؛ فَإنَّ «حَمَاس» لم تَزَلْ حَامِلَةَ رِايَةِ الحَرْبِ الإلِكْتُرُونِيَّةِ ضِدَّ المَوَاقِعِ اليَهُوْدِيَّةِ، بَلْ تُعَدُّ «حَمَاس» عَامِلاً مُزْعِجًا لقَادَةِ الكَيَانِ اليَهُوْدِيِّ؛ يُوضِّحُه أنَّ في اجْتِماعِ القِمَّةِ العَالمِيَّةِ لمُجْتَمعِ المَعْلُوْمَاتِ (تُوْنِس نُوْفَمْبَر ٢٠٠٥م ـ ١٤٢٦هـ) وَقفَ وَزِيْرُ الخَارِجِيَّةِ الإسْرَائِيْلي «سِيْلفَان شَالُوم» مُتَحدِّثًا، لا عَنْ إحْدَى التَّقْنِيَاتِ المَعْلُومَاتِيَّةِ الجَدِيْدَةِ، لكِنْ عَنْ مَوَاقِعَ «حَمَاس» على الإنْتَرْنِت: «حَالِيًا تُعَدُّ حَمَاس، وهِي مُنَظَّمَةٌ إرْهَابِيَّةٌ إسْلامِيَّةٌ رَادِيكَالِيَّةٌ كَرَّسَتْ نَفْسَهَا لتَدْمِيْرِ

دَوْلَةِ إِسْرَائِيْلَ، تُعَدُّ وَاحِدَةً مِنْ أَنْشَطِ الجَمَاعَاتِ الإِرْهَابِيَّةِ على الشَّبَكَةِ، وهِيَ تُدِيْرُ مَا لا يَقِلُّ عَنْ ثَمَانِيَةِ مَوَاقِعَ إِنْتَرْنِت بِسَبْعِ لُغَاتٍ، وتَزْخَرُ هَذِهِ المَوَاقِعُ بِتَحْرِيْضٍ مُعَادٍ للسَّامِيَّةِ ولِلإِسْرَائِيْلَ، وبِدْعَوَاتٍ إلى العُنْفِ. انْظُرْ: «مَرْكَزَ المَعْلُوْمَاتِ حَوْلَ الاسْتِخْبَارَاتِ والإِرْهَابِ» (١٩/ ١٠/ ١٤٢٦).

* * *

وبَيْنَا أَنَا أُسَطِّرُ هَذَا الحَلَّ المُهِمَّ إِذْ بِالصُّحُفِ العَالَمِيَّةِ، والمَوَاقِعِ العَنْكَبُوْتِيَّةِ، تُوَافِيْنَا بِهُجُوْمٍ كَبِيْرٍ عَبْرَ (الإِنْتَرْنِتْ)، وهُوَ مَا جَاءَ في مَوْقِعِ «مُفَكِّرَةِ الإِسْلامِ»، ومَوْقِعِ «المُخْتَصَرِ» الأَخْبَارِي بِتَارِيْخ (٢٧/ ٥/ ١٤٣٤) وغَيْرِهِمَا: أَنَّ مَجْمُوْعَةً كَبِيْرَةً مِنَ القَرَاصِنَةِ قَامُوا بِشَنِّ هُجُوْمٍ كَبِيْرٍ مُدَمِّرٍ على مَوَاقِعَ يَهُوْدِيَّةٍ حَسَّاسَةٍ خَطِيْرَةٍ، وأَنَّ مُعْظَمَ الهَجَمَاتِ جَاءَتْ مِنْ دَوْلَةِ: كُوْسُوفُو، وأَلْبَانِيَا، والمَغْرِبِ، وتُوْنِسَ، وتُرْكِيَا، وإِنْدُوْنِيسِيَا، ومِصْرَ، والسُّعُوْدِيَّةِ، وغَيْرِهَا.

وقَدْ كَشَفَتْ وَسَائِلُ الإِعْلامِ الصِّهْيُوْنِيَّةِ عَنْ نَجَاحِ قَرَاصِنَةِ الإِنْتَرْنِتْ «الهَاكَرْز» في اخْتِرَاقِ مَوَاقِعَ صِهْيُوْنِيَّةٍ حَسَّاسَةٍ؛ حَيْثُ وَقَعَتْ بَيَانَاتٌ خَطِيْرَةٌ تَحْتَ أَيْدِيْهِم، مِنْ بَيْنِهَا بَيَانَاتُ آلافِ العَامِلِيْنَ في المُوْسَادِ!

وقَالَتْ وَسَائِلُ الإِعْلامِ الصِّهْيُونِيَّةِ: «إِنَّ مَجْمُوْعَاتٍ مِنْ قَرَاصِنَةِ الإِنْتَرْنِت تَجَاوَزَ عَدَدُهُم الخَمْسَةَ آلافَ مُهَاجِمٍ، نَجَحُوا في اخْتِرَاقِ مِئَاتِ آلافِ المَوَاقِعِ الشَّخْصِيَّةِ، والحُكُوْمِيَّةِ والأَمْنِيَّةِ الحَسَّاسَةِ في

إسْرَائِيْلَ الَّتِي تَمَكَّنَتْ مَسَاءَ اليَوْمَ الأحَدَ مِنِ اسْتِعَادَةِ بَعْضِ المَوَاقِعِ بشَكْلٍ جُزْئِيٍّ».

وأشَارَتْ إلى أنَّ القَرَاصِنَةَ تَمَكَّنُوا مِنِ اخْتِرَاقِ مَوْقِعِ المُخَابَرَاتِ الصِّهْيُونِيَّةِ «المُوْسَادِ»، ومَوْقِعِ جِهَازِ الأمْنِ الدَّاخِلي «الشَّابَاك»، ومَوْقِعِ بِنْيَامِيْنَ نِتْنِيَاهُو رَئِيْسِ الوُزَرَاءِ، ومَوْقِعِ وَزَارَةِ الدِّفَاعِ، وأغْلَبِ الوَزَارَاتِ، ومَوْقِعِ البُوْرصَةِ، وبَيَانَاتِ آلافِ بِطَاقَاتِ الائْتِمَانِ، وحِسَابَاتِ على مَوْقِعِي التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِي الأشْهَرِ: «فِيْسبُوك»، و«تُويْتر»، وذَلِكَ في اليَوْمِ الَّذِي كَانَ اليَهُوْدُ يَسْتَعِدُّوْنَ فِيْهِ لإحْيَاءِ ذِكْرَى «الهُولُوكُوسْت».

ونَقَلَتْ «مَعَارِيف»: تَأكِيْدَ بَعْضِ وَسَائِلِ الإعْلامِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ حُصُوْلَهَا على قَائِمَةٍ فِيْهَا (١٧٠٠٠) سَبْعَةَ عَشَرَ ألْفَ اسْمٍ، تَمَّ الاسْتِحْوَاذُ عَلَيْهَا مِنْ مَوْقِعِ جِهَازِ «المُوْسَادِ»، وهُم مِنَ المُنْتَمِينَ للجِهَازِ، وقَدْ يَكُوْنُ مِنْ بَيْنِهِم عُمَلاءُ لَهُ!

وقَالَتْ صَحِيْفَةُ «هَآرِتس» النَّاطِقَةُ بالعِبْرِيَّةِ عَبْرَ مَوْقِعِهَا على الإنْتَرْنت: «إنَّ قَرَابَةَ (١٩٠٠٠٠) حِسَاب فِيسبُوك لإسْرَائِيْلِيِّيْنَ، تَمَّ تَسْجِيْلُ اخْتِرَاقِهِ مِنْ قِبَلِ قَرَاصِنَةٍ مِنْ حَوْلِ العَالَمِ، يَتَّبِعُوْنَ مَجْمُوْعَةً مَجْهُوْلَةً»، مُشِيرًا إلى تَهْدِيْدِ القَرَاصِنَةِ بمَحْوِ خَرِيْطَةِ الكَيَانِ الصِّهْيُوني مِنْ على شَبَكَةِ الإنْتَرْنت، عَبْرَ شَنِّ هَجَمَاتٍ وَاسِعَةِ النِّطَاقِ ضِدَّ عَدَدٍ مِنَ المَوَاقِعِ الرَّسْمِيَّةِ.

وكَشَفَتْ عَنْ لُجُوْءِ الكَيَانِ الصِّهْيُوني إلى شَرِكَاتِ «حِمَايَةٍ» أمْرِيْكِيَّةٍ، وأُوْرُوبِيَّةٍ لِمُعَاوَنَتِهَا على صَدِّ الهَجْمَةِ الإلِكْتُرونِيَّةِ؛ حَيْثُ طَلَبَ الجَيْشُ مِنْ شَرِكَاتِ الحِمَايَةِ الأمْنِيَّةِ التَّدَخُّلَ لِحِمَايَةِ مَلَفَّاتِهِ «الآخِذَةِ بالتَّسَرُّبِ»، ومِنْهَا مَعْلُوْمَاتٌ وَصَفَتْهَا بالحَسَّاسَةِ، وأسْمَاءٌ لآلافِ العَامِلِيْنَ مَعَ «الشَّابَاك»، جِهَازِ الأمْنِ الدَّاخِلي، وبَيَانَاتِهِم الذَّاتِيَّةِ، وتَفَاصِيلِ أسْمَائِهِم.

وقَدْ وَصَفَ التِّلْفِزْيُوْنَ الصِّهْيُوني الأمْرَ الهُجُوْمَ بـ«الكَبِيْرِ»، وقَالَتِ القِنَاةُ العَاشِرَةُ: «إنَّهُ عُنْفٌ جَدِيْدٌ يُشَنُّ على إسْرَائِيْلَ مِنْ غَيْرِ دِمَاءٍ، والضَّحَايَا فِيْهِ مَوَاقِعُ إلِكْتُرونِيَّةٍ، ورُمُوْزٍ سِيَادِيَّةٍ؛ كَمَوَاقِعَ للأمْنِ والبُوْرصَةِ»، وأضَافَتْ: «أنَّ إسْرَائِيْلَ لا بُدَّ لها مِنْ مُتَابَعَةِ هَذِهِ الحَمْلَةِ، وأخْذِ العِبْرَةِ خِلالِ المَرْحَلَةِ القَادِمَةِ الَّتِي سَتَتَوَاصَلُ فِيْهَا الهَجَمَاتُ على مَا يَبْدُو»!

يُشَارُ إلى أنَّ الصَّحَافَةَ الصِّهْيُونِيَّةَ كَانَتْ قَدْ قَالَتْ: إنَّ سَاعَاتٍ قَلِيْلَةً تَفْصِلُنَا عَنْ أكْبَرِ عَمَلِيَّةِ قَرْصَنَةٍ مَعْلُوْمَاتِيَّةٍ على وَجْهِ التَّارِيْخِ سَتَقُوْمُ بِهَا عَدَدٌ مِنَ المَجْمُوْعَاتِ، وذَلِكَ بَعْدَ تَهْدِيْدَاتٍ باخْتِرَاقِ العَدِيْدِ مِنَ المَوَاقِعِ الصِّهْيُونِيَّةِ، والتَّسَبُّبِ بخَسَائِرَ فَادِحَةٍ، و«مَحْوِ إسْرَائِيْلَ عَنْ عَالَمِ الإنْتَرْنِت»!

وعَلَّقَ مَسْؤولٌ يَهُودِيٌّ قَائِلاً: يَبْدُو أنَّ إسْرَائِيْلَ سَوْفَ تَقْطَعُ الإنْتَرْنِت قَرِيْبًا؛ لأنَّهَا لَنْ تَسْتَطِيْعَ إيْقَافَ الهُجُوْمِ إلَّا بِهَذِهِ الطَّرِيْقَةِ الَّتِي

سَوْفَ تُخسِّرُهَا مِلْيَارَاتِ الدُّوْلارَاتِ، وانْهِيَار بالبُوْرصَةِ مُؤقَّتًا.

* * *

وقَدْ كُتِبَ على المَوَاقِعِ الَّتِي تَمَّ السَّيْطَرَةُ عَلَيْهَا مِنْ قِبَلِ «الهَكَرْز»: كُتِبَتْ شِعَارَاتٌ دَعَتْ لتَحْرِيْرِ فِلِسْطِيْنَ، كَمَا وَضَعوا رَسَائِلَ مُخْتَلِفَةً دَاعِمَةً للأسْرَى الفِلِسْطِيْنِيِّيْنَ، والقَضِيَّةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ، وأُخْرَى مُنَدِّدَةً بالسَّيَاسَةِ اليَهُوْدِيَّةِ تِجاهَ الفِلِسْطِيْنِيِّيْنَ على المَوَاقِعِ المُخْتَرَقَةِ، إلَّا أنَّ أغْلَبَ تِلْكَ المَوَاقِعِ أُغْلِقَتْ تَمامًا، وذَلِكَ لحِيْنَ التَّعامُلِ مَعَ الاخْتِرَاقِ، وإعَادَتِهَا للعَمَلِ مَرَّةً أُخْرَى.

قَالَ بَعْضُ القَرَاصِنَةِ «الهاكَر» على أحَدِ المَوَاقِعِ اليَهُوْدِيَّةِ المُخْتَرَقَةِ: «نَحْنُ نَسْمَعُ صُرَاخًا مِنْ غَزَّةَ.. نَحْنُ نُدَافِعُ عَنْ مَنْطَقَتِنَا.. بالسَّابِقِ كَانَتِ الحُرُوْبُ بالطَّائِرَاتِ والدَّبَّابَاتِ، أمَّا الآنَ نَحْنُ نَنْتَصِرُ إلِكْتُرونِيًّا، ونَهْزُمُكُم في الفَضَاءِ الإلِكْتُروني.. نَحْنُ نُدَمِّرُ.. نَحْنُ نَسْتَطِيْعُ الوُصُوْلُ لصَفْحَتِكَ الشَّخْصِيَّةِ.. وجِهَازِكَ الشَّخْصِي أيْنَمَا تَكُوْنُ».

وقَالَ المُخْتَصُ في أمْنِ المَعْلُوْمَاتِ الإلِكْتُرونِيَّةِ سَمِيْرٌ بنُ مُبارَكٍ: إنَّ الهُجُوْمَ الَّذِي تَعرَّضَتْ لَهُ المَوَاقِعُ الإلِكْتُرونِيَّةُ الإسْرَائِيْلِيَّةُ مَسَاءَ السَّبْتِ وفَجْرَ أمْسِ الأحَدِ تَمَّ بأُسْلُوْبٍ مُنَظَّمٍ، ولَيْسَ عَشْوَائِيًّا.

هَذِهِ بَعْضُ اللَّمَحَاتِ عَنْ حَرْبِ «الإنْتَرْنِتْ»، وبَيَانِ أهَمِّيَّتِهِ في اخْتِرَاقِ مَوَاقِعِ اليَهُوْدِ، وغَيْرِهَا مِنَ الدُّوَلِ المُحَارِبَةِ للإسْلامِ

والمُسْلِمِيْنَ، ومَنْ أرَادَ زِيَادَةَ تَفْصِيْلٍ فَلْيَنْظُرْ كِتَابَ «انْتِفَاضَةِ الإنْتَرْنِتْ» لوَجْدِي سَوَاحِلَ، فَهُوَ مُهِمٌّ.

* * *

○ الحَلُّ الثَّانيَ عَشَرَ: وُجُوْبُ الاتِّفَاقِ والائْتِلافِ، ونَبْذُ الافْتِرَاقِ والاخْتِلافِ.

لا شَكَّ أنَّ الاتِّفَاقَ والائْتِلافَ مَقْصَدٌ شَرْعِيٌّ، وهُوَ مِنَ الأصُوْلِ العَظِيْمَةِ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا دِيْنُ الإسْلامِ، بَلْ إنَّه مِنْ آكَدِ الأصُوْلِ في هَذَا الدِّيْنِ العَظِيْمِ، إذْ يَقُوْلُ شَيْخُ الإسْلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ في «مَجمُوْعِ الفَتَاوَى» (٢٢/ ٣٥٩): «وهَذَا الأصْلُ العَظِيْمُ: وهُوَ الاعْتِصَامُ بحَبْلِ اللهِ جَمِيْعًا وأنْ لا يُتَفَرَّقَ: هُوَ مِنْ أعْظَمِ أصُوْلِ الإسْلامِ، وممَّا عَظُمَتْ وَصِيَةُ اللهِ تَعَالى بِهِ في كِتَابِهِ، وممَّا عَظَّمَ ذَمَّهُ لمَنْ تَرَكَهُ مِنْ أهْلِ الكِتَابِ وغَيْرِهِم، وممَّا عَظُمَتْ بِهِ وَصِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ، في مَوَاطِنَ عَامَّةٍ وخَاصَّةٍ». انْتَهَى.

لأجْلِ هَذَا؛ كَانَ مِنَ الحَقِّ الوَاجِبِ أنْ تَجْتَمِعَ كَلِمَةُ العُلَماءِ والدُّعَاةِ المُصْلِحِيْنَ على كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَهُم، ولا سِيَّما الجَماعَاتِ الَّتِي تَعْمَلُ لأجْلِ تَحْرِيْرِ فِلَسْطِيْنَ مِنَ الاحْتِلالِ اليَهُوْدِيِّ، وذَلِكَ بأخْذِ سِيَرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ عَقِيْدَةً ومَنْهَجًا، عِلْمًا وعَمَلاً، دَعْوَةً ونُصْحًا، وإلَّا عَادَ حَامِدُنَا ذَامًّا، وذَهَبَتْ رِيْحُنَا... في غَيْرِ ذَلِكَ ممَّا يَزِيْدُ في التَّفْرِقَةِ والخِلافِ، ويَزِيْدُ في اسْتِعْدَاءِ اليَهُوْدِ على أهْلِنَا المُسْلِمِيْنَ في أرْضِ فِلَسْطِيْنَ.

* * *

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٠﴾ [الحُجُرَات: ١٠].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٣].

فَفِي هَذِهِ الآيَاتِ وغَيْرِهَا: الأمْرُ بالاجْتِمَاعِ والائْتِلافِ، والنَّهْيُ عَنِ الافْتِرَاقِ والاخْتِلافِ، وهَذَا ممَّا اسْتَفَاضَتْ بِه النُّصُوْصُ الشَّرْعِيَّةُ، ودَعَتْ إلَيْهِ مَقَاصِدُ الشَّرِيْعَةِ، ووقَعَ عَلَيْهِ الإجْمَاعُ.

لأجْلِ هَذَا؛ كَانَتِ الآيَاتُ القُرْآنِيَّةُ في ذَمِّ الافْتِرَاقِ والاخْتِلافِ أكْثَرَ عَدَدًا مِنْهَا في الحَثِّ على الجَمَاعَةِ، ومَا ذَاكَ إلَّا أنَّ الجَمَاعَةَ أصْلٌ ومَقْصَدٌ، ومَطْلَبٌ شَرْعِيٌّ، أمَّا الافْتِرَاقُ والاخْتِلافُ فَأمْرٌ طَارِئٌ وحَادِثٌ لِذَا نَجِدُ الشَّرِيْعَةَ قَدْ أوْلَتْهُ اهْتِمامًا بَالِغًا مِنَ التَّحْذِيْرِ والتَّحْرِيْمِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٥﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٥].

وقَدْ ذَكَرَ ابنُ جَرِيْرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «جَامِعِ البَيَانِ» (٤/٣٩) قَوْلَ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قَوْلِهِ: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا»، ونَحْوِ هَذَا في القُرْآنِ: «أمَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤهُ المُؤمِنِيْنَ بالجَمَاعَةِ، فَنَهَاهُم عَنِ

الاخْتِلافِ والفُرْقَةِ، وأخْبرَهُم أنَّما هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُم بالمِرَاءِ والخُصُوْمَاتِ في دِيْنِ اللهِ». انْتَهَى.

فَاللهُ تَعَالى في هَذِهِ الآيَاتِ وغَيْرِهَا: يَنْهَى المُسْلِمِيْنَ أنْ يَكُوْنُوا كَالأُمَمِ المَاضِيَةِ في افْتِرَاقِهِم واخْتِلافِهِم وتَرْكِهِم مَا أوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِم مِنْ الأمْرِ بالمَعْرُوْفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ في غَيْرِهَا مِنَ الوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ.

وعَنْ ابنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «خَطَّ لَنَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ، يَوْمًا خَطًّا، فَقَالَ: هَذَا سَبِيْلُ اللهِ، ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِ ذَلِكَ الخَطِّ وعَنْ شِمَالِهِ خُطُوْطًا، فَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ على كُلِّ سَبِيْلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إلَيْهَا»، ثُمَّ قَرَأ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأَنْعَام: ١٥٣]، أخْرَجَهُ أحْمَدُ، وابنُ مَاجَه، وهُوَ صَحِيْحٌ.

* * *

وقَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الرُّوْم: ٣٠ ـ ٣٢].

فاللهُ تَعَالى في هَذِهِ الآيَاتِ: يُحَذِّرُ هَذِهِ الأمَّةَ أنْ تَسِيْرَ على مَا

كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الأَدْيَانِ قَبْلَنَا مِنِ اخْتِلافٍ وافْتِراقٍ؛ حَتَّى أَصْبَحُوا شِيَعًا وأَحْزَابًا، وكُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُم تَزْعُمُ أَنَّها على شَيءٍ.

ومَعَ هَذَا التَّحْذِيْرِ والنَّهيِ مِنَ الاخْتِلافِ والافْتِراقِ؛ إلَّا أَنَّهُ قَدْ سَبَقَ في عِلْمِ اللهِ تَعَالى أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَوْفَ تَخْتَلِفُ فِيما بَيْنَهَا على فِرَقٍ ضَالَّةٍ، وأحْزَابٍ مُبْتَدَعةٍ، كُلُّهَا في النَّارِ، إلَّا وَاحِدَةً: وهُم الطَّائِفَةُ المَنْصُوْرَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، المُتَمَسِّكُوْنَ بِكِتَابِ اللهِ، وسُنَّةِ رَسُوْلِهِ ﷺ، وبِما كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ، والتَّابِعِيْنَ، وتَابِعِ التَّابِعِيْنَ، ومَنْ تَبِعَهُم بإحْسَانٍ إلى يَوْمِ الدِّيْنِ، فاللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُم حَيَاةً ومَماتًا!

وقَدْ سُئِلَ ﷺ، عَنِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ مِنْهُم، فَقَالَ: «مَنْ كَانَ عَلى مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وأَصْحَابِي» أَخْرَجَهُ التِّرمِذِيُّ (٢٦٤١)، والحَاكِمُ (١/ ١٢٨)، بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، ولَهُ شَوَاهِدُ تُحَسِّنُهُ!

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا، أَنْ تَعْبُدُوْهُ ولا تُشْرِكُوا بِه شَيْئًا، وأَنْ تَعْتَصِمُوا بحَبْلِ اللهِ جَمِيْعًا ولا تَفَرَّقُوا، وأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُم» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

* * *

☐ ومِنْ خِلالِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الأدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، والآثَارِ السَّلَفِيَّةِ النَّاهِيَةِ عَنِ الاخْتِلافِ والافْتِرَاقِ؛ كَانَ حَقًّا على الجَماعَاتِ الإسْلامِيَّةِ الَّتِي على أَرْضِ فِلَسْطِيْنَ الآنَ، أن يَحْذَرُوا كُلَّ مَا مِنْ شَأنِهِ يَكُوْنُ

سَبَبًا للتَّفْرُقَةِ والاخْتِلافِ، وأنْ يَكُوْنُوا يَدًا وَاحِدَةً على عَدُوِّهِم، وأنْ يَأخُذُوا بغَرْزِ مَنْهَجِ أهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ قَولاً وعَمْلاً فِيْما يَأتُوْنَ ويَذَرُوْنَ، وأنْ يَحْذَرُوا النَّزَعَاتِ القَوْمِيَّة، والدَّعَاوَى الوَطَنِيَّة، والاتِّجَاهَاتِ العِلْمانِيَّة، وغَيْرَهَا مِنَ الأسْبَابِ المُفَرِّقَةِ الَّتِي مَا أنْزَلَ اللهُ بِها مِنْ سُلْطَانٍ.

وأخُصُّ هُنَا جَمَاعَةَ «حَماس» الَّتِي أخَذَتْ على عَاتِقِهَا تَحْرِيْرَ فِلَسْطِيْنَ، وجِهَادَ اليَهُودِي الغَاصِبِيْنَ، وذَلِكَ لِقُوَّةِ ظُهُوْرِهَا، وسَلامَةِ مَنْهَجِهَا (في الجُمْلَةِ!)، لِذَا كَانَ على إخْوانِهِم مِنْ أصْحَابِ الجَماعَاتِ الأخْرَى (فَتْح، وكَتَائِبِ القَسَّام، وسَرَايَا الأقْصَى، وجَيْشِ الأمَّةِ، وغَيْرَهَا) أنْ يَنْضَمُّوا إلَيْهِم، وأنْ يَكُوْنَ فِيْما بَيْنَهُم مُؤتَلِفِيْنَ مُتَآلِفِيْنَ، هَيِّنِيْنَ لَيِّنِيْنَ، وأنْ يَتَنَازَلُوا عَنْ بَعْضِ الخِلافَاتِ الَّتِي لا تَسَعُهَا أرْضُ فِلَسْطِيْنَ؛ لا سِيَّما وأنَّهُم هَذِهِ الأيَّامَ أمَامَ حَرْبٍ يَهُوْدِيَّةٍ نَصْرَانِيَّةٍ لا تُفَرِّقُ بَيْنَ جَماعَةٍ وأخْرَى، واللهُ الهَادِي إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ.

* * *

○ **الحَلُّ الثَّالِثَ عَشَرَ: وهَذَا الحَلُّ يُعْتَبرُ المِيْزَانُ الَّذِي نَزِنُ بِهِ جَمِيْعَ الحُلُوْلِ الَّتِي مَضَتْ آنِفًا؛ لأنَّ أغْلَبَ الحُلُوْلِ المَذْكُوْرَةِ لا يَسْتَطِيْعُ النَّفرُ القَلِيْلُ مِنَّا أنْ يَقُوْمُوا بِها، فَكَانَ لا بُدَّ إذًا مِنْ مَرْجَعِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ ذَاتِ ثِقَةٍ نَسْتَطِيْعُ مِنْ خِلالهَا أنْ نَنْطَلِقَ في تَوْظِيْفِ هَذِهِ الحُلُوْلِ على أرْضِ الوَاقِعِ.**

لِذَا؛ كَانَ مِنَ الوَاجِبِ على المُسْلِمِيْنَ هَذِهِ الأيَّامَ أنْ يَقِفُوا قَلِيْلاً

مَعَ أنْفُسِهِم، وأنْ يُرَاجِعُوا حِسابَاتِهِم يَوْمَ زَادَتْ بَيْنَهُم الشُّقَّةُ، وكَثُرَ الخِلافُ فِيْهِم، وذَهَبَتْ رِيْحُهُم؛ حَتَّى لم يَعُدْ لهُمْ بَيْنَ أعَدائِهِم هَيْبَةٌ ولا قُوَّةٌ إلَّا بَقَايَا في طَائِفَةٍ مَنْصُوْرَةٍ لا تَزَالُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ!

فَمِنْ هُنَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا أنْ تَجْتَمِعَ كَلِمَتُنا، وأنْ تَتَوَحَّدَ صُفُوْفُنَا، وأنْ يَكُوْنَ لَنَا مَرْجَعِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ أمِيْنَةٌ؛ مُتَمَثِّلَةٌ في أهْلِ العِلْمِ الرَّبَّانِيِّيْن.

في حِيْنَ أنَّنا لا نَشُكُّ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ أنَّ جُهُوْدًا كَبِيْرةً، وأمْوَالاً كَثِيْرةً قَدْ بُذِلَتْ وقُدِّمَتْ على أرْضِ الوَاقِعِ مِنْ أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ؛ إلَّا أنَّها لم تُؤتِ أُكُلَهَا كَما يَنْبَغِي لها، كُلَّ هَذَا لَمَّا غَابَتْ بَيْنَنَا المَرْجعِيَّةُ العِلْمِيَّةُ الأمِيْنَةُ.

هَذَا إذَا عَلِمْنَا أيْضًا أنَّ الوَاقِعَ هَذِهِ الأيَّامَ يَحتَاجُ إلى تَرْتِيْبٍ وتَنْظِيرٍ، وتَنْظِيْمٍ للجُهُوْدِ والأفْكَارِ؛ حَتَّى نَكُوْنَ بَعْدَئِذٍ قُوَّةً رَهِيْبَةً نَسْتَطِيْعُ أنْ نُقَابِلَ بِها أعْدَاءَنا الَّذِيْنَ مَا بَلَغُوا مِنَّا هَذَا الشَّرَّ والعَدَاءَ إلَّا يَوْمَ آمَنُوا بأهمِّيَّةِ تَنْظِيمِ الجُهُوْدِ، وتَنْصِيبِ مَرْجَعِيَّةٍ لهَا هَيْبَتُهَا بَيْنَهُم!

فَكَانَ عَلَيْنَا بَعْدَ هَذَا أنْ نَلْتَفَّ حَوْلَ عُلَمائِنَا؛ ولا سِيَّما الَّذِيْنَ رُزِقُوا عِلْمًا في الشَّرِيْعَةِ، وفَهْمًا للوَاقِعِ ممَّنْ شَهِدَ الوَاقِعُ بِصِدْقِهِم، وبَلائِهِم في الدِّيْنِ، وأنْ لا نَقْطَعَ أمْرًا دُوْنَهُم؛ لا لشَيءٍ، ولَكِنْ تَوْحِيْدًا للجُهُوْدِ، وتَنْظِيْمًا للأدْوَارِ، واللهُ المُوَفِّقُ، والهَادِي إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ.

* * *

❍ **الحَلُّ الرَّابِعَ عَشَرَ: وهُوَ مِنْ أوْسَعِهَا؛ بَلْ إخَالُهُ مِنْ تَتِمَّةِ الرِّسَالَةِ، ووَاجِبِهَا على قَارِئِهَا، وذَلِكَ بفَتْحِ البَابِ على مِصْرَاعَيْهِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ يُؤمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ: وَهُوَ أنْ يَجْتَهِدَ في طَرْحِ ووَضْعِ الحُلُوْلِ الإسْلامِيَّةِ الَّتِي يَرَاهَا مُنَاسِبَةً للخُرُوْجِ بالأمَّةِ الإسْلامِيَّةِ عَامَّةً، وفِلِسْطِيْنَ خَاصَّةً مِنْ هَذِهِ الأزَمَاتِ، والنَّكَبَاتِ، والضَّعْفِ، والهَوَانِ، والجَهْلِ؛ كُلَّ هَذَا إبْرَاءً للذِّمَّةِ ومَعْذِرَةً إلى اللهِ تَعَالى.**

* * *

❐ لأجْلِ هَذَا كَانَ مِنَ الوَاجِبِ على مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ أنْ يُرَاعِيَ مَا يَلي:

أوَّلاً: أنْ يَسْعَى حَثِيْثًا في البَحْثِ عَنِ الحُلُوْلِ الشَّرْعِيَّةِ المُنَاسِبَةِ الَّتِي يَرَاهَا تَخْدِمُ الأمَّةَ الإسْلامِيَّةَ، والانْصِرَافِ عَنْ تِلْكُمُ الاسْتِنْكَارَاتِ السِّيَاسِيَّةِ، والتَّحْلِيْلاتِ الأخْبَارِيَّةِ المُغْرِقَةِ.

ثَانِيًا: أنْ يَعْرِضَ مَا يَجِدُهُ مِنْ حُلُوْلٍ على أهْلِ العِلْمِ لإبْدَاءِ رَأيِهِم فِيْهَا؛ حَتَّى لا نَقَعَ في خَطأٍ شَرْعِيٍّ مِنْ حَيْثُ لا نَدْرِي؛ فَعِنْدَهَا (لا قَدَّرَ اللهُ) سَتَحْتَاجُ حُلُوْلُنَا إلى حُلُوْلٍ، وهَكَذَا!

ثَالِثًا: أنْ يُبَلِّغَ مَا يَرَاهُ حَقًّا مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ إلى مَنْ يَرَاهُ مِنَ المُسْلِمِيْنَ؛ وأخُصُّ مِنْهُمُ العُلَمَاءَ، وطَلَبَةَ العِلْمِ، واللهُ تَعَالى أعْلَمُ.

❐ ❐ ❐

الخَاتِمَةُ

وبَعْدَ أنْ قَضَيْنَا وَقْتًا (لا بَأسَ بِهِ) في مُعَالجَةِ مَا نَرَاهُ مُنَاسِبًا في طَرْحِ بَعْضِ الحُلُوْلِ الَّتِي نَحْنُ والمُسْلِمُوْنَ أحْوَجُ مَا نَكُوْنَ إلَيْهَا مِنْ تِلْكُمُ الاسْتِنْكَارَاتِ السِّيَاسِيَّةِ، والتَّوَسُّعَاتِ الأخْبَارِيَّةِ، والتَّحْلِيْلاتِ الفِكْرِيَّةِ: فَقَمِنٌ أنْ أمْسِكَ عَنَانَ القَلَمِ، وأنْ أهْمِسَ في أُذُنِ مَنْ سَيَقْرَأ رِسَالَتِي هَذِهِ؛ بَأنْ يَغُضَّ الطَّرْفَ عَمَّا يَرَاهُ مِنْ خطأ في اجْتِهَادٍ، أو زَلَلٍ في إعْدَادٍ، ومَا كَانَ فِيْهَا مِنْ صَوَابٍ وتَوْفِيْقٍ فمِنَ اللهِ وَحْدَهُ، ومَا كَانَ فِيْهَا مِنْ خَطَإٍ فمِنِّي والشَّيْطَانِ!

ولِيَعْلَم الجَمِيْعُ أنَّنِي لم أكْتُبْ هَذِهِ الرِّسَالَةَ، أو أطْرُقْ هَذَا الطَّرِيْقَ إلَّا نُصْحًا لأمَّتِي، وذَبًّا عَنْ قَضِيَّتِي، لِذَا كَانَ المَرْغُوْبُ مِنْ أخِي المُسْلِمِ عِنْدَ قِرَاءَةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ أنْ يَقْبَلَ مَعْذِرَتِي وزَلَّتِي يَوْمَ كَتَبْتُهَا، وكُلِّي أسىً وحَسْرَةٌ على مَا تَعِيْشُهُ أُمَّتِي هَذِهِ الأيَّامَ!

والعُذْرُ أيْضًا مَوْصُوْلٌ؛ بأنَّ الاجْتِهَادَ بَابٌ مَفْتُوْحٌ لِكُلِّ نَاصِحٍ صَادِقٍ يَرْجُو اللهَ، والدَّارَ الآخِرَةَ؛ فإنِّي أسْألُهُ تَعَالى ألَّا يَحْرِمْنِي طَرْقَ هَذَا البَابَ، ودُخُوْلَهُ؛ آمِيْنَ!

* * *

فَما عَساني يَا هَذَا أنْ أُقَدِّمَهُ لَكَ مِنْ جَدِيْدٍ؛ لَكِنَّهَا خَطَرَاتٌ ونَظَرَاتٌ، أو قُلْ: آهَاتٌ وحَسَرَاتٌ!

فَكَانَ عَلَيْكَ بَعْدَ هَذَا أنْ تُمْسِكَهَا بِمَعْرُوْفٍ، أو تُسَرِّحَهَا بإحْسَانٍ، وهَذَا ظَنِّي بِكَ؛ لأنَّكَ مِمَّنْ نَرْضَى خُلُقَهُ ودِيْنَهُ، واللهُ حَسِيْبُكَ!

فَإنْ قَبِلْتَ أخِي المُسْلِمَ مَا حَرَّرْتُهُ لَكَ، وقَدَّمْتُهُ إلَيْكَ مِنْ نَقَدَاتٍ ومُحَاوَلاتٍ سَطَّرَهَا لَكَ خَاطِرِي الكَلِيْلُ، وفِكْرِي العَلِيْلُ، فالحَمْدُ للهِ على تَوْفِيْقِهِ وإحْسَانِهِ، وإنْ كَانَتِ الأخْرَى؛ فاللهُ تَعَالى هُوَ المُسْتَعَانُ، وعَلَيْهِ التُّكْلانُ!

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على عَبْدِهِ ورَسُوْلِهِ الأمِيْنِ

✍ وَكَتَبَهُ

ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي

(١٤٣٤/٣/١)

* * *

الفَهَارِسُ العَامَّةُ

- ☐ ثَبَتُ المَرَاجِعِ.
- ☐ فَهَارِسُ الآيَاتِ.
- ☐ فَهَارِسُ الأحَادِيْثُ.
- ☐ الفَهَارِسُ المَوْضُوْعِيَّةُ.

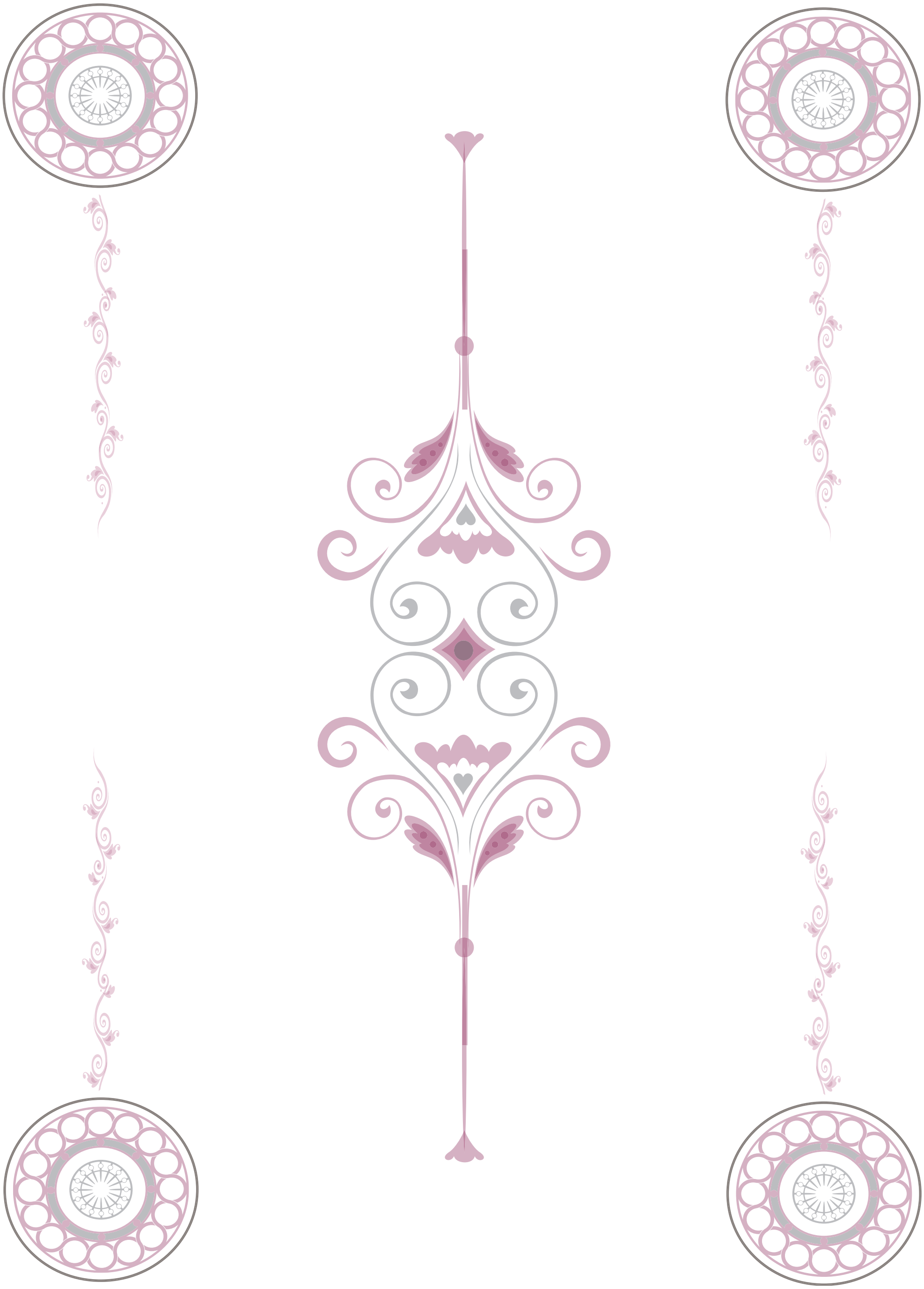

ثَبَتُ المَرَاجِعِ

١ ـ «الاتِّجَاهَاتُ الوَطَنِيَّةُ»: لمُحَمَّد حُسَيْن.
٢ ـ «الاخْتِيَارَاتُ الفِقْهِيَّةُ»: للبَعْليِّ.
٣ ـ «الأسَاطِيْرُ المُؤسِّسَةُ للسِّيَاسَةِ الإسْرَائِيْلِيَّةِ».
٤ ـ «الأنْسُ الجَلِيْلُ»: للعُلَيْمِيِّ.
٥ ـ «البِدَايَةُ والنِّهَايَةُ»: لابنِ كَثِيْرٍ.
٦ ـ «التَّطْبِيْعُ»: لغَسَّانَ حَمْدَانَ.
٧ ـ «الدَّلائِلُ»: لأبي نُعَيْمٍ.
٨ ـ «الدَّلائِلُ»: للبَيْهَقِيِّ.
٩ ـ «الزَّوَاجِرُ عَنِ اقْتِرافِ الكَبَائِرِ»: لابنِ حَجرٍ الهَيْتَمِيِّ.
١٠ ـ «السُّنَنُ الأرْبَعَةُ».
١١ ـ «السُّنَنُ لِلْبَيْهَقِيِّ».
١٢ ـ «الصِّهْيُوْنِيَّةُ والنَّازِيَّةُ»: لعَبْدِ الوَهَّابِ المِسِيْرِي.
١٣ ـ «الطَّبَقَاتُ»: لابْنِ سَعْدٍ.
١٤ ـ «الطَّرِيْقُ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ»: لجَمالِ مَسْعُوْدٍ، ووَفَاءَ جُمْعَةَ.
١٥ ـ «العالَمُ العَرَبيُّ»: لنَجْلاءَ عِزِّ الدِّيْنِ.
١٦ ـ «الفَتْحُ الرَّبانيَّ»: للبَنَّا.
١٧ ـ «المِصْبَاحُ المُنِيرُ»: لِلْفَيُّومِيِّ.
١٨ ـ «المُصَنَّفُ»: لابْنِ أبِي شَيْبَةَ.
١٩ ـ «المُصَنَّفُ»: لعَبْدِ الرَّزَّاقِ.

٢٠ ـ «المُقَاطَعَةُ الاقْتِصَادِيَّةُ»: لعَابدٍ السَّعْدُوْنَ.
٢١ ـ «المَوْسُوْعَةُ البِرِيْطَانِيَّةُ».
٢٢ ـ «المَوْسُوْعَةُ العَرَبِيَّةُ العَالمِيَّةُ».
٢٣ ـ «اليَهُوْدَ وَرَاءَ كُلِّ جَرِيْمَةٍ»: لوْلِيْم كَارْ.
٢٤ ـ «انْتِفَاضَةُ الإنْتَرْنِتْ»: لوَجْدِي بنِ عَبْدِ الفَتَّاحِ.
٢٥ ـ «بَيْتُ المَقْدِسِ»: لمُحَمَّدٍ شُرَّابٍ.
٢٦ ـ «تَارِيْخُ القُدْسِ»: لعَارِفٍ.
٢٧ ـ «تَارِيْخُ القَرْنِ العِشْرِيْنَ»: لبِيِير رُوْنُوفِن.
٢٨ ـ «تَارِيْخُ أوْرُوبَّا في العَصْرِ الحَدِيْثِ»: لفِشَرْ.
٢٩ ـ «تَارِيْخُ بَغْدَادَ»: لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ.
٣٠ ـ «تَارِيْخُ دِمَشْقَ»: لابْنِ عَسَاكِرَ.
٣١ ـ «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ».
٣٢ ـ «تَفْسِيرُ البَغَوِيِّ».
٣٣ ـ «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ».
٣٤ ـ «تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ».
٣٥ ـ «جِهَادُ شَعْبِ فِلَسطِيْنَ»: لصَالِحِ أبي بَصِيْرٍ.
٣٦ ـ «حَاضِرُ العَالَمِ الإسْلامِيِّ»: لجَمِيْلٍ المِصْرِيِّ.
٣٧ ـ «حَتَّى تَكُوْنَ مُقَاطَعَةَ العَرَبِ إيْجَابِيَّةً»: لعَبْدِ المُنْعِمِ سَلِيْمٍ.
٣٨ ـ «زَادُ المَعَادِ»: لابْنِ القَيِّمِ.
٣٩ ـ «سُبُلُ السَّلامِ»: للصَّنْعَانيِّ.
٤٠ ـ «سِلْسِلَةُ الأحَادِيْثِ الصَّحِيْحَةِ»: لِلألبَانِيِّ.
٤١ ـ «سِلْسِلَةُ الأحَادِيْثِ الضَّعِيفَةِ»: لِلألبَانِيِّ.
٤٢ ـ «سِيَرُ أعْلَامِ النُّبَلَاءِ»: لِلذَّهَبِيِّ.
٤٣ ـ «سِيْرَةُ ابنِ هِشَامٍ».

٤٤ ـ «المِنْهَاجُ شَرْحُ صَحِيْحِ ابنِ الحَجَّاجِ»: لِلنَّوَوِيِّ.
٤٥ ـ «صَحِيحُ البُخَارِيِّ».
٤٦ ـ «صَحِيْحُ الجَامِعِ»: للألبَانيِّ.
٤٧ ـ «صَحِيحُ مُسْلِمٍ».
٤٨ ـ «غِيَاثُ الأُمَمِ»: للجُوينْيِّ.
٤٩ ـ «فَتْحُ البَارِي»: لابْنِ حَجرٍ العَسْقَلانِيِّ.
٥٠ ـ «فَضَائِلُ الشَّامِ ودِمِشْقَ»: للحَافِظِ الرَّبَعِيِّ.
٥١ ـ «فَضَائِلُ الشَّامِ»: لابنِ رَجَبٍ.
٥٢ ـ «فِلِسْطِيْنُ أوَّلاً»: جمَالُ حَمْدَانُ.
٥٣ ـ «قَامُوْسُ المُصْطَلَحاتِ الحُقُوْقِيَّةِ الدُّوَلِيَّةِ».
٥٤ ـ «لِسَانُ العَرَبِ»: لابْنِ مَنْظُورٍ.
٥٥ ـ «مَجَلَّةُ الأرْضِ».
٥٦ ـ «مَجَلَّةُ الدَّعْوَةِ المِصْرِيَّةِ».
٥٧ ـ «مَجَلَّةُ المُجْتَمَعِ الكُوَيْتِيَّةِ».
٥٨ ـ «مَجْمُوْعُ الفَتَاوَى والمقَالاتِ»: لابنِ بَازٍ.
٥٩ ـ «مَجْمُوعُ الفَتَاوَى»: لابْنِ تَيْمِيَّةَ، جَمْعُ ابْنِ قَاسِمٍ.
٦٠ ـ «مُسْتَدْرَكُ الحَاكِمِ».
٦١ ـ «مُسْنَدُ الإمَامِ أحْمَدَ».
٦٢ ـ «مَعَاجِمُ الطَّبَرَانِيِّ الثَّلاثَةِ».
٦٣ ـ «مَغَازِي الوَاقِدِي».
٦٤ ـ «مَكَايِدُ يَهُودِيَّةٌ»: لعَبْدِ الرَّحمَنِ حَبَنَّكَة.
٦٥ ـ «مَلامِحُ القَضِيَّةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ»: لعَبْدِ العَزِيْزِ العَمْري.
٦٦ ـ «وَاقُدْسَاهُ»: لسَيِّدٍ العَفَّانِيِّ.
٦٧ ـ جَرِيْدَةُ «الحَيَاةِ».

٦٨ ـ جَرِيْدَةُ «**الشَّعْبِ**».
٦٩ ـ جَرِيْدَةُ «**النِّيُويُورك تَايِمْز**».
٧٠ ـ جَرِيْدَةُ «**لُوفِيْجَار**».
٧١ ـ جَرِيْدَةُ «**نِيُويُروك تَايِمز**».
٧٢ ـ جَرِيْدَةُ «**هَآرْتِسْ**» اليَهُوْدِيَّةِ الصِّهْيُوْنِيَّة.

❑ ❑ ❑

فَهَارِسُ الآيَاتِ

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
البقرة		
﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾	١٢٠	٨١، ١١٨، ١٥٢، ١٥٩، ٢٠١
﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ﴾	١٣٤	١٣٦
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾	١١٨	١٥٩
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾	٢٨٦	١٠٥، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٢، ٢١٤، ٢١٢
﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم﴾	١٩١	١٩٧، ٢٤٢
﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾	٩٦	٢٤٠
﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾	١٧٣	٢٦٩
آل عمران		
﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾	١٠٣	١١٢، ١٥٧، ٢٨١
﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾	١٣٩	١٥١
﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾	١٦٥	١٧٧، ١٧٨
﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾	١٥٩	١٨٢
﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ﴾	١٠٥	٢٨٢
النساء		
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ﴾	١٢٢	٤٥

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾	٨٧	٤٦
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾	١٣٩	٨١
﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾	٣٦	١٩١
﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾	٨٤	٢٢١
﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾	٩٥	٢٢٤
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾	٧٧	٢٦٧
المائدة		
﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾	٢١	٤، ٢٦
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾	٢	١٩٨، ٢٤٥، ٢٦٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾	١٠٥	٢٤٤
﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾	٥٢	٢٦٦
الأنعام		
﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا﴾	٧٠	١٣٧
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾	١٥٣	٢٨٣
الأعراف		
﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾	٥١	١٣٨
الأنفال		
﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾	٧٢	٩٦، ١٩٨
﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾	٤٦	١١٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾	٦٥	١٩٨
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾	٦٠	١٩٨، ٢١٣، ٢١٤، ٢٤٢

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾	٧٢	٢٢٢
التوبة		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٢٠	٧٦
﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾	٤٧	٨١
﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ﴾	٢٥	١٧٨
﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ﴾	٣٦	١٩٧، ٢٤٢
﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾	١٢	١٩٧، ٢٤٢
﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾	٤١	١٩٨
﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ﴾	١٢٢	١٩٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾	١١٩	٢٠٣
﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾	٩١ ـ ٩٢	٢٠٣، ٢١٨
﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾	٤٦	٢١٣، ٢١٧
﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ﴾	٢٤	٢٤٢
يونس		
﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾	٦٥	٨١
هود		
﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ﴾	٨٨	٢٠٣
يوسف		
﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾	٢٦	١٥١
النحل		
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾	٣٦	١٩١

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الإسراء		
﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾	١	٤، ١٧، ١٨، ٢٥
الأنبياء		
﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾	٧١	٢٥
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾	٩٢	١٥٧
الحج		
﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	٤١	١٠٧
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ﴾	٣٩	١٩٧
﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾	٧٨	٢٤٢
المؤمنون		
﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾	٥٣	٢٠٠
الفرقان		
﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾	٥٢	١٩٨
النمل		
﴿أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾	٦٢	١٨٤
العنكبوت		
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾	٦٩	١٨٤، ٢١٤
الروم		
﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ﴾	٤ ـ ٦	٢٠٢

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾	٣٠ ـ ٣٢	١٥٧، ٢٨٣
السجدة		
﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ﴾	٢٤	١٠٧
الأحزاب		
﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾	٢٣	٢٠٣
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾	٥٧	١٤٣
﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾	٢١	١٦٩
﴿وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ﴾	١٣	٢٦٦
الصافات		
﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾	١٧٣	٩٦
غافر		
﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	٥١	٥٤
الشورى		
﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾	٣٠	١٧٧
﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾	٣٨	١٨٣
محمد		
﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾	١٩	١٩٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾	٧	٢١١
﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾	٣٥	٢٠١

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الفتح		
﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾	٧	٩٦
الحجرات		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾	١٣	١٦٠
﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ﴾	٥	١٧٧
﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾	١٠	٢٨١
الذاريات		
﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾	٥٦	١٩١
المجادلة		
﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾	٢١	٤٥
الحشر		
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	٢ ـ ٤	٩٩، ٢٠٨
﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾	١٣ ـ ١٤	١٠٠
الصف		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ﴾	١٠ ـ ١١	٢٢٢
المنافقون		
﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٨	١٥٢
﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾	٨	٢٠١

طرف الآية	رقمها	الصفحة
التغابن		
﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾	١٦	٢٢١، ١٨١، ١٩٩، ٢١٤
التحريم		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾	٦	٢٤٥، ٢٦٠
المدثر		
﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾	٣١	٩٦
العصر		
﴿وَٱلْعَصْرِ (١) إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ (٢)﴾	١ ـ ٢	١٤٩

❑ ❑ ❑

فَهَارِسُ الأحَادِيْثِ

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
«يَا طُوْبَى للشَّامِ! يَا طُوْبَى للشَّامِ! يَا طُوبَى للشَّامِ!»	أحْمَدُ	٤، ٢٦
«لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أمَّتِي على الحَقِّ ظَاهِرِيْنَ»	أحْمَدُ	٤، ٢٧
«لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا إلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ»	مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ	٤، ٢٨
«إنَّها سَتَأتِي على النَّاسِ سَنَواتٌ خَدَّاعَةٌ»	أحْمَدُ	٨
«فَإذَا ضُيِّعَتِ الأمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»	البُخَارِيُّ	٩
«حَتَّى يُقَالُ لِلْرَّجُلِ: مَا أجْلَدَهُ! مَا أظْرَفَهُ!»	مُسْلِمٌ	٩
«سَيَصِيْرُ الأمْرُ إلى أنْ تَكُوْنُوا أجْنَادًا مُجَنَّدَةً»	أحْمَدُ	٢٦
«عَلَيْكُم بالشَّامِ؛ فإنَّها صَفْوَةُ بِلادِ اللهِ»	الطَّبرانيِّ	٢٦
«إذَا فَسَدَ أهْلُ الشَّامِ؛ فَلا خَيْرَ فِيْكُم»	أحْمَدُ	٢٧
«لا يَزَالُ أهْلُ الغَرْبِ ظَاهِرِيْنَ على الحَقِّ»	مُسْلِمٌ	٢٧
«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ؛ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأعْمَاقِ»	مُسْلِمٌ	٢٨
«فُسْطَاطُ المُسْلِمِينَ يَوْمَ المَلْحَمَةِ الغُوطَةُ»	أحْمَدُ	٢٩
«عُمْرَانُ بَيْتِ المَقْدِسِ: خَرَابُ يَثْرِب»	أحْمَدُ	٢٩
«إنَّ بالمَدِيْنَةِ أقْوَامًا مَا قَطَعْتُم وَادِيًا»	مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ	١٠٥، ٢٠٤
«مَثَلُ المُؤْمِنِيْنَ في تَرَاحُمِهِم، وتَوَادِّهِم»	مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ	١٣٣
«المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»	مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ	١٣٣
«إنَّ الَّذِيْنَ يَصْنَعُوْنَ هَذِه الصُّوَرَ»	مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ	١٤٣
«أشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ»	مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ	١٤٣

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
«إنَّ البَيْتَ الَّذِي فيه الصُّوَرُ لا تَدْخُلُه الملائِكَةُ»	مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ	١٤٤
«كُلُّ مُصَوِّرٍ في النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُوْرَةٍ»	مُسْلِمٌ	١٤٤
«لا تَدْخُلُ المَلائِكَةُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ، ولا صُوْرَةٌ»	البُخَارِيُّ	١٤٥
«لا تَزُوْلُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيامَةِ»	التِّرْمِذِيُّ	١٥٠
«مَنْ يُبَايِعُ على المَوْتِ»	البُخَارِيَّ	١٧٠
«يَا مَعْشَرَ يَهُوْدَ أسْلِمُوا»	أبُو دَاوُدَ	١٧١
«هُمْ لَكَ . . .»	ابنُ هِشَامٍ	١٧٢
«لا يُصَلِّينَّ أحَدٌ العَصْرَ إلَّا في بَنِي قُرَيْظَةَ»	البُخَارِيُّ	١٧٣
«قُوْمُوا إلى سَيِّدِكُم، أو خَيْرِكُم»	مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ	١٧٥
«المُسْلِمُوْنَ يَدٌ على مَنْ سِوَاهُم»	أحْمَدُ	١٨٢
«أشِيْرُوا عَليَّ أيُّها النَّاسُ!»		١٨٣
«مَنْ قُتِلَ دُوْنَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيْدٌ»	أحْمَدُ	١٩٢
«مَنْ أُرِيْدَ مَالُهُ بغَيْرِ حَقٍّ فقَاتَلَ»	أحْمَدُ	١٩٣
«مَنْ قُتِلَ دُوْنَ مَظْلَمَتِهِ فهُوَ شَهِيْدٌ»	النَّسَائيُّ	١٩٣
«طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ على كُلِّ مُسْلِمٍ»	ابنُ مَاجَه	١٩٤
«مَنْ سَألَ اللهَ تَعَالى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ»	مُسْلِمٌ	١٩٦
«جاهِدُوا المُشْرِكِيْنَ بأمْوَالِكم»	أبو دَاوُدَ	١٩٨، ١٢٤، ٢٤٤، ٢٦١
«يا حَسَّانُ أجِبْ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ»	البُخَارِيُّ	١٩٨، ٢٤٤
«فإذَا أمَرْتُكم بأمْرٍ؛ فَأتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُم»	مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ	١٩٩
«إذَا تَبَايَعْتُم بالعِيْنَةِ، وأخَذْتُم أذْنَابَ البَقَرِ»	أحْمَدُ	٢٠٠
«مَنْ سَألَ اللهَ تَعَالى الشَّهَادَةَ بصِدْقٍ»	مُسْلِمٌ	٢٠٤
«مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا»	مُسْلِمٌ	٢٠٤

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
«الْمُجاهِدُ مَنْ جاهَدَ نَفْسَهُ في اللهِ»	أَحْمَدُ	٢١٤
«مَنْ جاهَدَ المُشْرِكِينَ بِمالِهِ، وَنَفْسِهِ»	أبو دَاوُدَ	٢١٤
«ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمي، ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمي»	مُسْلِمٌ	٢١٥
«مَنْ مَاتَ ولم يَغْزُ، ولم يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بالغَزْوِ»	مُسْلِمٌ	٢١٧
«مَنْ عَلِمَ الرَّمِيَ ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْس مِنَّا»	مُسْلِمٌ	٢١٨
«مَنْ لم يَغْزُ، أو يُجَهِّزْ غَازِيًا»	أبو دَاوُدَ	٢١٨
«مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ، فَلَهُ مِثْلُ أجْرِ فَاعِلِهِ»	مُسْلِمٌ	٢٢١
«مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فَقَدْ غزَا»	مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ	٢٢٣
«إنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأمَّةَ بِضَعِيفِهَا»	النَّسائِيُّ	٢٢٥
«هَلْ تُنْصَرُوْنَ وتُرْزَقُوْنَ؛ إلَّا بِضُعَفَائِكُم»	البُخَارِيُّ	٢٢٤
«أنْ خَلِّ بَيْنَ قَوْمِي وبَيْنَ مِيرَتِهِم»	مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ	٢٤١
«وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أحَدٌ»	أحْمَدُ	٢٤١
«إنَّ اللهَ لَيُدخِلُ بالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلاثَةً الجَنَّةَ»	أحْمَدُ	٢٤٤
«اتَّقُوا النَّارَ ولَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»	مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ	٢٤٥
«لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوْفِ شَيْئًا»	مُسْلِمٌ	٢٤٥
«مَنْ كَانَ على مَا أنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وأصْحَابِي»	التِّرْمِذِيُّ	٢٨٤
«إنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا»	مُسْلِمٌ	٢٨٤

* * *

الفَهَارِسُ المَوْضُوْعِيَّةُ(١)

الموضوع — الصفحة

* المُقَدِّمَةُ .... ٥ ـ ١٢

البَّابُ الأَوَّلُ

فِلِسْطِيْنُ المُسْلِمَةُ

❐ الفَصْلُ الأَوَّلُ: تَارِيْخُ فِلِسْطِيْنَ .... ١٥ ـ ٢٩

تَارِيْخُ بِلادِ فِلِسْطِيْنَ مِنَ الفَتْحِ الإسْلاميِّ إلى يَوْمِنَا هَذَا ١٦

الاسْمُ الصَّحِيْحُ لبَيْتِ المَقْدِسِ /ح ٢٤

فَضْلُ بَيْتِ المَقْدِسِ وفِلِسْطِيْنَ ٢٥

❐ الفَصْلُ الثَّاني: تَارِيْخُ الاحْتِلالِ اليَهُوْدِيِّ لِفِلِسْطِيْنَ .... ٣٠ ـ ٥٢

التَّمْهِيْدُ لإنْشَاءِ مَوْطِنٍ لليَهُوْدِ ٣٠

أهمِيَّةُ الحِفَاظِ على التَّارِيْخِ الهِجْرِيِّ /ح ٣٠

وَعْدُ «بِلْفُوْر» الَّذِي أصْدَرَهُ وَزِيْرُ الخَارِجِيَّةِ البِرِيْطَانِيُّ ٣٣

نَصُّ وَثِيْقَةِ وَعْدِ «بِلْفُوْر» المُفْتَرَى ٣٣

إنْشَاءُ مَوْطِنِ يَهودَ في فِلِسْطِيْنَ ٣٥

شِرَاءُ أمْرِيْكَا النَّصْرَانِيَّةَ لثَلاثَةِ أصْوَاتٍ قَهْرًا وغَصْبًا ٣٦

تَحرُّكُ الجُيُوْشِ العَرَبِيَّةِ إلى فِلِسْطِيْنَ لتَحْرِيْرِهَا ٣٦

---

(١) كُلُّ مَا كَانَ مِن اسْتِدْرَاكٍ أو فَائِدَةٍ أو غَيْرِهَا في الحَاشِيَةِ، فَقَدْ رَمَزْنَا لَهُ بحَرْفِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ (ح) تَمْيِيْزًا لهَا عَنْ أصْلِ الكِتَابِ.

الموضوع الصفحة
الخِيَانَةُ الكُبْرَى: وهِيَ قِيَادَةُ «جُلُوْب» الإنْجلِيْزِيِّ، للجُيُوْشِ العَرَبِيَّةِ ٣٧
تَنَبُّهٌ مُهِمٌّ: كَيْفِيَّةُ اسْتِغْلالِ اليَهُوْدِ العَدَاءَ لِتَمْرِيْرِ مُخَطَّطاتِهم ٤٢
بَعْضُ صُوَرِ اتِّفَاقَاتِ «كَامْب دِيفِيْد» ٤٤
تَخاذُلٌ مَكْشُوْفٌ ٤٦
❑ **الفَصْلُ الثَّالِثُ: حَقَائِقُ تَارِيْخِيَّةٌ عَنِ الوُجُوْدِ اليَهُوْدِيِّ** .... ٥٣ ـ ٧٤
ذِكْرُ الدَّعَاوِي الثَّلاثَةِ المَزْعُوْمَةِ لِلْيَهُوْدِ عَبْرَ التَّارِيْخِ، والرَّدُّ عَلَيْهَا ٥٣
الرَّدُّ الأوَّلُ: بَيَانُ كَذِبِهِم: بأنَّ لهُم حَقَّ في فِلَسْطِيْنَ ٥٤
الرَّدُّ الثَّاني: بَيَانُ كَذِبِهِم: بأنَّهم مِنْ سُلالَةِ بَنِي إسْرَائِيْلَ ٥٥
ذِكْرُ الحقَائِقِ التَّارِيْخِيَّةِ عَنْ وُجُوْدِهِم في فِلَسْطِيْنَ ٦٥
الرَّدُّ الثَّالِثُ: بَيَانُ كَذِبِهِم: بأنَّهم أحْرِقُوا على أيْدِي هِتْلَر ٧٠
بَيَانُ الغَرَضِ اليَهُوْدِيِّ مِن ادِّعَاءِ المَحْرَقَةِ ٧٠
ذِكْرُ بَعْضِ أسْمَاءِ المُفَكِّرِيْنَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوا هَذِهِ الدَّعْوَى المَزْعُوْمَةِ ٧١
ذِكْرُ قِصَّةِ «أنْستْ» مَعَ كِتَابِهِ «هَلْ قُتِلَ سِتَّةُ مَلايِيْنَ يَهُوْدِيٍّ؟» ٧٢
ذِكْرُ البَحْثِ الَّذِي قَدَّمَهُ «لُوشْتَر» عَنْ كَذِبِ هَذِهِ المَحْرَقَةِ المَزْعُوْمَةِ ٧٣
❑ **الفَصْلُ الرَّابِعُ: المَرَاحِلُ التَّارِيْخِيَّةُ لِلْقَضِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ** .... ٧٥ ـ ١١٢
ذِكْرُ المَرَاحِلِ التَّارِيْخِيَّةِ الأرْبَعِ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا القَضِيَّةُ الفِلَسْطِيْنِيَّةُ ٧٥
المَرْحَلَةُ الأوْلَى: مَرْحَلَةُ التَّجْمِيْعِ والتَّقْمِيْشِ ٧٥
المَرْحَلَةُ الثَّانِيَةُ: مَرْحَلَةُ القَوْمِيَّاتِ العَرَبِيَّةِ ٧٧
ذِكْرُ بَعْضِ صُوَرِ الأخْطَاءِ الَّتِي ارْتَكَبَتْهَا جَامِعَةُ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ ٧٨
المَرْحَلَةُ الثَّالِثَةُ: مَرْحَلَةُ السُّلْطَةِ العَلْمَانِيَّةِ ٧٩
بَيَانُ اسْتِدْرَاجِ أمْرِيكَا لِلْمُنَظَّمَةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ إلى الاعْتِرَافِ بِاليَهُوْدِ ٨٢
خُرُوْجُ حَرَكَةِ «فَتْح» مِنْ رَحِمِ مُنَظَّمَةِ التَّحْرِيْرِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ ٨٢
ذِكْرُ مَا قَالَهُ ابنُ بَازٍ عَنِ الحَلِّ الشَّرْعِيِّ لِلْقَضِيَّةِ الفِلَسْطِيْنِيَّةِ ٨٤
المَرْحَلَةُ الرَّابِعَةُ: مَرْحَلَةُ الرَّايَةِ الإسْلامِيَّةِ ٨٥
تَارِيْخُ ظُهُوْرِ حَرَكَةِ «حَمَاس» ٨٦

الموضوع | الصفحة

بَيَانُ ثَبَاتِ حَرَكَةِ «حَمَاس» في الحَرْبِ الأخِيْرَةِ على غَزَّةَ ٩٤
مَا يَجِبُ على «حَمَاس» أنْ تعْلَمَهُ ١٠٦
أوَّلًا: أنَّ تَعْلَمَ أنَّ دُوَلَ الكُفْرِ لَنْ يَتْرُكُوْهَا تَفْرَحُ بِهَذَا النَّصرِ ١٠٦
ثَانِيًا: أنَّ عَلَيْهَا أنْ تَسْعَى في تَحْرِيرِ أرْضِ فِلِسْطِيْنَ كَامِلَةً ١٠٧
شَهَادَةُ شَيْخِنَا ابنِ بَازٍ في تَزْكِيَةِ حَرَكَةِ «حماس» ١٠٧
شَهَادَتُنَا لحَرَكَةِ «حماس» ١٠٨
سَبَبُ تَزْكِيَتِنَا لحَرَكَةِ «حماس» كَانَ لأُمُوْرٍ ١٠٨
الأوَّلُ: أنَّ هَذَا الَّذِي ظَهَرَ لَنَا مِنْهَا ١٠٨
الثَّاني: أنَّ هَذِهِ الجَماعَةَ لَهَا وَاقِعُهَا وظُرُوْفُهَا في فِلِسْطِيْنَ ١٠٨
الثَّالِثُ: أنَّها أصْبَحَت مُمَثِّلَةً لجِهَادِ المُسْلِمِيْنَ ضِدَّ اليَهُوْدِ ١٠٩
ذِكْرُ بَعْضِ المَلْحُوْظَاتِ المُهِمَّةِ لحَرَكَةِ «حماس» ١١٠
أوَّلاً: أنْ يَأخُذُوا بالمَنْهَجِ السَّلَفِيِّ ١١٠
ثَانِيًا: أنْ يَقُوْمُوا بتَحْكِيْمِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ ١١٠
ثَالِثًا: أنْ يَحْمِلُوا أتْبَاعَهُم على العَقِيْدَةِ الصَّحِيْحَةِ ١١١
الجِهَادُ المَطْلُوْبُ مِنْ حَرَكَةِ «حمَاس» ١١١
الأوَّلُ: جِهَادٌ في تَعْلِيْمِ إخْوَانِهِم المُسْلِمِيْنَ ١١١
الثَّاني: جِهَادٌ مَعَ إخْوَانِهِم ضِدَّ اليَهُوْدِ ١١١
رَابِعًا: أنْ يَجْتَهِدُوا في جَمْعِ الكَلِمَةِ بَيْنَهُم وبَيْنَ إخْوَانِهِم ١١١
❐ **الفَصْلُ الخَامِسُ: التَّعْرِيْفُ بهَيْئَةِ الأمَمِ ومَجْلِسِ الأمْنِ والجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ** .... ١١٣ ـ ١٢٧
التَّعْرِيْفُ بهَيْئَةِ الأمَمِ المُتَّحِدَةِ ١١٣
تَارِيْخُ إنْشَاءِ «عُصْبَةِ الأمَمِ» ١١٤
حَقَائِقُ مَكْشُوْفَةٌ، وهُوَ مَا صَرَّحَ بِه أحَدُ زُعَماءِ الصِّهْيُوْنِيَّةِ ١١٦
التَّعْرِيْفُ بمَجْلِسِ الأمْنِ ١١٦
حَقِيقَةُ هَيْئَةِ الأمَمِ المُتَّحِدَةِ، ومَجْلِسِ الأمْنِ ١١٨

الموضوع الصفحة

بَيَانُ خُطُوْرَةِ: «نِظَام الانْتِدَابِ» ١١٩
انْقِسَامُ البُلْدَانِ العَرَبِيَّةِ إلى ثَلاثِ مَنَاطِقَ ثَقَافِيَّةٍ ١١٩
الأوْلى: فَرَنْسِيَّةٌ ١١٩
والثَّانِيَةُ: إنْجِلِيْزِيَّةٌ ١١٩
والثَّالِثَةُ: إيْطَالِيَّةٌ ١١٩
التَعْرِيْفُ بخُطُوْرَةِ: نَظَرِيَّةِ الاحْتِلالِ ١١٩
ذِكْرُ الأمْثِلَةِ الَّتِي اعْتَرَضَتْ فِيْهَا أمْرِيْكا على قَرَارَاتِ مَجْلِسِ الأمْنِ ١٢٢
التَّعْرِيْفُ بجَامِعَةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ ١٢٤
ذِكْرُ مِيْلادِ جَامِعَةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ ١٢٥
ذِكْرُ صَاحِبِ فِكْرَةِ الجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ ١٢٦

البَّابُ الثَّاني

فِلِسْطِيْنَ بَيْنَ الاسْتِنْكَارِ، والأخْبَارِ

❐ **الفَصْلُ الأوَّلُ: أهْلُ الاسْتِنْكَارِ** .... ١٣١ ـ ١٣٨
الطَّائِفَةُ الأوْلَى: أهْلُ الاسْتِنْكَارِ، وهُم قِسْمَانِ ١٣٤
القِسْمُ الأوَّلُ: أهْلُ السَّاسَةِ ١٣٤
القِسْمُ الثَّاني: أهْلُ التَّعَاسَةِ ١٣٦
ذِكْرُ بَعْضِ صُوَرِ مَقَالاتِ أهْلِ التَّعَاسَةِ ١٣٦
❐ **الفَصْلُ الثَّاني: أهْلُ الأخْبَارِ، وهُم قِسْمَانِ** .... ١٣٩ ـ ١٦٨
❐ القِسْمُ الأوَّلُ: أهْلُ الرِّوَايَةِ ١٤٠
أخْطَاءُ أهْلِ الرِّوَايَةِ ١٤٠
الخَطَاءُ الأوَّلُ: الإغْرَاقُ في نَقْلِ الأخْبَارِ وتَغْيِبُ الهَدَفِ الشَّرعِيِّ ١٤٠
هُمُوْمُ الخُطَبَاءِ والكُتَّابِ غَالِبًا لا يَخْرُجُ عَنْ أمْرَيْنِ ١٤١
الأمْرُ الأوَّلُ: الكَلامُ عَنْ سِيْرَةِ اليَهُوْدِ اللَّعِيْنَةِ ١٤١

الموضوع الصفحة

الأَمْرُ الثَّاني: الحَدِيْثُ عَنْ فِلِسْطِيْنَ ١٤٢
الخَطَاءُ الثَّاني: الوُقُوْعُ في مَحْذُوْرِ التَّصْوِيْرِ ١٤٣
الخَطَاءُ الثَّالِثُ: إظْهَارُ الإسْلامِ بأنَّهُ ضَعِيْفٌ ١٤٥
الخَطَاءُ الرَّابِعُ: تَقْدِيْمُ الوَسِيْلَةِ على الغَايَةِ ١٤٦
الخَطَاءُ الخَامِسُ: تَرْبِيَةُ أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ تَرْبِيَةً أخْبَارِيَّةً مُجَرَّدَةً ١٤٧
أخْطَاءُ أصْحَابِ «الأنْتَرنِتْ والدُّشِّ» ١٤٧
الخَطَاءُ السَّادِسُ: ضَيَاعُ الأوْقَاتِ، وهَدْرُ الأمْوَالِ ١٤٩
الخَطَاءُ السَّابِعُ: التَّشَبُّهُ بعَادَاتِ الكُفَّارِ ١٥٠
❏ القِسْمُ الثَّاني: أهْلُ الدِّرَايَةِ ١٥٢
تَعْقِيْبٌ على كَلِمَةِ: «المُفَكِّرِ الإسْلامِيِّ» ١٥٣
قَضِيَّةُ فِلِسْطِيْنَ في مِيْزَانِ أهْلِ الدِّرَايَةِ ١٥٥
تَعْقِيْبٌ على كَلِمَةِ: «دَوْلَةِ إسْرَائِيْلَ» ١٥٥
تَعْقِيْبٌ على كَلِمَةِ: «الأُمَّتَيْنِ العَرَبِيَّةِ والإسْلامِيَّةِ» ١٥٦
تَعْقِيْبٌ على كَلِمَةِ: «الصِّهْيُوْنِيَّةِ والكَاثُوْلِيْكِيَّةِ» ١٥٧
تَعْقِيْبٌ على كَلِمَةِ: «الشَّرْقِ الأوْسَطِ» ١٥٩
تَعْقِيْبٌ على كَلِمَةِ: «الشَّعْبِ» ١٦٠
تَعْقِيْبٌ على كَلِمَةِ: «الزَّخَم» ١٦٠
تَعْقِيْبٌ على كَلِمَةِ: «دُوَلِ الاسْتِعْمارِ» مِنْ وَجْهَيْنِ ١٦٠
تَعْقِيْبٌ على كَلِمَةِ: «الجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ» ١٦١
تَعْقِيْبٌ على كَلِمَةِ: «الانْتِفَاضَةِ الفِلَسْطِيْنِيَةِ» ١٦٤
تَعْقِيْبٌ على كَلِمَةِ: «المُقَاوَمَةِ» ١٦٥
❏ **الفَصْلُ الثَّالِثُ: مَنْهجُ النَّبِيِّ ﷺ في التَّعامُلِ مَعَ القَضَايَا** .... ١٦٩ ـ ١٧٥
مَوْقِفُ النَّبِيِّ ﷺ في التَّعامُلِ مَعَ إشَاعَةِ مَقْتَلِ عُثْمانَ ١٧٠
تَوْفِيْقُ ابنِ حَجَرٍ بَيْنَ: لم نُبَايِعْ على المَوْتِ بَلْ على أنْ لا نَفِرَّ /ح ١٧٠
غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعِ ١٧٠

الموضوع الصفحة

غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ ١٧٢

غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ ١٧٣

❐ **الفَصْلُ الرَّابِعُ: التَّحْلِيْلاتُ الشَّرعِيَّةُ** .... ١٧٦ ـ ١٧٨

خَطَأُ الَّذِيْنَ يَسْتَنْكِفُوْنَ عَنْ رَبطِ العُقُوْبَاتِ الإلَهِيَّةِ بالمَعَاصِي ١٧٦

غَزْوَةُ أُحُدٍ مِثَالٌ أوَّلٌ في مَعْرِفَةِ ورَبْطِ التَّحْلِيْلاتِ الشَّرعِيَّةِ ١٧٧

غَزْوَةُ حُنَيْنَ مِثَالٌ ثَانٍ في مَعْرِفَةِ ورَبْطِ التَّحْلِيْلاتِ الشَّرعِيَّةِ ١٧٨

البَّابُ الثَّالِثُ

الحُلُوْلُ الإسْلامِيَّةُ

❐ **الفَصْلُ الأوَّلُ: الحَلُّ الإسْلامِيُّ بَيْنَ بَيْنَ القَبُوْلِ والرَّدِّ** .... ١٨١ ـ ١٨٥

الحُلُوْلُ الشَّرْعِيَّةُ بَيْنَ الصِّحَّةِ، ومَبْدَأ الشُّوْرَى ١٨١

ذِكْرُ الأدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ على مَشْرُوْعِيَّةِ مَبْدَأ الشُّوْرَى ١٨٢

❐ **الفَصْلُ الثَّاني: قَائِمَةُ الحُلُوْلِ** .... ١٨٦ ـ ٢٨٧

❐ ذِكْرُ الحُلُوْلِ العَامَّةِ الَّتِي لا تَتَقَيَّدُ بزَمَانٍ ولا مَكَانٍ ١٨٦

أوَّلاً: دَعْوَةُ المُسْلِمِيْنَ إلى تَصْحِيحِ العَقِيْدَةِ، ومُنَابَذَةِ الشِّرْكِ ١٨٦

ثَانِيًا: تَعْلِيْمُ المُسْلِمِيْنَ أمُوْرَ دِيْنِهِم ١٨٦

ثَالِثًا: تَقْوِيَةُ الرَّوَابِطِ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ ١٨٦

رَابِعًا: إحْيَاءُ قَضِيَّةِ الوَلاءِ والبَرَاءِ في قُلُوْبِ المُسْلِمِيْنَ ١٨٦

خَامِسًا: إحْيَاءُ قَضِيَّةِ الأمْرِ بالمَعْرُوْفِ والنَّهْي عَنِ المُنْكَرِ ١٨٧

سَادِسًا: على قَادَةِ «حمَاس» ألَّا يَرْكَنُوا إلى الاعْتِرَافِ بِقِطَاعِ غَزَّةَ ١٨٧

❐ ذِكْرُ الحُلُوْلِ الخَاصَّةِ الَّتِي يَحْكُمُهَا الزَّمَانُ والمَكَانُ ٩٨

الحَلُّ الأوَّلُ: تَحْقِيْقُ التَّوْحِيْدِ ١٩٠

أقْسَامُ العِلْمِ الشَّرعِيِّ، وحُكْمُ كُلِّ قِسْمٍ ١٩٣

الأوَّلُ: العِلْمُ الوَاجِبُ ١٩٣

الموضوع — الصفحة

الثَّاني: العِلْمُ المُسْتَحَبُّ ١٩٤

الحَلُّ الثَّاني: الجِهَادُ في سَبِيْلِ اللهِ ١٩٤

خَطَأ تَعْلِيْقِ اسْتِرْدَادِ أرْضِ فِلَسْطِيْنَ بالأقْوَالِ أو بالمَسِيْرَاتِ ٢٠٠

حَقَائِقُ مُهِمَّةٌ في اسْتِرْدَادِ أرَاضِي المُسْلِمِيْنَ المُحْتَلَّةِ ٢٠٤

أفْغَانِسْتَانَ أنْمُوْذَجًا ٢٠٥

البُوْسْنَةِ والهِرْسِكِ أنْمُوْذَجًا ٢٠٦

الشِّيْشَانِ أنْمُوْذَجًا ٢٠٦

أرْتِيرِيَا أنْمُوْذَجًا ٢٠٧

كِشْمِيْرُ أنْمُوْذَجًا ٢٠٧

مَوْقِفُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ يَهُوْدِ بَنِي النَّضِيْرِ أنْمُوْذَجًا ٢٠٨

أخْذُ العِبْرَةِ والمَوْعِظَةِ مِنْ سُوْرَةِ الحَشْرِ، وذَلِكَ مِنْ أمُوْرٍ أرْبَعَةٍ ٢٠٩

أوَّلاً: أنَّ يَهُوْدَ بَنِي النَّضِيْرِ أخَذَتْهُمُ العِزَّةُ بالإثْمِ ٢٠٩

ثَانِيًا: أنَّ يَهُوْدَ بَنِي النَّضِيْرِ أيْضًا ظَنُّوا أنَّ مَا عِنْدَهُم مِنَ العَتَادِ سَيَكْفِيْهِم ٢٠٩

ثَالِثًا: أنَّهُم ازْدَادُوا ثَبَاتًا وقُوَّةً يَوْمَ تَحَالَفَ مَعَهُم بَعْضُ الأحْلافِ ٢٠٩

رَابِعًا: أن المُسْلِمِيْنَ ظَنُّوا أنَّهُم لَنْ يَقْدِرُوا على إخْرَاجِ بَنِي النَّضِيْرِ ... ٢١٠

صُعُوْبَةُ إقَامَةِ الجِهَادِ على أرْضِ فِلَسْطِيْنَ مِنْ عَامَّةِ المُسْلِمِيْنَ ٢١١

الحَلُّ الثَّالِثُ: أخْذُ العُدَّةِ على الجِهَادِ تَدْرِيبًا: مَعْنَوِيًّا وبَدَنِيًّا ٢١٣

الجِهَادُ المَعْنَوِيُّ: هُوَ أنْ يَحْمِلَ المُسْلِمُ نَفْسَهُ على طَاعَةِ اللهِ ٢١٣

الجِهَادُ البَدَنِيُّ: فَهُوَ تَدْرِيبُ النَّفْسِ على حَمْلِ السِّلاحِ ٢١٤

ذِكْرُ الأدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ على وُجُوْبِ الإعْدَادِ على كُلِّ مُسْلِمٍ ٢١٤

المُسْلِمُ وَاحِدٌ مِنْ ثَلاثَةٍ كما وَصَفَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ ٢١٨

وُجُوْبُ الجِهَادِ على كُلِّ مُسْلِمٍ ولو بِنَوْعٍ مِنَ أنْوَاعِ المُنَاصَرَةِ ٢١٨

الحَلُّ الرَّابِعُ: إدْخَالُ السِّلاحِ دَاخِلَ فِلَسْطِيْنَ ٢٢١

الحَلُّ الخَامِسُ: تَحْرِيْضُ المُؤمِنِيْنَ على الجِهَادِ في فِلَسْطِيْنَ ٢٢١

الموضوع الصفحة

الحَلُّ السَّادِسُ: الإنْفَاقُ في سَبِيْلِ اللهِ تَعَالى ٢٢٢
الحَلُّ السَّابعُ: الدُّعَاءُ والقُنُوْتُ لإخْوانِنا في فِلِسْطِيْنَ ٢٢٤
الحَلُّ الثَّامِنُ: تَشْجِيْعُ بَعْضِ الجَمَاعَاتِ في قَضِيَّةِ فِلِسْطِيْنَ ٢٢٥
الحَلُّ التَّاسِعُ: تَشْجِيْعُ العَمَلِيَّاتِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ ٢٢٥
المقصود من الأعْمَالِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ ٢٢٥
تَعْرِيْفُ النِّكَايَةِ الحِسِّيَّةِ ٢٢٥
تَعْرِيْفُ النِّكَايَةِ المَعْنَوِيَّةِ ٢٢٦
ذِكْرُ أفْضَلِ الكُتُبِ الَّتِي تَكَلَّمَتْ عَنْ الأعْمَالِ الاسْتِشْهَادِيَّةِ / ح ٢٢٦
جَوازُ قَتْلِ اليَهُوْدِ الَّذِيْنَ في فِلِسْطِيْنَ ٢٣٨
الحَلُّ العَاشِرُ: المُقَاطَعَةُ التِّجارِيَّةُ ٢٣٩
بَيَانُ خَطَأ إطْلاقِ كَلِمَةِ «الاقْتِصَادِ» على المَالِ أو التِّجَارَةِ / ح ....
أخْذُ العِبْرَةِ مِنْ قِصَّةِ ثُمامَةَ بن أثَالٍ ﵁ ٢٤٠
أخْذُ العِبْرَةِ مِنْ قِصَّةِ أبي بَصِيْرٍ ﵁ ٢٤١
أخْذُ العِبْرَةِ مِنْ قِصَّةِ بَنِي النَّضِيْرِ ٢٤١
أخْذُ العِبْرَةِ مِنْ حِصَارِ أهْلِ الطَّائِفِ ٢٤١
ذِكْرُ الأدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ على وُجُوْبِ جِهَادِ الكُفَّارِ المُحَارِبِيْنَ ٢٤٢
أخْذُ العِبْرَةِ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ الكُبْرَى في أهمِيَّةِ المُقَاطَعَةِ ٢٤٣
شُبْهَةٌ في المُقَاطَعَةِ التِّجَارِيَّةِ، ورَدُّها مِنْ ثَلاثَةِ أوْجُهٍ ٢٤٤
أوَّلاً: أنَّكَ سَاهَمْتَ في الجِهَادِ الإسْلامِيِّ ضِدَّ اليَهُوْدِ ٢٤٤
ثَانِيًا: إنَّكَ بِدِيْنَارِكَ تُعِيْنُ أعْدَاءَ الدِّيْنِ على قَتْلِ المُسْلِمِيْنَ ٢٤٥
ثَالِثًا: لا تَنْظُرْ إلى دِيْنَارِكَ بِعَيْنٍ قَاصِرَةٍ، وحُكْمٍ ضَيِّقٍ ٢٤٥
بَشَائِرُ مِنْ خِلالِ المُقَاطَعَةِ لِلبَضَائِعِ اليَهُوْدِيَّةِ والأمْرِيْكِيَّةِ ٢٤٦
ذِكْرُ بَعْضِ الحَقَائِقِ المَيْدَانِيَّةِ النَّاجِحَةِ في مُقَاطَعَةِ السِّلَعِ اليَهُوْدِيَّةِ ١٤٧
وُجُوْبُ المُقَاطَعَةِ لِلبَضَائِعِ اليَهُوْدِيَّةِ والأمْرِيْكِيَّةِ مِن قِبَلِ الحُكُوْمَاتِ ٢٥٠
بِدَايَاتُ المُقَاطَعَةِ التِّجَارِيَّةِ لَدَى جَامِعَةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ ٢٥٢

الموضوع الصفحة

الإِجْرَاءاتُ الَّتِي اتَّخذَهَا مَجلِسُ الجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ نَحوَ المُقَاطَعَةِ ٢٥٤
ذِكْرُ بَعْضِ الفَتَاوِي العِلْمِيَّةِ في وُجُوبِ المُقَاطَعَةِ مَعَ اليَهُوْدِ وأعْوَانِهَا ٢٥٩
فُتْيَا رَابِطَةِ عُلَماءِ فِلِسْطِيْنَ ٢٦٠
فُتْيَا عُلَمَاءِ السُّوْدَانِ ٢٦٠
فُتْيَا الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحمَنِ بنِ نَاصِرٍ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ ٢٦٢
فُتْيَا الشَّيْخِ الألْبَانيِّ رَحِمَهُ اللهُ ٢٦٣
فُتْيَا الشَّيْخِ حُمُودِ العُقْلاءِ رَحِمَهُ اللهُ، ومَجْمُوْعَةٍ مِنْ طَلَبَةِ العِلْمِ ٢٦٣
فُتْيَا الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ بن الجِبْرِيْنِ حَفِظَهُ اللهُ ٢٦٣
الإِجْرَاءَاتُ الوَاجِبَةُ على الحُكُوْمَاتِ اتِّخَاذُهَا في تَفْعِيْلِ المُقَاطَعَةِ ٢٦٥
أوَّلًا: أنْ تَمْنَعَ تَصْدِيْرَ وبَيْعَ النِّفْطِ ٢٦٦
ثَانِيًا: أنْ تُقَاطِعَ وتَطْرُدَ سَفَارَاتِ الدُّوَلِ المُحارِبَةِ للمُسْلِمِيْنَ ٢٦٦
ثَالِثًا: أنْ تَطْرُدَ وتَمنَعَ الشَّرِكَاتِ اليَهُوْدِيَّةِ والأمْرِيْكِيَّةِ والدَّنمَرْكِيَّةِ ٢٦٦
رَابِعًا: أنْ تَسْعَى في تَفْعِيْلِ المُقَاطَعَةِ التِّجارِيَّةِ بَيْنَ رَعَايَاهَا ومُوَاطِنِيْهَا ٢٦٦
جَوابُ سُؤالٍ لِمَنْ لم يجِدْ بَدِيْلاً للمُنْتَجِ الأمْرِيْكِي فَمَا الحَلُّ؟ ٢٦٧
خُلاصَةُ المُقَاطَعَةِ التِّجَارِيَّةِ ٢٦٨
أوَّلًا: على المُسْلِمِ أنْ يُقَاطِعَ سِلَعَ اليَهُوْدِ وأعْوَانِهَا ٢٦٨
ثَانِيًا: أنْ يُقَاطِعَ بَضَائِعَ الشَّرِكَاتِ الَّتِي تُسَوِّقُ لليَهُوْدِيَّةِ وأعْوَانِهَا ٢٦٨
ثَالِثًا: أنْ يُقاطِعَ البَضَائِعَ الَّتِي يَشْتَرِيْهَا المُسْلِمُ من اليَهُوْدِ وأعْوَانِهَا ٢٦٨
ذِكْرُ الصُّوْرِ الَّتِي يَجُوْزُ للمُسْلِمِ فِيْهَا شِرَاءُ سِلَعِ اليَهُوْدِ وأعْوَانِهَا ٢٦٩
الأوَّلُ: إذَا أضْطُرَّ المُسْلِمُ إلى شِرَائِهَا ٢٦٩
ثَانِيًا: يَجُوْزُ الشِّرَاءُ مِنَ المُسْلِمِ الَّذِي اشْتَرَاهَا ابْتِدَاءً ٢٦٩
الحَلُّ الحَادِي عَشَرَ: حَرْبُ «الإنْتَرْنِت»، ضِدَّ اليَهُوْدِ ٢٧٠
ذِكْرُ أفْضَلِ الكُتُبِ الَّتِي تَكَلَّمَتْ عَنْ حَرْبِ «الإنْتِرْنِت»، ضِدَّ اليَهُوْدِ / ح .. ٢٧٠
بَيَانُ الصُّوَرِ الشَّرْعِيَّةِ لاسْتِخْدَامِ «الإنْتِرْنِت» ٢٧٠
بَعْضُ الصُّوَرِ الحَرْبِيَّةِ الَّتِي اسْتَخْدَمَهَا مُحْتَرِفُوا «الإنْتِرْنِت» في العالم ٢٧١

الموضوع الصفحة

بَعْضُ الصُّوَرِ الحَرْبِيَّةِ مِنْ مُحْتَرِفي «الإنْتِرْنِت» ضِدَّ اليَهُوْدِ ٢٧٥

الحَلُّ الثَّاني عَشَرَ: وُجُوْبُ الاتِّفَاقِ ونَبْذُ الافْتِرَاقِ ٢٨١

الحَلُّ الثَّالِثَ عَشَرَ: وُجُوْدُ مَرْجَعِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ على أرْضِ الوَاقِعِ ٢٨٥

الحَلُّ الرَّابعَ عَشَرَ: فَتْحُ البَابِ لكُلِّ مُسْلِمٍ في طَرْحِ الحُلُوْلِ ٢٨٦

الوَاجِبَاتُ الثَّلاثَةُ على مَنْ يَقْرأ هَذِهِ الرِّسَالَةَ ٢٨٦

❑ **الخَاتَمَةُ** ٢٨٩

❑ **الفَهَارِسُ العَامَّةُ** ٢٩١

- ثَبَتُ المَرَاجِعِ ٢٩٣
- فَهَارِسُ الآيَاتِ ٢٩٦
- فَهَارِسُ الآحَادِيْثِ ٣٠٥
- الفَهَارِسُ المَوْضُوعِيَّةُ ٣٠٩

❑ ❑ ❑

سِلْسِلَةُ إِصْدَارَاتِ المُؤَلِّفِ

- ☐ «الرِّيْحُ القَاصِفُ عَلَى أَهْلِ الغِنَاءِ والمَعَازِفِ» مُجَلَّدٌ كَبِيْرٌ.
- ☐ «كَفُّ المُخْطِئ عَنِ الدَّعْوةِ إلى الشِّعْرِ النَّبَطِي» مُجَلَّدٌ كَبِيْرٌ.
- ☐ «أحْكَامُ المُجاهِرِيْنَ بالكَبَائِرِ» مُجَلَّدٌ كَبِيْرٌ.
- ☐ «تَحْقِيْقُ الكَلامِ في أذْكَارِ الصَّلاةِ بَعْدَ السَّلامِ» مُجَلَّدٌ.
- ☐ «صِيَانَةُ الكِتَابِ» مُجَلَّدٌ كَبِيْرٌ.
- ☐ «حَقِيْقَةُ كُرَةِ القَدَمِ» مُجَلَّدٌ كَبِيْرٌ.
- ☐ «المَنْهَجُ العِلمِيُّ لِطُلَّابِ العِلم الشَّرْعِيِّ» مُجَلَّدٌ.
- ☐ «ظَاهِرَةُ الفِكْرِ التَّربَوِيِّ» مُجَلَّدٌ كَبِيْرٌ.
- ☐ «الوَجَازَةُ في الأثْبَاتِ والإجَازَةِ» مُجَلَّدٌ كَبِيْرٌ.
- ☐ «تَسْدِيْدُ الإصَابَةِ فيما شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابةِ» مُجَلَّدٌ.
- ☐ «قِيادَةُ المَرأةِ للسيَّارةِ بَيْنَ الحقِّ والبَاطِلِ» غِلافٌ.
- ☐ «كُسُوْفُ الشَّمْسِ بَيْنَ التَّخوِيفِ والتَّزْيِيْفِ» غِلافٌ.
- ☐ «كَرَائِمُ التَّراجِمِ» غِلافٌ.
- ☐ «شَاعِرُ المَلْيُوْن» غِلافٌ.
- ☐ «النَّاهِي عَنِ الأغَاني والدُّفُوْفِ والمَلاهِي» مُجَلَّدٌ.
- ☐ «تَنْبِيْهُ النَّاسِي بِحُكْمِ الصَّلاةِ على الكَرَاسِي» غِلافٌ.
- ☐ «أوْهَامُ الرَّائِدِ في جَمْعِ الصَّحِيْحَيْنِ والزَّوَائِدِ» غِلافٌ.
- ☐ «تَوْرِيْقُ المِنَّةِ لِحُفَّاظِ الأسَانِيْدِ والسُّنَّةِ» غِلافٌ.
- ☐ «مَعَالِمُ المَذْهَبِ الحَنْبَلِيِّ» مُجَلَّدٌ كَبِيْرٌ.